المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم الكتاب والسنة

التناسق الموضوعي في سورة هود

رسالة علمية لنيل درجة الدكتوراه في التفسير وعلوم القرآن الكريم

إعداد الطالب

ياسر بن عبد الله بن محمد با زيد

الرقم الجامعي (٤٣٠٧٧٠٢١)

إشراف فضيلة الشيخ

الأستاذ الدكتور أمين محمد عطية باشا

العام الجامعي ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م

بسم الله الرحمن الرحيم

مُسْتَخْلَصُ ٱلرِّسَالَةِ

عنوان الرسالة: التناسق الموضوعي في سورة هود عليه السلام .

رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التفسير وعلوم القرآن الكريم من جامعة أم القرى.

- اسم الباحث : ياسر بن عبد الله بن محمد بازيد.

وتتكون الرسالة من مقدمة ، وبابين ، وخاتمة على النحو التالي :

المقدمة: وتشتمل على أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، والإضافات العلمية، والدراسات السابقة، وخطة البحث، وحدوده، وعملي فيه.

الباب الأول: قسم الدراسة النظرية وفيه تمهيد وثلاثة فصول:

التمهيد: التعريف بالتناسق الموضوعي: مقدمات تعريفية .

الفصل الأول: اسم السورة الكريمة وفضائلها وعدد آياتها.

الفصل الثاني: مكي السورة ومدنيها، ومناسبتها لما قبلها وما بعدها، ووجه اختصاصها.

الفصل الثالث: تاريخ نزول السورة، والجو العام الذي نزلت فيه، وأسباب نزولها، ومقاصدها وأهدافها.

الباب الثاني: قسم الدراسة التطبيقية، وفيه فصلان:

الفصل الأول: محور السورة الكريمة ومناسباتها.

الفصل الثاني: تفسير آيات السورة الكريمة في ضوء تناسقها الموضوعي.

ثم الخاتمة : وتشمل على أهم النتائج، والتوصيات.

ثم ذيلت الرسالة **بفهارس** فنية كاشفة عن مضامينها .

والحمد لله على توفيقه وامتنانه.

الباحث

ياسر بن عبدالله بن محمد بازيد

Abstract

Title of the Study: **Thematic consistency in Surat hood**

Submittedresearch for obtaining the PhD degree from Umm Al-Qura University

The study consists of an introduction، two sections، conclusion and indexes as follows:

The introduction: It has the importance of the them، reasons of its selection، the previous studies، plan of the study and its approach.

The first section: The Thematic consistency: It has identifying introduction and it has three chapters:

The first chapter is about the name of the Sura، its favor، number of its verses and its date.

The second chapter is about the Makkian and Medina verses of the Sura and its relationship with its previousSura.

The third chapter is about reasons of Sura coming down، its goals and aims.

The second section: The thematic consistency: Applied study، and it has three chapters:

The first chapter is about the occasion of the Sura

The second chapter is about the theme of the Sura and its consistency.

The third chapter is about interpretation of the verses of the Sura in the light of its thematic consistency.

Then، **the conclusion** and it has the most important results and recommendations.

Finally، I concluded the Sura with technical **indexes** that clarify its contents.

Researcher

Yassir -Abdullah bA-Zaid

المُقَدِّمَة

المقدمة

إنّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيّئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلّ له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله.

أمّا بعد:

فإنّ من أجلّ نعم الله على عباده، نعمة إنزال القرآن الكريم نوراً وهدى للناس، قال تعالى:] يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ ´ µ ¶ ¸ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا Z النساء: ١٧٤

وأخبر سبحانه أنّ هذا الكتاب مبارك ، وأنّه أنزله ليتدبّره العباد، ولينتفعوا بما فيه من البيّنات فقال سبحانه:] B C D E F G H I J Z ص: ٢٩

ولما كان هذا القرآن آخر الكتب صانه الله عز وجل من أيدي العابثين وحفظه من تحريف المأجورين ، فقال سبحانه:] g h i j k l m Zالحجر: ٩

وإني لأشرف بأن أشارك بجهد المقل لخدمة كتاب الله عز وجل، بأن أتقدم لقسم الكتاب والسنة بأطروحة" التناسق الموضوعي في سورة هود عليه السلام" لنيل درجة الدكتوراه في التفسير وعلوم القرآن الكريم إن شاء الله.

هذا وأسأل الله أن يفتح عليَّ فيه فتحاً، وأن يرزقني العلم النافع، والعمل به، وأن يجعله حجة لي لا علي، هو ولي نعمتي، وما توفيقي إلا به.

أهمية الموضوع:

١. أن في إبراز التناسق الموضوعي لسور القرآن الكريم ، تحقيق لمقاصد عظيمة لها أهمية بالغة للأمة، ومنها الرد على شبهات المستشرقين، والمتشككين في مصدره ،ومن أوصى منهم بإعادة ترتيبه تسهيلاً لقراءته -على حد زعمهم- رغبة في إهماله.

٢. تحقيق الرؤية الإسلامية السليمة للقرآن الكريم بمجمله من خلال إبراز الترابط والتآلف بين مبانيه، ومعانيه، وأحكامه.

٣. ما اختصت به هذه السورة المباركة عن غيرها من سور القرآن الكريم، فإن الإقرار بوجود التناسب والتناسق بين الآيات، وإثباته، يؤدي إلى انتظامها في وحدة موضوعية معينة تحت هدف عام ومقصد معين بالرغم من تنوع أغراض السورة، وموضوعاتها، ومما أجمع عليه أهل التأويل من السلف والخلف على أن القرآن يفسر بعضه بعضاً، وأنه أوثق تعويلاً وأحسن تأويلاً، فسورة الفاتحة جامعة كالديباجة، ولكل سورة من سور القرآن ديباجة تختص بها عن غيرها، ملتئمة كالعقد المنظوم، عظيمة النسق بين ألفاظها وموضوعاتها، ومعانيها .

أسباب اختياري للموضوع:

١-أهمية متعلقه: إذ أن هذا الموضوع يتعلق بتفسير كلام الله تعالى ، الذي هو الحجة البالغة والصراط المستقيم ، و النور المبين الذي أشرقت لـــه الظلمات ، والرحمة المهداة التي بها صلاح جميع المخلوقات ، فخدمته أجل ما تصرف فيه الأعمار ، وأعظم ما يتقرب به العبد إلى مولاه .

٢- التأطير والتأصيل العلمي السليم لدراسة التناسق الموضوعي لسور القرآن بأسلوب علمي شامل، يبرز ويعتني بجميع جوانب السورة الكريمة.

٣- أن في العناية بهذا العلم، سبيل لتدبر كلام الله، وإمعان النظر فيه، وتكويناً لباحث متقن إن شاء الله، وإبرازاً لهدايات القرآن الكريم.

٤- إبراز هذا الجانب العظيم، والماتع، لطلاب العلم، وهو جانب الإعجاز القرآني البديع في نسق القرآن، والذي لم يول عناية كافية، وغاية ما كتب فيه نكت متفرقة عند علمائنا الأجلاء في كتب التفسير، وعلوم القرآن، ومن عني به عناية مستقلة قلة، وفي جوانب معينة، كالإمام البقاعي في "نظم الدرر"، والإمام السيوطي في "تناسق الدرر".

٥- الحاجة إليه: فمن المعلوم أن المؤلفات في التناسق الموضوعي قليلة، لذا فإن هذ الموضوع سيلبى حاجة في المكتبة الإسلامية، ويسد ثغرة مهمة في هذا الجانب، فضلاً عن كونه يحوي كثيراً من الفوائد والاستنباطات والدرر المودعة في التفسير وإبرازها للأمة.

٦-إثبات وتأكيد أن ترتيب الآيات في السور توقيفياً من عند الله الحكيم الخبير.

الدراسات السابقة.

هناك مؤلفات لأهل العلم عنيت بجانب التناسق في النظم القرآني في العموم، ومن تلك الدراسات أيضاً ما هو خاص ببعض سور القرآن، وكلٌّ له اتجاهات في هذا التصنيف، ومن المعلوم أن هذا المصطلح يعد من المصطلحات الحديثة، ومما وقفت عليه من تلك المصنفات ما يلي:

- التناسق الموضوعي في القرآن الكريم ، لإسماعيل بن عبدالستار بن هادي الميمني .
- وحدة النسق في السورة القرآنية، فوائدها وطرق دراستها، لرشيد الحمداوي.
- تناسق الآي في القرآن ، لنفرة التهامي.
- إمعان النظر في نظام الآي من السور، للدكتور محمد عناية الله سبحاني.
- النسق والتناسق في القرآن، للشيخ أحمد نوفل.
- مصابيح الدرر في التناسق والترابط بين آيات القرآن الكريم والسور، للشيخ عادل أبو العلا.

ومن مصنفات التفسير التي عنت بهذا العلم ضمن طياتها ما يلي:

- التفسير الكبير، للإمام الفخر الرازي.
- البحر المحيط، للإمام أبي حيان.
- المحرر الوجيز، للإمام ابن عطية.
- التحرير والتنوير، للإمام الطاهر بن عاشور.
- ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل ،لابن الزبير الغرناطي.
- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروز آبادي
- في ظلال القرآن، للأستاذ سيد قطب.
- بيان القرآن، للشيخ أشرف بن علي التهانوي.

كما أننا نستطيع القول بأن تلك التفاسير -المباركة- لم يكن لها مقصد مباشر لإبراز ذلك التناسق، إلا ما يظهر جلياً في أسلوب سيد قطب رحمه الله في الظلال، وذلك من خلال مقدماته وخواتيمه لكل سورة على وجه الخصوص.

وثمة مصنفات قد صنفت في علم المناسبات ولها ارتباط بالتناسق ومنها:

- تناسق الدرر في تناسب السور، للإمام السيوطي.
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للإمام البقاعي.
- جواهر البيان في تناسب سور القرآن، للشيخ الغماري.
- دلائل النظام، للإمام الفراهي.

ومن الدراسات الحديثة كذلك المتعلقة ببحثنا:

- سورة هود عليه السلام دراسة لخصائص نظمها وأسرارها البلاغية، رسالة علمية، لدخيل الله الصحفي.
- الإعجاز اللغوي في سورة هود عليه السلام، دراسة وصفية تحليلية، رسالة ماجستير.
- سورة هود عليه السلام، دراسة لغوية، صرفية، نحوية، رسالة ماجستير، لغانم بن سلمان الشمري.
- معالم الدعوة في سورة هود عليه السلام، دراسة استقرائية استنباطية، رسالة ماجستير للباحث جلال أحمد حسن.

وجل ما وقفت عليه مما سبق لم يف ببيان شامل لكل ما تحويه هذه السورة الكريمة، من تناسق بين ألفاظها ومعانيها، من خلال تحليلها، وإنما اختص كل منها بجانب محدد كالدعوة، أو البلاغة، ونحوهما.

إضافة إلى الجهد المقدم من جامعة الشارقة حول الدراسة الموضوعية لسور القرآن الكريم، والذي عني بجوانب محددة، وكان موجزاً كما أبان ذلك شيخنا الدكتور/زياد الدغامين - حفظه الله – في تقريره المقدم لكليتنا المباركة، مما دعاني إلى المضي مستعيناً بالله في هذا البحث ،سائلاً الله تعالى العون والتوفيق.

خطة البحث :

قسمت البحث إلى مقدمة وبابين وخاتمة وذيلته بفهارس، وهي على النحو التالي:

المقدمة: وفيها أهمية هذا الموضوع، وأسباب اختياره، والدراسات السابقة له، وخطة البحث.

الباب الأول: وهو قسم الدراسة النظرية وفيه تمهيد وثلاثة فصول:

التمهيد: وفيه التعريف بالتناسق الموضوعي في السورة لغة واصطلاحاً.

الفصل الأول: بين يدي السورة الكريمة وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: اسم السورة الكريمة .

المبحث الثاني: فضائل السورة الكريمة أو بعض آياتها.

المبحث الثالث: عدد آيات السورة ، وخلاف العلماء في ذلك.

المبحث الرابع: تاريخ نزول السورة ، والجو العام الذي نزلت فيه .

الفصل الثاني: مكي السورة ومدنيها، ومناسبتها لما قبلها وما بعدها، وجه اختصاصها بما اختصت به وفيه ثلاث مباحث:

المبحث الأول: إثبات مكية هود وما استثني منها.

المبحث الثاني: مناسبة السورة لما قبلها وما بعدها .

المبحث الثالث: وجه اختصاص السورة بما اختصت به من موضوعات.

الفصل الثالث: أسباب نزول السورة ، ومقاصدها وأهدافها وفيه مبحثين:

المبحث الأول: أسباب النزول الواردة في السورة .

المبحث الثالث: مقاصد السورة الكريمة ، وأهدافها .

الباب الثاني: قسم الدراسة التطبيقية ، وفيه فصلان:

الفصل الأول: محور السورة الكريمة ومناسباتها ، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: محور السورة وموضوعها الكلي (تأصيل العقيدة وتثبيت النبي ﷺ).

المبحث الثاني: مناسبة اسم السورة لموضوعاتها .

المبحث الثالث: مناسبة فاتحة السورة لخاتمتها .

الفصل الثاني: موضوعات السورة الكريمة وتناسقها .

الفصل الثالث: تفسير السورة الكريمة في ضوء تناسقها الموضوعي ، وفيه تسعة مباحث:

المبحث الأول: التناسق في مفتتح السورة ، ويشمل الآيات (١-٢٤).

المبحث الثاني: قصة نوح عليه السلام مع قومه، ويشمل الآيات (٢٥-٤٩).

المبحث الثالث: قصة هود عليه السلام مع قومه، ويشمل الآيات (٥٠-٦٠).

المبحث الرابع: قصة صالح عليه السلام مع قومه، ويشمل الآيات (٦١-٦٨).

المبحث الخامس: قصة إبراهيم عليه السلام مع الملائكة عليهم السلام، ويشمل الآيات(٦٩-٧٦).

المبحث السادس: قصة لوط عليه السلام مع قومه، ويشمل الآيات (٧٧-٨٣).

المبحث السابع: قصة شعيب عليه السلام مع قومه، ويشمل الآيات (٨٤-٩٥).

المبحث الثامن: قصة موسى عليه السلام مع قومه، ويشمل الآيات (٩٦-٩٩).

المبحث التاسع: خاتمة السورة الكريمة، وارتباطها بالسياق، ويشمل الآيات(١٠٠-١٢٣).

الخاتمة : وتشمل على نتائج الدراسة، والتوصيات.

الفهارس :

- فهرس الآيات القرآنية.
- فهرس الأحاديث النبوية.
- فهرس الآثار.
- فهرس الأعلام.
- فهرس الأبيات الشعرية .
- فهرس الموضوعات .
- فهرس المصادر والمراجع.
- فهرس المحتويات.

هذا وأسأل الله الهداية والتوفيق، وأن يجعلني من خدمة كتابه إنه سميع مجيب.

عملي في البحث:

١. كتبتُ الآيات بالرسم العثماني، ثم عزوت الآيات المستشهد بها إلى مواضعها من القرآن الكريم عقب ذكرها.
٢. وثّقت الأحاديث التي استشهدت بها من مصادرها، والتزمت في الترتيب الكتب الستة أولاً، وما كان منها في الصحيحين أو أحدهما فإني لم أحكم عليه، وإن كان في غيرهما ذكرت حكم أحد المحدثين عليه من المتقدمين أو المتأخرين صحةً أو ضعفاً.
٣. خرجت آثار الصحابة والتابعين من مظانها ، دون الحكم عليها في الغالب.
٤. شرحت الألفاظ الغريبة، وضبطت ما يحتاج منها إلى ضبطٍ.
٥. عرّفت بالأعلام الوارد ذكرهم، ولم أستثن إلا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والخلفاء الراشدين– رضي الله عنهم – والأئمة الأربعة، ومشاهير الصحابة، وأصحاب الكتب الستة، ولست مترجماً لكافر ممن ذكرت في أسباب نزول بعض الآي أو غيره.
٦. اعتنيت بجمع الروايات الصريحة الصحيحة في أسباب النزول.
٧. بينت التناسق بين موضوعات السورة وربط تلك الموضوعات بسابقها ولاحقها.
٨. توسعت في بيان مقاصد السورة وأهدافها بما قد يشمل بعض موضوعاتها.
٩. اعتمدت في عرض كل مبحث من مباحث تفسير الآيات وإبراز أوجه التناسق، التمهيد بربط يقتضيه المقام أو تفسير موجز، ثم إبراز جانبي التناسق والترابط أولاً في مواطن ذلك المقطع أو تلك القصة في القرآن عموماً، و ثانياً بين أوجه التناسق والمناسبة لها داخل السورة.
١٠. ميزت بالأقواس والنقط ما يلي :-

- §] Z للآيات القرآنية.
- § ( ) للأحاديث النبوية، وبعض ما يحتاج تعريف.
- § (( )) لنصوص الأقوال عموماً.
- § " " لغير ما سبق، كأسماء الكتب .
- § () لأرقام الصفحات في الحواشي .
- § ... في حالة حذف شيء من النص.

١١. جعلت المعوَّل عليه في معرفة اسم كل مصدر أو مرجع كاملاً وطبعته هو الفهرس الخاص بذلك آخر الرسالة، اختصاراً للحواشي، وتيسيراً للقارئ الكريم، فأكتفي في الحاشية بتسميته بما هو معروف ومشهور به من اسم المفسر مثلاً أواسم كتابه.

* * *

الباب الأول

قسم الدراسة النظرية وفيه تمهيد وثلاثة فصول:

التمهيد:

التعريف بالتناسق الموضوعي لغة واصطلاحاً .

الفصل الأول : بين يدي السورة الكريمة وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : اسم السورة الكريمة .

المبحث الثاني : فضائل السورة الكريمة.

المبحث الثالث: عدد آيات السورة ، وخلاف العلماء .

(الباب الأول)

التمهيد:

التعريف بالتناسق الموضوعي لغة واصطلاحاً.

التناسق الموضوعي مركب توصيفي، يحتاج إلى تعريف كل لفظ على حدة، ثم ننظر في التعريف المركب فيما بعد، فنبدأ بتعريف التناسق ثم الموضوعي.

مادة نسق: النَّسَقُ من كل شيء ما كان على نظام واحد، وهو عام في الأشياء.

ونَسَقته نسقاً ونسقته تنسيقاً.

ونقول: انتَسَقَتْ هذه الأشياء بعضها إلى بعض أي تَنَسَّقتْ. القاف والسين والفاء معهما(١).

ونسق الشيء ينسقه نسقاً، ونسقه: نظمه على السواء ، وانتسق هو، وتناسق.

والاسم: النسق.

ونسق الأسنان: انتظامها في النبتة وحسن تركيبها.

والنسق: العطف على الأول، والفعل كالفعل (٢).

وخلاصة ما سبق يمكننا القول أن التناسق في اللغة يعني حسن النظم والتقارب والمشاكلة والترابط والتعلّق والانسجام .

وأما الوضع في اللغة فقد جاء في "العين": ((الوضع: مصدر قولك: وضع يضع.

والدابة تضع السير وضعاً.

وتقول: هي حسنة الموضوع.

وأوضعها راكبها.

والمواضعة: أن تواضع أخاك أمراً فتناظره فيه.

وفلان وضعه دخوله في كذا فاتضع والتواضع: التذلل)) (١).

---

(١) ينظر : العين ١/٣٨٢.

(٢) ينظر : المحكم ٣/٥.

وفي "النهاية" :((يقال : وَضَع البعير يَضَعُ وَضْعاً وأوْضَعَه راكِبُه إيضَاعاً إذا حَمله على سُرْعَة السَّير....

يقال: وَضَع الشَّيءَ من يَدِه يَضَعُه وَضْعاً إذا ألقاه فكأنه ألقاهُ في الضَّريبة

- وفيه: (إنّ الملائكة تَضَع أجْنِحَتَها لِطالِب العلم) [2]. أي تَفرُشُها لتَكُون تَحْتَ أقدامِه إذا مشى.

- ومنه الحديث: (وَيَضَع العِلَم)[3].

وفيه:(من أنْظَر مُعْسِراً أو وَضَع له)[4]. أي حَطَّ عنه من أصل الدَّيْن شيئاً)) [5].

وفي لسان العرب: ((الوَضْعُ ضدّ الرفع وضَعَه يَضَعُه وَضْعاً ومَوْضُوعاً وأَنشد ثعلب بيتين فيهما: مَوْضُوعُ جُودِكَ ومَرْفوعُه[6]، عنى بالموضوع ما أَضمره و لم يتكلم به والمرفوع ما أَظهره وتكلم به، والمواضِعُ معروفة واحدها مَوْضِعٌ، واسم المكان المَوْضِعُ، والموضَعُ بالفتح

(١) العين ٢/ ١٩٦.

(٢)الحديث روي عن عاصم بن أبي النجود عن زر أنه قال أتيت صفوان بن عسال أساله عن المسح على الخفين فقال ما غدا بك فقلت ابتغاء العلم قال فإني سمعت رسول الله ﷺيقول (إن الملائكة تضع اجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع). كذا رواه معمر فرفعه عن عاصم وأخرجه عبد الرزاق في"المصنف:٧٩٣" ومن طريقه وأحمد في المسند "٢٤٠/٤"وابن خزيمه"١٩٣" وابن حبان"١٣١٩،١٣٢٥" ورفعه أيضا حماد بن سلمه أخرجه أبو داود الطيالسي "١١٦٥" وأحمد"٢٣٩/٤" وابن عبد البر الجامع"٣٣/١" وكذا رفعه أبو جعفر الرازي أخرجه ابن عبد البر"٣٢/١" وأوقفه عن عاصم فأصل الحديث مشهور أما الزيادة في فضل العلم فالراجح أنها موقوفة من قول صفوان،ورفعها وهم، وبهذا يتبين خطأ من صحح الزيادة، وقد روى موقوفاً عن ابن عباس بإسناد صحيح أخرجه ابن أبي شيبه"٥٤٠/٨".

(٣) أخرجه البخاري٢٩٨/١٧ برقم٥١٦١بَاب مَا جَاءَ فِيمَنْ يَسْتَحِلُّ الْخَمْرَ وَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ ،وتمامه عن أَبِي عَامِرٍ أَوْ أَبُو مَالِكٍ الْأَشْعَرِيُّ قال: وَاللَّهِ مَا كَذَبَنِي: سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺيَقُولُ:)يَكُونَنَّ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ يَسْتَحِلُّونَ الْحِرَ وَالْحَرِيرَ وَالْخَمْرَ وَالْمَعَازِفَ وَلَيَنْزِلَنَّ أَقْوَامٌ إِلَى جَنْبِ عَلَمٍ يَرُوحُ عَلَيْهِمْ بِسَارِحَةٍ لَهُمْ يَأْتِيهِمْ يَعْنِي الْفَقِيرَ لِحَاجَةٍ فَيَقُولُونَ ارْجِعْ إِلَيْنَا غَدًا فَيُبَيِّتُهُمْ اللَّهُ وَيَضَعُ الْعَلَمَ وَيَمْسَخُ آخَرِينَ قِرَدَةً وَخَنَازِيرَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه ٢٩٥/١٤برقم: ٥٣٢٨.

(٥) النهاية ٤٣١/٥.

(٦)لم أقف عليه في مظانه.

الأَخير نادر لأَنه ليس في الكلام مَفْعَلٌ مما فاؤه واوٌ اسماً لا مَصْدراً إِلا هذا، فأَما مَوْهَبٌ ومَوْرَقٌ فللعلمية، وأَما ادْخُلُوا مَوْحَدَ مَوْحَدَ ففتحوه إِذ كان اسماً موضوعاً ليس بمصدر ولا مكان وإِنما هو معدول عن واحد، كما أَن عُمر معدول عن عامر، هذا كله قول سيبويه.

والموضَعةُ لغة: في الموْضِعِ، حكاه اللحياني عن العرب، قال: يقال ارْزُنْ في مَوضِعِكَ، ومَوْضَعَتِكَ.

والموضِعُ مصدر قولك وَضَعْتُ الشيء من يدي وَضْعاً وموضوعاً، وهو مثل المَعْقُولِ. ومَوْضَعاً، وإِنه لحَسَنُ الوِضْعةِ أَي الوَضْعِ والوَضْعُ أَيضاً الموضوعُ سمي بالمصدر، وله نَظائرُ منها ما تقدم، والجمعُ أَوضاعٌ، والوَضِيعُ البُسْرُ الذي لم يَبْلُغْ كلُّه فهو في جُؤَنٍ أَو جِرارٍ، والوَضِيعُ أَن يُوضَعَ التمرُ قبل أَن يَجِفَّ فيُوضَعَ في الجَرِينِ أَو في الجِرارِ، ويقال وضَعَ الشيءَ من يده يَضَعُه وَضْعاً إِذا أَلقاه فكأَنه أَلقاه في الضَّرِيبةِ ويقال وضَعَ يدَه في الطعام إِذا أَكله)) [١].

(١) لسان العرب ٣٩٦/٨.

التناسق الموضوعي في الاصطلاح.

يمكننا القول بأن التناسق الموضوعي في الاصطلاح هو : تتابع القضايا، وانتظامها وترتيبها في القرآن العظيم وسوره.

وعليه فإن التناسق الموضوعي في القرآن الكريم، هو نظام القرآن الكريم، وهو ذو شقين:

الشق الأول : التناسق الموضوعي في القرآن جميعه.

الشق الثاني : التناسق الموضوعي في سوره، سورة سورة .

وهو بهذا يتداخل مع مناسبات القرآن العظيم التي هي:" علل ترتيب أجزائه بعضها ببعض "(١)

أو: "المعنى الذي يربط بين سوره وآياته"(٢)

فيدخل التناسق الموضوعي في المناسبات، حيث علل الترتيب والمعنى الرابط يكون بين الموضوعات التي تشتمل عليها السورة وبين الآيات داخل السورة، فما تعلق بالموضوعات من جهة نسقها ونظامها وتتابعها وتلاؤمها هو التناسق الموضوعي دون غيره من أوجه علل الترتيب أو المعنى الذي يربط بين سور القرآن وآياته.

فإنّ المعنى الرابط وعلل الترتيب إمّا تكون بين موضوعات السورة أو بين آيات وأجزاء الآيات في السورة.

والمعنى الذي يربط بين موضوعات السورة ويبين علل ترتيبها؛ إمّا أن يكون للربط بين آية وآية داخل السورة، أو للربط بين موضوع مقطع وموضوع مقطع آخر داخل السورة.

والثاني إمّا أن يكون لمجرد إبراز الصلة بين موضوع مقطع وآخر، أو لإبراز التلاؤم والانسجام والنظام والتتابع والترتيب بين موضوعات السورة جميعها، فهذا هو التناسق الموضوعي في السورة القرآنية؛ فهو المعنى الذي يربط بين موضوعات السورة ويبين علل ترتيبها؛ لإبراز التلاؤم والانسجام والنظام والتتابع بين الموضوعات.

---

(١) نظم الدرر ١/٥.

(٢) الإتقان:٥/٣٢٣.

ويكون التناسق الموضوعي في القرآن الكريم بإبراز التلاؤم والانسجام والنظام والتتابع بين موضوعات السور، بعد تحرير مقاصدها والغاية التي ترمي إليها كل سورة، فينتظم موضوعات القرآن الكريم تناسق تام ونظام بديع يبهر العقول ويأخذ بالألباب.

فالتناسق هو إبراز نظام البناء الموضوعي للسورة في ترتيب وترابط وانسجام. [١]

وهو دال على أن آيات و سور القرآن الكريم مترابطة متآلفة مع بعضها البعض من بداية سورة الفاتحة وحتى نهاية سورة الإخلاص بطرق وروابط مختلفة.

(١) ينظر: التناسق الموضوعي في السور القرآنية لشيخنا أ. د محمد عمر بازمول،ص:١٢.

الفصل الأول

بين يدي السورة الكريمة وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : اسم السورة الكريمة .

المبحث الثاني : فضائل السورة الكريمة.

المبحث الثالث: عدد آيات السورة ، وخلاف العلماء في ذلك.

المبحث الأول: اسم السورة الكريمة .

سميت هذه السورة في جميع المصاحف، وكتب التفسير والسنة سورة (هود)، ولا يُعرف لها اسم غير هذا الاسم.

فقد ثبت أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه قال: يا رسول الله قد شبت. قال ﷺ:(شيبتني هود ،والواقعة، والمرسلات، وعم يتساءلون، وإذا الشمس كورت) (١).

و عنه رضي الله عنه أيضاً أنه قال: قال ﷺ: (شيبتني هود و أخواتها قبل المشيب) (٢).

وعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِر(٣) رضي الله عنه قَالَ:(أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ رَاكِبٌ فَوَضَعْتُ يَدِي عَلَى قَدَمِه فَقُلْتُ: أَقْرِئْنِي سُورَةَ هُود أَقْرِئْنِي سُورَةَ يُوسُفَ فَقَالَ: لَنْ تَقْرَأَ شَيْئًا أَبْلَغَ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ) (٤).

وعن ابْنَ عُمَرَ رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:(مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُ رَأْيُ عَيْنٍ فَلْيَقْرَأْ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ وَإِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ وَحَسِبْتُ أَنَّهُ قَالَ وَسُورَةَ هُود) (٥).

وروي عن كعب الأحبار(٦) أنه قال:((فاتحة التوارة فاتحة سورة الانعام، وخاتمة التوراة خاتمة سورة هود)) (١).

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه ١١/ ١٠٦،بَاب وَمِنْ سُورَةِ الْوَاقِعَةِ برقم٣٢١٩وحسنه، والحاكم في المستدرك ٧/ ٤٥٣، تفسير سورة هود، برقم٣٢٧٢، وصححه، كما صححه الألباني في صحيح الجامع / ٣٧٢٣.

(٢) ينظر كنز العمال ١/٥٧٣، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير/ ٣٧٢١.

(٣) عقبة بن عامر بن عبس بن عمرو بن عدي بن عمرو بن رفاعة بن مودوعة بن عدي بن غنم بن الربعة بن رشدان بن قيس بن جهينة الجهني الصحابي المشهور روى عن النبي ﷺ كثيراً روى عنه جماعة من الصحابة والتابعين مات في سنة ثمان وخمسين. الإصابة (٤/٥٢٠) الاستيعاب (٣/ ١٠٧٣) .

(٤) أخرجه الإمام أحمد في مسنده٣٥/٢٨٧برقم: ١٦٧٧٧، والنسائي في سننه ٤/٣٣ باب الفضل في قراءة المعوذتين، برقم٩٤٤ ، وابن حبان (٢/ ٨٤/٧٩٢) ، والحاكم (٢/٥٤٠) وقال الحاكم - والزيادة له -: ((صحيح الإسناد)). و وافقه الذهبي.. ينظر السلسلة الصحيحة للألباني:٧/١٤٤٩.

(٥) أخرجه الإمام أحمد في مسنده١٠/١١١برقم: ٤٥٧٥، ورجاله ثقات، والطبراني بإسناد أحمد، والترمذي موقوفاً على ابن عمر، ينظر: مجمع الزوائد للهيثمي،٧/٢٨٣.

(٦) هُوَ كَعْبُ بنُ مَاتِعٍ الحِمْيَرِيُّ، اليَمَانِيُّ، العلَّامة، الحَبْر، الَّذي كَانَ يَهُودِيّاً فَأَسْلَمَ بَعْدَ وَفَاةِ النَّبِيِّ ﷺ، وَقَدِمَ المَدِيْنَةَ مِنَ اليَمَنِ فِي أَيَّامِ عُمَرَ رضي الله عنه، فَجَالَسَ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَكَانَ يُحَدِّثُهُم عَنِ الكُتُبِ الإِسْرَائِيْلِيَّةِ، وَيَحْفَظُ عَجَائِبَ، وَيَأْخُذُ

فهذه بعض الآثار التي تذكر سورة هود عليه السلام،ولم يذكر فيها أن لها اسماً آخر كما هو شأن بعض السور ، وهو دليل على الاتفاق على هذا الاسم.

والمتأمل في هذه السورة يرى جلياً أن من أبرز مناسبة هذه التسمية، ما كان من موقف نبي الله هود عليه السلام وقوته، وجرأته في مواجهة قومه، واستعلائه على باطلهم، كذلك فإن المتأمل في موقف نبي الله هود وقوته وجرأته في مواجهة قومه واستعلائه عليهم إذ يقول لهم:] * + , - . / مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦۖ فَكِيدُونِي جَمِيعٗا ثُمَّ لَا : Z هود: ٥٤ – ٥٥.

وقد وقف عليه السلام أمامهم وحيداً، عزيزاً، مستعلياً بإيمانه، وهم من عرفوا بقوتهم وجبروتهم وقد قال الله عنهم:] Z [\ ] ^ _ ` a b c d e Z فصلت: ١٥. وقد بين لهم أن ذلك من نعم الله عليهم إذ قال:] < = > ? Z الأعراف: ٦٩. يعلم منهم أنهم أهل بطش:] وَإِذَا بَطَشۡتُم بَطَشۡتُمۡ جَبَّارِينَ Z الشعراء: ١٣٠ ومع هذا لم يداهن لهم أو يخف من صلفهم.

كل هذا يجعل السامع يوقن بأن هود عليه السلام صاحب معتقدٍ حق، يعتز به، ويوقن بانتصاره، إذ من أين أتى بهذه القوة وذلك الاستعلاء في مواجهته لهؤلاء العتاة ؟

وتأتي الآية إلى تليها لترد ذلك التساؤل وتبين مصدر هذه القوة:] < = > ? @ A C D E F G H I K L M N O Z هود: ٥٦.

السُّنَنَ عَنِ الصحابة، وكان حسن الإسلام، مَتِيْنَ الدِّيَانَة، مِنْ نُبَلاَءِ العُلَمَاءِ. حدَّث عَنْهُ: أَبُو هُرَيْرَةَ، وَمُعَاوِيَةُ، وَابْنُ عَبَّاسٍ، وَذَلِكَ مِنْ قَبِيلِ رِوَايَةِ الصَّحَابِيِّ عَنِ التَّابِعِيِّ، وَهُوَ نَادِرٌ عَزِيزٌ. وَكَانَ خَبِيْراً بِكُتُبِ اليَهُوْدِ، لَهُ ذَوْقٌ فِي مَعْرِفَةِ صَحِيحِهَا مِنْ بَاطِلِهَا فِي الجُمْلَةِ. وَقَعَ لَهُ رِوَايَةٌ فِي "سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ"، وَ"التِّرْمِذِيِّ"، وَ"النَّسَائِيِّ". سَكَنَ بِالشَّامِ بِأَخَرَةٍ، وَكَانَ يَغْزُو مَعَ الصَّحَابَةِ. ينظر: سير أعلام النبلاء،٤/٤٧٢.أسد الغابة،٤/٤٦٠.

(١) أخرجه بن أبي شيبة في مصنفه،٧/٢٠٢، وأخرجه الطبري عن كعب: ١١ / ٢٥٢، ورجال إسناده ثقات. وقال السيوطي في الدر المنثور،٤ / ٤٩٣:((أخرجه عبد الله بن أحمد في زوائد الزهد، وابن الضريس في فضائل القرآن، وابن جرير، وأبو الشيخ)).

فناسبت قوة نبينا هودعليه السلام في مواجهته لقومه بعقيدته، قوة يقين حاملها إذ استقر في قلبه أن هؤلاء الأذلاء ضعفاء لا يقدرون عل شيء إلا ما قدره الله فإنه:] C D E F G H H I Z هود: ٥٦. فمهما زادوا في تهديدهم و وعيدهم فلا يعنون له شيء.

فإنه:] C D E F G H I Z وإن استخدموا اسلوب السخرية بقولهم:] ! " # $ % & ' Z هود: ٥٤.فإنه يعلن لهم برآته من تلك الالهة التي زعموا ضرها له إذ قال لهم:] * + , - . / مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا : Z هود: ٥٤ – ٥٥.

وفي قوله هذا عليه السلامدلالة على الثبات والاستقامة على هذه العقيدة الراسخة فهي متعمقة فيه ،وتمسكه بها لا يتغير بتغير الأحوال والظروف ، وهو كذلك لا يأبه لصلفهم وعتوهم، فلم يهادن في عقيدته و لم يخف في الله لومة لائم.

ومن خلال تأمل طويل، ومقارنة لخطاب نبي الله هود عليه السلام وغيره من الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- لأقوامهم لمست، وتبين لي جلياً أن خطاب هود عليه السلام في هذه السورة مختلف عن بقية إخوته من الأنبياء إذ يظهر فيه عزة المؤمن على الكافرين وثقته بربه، وعدم الركون للكافرين، أو مداهنتهم، أو اللين لهم في القول، بل كان يغلظ عليهم ،كما أنه هدم معتقدهم بالحجة والمجابهة، وبالتصريح دون التلميح، دون خوف أو تردد، وتحداهم كذلك أن يجتمعوا عليه، وطلبهم أن لا يمهلوه.

ولا يعني هذا عدم وجود هذه الصفات في غيره من الأنبياء، بل نجزم ولا نشك بكمالهم فيها، ولكن هود عليه السلام في هذه السورة يبرز بهذه الصفات بشكل واضح، وسأبرهن لما ذكرت من خلال بيان بعض ما اهتديت إليه من خلال التأمل، فإنه ابتدأ دعوته لهم عليه السلامبأمرهم بعبادة الله وحده، ووصفهم بالافتراء وبصيغة الحصر والتحقير، قال تعالى:

] | { ~ هُودًاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ © غَيۡرُهُۥٓۖ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا مُفۡتَرُونَ Z هود: ٥٠

قال الإمام البقاعي:((فدعا إلى أصل الدين كما هو دأب سائر النبين والمرسلين؛ ثم ختم ذلك بمواجهتهم بما يسوؤهم من الحق وما ثناه عن ذلك رجاء ولا خوف فقال :] إنZ أي ما] أَنتُمۡ إِلَّا مُفۡتَرُونَ Z))[1].

بينما قال نوح عليه السلام لقومه:] x w z y } | { ~ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ أَلِيمٖ Z هود: ٢٦ فأظهر لهم شفقته عليهم من العذاب.

وقال صالح عليه السلام لقومه:] وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱسۡتَعۡمَرَكُمۡ فِيهَا فَٱسۡتَغۡفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٞ مُّجِيبٞ Z هود: ٦١ فأراد أن يرغبهم في عبادة الله بإظهار مننه عليهم وقربه وإجابته لدعائهم.

وبين سبحانه رحمة إبراهيم عليه السلام وحلمه بقوم لوط عليه السلام إذ قال:] @ A B C D E F G H I J K L M N O P Q Z هود: ٧٤ – ٧٥.

ووعظ لوط عليه السلام قومه ونصحهم بأن يتقوا الله وطلبهم ألا يخزوه في ضيفه وكان مكروباً واصفاً ذلك اليوم بأنه عصيب، وتمنى لو يأوي إلى ركن شديد فقال الله عنه:] c d e f g h i j k l m n o p q r s t u v w x y { | } ~ هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخۡزُونِ فِي ضَيۡفِيٓۖ أَلَيۡسَ مِنكُمۡ رَجُلٞ رَّشِيدٞ ٧٨ Z هود: ٧٧ – ٧٨.

وكذا كان حديث شعيب عليه السلام لقومه ببيان أنهم بخير من الله، وأنه مشفق عليهم من عذابه قال تعالى:] وَإِلَىٰ : ; < > ? @ A B C D E F H I J K M N O P Q R S T U Z هود: ٨٤.

(١)نظم الدرر ٤/١٦٥

ثم بين هود عليه السلام أنه لا يريد منهم أجراً، وختم قوله ذلك لهم، بالاستخفاف بهم بالاستفهام الدال على السخرية منهم، والاستعلاء بإيمانه، إذ قال لهم:] أَفَلَا تَعْقِلُونَ Z قال تعالى على لسانه:] يَٰقَوْمِ لَآ ´ µ ¶ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِي فَطَرَنِيٓۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ Z هود: ٥١.

ثم إنه لما حثهم على الاستغفار والتوبة، حذرهم بلهجة قوية، أنهم إن تولوا فإنهم يكونوا في عداد المجرمين فقال:] وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْاْ مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾ Z هود: ٥٢.

وما أن أرادوا أن يستخفوا به وبدعوته، ويجعلوه سخرياً، إلا وجائهم منه رد صاعق، فتأمل قولهم:] ! " # $ % & ' Z هود: ٥٤ ورده عليه السلام :] (* + , - . / مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦۖ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا : Z هود: ٥٤ – ٥٥.

قال الإمام البقاعي: ((ولما كان الطبع البشري قاضياً بأن الإنسان يخشى ممن مسه بسوء، وهو يتوهم أنه قادر على ضرره، فلا يواجهه بما يكره ، وكان قولهم محركاً للسامع إلى الاستعلام عن جوابه لهم ، استأنف سبحانه الإخبار عنه بقوله :] (Z نافياً لما قالوا، مبيناً أن آلهتهم لا شيء، ضاماً لهم معها ، وأكد لأنهم بحيث لا يظنون أن أحداً لا يقول ما قاله:] * + , Z أي الملك الأعظم، ليقوم عذري عنده، وعدل أدباً مع الله عن أن يقول : وأشهدكم، لئلا يتوهم تسوية إلى صيغة الأمر، تهاوناً بهم فقال:] - Z أي أنتم لتقويم الحجة عليكم لأيكم، ويبين عجزكم، ويعرف كل أحد أنكم بحيث يتهاون بكم وبدينكم، ولا يبالي بكم ولا به] . / مِّمَّا تُشْرِكُونَ Z وبين سفولها بقوله :] مِن دُونِهِۦۖ Z كائناً ما كان، ومن كان ، فكيف إذا لم يكن إلا جماداً))[1].

وقال في موطن آخر:((ولما كانت المعاجلة في الحرب أهول، وكان شأنها أصعب وأخطر، بين عظمها بأداة التراخي فقال:] ثُمَّ لَا : Z والكيد: طلب الغيظ بالسر في مكر. وهذه الآية من أعلام النبوة الواضحة لهود عليه السلام، فكأنه قيل: هب أن آلهتنا لا شيء ، فما

(١)نظم الدرر ٤/١٦٧.

حملك على الاجتراء على مخالفتنا نحن، وأنت "ترى"[١] كثرتنا وقوتنا، وأنت لا تزيد على أن تكون واحداً منا، فقال :] * Z أي جسرت على ذلك لأني] = Z معتمداً] > ? Z الملك، المرهوب عقابه، الذي لا ملك سواه، ولا رب غيره))[٢].

وجاء في "إرشاد العقل السليم" :((وهذا من أعظم المعجزاتِ ، فإنه عليه السلام كان رجلاً مفْرَداً بين الجمِّ الغفير، والجمعِ الكثير، من عُتاة عادٍ، الغلاظِ ،الشِّدادِ ، وقد خاطبهم بما خاطبهم ،وحقّرهم، وآلهتَهم، وهيَّجهم على مباشرة مبادئ المُضارّة، وحثّهم على التصدِّي لأسباب المُعازّة والمعارّة، فلم يقدروا على مباشرة شيءٍ مما كلفوه، وظهر عجزُهم عن ذلك ظهوراً بيناً ،كيف لا وقد التجأ إلى ركن منيعٍ رفيعٍ ،واعتصم بحبل متينٍ حيث قال :] > = > ? @ A Z))[٣].

ثم أظهر لهم عليه السلام عدم اكتراثه بهم، وعدم أسفه على كفرهم، وتوعدهم باستبدال الله لهم بغيرهم فقال:] Q R S T U V W X Z [\ ] ^ _ ` a b c d e f g Z هود: ٥٧.

فمع شدة كفرهم وقوتهم في الأرض، التي وصفها الله بقوله:] ; < = > ? @ A B C D Z الفجر: ٧ - ٨ . لم يؤثر ذلك في هود، ولم يخفهم، أو يهابهم، وذلك لقوة يقينه وثقته بربه، قال الإمام البقاعي:((فكان كفرهم أغلظ الكفر، ومع ذلك فلم ينثن هود عليه السلام عن إبلاغهم جميع ما أمر به، ولا ترك شيئاً مما أوحي إليه، فلك به أسوة حسنة....))[٤]

(١)أضفتها ليتم المعنى.

(٢) نظم الدرر٤/١٦٧.

(٣) إرشاد العقل السليم ٣/١٥٦.

(٤)نظم الدرر٤/١٦٧.

كما أن المتأمل في أوَّل السورة الكريمة وتعلقه بآخرها، يجد ارتباطاً وثيقاً بهود عليه السلام وبيان ذلك من خلال ا الآتي:

تبدأ سورة هود بالحثِّ على عبادة الله وحده، والاستِغفار والتوبة وهي من العبادة، وترسيخ الثقة بالله ووعده، ونُلاحِظ تَماسُك الآيات الثلاث الأُولَى كأنها آية واحدة قال تعالى:

[d f g h i j k l m n o p q r s u v w x

y z { | } ~ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُمَتِّعۡكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٖ

مُّسَمًّى وَيُؤۡتِ © ذِي فَضۡلٖ فَضۡلَهُۥۖ وَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ ´ µ ¶ Z هود: ١ – ٣.

وفي آخِرِ السُّورة نجد الحثُّ على العبادة والتوكُّل على الله، وهو من صميم العبادة كذلك، لأن الأمرَ كلَّه بيده:] ` a b c d e f g h i

j l m n o p Z هود: ١٢٣.

وكأن الآيات الأولى مع الآية الأخيرة مكملة لبعضها البعض ومُتَمِّمة لمعنى مراد فهي مرتبطة برباط وثيق.

كما نُلاحِظ أن هودًا عليه السلام في دعوته لقومه هو الوحيد الذي فَسَّر كلمة المتاع الحسن إذ قال:] وَيَٰقَوۡمِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا وَيَزِدۡكُمۡ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمۡ وَلَا تَتَوَلَّوۡاْ مُجۡرِمِينَ Z هود: ٥٢ ، فأتى على التفصيل بمعنى:] يُمَتِّعۡكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا Z هود: ٣ وأتى بتفصِيل معنى الآية الأخيرة من السورة أيضًا بقوله:] < = > ? @ A

C D E F G H I K L M N O Z هود: ٥٦ ، فالتوكُّل على الله لأنه ما من دابَّة إلا هو آخِذ بناصيتها -سبحانه- فهذا سبب وجيه أيضاً لأن تسمى هذه السورة المباركة باسمه عليه السلام، إذ كان بيانه لقومه جاء مطابقاً لما افتتحت به هذه السورة وختمت، والله أعلم.

وبالنظر أيضاً نرى سورة هود عليه السلام قد ورد فيها قصص عدد من الأنبياء عليهم السلام وهم: موسى، وإبراهيم، ونُوح، ولُوط، وشُعَيب، وصالح، وهُود، فلم سُمِّيَتْ باسم هود عليه السلام على الأخص؟

والجواب على هذا أن القرآن الكريم كتابٌ معجز، وهو حَمَّال أَوْجُه، وهذا من إعجازه، ولن تنقضي عجائبُه أبد الدَّهرِ، وقد بذل عُلَماؤنا الأَجلاَّء جهوداً لبيانٍ علل التسمية لسور القرآن، ومن بينها سورة هود عليه السلام،وقد ذكر بعضهم أسباباً عامة للتسمية، وذكر آخرون أسباباً تخص السورة بعينها، ومن ذلك ما نقله الإمام السيوطي في "الإتقان" عن الإمام الزركشي في "البرهان" بقوله: ((ويَنبَغِي النظر في اختِصاص كلِّ سورة بما سُمِّيت به ، ولا شكَّ أن العرب تُراعِي في كثيرٍ من المسمَّيات أخْذ أسمائِها من نادرٍ أو مُستَغرَبٍ يكون في الشيء؛ من خلق أو صِفَة تَخُصُّه أو تكون معه، أحكم أو أكثر أو أسبق لإدراك الرَّائي للمُسَمَّى، ويُسَمُّون الجملة من الكلام والقصيدة الطويلة بما هو أشهر فيها، وعلى ذلك جرت أسماء سُوَر القرآن))(١)

وجاء في "البرهان" أيضاً: ((فإن قِيل: قد ورد في سورة هود عليه السلام ذِكْرُ نُوح وصالح وإبراهيم ولُوط وشُعَيب ومُوسى عليهم السلام، فلِمَ خُصَّتْ باسم هود عليه السلام وحدَه مع أن قصَّة نوح عليه السلام فيها أَوْعَب وأطول؟

قِيل: تكَرَّرت هذه القصص في سورة الأعراف وسورة هود والشعراء بأَوْعَب ممَّا وردَتْ في غيرها، ولم يَتكَرَّر في واحدةٍ من هذه السُّوَر الثلاث اسمُ هود عليه السلام كتكرُّره في سورته، فإنَّه تَكرَّر فيها في أربعة مَواضِع(٢)، والتَّكرار من أقوى الأسباب التي ذكَرْنا، قال: فإن قِيل: فقد تَكَرَّر اسم نُوح فيها في ستة مواضع؟ قيل: لَمَّا أُفرِدَتْ لذكر نوح وقصته مع قومه سورةٌ برأسها فلم يقع فيها غير ذلك، كانَتْ أَوْلَى

(١) ينظر:الإتقان، ١/٦٤ ، والبرهان، ١/٢٧٠.

(٢) الصواب خمسة مواضع ولعل الشيخ أراد في القصة، والله أعلم .

بأن تُسمَّى باسمه من سورة تَضَمَّنَتْ قصَّته وقصَّة غيره))[١] وهذا التفسير يُفصل في علة تسمِيَة السُّورَة باسم نبيٍّ لُمجَرَّد تكرار لفظه.

وقال الإمام الشاطبيُّ في "الموافقات" :((فلا مَحِيص للمُتَفهِّم عن ردِّ آخر الكلام على أوَّلِه، وأوَّله على آخرِه، وإذ ذاك يَحصُل مَقصُود الشَّارِع في فهْم المكلف، فإن فرَّق النظر في أجزائه، فلا يتوصَّل به إلى مُرادِه، فلا يصحُّ الاقتِصار في النظر على بعض أجزاء الكلام دون بعض)) [٢].

وقال الإمام الزركشي كلامًا يُفهَم منه أن القصْد من السورة أو المَسَاق يقع على الآيَة الأولى وما يَتعلَّق منها، ثم قال: ((بل يَكفِي التعلُّق على أيِّ وجهٍ كان))[٣] وإذا جمعنا قول الإمامين الزركشي والشاطبي بالنَّظَر إلى اسم السورة مع أوَّلها، وتعلقه كذلك بآخرها وطبقناه على هذه السورة الكريمة، سنجد الارتباط الوثيق، والتلائم اللطيف، ومناسبة اسم هود لأولها وآخرها، وسأفصل في هذا في مبحث مناسبة اسم السورة لموضوعاتها، ومبحث وجه اختصاصها بما اختصت به.

وثمة سبب آخر لهذه التسمية أيضاً، أشار إليه بعض أهل العلم، وهو أن عاداً وُصِفُوا فيها، بأنهم قوم هودعليه السلام في قوله سبحانه:] ¶ ﮋ لِّعَادٍ قَوۡمِ هُودٍ Z هود: ٦٠ ، ولم يكن هذا الوصف والبيان لغيرهم [٤].

ومن خلال ما سبق يمكننا القول بأن تكرر اسم نبي الله هود عليه السلامفي هذه السور خمس مرات ، وكان ما حُكي عنه فيها كان أطول مما حُكي عنه في غيرها، وتعلق وارتباط حديثه بأوَّلها وآخرها، وقوته في مجادلة الكفار وعدم اللين لهم، ولأن عاداً وُصِفُوا فيها بأنهم قوم هود أسباب مجتمعة لهذه التسمية.

---

(١) البرهان، ١/٢٧١.

(٢) الموافقات،٤/٢٦٦

(٣) البرهان ١/٤٩

(٤) ينظر:التفسير الكبير ٨/٤٣٠.

وبهذا اختصت هذه السورة باسم هذا النبي الكريم واستحق هود عليه السلام أن تسمى هذه السورة باسمه والله تعالى أعلى وأعلم.

المبحث الثاني: فضائل السورة الكريمة أو بعض آياتها.

من فضائل سورة هود عليه السلام

سورة هود عليه السلام سورة جليلة القدر، عظيمة الموعظة والأثر، خليقة بالتدبر والتأمل، لما قص الله فيها من أخبار الأمم، وأنباء الرسل عليهم السلام، وصبرهم ،ودعوتهم لأقوامهم، مما فيه تثبيت لقلب النبي ﷺ والمؤمنين، وإرهاب للطغاة المعاندين، ولذلك قال في آخرها:

[? @ A B C D E F G H I J K L M N O

P Q Z هود: ١٢٠ ولِماَ حوَته من إخبار عن يوم القيامة، وأهواله، فقد ورد في الأثر:(مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُ رَأْيُ عَيْنٍ فَلْيَقْرَأْ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ وَإِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ وَحَسِبْتُ أَنَّهُ قَالَ وَسُورَةَ هُودٍ) (١)

ومن هنا كانت هذه السورة الكريمة ونظائرها من السور السبب في إسراع الشيب إلى رسول الله ﷺ، فقد ثبت أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه قال: يا رسول الله قد شبت. قال ﷺ: (شيبتني هود ،والواقعة، والمرسلات، وعم يتساءلون، وإذا الشمس كورت) (٢).

وقال ﷺ: (شيبتني هود و أخواتها قبل المشيب)(٣).

قال الإمام القرطبي(٤):((.... فالفزع يورث الشيب وذلك أن الفزع يذهل النفس فينشف رطوبة الجسد، وتحت كل شعرة منبع، ومنه يعرق، فإذا انتشف الفزع رطوبته يبست المنابع

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه ١١/ ١٠٦ بَاب وَمِنْ سُورَةِ الْوَاقِعَةِ برقم٣٢١٩وحسنه، والحاكم في المستدرك ٧/ ٤٥٣، تفسير سورة هود، برقم٣٢٧٢، وصححه، كما صححه الألباني في صحيح الجامع / ٣٧٢٣.

(٣) أخرجه ابن مردويه عن أبي بكر، ينظر كتر العمال ١/٥٧٣، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير/ ٣٧٢١.

(٤)الإِمَام، العلّامة، مُحَمَّد بْن أَحْمَد بن أبي بكر بن فَرْح، أبو عَبْد اللَّه الأَنْصَارِيّ، الخَزْرَجَيّ، القُرْطُبِيّ صالح متعبد. من أهل قرطبة. رحل إلى الشرق واستقر بمنية بني الخصيب من الصّعيد الأدنى بمصر وتوفي بها سنة: ٦٧١ هـ، إمام متفنّن متبحّر في العلم، له تصانيف مفيدة تدلُّ على كثرة اطّلاعه ووُفُور فضْله، وقد سارت بتفسيره العظيم الشّأن الرُّكْبان، وله مصنفات تدلّ على إمامته وذكائه وكثْرة اطّلاعه. ينظر: تاريخ الإسلام للذهبي١٥/ ٢٢٩،الأعلام٥/٣٢٢،طبقات المفسرين للداوودي٢/٦٩،طبقات المفسرين للأدنه وي١/٢٤٦.

فيبس الشعر وابيض، كما ترى الزرع الأخضر بسقائه، فإذا ذهب سقاؤه يبس فابيض، وإنما يبيض شعر الشيخ لذهاب رطوبته ويبس جلده، فالنفس تذهل بوعيد الله، وأهوال ما جاء به الخبر عن الله، فتذبل، وينشف ماءها ذلك الوعيد والهول الذي جاء به، فمنه تشيب)) (١).

وقال رسول الله ﷺ:(أعطيتُ مكانَ التوراةِ السبعَ الطِّوالَ، ومكانَ الزبورِ المئينَ، ومكانَ الإنجيلِ المثاني، وفُضِّلْتُ بالمفَصَّلِ)(٢).

قال الإمام البيهقي(٣)رحمه الله: ((والاشبه أن يكون المراد بالسبع في هذا الحديث السبع الطوال ، والمئين كل سورة بلغت مائة آية فصاعداً ، والمثاني: كل سورة دون المئين))(٤).

وهذه السورة من المئين التي أعطيها رسولنا ﷺ مكان التوراة، لأن عدد آيها يزيد على مائة(٥).

وروي عن كعب الأحبار قوله: ((فاتحة التوراة فاتحة سورة الانعام ، وخاتمة التوراة خاتمة سورة هود)) (٦).

ومن فضلها أنه قد جاء فيها بيان سبيل تكفير الذنوب بالصلاة، فقد روى البخاري عن ابن مسعود رضي الله عنه(١): ((أن رجلاً أصاب من امرأة قُبلة، فأتى النبي ﷺ، فأخبره، فأنزل الله عز

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ١/٩.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في سننه ٣٤/٣٤٤ برقم ١٦٣٦٨، ورواه الطبراني في الكبير١٥/٤٥١ برقم ١٧٦٤٧، والبيهقي في دلائل النبوة ٦/٩٥ برقم٢٢٢٠، وصححه الألباني في صحيح الجامع،١/٢٤١.

(٣) الحَافظُ العَلاَّمَةُ الثَّبْتُ الفَقِيْهُ شَيْخُ الإِسْلاَمِ أبو بكر؛ أحمد ابن الحُسَيْنِ بنِ عَلِيِّ بنِ مُوْسَى الخُسْرَوْ جِرديُّ الخُرَاسَانِيُّ. وَبَيْهَق: عِدَّة قُرَى مِنْ أَعْمَال نَيْسَابُوْر عَلَى يَوْمَيْن مِنْهَا. وُلِدَ فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَثَمَانِيْنَ وَثَلاَث مائَة فِي شَعْبَانَ. وسمع من خلق كثير. وَانقطع بقريته مُقْبلاً عَلَى الجمع والتأليف، فألف مصنفات كثيرة. كتب الحديث وحفظه من صباه وتفقه وبرع وأخذ في الأصول وارتحل إلى العراق والجبال والحجاز ثم صنف، وتواليفه تُقارب ألف جزء مما لم يسبقه إليه أحد، جمع بين علم الحديث والفقه وبيان علل الحديث ووجه الجمع بين الأحاديث ينظر: سير أعلام النبلاء:١٣/٣٦٣،تذكرة الحفاظ:٣/٢٢٠.

(٤) شعب الإيمان ٥/٤٢٢.

(٥)وقال في النهاية ١/ ٦٥٠: الْمَثَانِي السُّوَر الَّتِي تَقْصُر عَنْ الْمِئِينَ وَتَزِيد عَنْ الْمُفَصَّل ، كَأَنَّ الْمِئِين جُعِلَتْ مَبَادِئ وَالَّتِي تَلِيهَا مَثَانِي.

(٦) سبق تخريجه.

وجل:] y z { | } ~ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ

© Z هود: ١١٤ فقال الرجل: يا رسول الله ألي هذا ؟ قال ﷺ:لجميع أمتي كلهم))(٢).

ومن فضلها أنه جاء فيها التوجيه والأمر بالاستقامة لرسول الله ﷺ، ولأمته كذلك ،وبيان أن الاستقامة إنما تكون بالاتباع وذلك في قوله تعالى :] Y Z [\ ] ^ Z هود: ١١٢.

وثمة رؤيا متعلقة بما ذكرت يرويها الإمام البيهقي رحمه الله تعالى في "الشعب" قال: ((أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيُّ(٣)،سَمِعْتُ أَبَا عَلِيٍّ السَّرِيَّ(٤)، يَقُولُ: رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ ﷺ: رُوِيَ عَنْكَ أَنَّكَ قُلْتَ: (شَيَّبَتْنِي هُودٌ)، قَالَ ﷺ: (نَعَمْ) فَقُلْتُ: مَا الَّذِي شَيَّبَكَ

---

(١) هو عبدالله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي رضي الله عنه، أبو عبدالرحمن من كبار علماء الصحابة تولى إمارة الكوفة في عهد عمر رضي الله عنه وتوفي سنة: (٣٢هـ).ينظر: معرفة الصحابة (١٧٦٥/٤)، وأسد الغابة (٣٨٤/٣)، والإصابة (٢٢٣/٤).

(٢)صحيح البخاري ١٤٠/١، كتاب بدء الوحي، باب الصلاة كفارة، برقم: ٥٢٦.

(٣) مُحَمَّدُ بنُ الحُسَيْنِ بنِ مُحَمَّدِ بنِ موسى بن خَالد بن سَالم بن زَاوِيَةَ بن سَعِيْدِ بنِ قَبِيْصَةَ بن سَرَّاق، الأَزْدِيُّ، السُّلَمِيُّ الأُمِّ، الإِمَامُ الحَافِظُ المُحَدِّثُ، شَيْخُ خُرَاسَان وَكبِيرُ الصُّوْفِيَّة، أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ النَّيْسَابُوْرِيُّ الصُّوْفِيُّ، صَاحبُ التَّصَانِيْف. قَالَ الخَطِيْبُ: قَالَ لِي مُحَمَّدُ بنُ يُوْسُفَ القَطَّان النَّيْسَابُوْرِيُّ: كَانَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيّ غَيْرَ ثِقَة، وَكَانَ يَضَعُ لِلْصُّوْفِيَّة الأَحَادِيْثَ. وقال الذهبي: وَفِي الجُمْلَة فَفِي تَصَانِيْفِه أحاديث وَحكَايَاتٌ مَوْضُوعَة، وَفِي حَقَائِق تَفْسِيْرِه أَشْيَاءُ لاَ تسوغُ أَصْلاً، عَدَّهَا بَعْضُ الأَئِمَّة مِنْ زَنْدَقَة البَاطنيَّة، وَعَدَّهَا بَعْضُهُم عِرْفَاناً وَحَقِيْقَةً، نَعُوْذُ بِاللهِ مِنَ الضَّلاَلِ وَمِنَ الكَلاَمِ بهوَى، فَإِنَّ الخَيْرَ كُلَّ الخَيْرِ فِي مُتَابعَة السُّنَّة وَالتَّمَسُّك بِهَدْي الصَّحَابَة وَالتَّابعِيْنَ -رَضِي الله عَنْهُم. ينظر: سير أعلام النبلاء، ٤٣/٣١، تاريخ بغداد "٢/ ٢٤٨"،ميزان الاعتدال "٣/ ٥٢٣"، وتذكرة الحفاظ "٣/ ترجمة ٩٦٣".

(٤) قال الألوسي:(أبو علي السنوسي رضي الله عنه)، وقال القرطبي : ((الشتوي)). والصواب والله أعلم السري كما ذكر النووي، والسري هو: أَبُو الحَسَنِ البَغْدَادِيُّ. وُلِدَ فِي حُدُوْد السِّتِّيْنَ وَمائَة. من مشاهير المتصوفة، حَدَّثَ عَنِ: الفُضَيْلِ بنِ عيَاضٍ، وَهُشَيْمِ بنِ بَشِيْرٍ، وَأَبِي بَكْرِ بنِ عَيَّاشٍ، وَعَلِيِّ بنِ غُرَاب، وَيَزِيْدَ بن هَارُوْنَ، وَغَيْرهم بأَحَادِيْثَ قَلِيْلَة، وَاشْتَغَلَ بالعِبَادَة، وَصَحبَ مَعْرُوْفاً الكَرْخِيَّ، وَهُوَ أَجَلُّ أَصْحَابه. قَالَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيُّ: كَانَ السَّرِيُّ أَوَّلَ مَنْ أَظهَرَ بِبَغْدَادَ لسَانَ التَّوْحِيْد وَتَكَلَّمَ فِي عُلُوْمِ الحَقَائِق، وَهُوَ إِمَامُ البَغْدَادِيِّيْنَ فِي الإِشَارَات. تُوُفِّيَ فِي رَمَضَانَ، سَنَةَ ثَلاَثٍ وَخَمْسِيْنَ وَمائَتَيْنِ. وَقِيْلَ: تُوُفِّيَ سَنَةَ إِحدَى وَخَمْسِيْنَ. وَقِيْلَ: سنة سبع وخمسين. ينظر: سير أعلام النبلاء ٥٣٣/٩،تواريخ بغداد "٩/ ١٨٧"، ولسان الميزان "٣/ ١٣"، وشذرات الذهب لابن العماد "٢/ ١٢٧".

مِنْهُ قَصَصُ الْأَنْبِيَاءِ وَهَلَاكُ الْأُمَمِ ؟ قَالَ: (لَا، وَلَكِنْ قَوْلُه:] Y Z [Z
هود:١١٢)))[١].

وقال الإمام الرازي رحمه الله:((اعلم أن هذه الآية أصل عظيم في الشريعة، وذلك لأن القرآن لما ورد بالأمر بأعمال الوضوء مرتبة في اللفظ وجب اعتبار الترتيب فيها لقوله :] Y Z [Z ولما ورد الأمر في الزكاة بأداء الإبل من الإبل، والبقر من البقر، وجب اعتبارها، وكذا القول في كل ما ورد أمر الله تعالى به))[٢].

وعَنْ سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الثَّقَفِي[٣]قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قُلْ لِي فِي الإِسْلَامِ قَوْلاً لاَ أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا بَعْدَكَ. قَالَ:(قُلْ آمَنْتُ بِاللَّهِ فَاسْتَقِمْ)[٤]. فالأمر بالاستقامة من أجمع وأنفع الوصايا.

ومن فضائلها أنها من أعظم سور القرآن موعظة للنفوس، وأجلبها للبكاء من خشية الله، الذي به حياة القلب. وقد ذكر الإمام القرطبي -رحمه الله- أن يزيد بن أبان[٥]قال: رأيت

---

(١) ينظر: شعب الإيمان ٥/٤٤٧ برقم ٢٣٤٠، وقال الإمام الكتاني في نظم المتناثر،١/١٨٧:((خرج هذا الحديث الشيخ مرتضى الحسيني في جزء سماه بذل المجهود في تخريج حديث شيبتني هود وتكلم عليه أيضاً في شرح الأحياء في كتاب السماع والوجد وفي المقاصد الحسنة فراجعتهما..))، و لم أقف عليه.

(٢)مفاتيح الغيب ٨/٤٨١.

(٣)سفيان بْن عَبْد اللَّهِ بْن أَبِي ربيعة بن الحارث بْن مالك بْن حطيط بْن جشم بْن ثقيف الثقفي الطائفي رضي الله عنه، له صحبة ورواية، وكان عاملًا لعمر بْن الخطاب رضي الله عنه، عَلَى الطائف، استعمله عليه إذ عزل عثمان بْن أَبِي العاص رضي الله عنه عنها، ونقل عثمان رضي الله عنه إِلَى البحرين. ينظر: أسد الغابة،٢/٤٩٦.

(٤) رواه مسلم، باب جمع أوصاف الإسلام، برقم ١٦٨، ١/٤٧.

(٥) يزيد بن أبان الرقاشي أبو عمرو البصري القاص الزاهد روى عن أبيه وأنس بن مالك وغنيم بن قيس وأبي الحكم البجلي والحسن البصري وقيس بن عباية ،قال بن سعد كان ضعيفا قدريا، وقال عمرو بن علي كان يحيى بن سعيد لا يحدث عنه، وكان عبد الرحمن يحدث عنه وقال كان رجلا صالحا وقد روى عنه الناس وليس بالقوي في الحديث وقال البخاري: تكلم فيه شعبة، وقال أبو حاتم: كان واعظا بكاء كثير الرواية عن أنس بما فيه نظر وفي حديثه ضعف وقال النسائي: والحاكم أبو أحمد متروك الحديث وقال النسائي: أيضا ليس بثقة وقال بن عدي له أحاديث صالحة عن أنس وغيره، مات في عشر ومائة إلى عشرين ومائة. ينظر: تهذيب التهذيب،١١/٣٠٩، لسان الميزان ٧/٥٠٨.

رسول الله ﷺ في منامي، فقرأت عليه سورة هود عليه السلام ، فلما ختمتها ، قال ﷺ:(يا يزيد هذه القراءة فأين البكاء؟) [١].

قال القرطبي:((ففي تلاوة هذه السور ما يكشف لقلوب العارفين سلطانه وبطشه فتذهل منه النفوس، وتشيب منه الرؤوس)) [٢].

وقال الإمام الغزالي[٣]:((عن بعض السلف أنه بقي في سورة هود ستة أشهر يكررها ولا يفرغ من تدبرها)) [٤].

ومن فضائلها ورود الأثر بالحث على قرآءتها يوم الجمعة كما روي عن كعب الأحبار يرفعه قال: قال رسول الله ﷺ: (اقْرَءُوا سُورَةَ هُودٍ يَوْمَ الْجُمُعَةِ)[٥].

ومن فضائلها أنها اشتملت على أصول الدعوة إلى الله، وأحسن أساليبها، وذلك على لسان أنبياء الله ورسله -عليهم السلام- فهي معلم للدعاة إلى الله تنير لهم الطريق ،وقد قال تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ ﴾ الأنعام: ٩٠.

---

(١) ينظر: تفسير القرطبي ،٢/٩، وأورد الأثر محمد بن هبد الوحد الغافقي في كتابه: "لمحات الأنوار ونفحات الأزهار وري الظمآن" ٢٢٦/١.

(٢)ينظر: تفسير القرطبي ،٢/٩.

(٣) أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزالي، الملقب حجة الإسلام زين الدين الطوسي الفقيه الشافعي، صَاحِبُ التَّصَانِيْفِ، وَالذَّكَاءِ المُفرِط. لم يكن للطائفة الشافعية في آخر عصره مثله، اشتغل في مبدأ أمره بطوس ، ثم قدم نيسابور واختلف إلى دروس إمام الحرمين أبي المعالي الجويني، وجد في الاشتغال حتى تخرج في مدة قريبة، وصار من الأعيان المشار إليهم في زمن أستاذه، وصنف في ذلك الوقت، ثم خرج من نيسابور إلى العسكر، ولقي الوزير نظام الملك فأكرمه وعظمه وبالغ في الإقبال عليه، وظهر واشتهر اسمه وسارت بذكره الركبان. ثم فوض إليه الوزير تدريس مدرسته النظامية بمدينة بغداد ثم ترك جميع ما كان عليه وسلك طريق الزهد والانقطاع، ثم عاد إلى وطنه بطوس واشتغل بنفسه وصنف الكتب المفيدة في عدة فنون منها ما هو أشهرها كتاب " الوسيط " و " البسيط " و " الوجيز " و " الخلاصة " في الفقه، ومنها " إحياء علوم الدين" ينظر: سير أعلام النبلاء،٢٦٧/١٤، وفيات الأعيان،٢١٧/٤.

(٤) الإحياء:٢٩١/١.

(٥) أخرجه الدارمي برقم:٣٤٦٧،باب فضائل الأنعام والسور،٢٩٨/١٠، والبيهقي في الشعب باب ذكر سورة هود٤٧٢/٢ برقم ٢٤٣٨ قال الحافظ بن حجر حديث مرسل وسنده صحيح، نتائج الأفكار٤٦/٥ ، وقد أوردته لأنه من فضائل الأعمال.

ومن فضلها ما ازدانت به وما حوته من الأساليب البلاغية، والمحسنات البديعية، التي جعلت منها مقصداً لأهل البلاغة، والباحثين في هذا الجانب، ويكفي لهذا الاستشهاد بآية فيها فاقت الفنون البلاغية التي جاء بها العرب، شهد بذلك البلغاء وفحول اللغة، وذلك قوله تعالى:

] وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ Z هود: ٤٤.

فإنه قيل فيها الكثير، ومن ذلك:((لو فتش كلام العرب والعجم ما وجد فيه مثل هذه الآية على حسن نظمها، وبلاغة رصفها، واشتمال المعاني فيها)) [١].

وروي أن أعرابياً سمع هذه الآية فقال:((هذا كلام القادرين)) [٢].

وعارض ابن المقفع القرآن فلما وصل إلى هذه الآية أمسك عن المعارضة وقال : ((هذا كلام لا يستطيع أحد من البشر أن يأتي بمثله))[٣].

وقال البقاعي:((نقل الأصبهاني عن صاحب المفتاح فيها كلاماً أغلى من الجوهر)) [٤]

أما صاحب "بديع القرآن"[٥] فقال عنها:((ما رأيت ولا رويت في الكلام المنثور والشعر الموزون كآية من كتاب الله استخرجت منها أحداً وعشرين ضرباً من البديع، وعددها سبع عشرة لفظة))[٦].

(١) الجامع لأحكام القرآن ٩/٤٠.

(٢) المحرر الوجيز ٣/١٩٠.

(٣) البحر المحيط ٦/٤٠٩

(٤)نظم الدرر٤/١٥٨ .

(٥) عبد العظيم بن الواحد بن ظافر ابن أبي الإصبع العدواني، البغدادي ثم المصري، (٥٩٥ - ٦٥٤ هـ)،شاعر، من العلماء بالأدب، له تصانيف حسنة منها: "بديع القرآن" ، و"تحرير التحبير" ، "الخواطر السوانح في كشف أسرار الفواتح" ، و "البرهان في إعجاز القرآن". ينظر: تاريخ الإسلام للذهبي١٣/٧٥٩، الأعلام للزركلي٤/٣٠.

(٦) بديع القرآن: لابن أبي الإصبع المصري، ص:٤٣٠.

وبهذا يظهر لنا عظيم شرف هذه السورة الكريمة، أسأل الله عز وجل أن ينفعنا ويرفعنا بالقرآن العظيم، وأن يبارك لنافيه.

عدد آيات سورة هود

اختلف القرّاء في عدد آيات سورة هود[1] بناء على الاختلاف في عد بعض الفواصل؛ فكان عدد آياتها:

١/ مائة وَإِحْدَى وَعِشْرُونَ آية فِي الْمدنِي الْأَخير والمكي والبصري.

٢/ مائة وثنتين وعشرين آية فِي الْمدنِي الأول والشامي.

٣/مائة و ثَلَاث وعشرين آية فِي الْكُوفِي[2].

اختلافها سبع آيات:

١-] . / مِّمَّا تُشْرِكُونَ Z هود: ٥٤ عدهَا الْكُوفِي وَلم يعدها الْبَاقُونَ.

٢-] G H I J Z هود: ٧٤ وَهُوَ الثَّانِي لم يعدها الْبَصْرِيّ وعدها الْبَاقُونَ، وَكلهمْ عد] إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ Z هود: ٧٠ وَهُوَ الأول.

٣-] * + Z هود: ٨٢ عدهَا الْمدنِي الْأَخير والمكي وَلم يعدها الْبَاقُونَ.

٤-] , Z هود: ٨٢ لم يعدها الْمدنِي الْأَخير والمكي وعدها الْبَاقُونَ.

٥-] k l m Z هود: ٨٦ عدهَا المدنيان والمكي وَلم يعدها الْبَاقُونَ.

٦-] (* + Z هود: ١١٨ لم يعدها المدنيان والمكي وعدها الْبَاقُونَ.

٧-] Y Z Z هود: ١٢١ لم يعدها الْمدنِي الْأَخير والمكي وعدها الْبَاقُونَ[3].

---

(١)ذكر أهل العلم فوائد لمعرفة عدد آيات سور القرآن الكريم؛ منها: اعتبارها في السورة التي تقرأ في الصلاة، واعتبارها، في خطبة الجمعة ونحوها، واعتبارها في الوقف، وغير ذلك. ينظر: الإتقان:٤٥١/٦.وفي بحث التناسق الموضوعي يستفاد من معرفة فواصل الآيات عند الحديث عن التناسب بين الآية والتي تجاورها، وارتباط كلِّ آية بموضوعات السورة ومحورها.

(٢) ينظر: البيان في عدّ آي القرآن ١٦٥/١، جمال القراء وكمال الإقراء٢٩٢/١، إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر٣١٩/١ ، الفرائد الحسان في عد آي القرآن ٣٨/١ .

(٣) ينظر:البيان في عدّ آي القرآن ١٦٥/١.

وقال الإمام السيوطي عن عدد آيات سورة هود:((مائة وإحدى وعشرون، وقيل اثنتـــان، وقيل ثلاث.)) [1].

(١)الإتقان ١/٨٠.

الفصل الثاني

مكي السورة ومدنيها، ومناسبتها لما قبلها وما بعدها، ووجه اختصاصها بما اختصت به :

وفيه ثلاث مباحث:

المبحث الأول : إثبات مكية هود وما استثني منها .

المبحث الثاني : مناسبة السورة لما قبلها وما بعدها .

المبحث الثالث : وجه اختصاص السورة بما اختصت به .

المبحث الأول: في إثبات مكية هود وما استثني منها :

مضى جمهور المفسرين على أن سورة هود عليه السلام مكية فقد ذهب الحسن[١] وعكرمة[٢] وعطاء[٣] وجابر[٤] ومجاهد[٥] إلى أن سورة هود مكية ، وذهب ابن عباس وقتادة[٦] إلى أنها مكية إلا آية :] y z { | } ~ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ © Z هود: ١١٤ [٧].

---

(١) الحسن بن أبي الحسن البصري الإمام أبو سعيد مولى زيد بن ثابت وأبوه يسار من سبي ميسان أعتقته الربيع بنت النضر ولد الحسن زمن عمر وسمع عثمان وشهد الدار بن أربع عشرة سنة كان كبير الشأن رفيع الذكر رأسا في العلم والعمل مات في رجب سنة عشرة ومائة ،الكاشف (١/٣٢٢) .

(٢) عكرمة أبو عبد الله مولى ابن عباس أصله بربري ثقة ثبت عالم بالتفسير لم يثبت تكذيبه عن ابن عمر ولا تثبت عنه بدعة من الثالثة مات سنة أربع ومائة وقيل بعد ذلك، تقريب التهذيب ٣٩٧/١.

(٣) هو التابعيّ الجليل عطاء بن أبي رباح، أبو محمد القرشيّ مولاهم المكيّ، روى عن عائشة، وأم سلمة، وأبي هريرة وابن عباس وعدّة من الصحابة وغيرهم. وروى عنه مجاهد بن جبر وأبو إسحاق السبيعي وأبو الزبير وخلق كثير، كان ثقة، فقيهاً، عالماً، وكان ينادى في الحجّ: لا يفتي الناس إلا عطاء، توفي سنة خمس عشرة ومئة. طبقات المفسرين للداودي (١/١٤) ، طبقات ابن سعد (٥/ ٤٦٧) .

(٤) جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة الأنصاري السلمي يكنى أبا عبد الله وأبا عبد الرحمن وأبا محمد أقوال أحد المكثرين عن النبي ﷺ وله ولأبيه صحبة مات سنة ثلاث وسبعين. الإصابة (١/ ٤٣٤) الاستيعاب (١/ ٢١٩) .

(٥) مجاهد" بن جبر المكي أبو الحجاج المخزومي المقري مولى السائب بن أبي السائب. روى عن علي وسعد بن أبي وقاص والعبادلة الأربعة ورافع بن خديج وأسيد بن ظهير وأبي سعيد الخدري وعائشة وأم سلمة وجويرية بنت الحارث وأبي هريرة وأم هاني بنت أبي طالب وجابر بن عبد الله وغيرهم، قال الفضل بن ميمون سمعت مجاهداً يقول عرضت القرآن على بن عباس ثلاثين مرة ،وقال : قرأت القرآن على بن عباس ثلاث عرضات أقف عند كل آية أسأله فيم نزلت وكيف كانت، قال بن حبان مات بمكة سنة اثنتين أو ثلاث ومائة وهو ساجد، تهذيب التهذيب ٤٢/١٠.

(٦) قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز السدوسي البصري أبو الخطاب، ولد عام (٦٠هـ) حافظ مفسر ضرير، كان رأسا في العربية، ومفردات اللغة، وأيام العرب، ومعرفة الأنساب، توفي عام (١١٧هـ). صفة الصفوة (١٧٤/٣)، سير أعلام النبلاء (٢٦٩/٥).

(٧) ينظر:الجامع لأحكام القرآن٩/١، زاد المسير: ٧٢/٤.

وقال مقاتل[1]: ((هي مكية كلها إلا قوله:] µ ¶ ¸ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ وَضَآئِقُۢ بِهِۦ صَدۡرُكَ أَن يَقُولُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ كَنزٌ أَوۡ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌۚ Z هود: ١٢ ، وقوله:] x y z Z هود: ١٧ ، وقوله:] إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ Z هود:١١٤)) [2].

وقال الإمام السيوطي -رحمه الله- في حديثه عما استثني من هود ((استثنى منها ثلاث آيات] µ ¶ Z هود: ١٢،] h i j k l m Z هود: ١٧،] y z { | Z هود: ١١٤))[3]. ثم قال: ((قلت: دليل الثالثة ما صح عن عدة طرق أنها نزلت بالمدينة في حق أبي اليسر[4]))[5].

والحديث يرويه عَبْدُ اللَّه بن مسعود رضي الله عنه قَالَ: (جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّه إِنِّي عَالَجْتُ امْرَأَةً فِي أَقْصَى الْمَدِينَةِ وَإِنِّي أَصَبْتُ مِنْهَا مَا دُونَ أَنْ أَمَسَّهَا فَأَنَا هَذَا فَاقْضِ فِيَّ مَا شِئْتَ فَقَالَ لَهُ عُمَرُ رضي الله عنه لَقَدْ سَتَرَكَ اللَّهُ لَوْ سَتَرْتَ نَفْسَكَ قَالَ فَلَمْ يَرُدَّ النَّبِيُّ ﷺ شَيْئًا فَقَامَ الرَّجُلُ فَانْطَلَقَ فَأَتْبَعَهُ النَّبِيُّ ﷺ رَجُلًا دَعَاهُ وَتَلَا عَلَيْهِ هَذِهِ الْآيَةَ] y z { |

(١) أبو الحَسَنِ مُقَاتِلُ بنُ سُلَيْمَانَ البَلْخِيُّ. من كبار المفسرين، يَرْوِي عَلَى ضَعْفِهِ البَيِّنِ عَنْ: مُجَاهِد، وَالضَّحَّاك، وَابْنِ بُرَيْدَةَ، وَعَطَاء، وَابْنِ سِيْرِيْنَ، وَعِدَّة. قَالَ ابْنُ المُبَارَكِ -وَأَحْسَنَ-: مَا أَحْسَنَ تَفْسِيْرَهُ لَوْ كَانَ ثِقَةً! وَقِيْلَ: إِنَّهُ قَالَ: سَلُونِي عَمَّا دُوْنَ العَرْشِ. فَقَالُوا: أَيْنَ أَمعَاءُ النَّمْلَةِ؟ فسكت.، قال وَكِيْعٌ: كَانَ كَذَّاباً. وَعَنْ أَبِي حَنِيْفَةَ قَالَ: أَتَانَا مِنَ المَشْرِقِ رَأْيَانِ خَبِيْثَانِ: جَهْمٌ مُعَطِّلٌ، وَمُقَاتِلٌ مُشَبِّه. مَاتَ سَنَةَ نَيِّفٍ وَخَمْسِيْنَ وَمائَةٍ. قَالَ البُخَارِيُّ: مُقَاتِلٌ لاَ شيء البتة. سير أعلام النبلاء،٦ /٢٠٢، تهذيب التهذيب١٠/٢٧٩.

(٢) ينظر: زاد المسير: ٤/٧٢.

(٣) الإتقان١/١٤.

(٤)أبو الْيُسْر: كعب بْن عَمْرو بن عباد بْن عَمْرو بْن سواد بْن غنم الْأَنْصَارِيّ الخزرجي السلمي، شهد العقبة، وشهد بدرًا وهو ابْن عشرين سنة، وقيل: إنه قتل منبه بْن الحجاج السهمي، وهو الَّذِي أسر الْعَبَّاس بْن عَبْد المطلب يَوْم بدر. وهو آخر من مات بالمدينة ممن شهد بدرًا، وذكر أنه شهد مع علي مشاهده وأنه مات وله عشرون ومائة سنة، سنة خمس وخمسين. أسد الغابة،٤/٤٥٧، تهذيب الهذيب،٨/٤٣٧.

(٥) الإتقان١/١٤.

{ ~ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ © Z هود: ١١٤ فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ الْقَوْمِ يَا نَبِيَّ اللَّهِ هَذَا لَهُ خَاصَّةً قَالَ ﷺ بَلْ لِلنَّاسِ كَافَّةً)[١]

وقال الإمام الطاهر بن عاشور[٢]:((والأصحّ أنّها كلّها مكّيّةٌ وأنّ ما روي من أسباب النّزول في بعض آيها توهّمٌ، لاشتباه الاستدلال بها في قصّةٍ بأنّها نزلت حينئذٍ، على أنّ الآية الأولى من هذه الثّلاث واضحٌ أنّها مكّيّةٌ))[٣].

ولا يمنع من كون السورة مكية كما ذكر، أن يكون بها بعض الآيات التي نزلت بالمدينة، أو أنها نزلت ابتداءً بمكة، ثم حصل بالمدينة سبب يناسب ذكرها، كما في قصة أبي اليسر رضي الله عنه والله أعلم.

---

(١) أخرجه مسلم برقم: ٤٩٦٤باب: إن الحسنات يذهبن السيئات،١٣/٣٣٤وأبي داوود برقم: ٣٨٧٥ باب: في الرجال يصيب المرأة دون جماع، ١٢/٤٧.

(٢) الإمام محمد الطاهر بن عاشور: رئيس المفتين المالكيين بتونس وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس. مولده ووفاته ودراسته بها. عين (عام ١٩٣٢) شيخا للإسلام مالكيا. وهو من أعضاء المجمعين العربيين في دمشق والقاهرة. له مصنفات مطبوعة،من أشهرها"مقاصد الشريعة الإسلامية" و"أصول النظام الاجتماعي في الإسلام" و"التحرير والتنوير" في تفسير القرآن، ، و"الوقف وآثاره في الإسلام"، ولد بتونس فِي ١٢٩٦هـ وتوفّي فِي ١٣ رَجَب ١٣٩٣هـ.بعد حَيَاة حافلة بِالْعلمِ والإصلاح والتجديد على مستوى تونس والعالم الإسلامي.الأعلام،٦/١٧٤. مقدمة التحرير والتنوير.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير،١١/٣١٢.

المبحث الثاني: مناسبة السورة لما قبلها وما بعدها.

ارتبطت سورة هود بالسور التي قبلها والتي بعدها بعدة روابط، مما يؤكد لنا بالبرهان القاطع أن ترتيب تلك السور ترتيب رباني، أحكمه الذي أحكم القرآن وفصله -سبحانه وتعالى- وسأعرض تلك المناسبات والروابط فيما يلي:

١- نجد الأولى بسورة يونس في الترتيب أن تولى بسورة هود والسور الأربع التي جاءت بعدها، لما اشتركت فيه من الاشتمال على القصص، ومن الافتتاح بالذكر، وبذكر الكتاب، ومن كونها مكيات، وبالتسمية باسم نبي، وأما الرعد فإنه اسم ملك، وهو مناسب لأسماء الأنبياء(١).

٢-أنه افتتح سورة هود بقوله تعالى:] d f g h i j k l m n Z هود: ١ وافتتح السورة التي قبلها أعني سورة يونس بقوله:] ! # $ % & Z يونس: ١ فقد وصفت الآية الكتاب بأنه] m Z، وذكر في هذه السورة أي سورة هود من أحكمه فقال إن آياته أحكمت] k l m n Z. فالذي أحكمها هو الحكيم، فالكتاب الحكيم صادرٌ عن الرب الحكيم.

كما أنه قال في افتتاح السورة التي بعدها وهي سورة يوسف:] r t u v w Z.

فإنه لما ذكر في سورة هود أن آياته أحكمت وفصلت دل على أنه مبين. فإنه لا يكون بعد الإحكام والتفصيل إلا مبيناً. فكل كتاب أحكم وفصل كان مبيناً. فتناسبت بدايات تلك الثلاث سور المتتابعة تناسباً بديعاً.

(١)أسرار ترتيب القرآن،١/٩١.

٣- أنه قال في خاتمة سورة يونس:] W X Y Z [\ ] ^ _ ` a b

Z .يونس:١٠٩ وما يوحى إليه هو الكتاب الذي أحكمت آياته، فناسب قوله:] a b Z وصف الكتاب بأنه أحكمت آياته. فخير الحاكمين هو الذي أحكم آياته.

وناسب قوله:] a b Z. في آية يونس قوله في آية هود:] k l m n Z فالحكيم قد يكون من معنى القضاء فيكون بمعنى الحاكم.

وقد يكون من الحكمة، فالحكيم على هذا هو خير الحاكمين لأنه حكيم وحاكم، ولا شك أن الحاكم إذا كان ذا حكمة كان خير الحاكمين.

فناسب مفتتح هذه السورة الكريمة خاتمة السورة التي قبلها.

٤-ومن أوجه التناسب كذلك: أن سورة يونس ذكر فيها قصة نوح عليه السلام مختصرة جداً، ومجملة، فشرحت في هذه السورة وبسطت بما لم يبسط في غيرها من السور، ولا في سورة الأعراف على طولها، ولا في سورة نوح التي أفردت لقصته فكانت هذه السورة شارحة لما أجمل في سورة يونس فإن قوله هناك:] W X Y Z Z هو عين قوله هنا:] f g h i j k l m n Z هود: ١ [1].

٥- ومن مناسبة السورة لسورتي يونس ويوسف ما اشتملت عليه تلك السور المباركة من إثبات منة الله على نبيه ﷺ، وأتباعه من بعده ،بسرد القصص الصادق الذي هو أحسن القصص، وأنفعه، أما في سورة يونس عليه السلام فيتجلى ذلك في قوله تعالى:] M N O P Q R S T U V X Y Z [\ ] _ ` Z يونس: ١٦. وفي سورة هود عليه السلام:] e f g h i j l m n o p q r s t v x y z Z هود: ٤٩ .

(١) ينظر: أسرار ترتيب القرآن ١/ ١١ .

وفي سورة يوسف عليه السلام:] نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ © ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ Z يوسف: ٣. وفيها:] وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓاْ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾ Z يوسف: ١٠٢ (١).

وفي هذا يقول الشيخ محمد دراز رحمه الله(٢): ((لا نقول إن العلم بأسماء بعض الأنبياء و الأمم الماضية وبمجمل ما جرى من حوادث التدمير في ديار عادٍ، وثمود، وطوفان نوح، وأشباه ذلك لم يصل قط إلى الأميين، فإن هذه النتف اليسيرة قلما تعزب عن أحد من أهل البدو أو الحضر ، لأنها مما توارثته الأجيال وسارت به الأمثال، وإنما الشأن في تلك التفاصيل الدقيقة والكنوز المدفونة في بطون الكتب فذلك هو العلم النفيس الذي لم تنله يد الأميين و لم يكن يعرفه إلا القليل من الدارسين.......

وإن ملاحدة الجاهلية وهم أجلاف الأعراب في البداية كانوا في الجملة أصدق تعليلاً لهذا الظاهر، و أقرب فهماً لهذا السر، من ملاحدة هذا العصر، إذ لم يقولوا كما قال هؤلاء أنه استقى هذه الأخبار من وحي نفسه، بل قالوا إنه لابد أن تكون قد أمليت عليه منذ يومئذٍ علوم جديدة، فدرس منها ما لم يكن قد درس، وتعلم ما لم يكن يعلم قال الله تعالى:

[S T U V W X Y Z Z الأنعام: ١٠٥] J

K L M N O P Q R Z الفرقان: ٥.

---

(١)المرجع السابق.

(٢)الدكتور/ محمد عبد الله دراز، أحد أعلام الأزهر بوجه خاص، وعلماء الإسلام بوجه عام، في القرن الماضي.

عالم فذ، وداع ملهم، جمع بين العلم والعمل، وكان قلمه في مجال الكلمة يقوم بمهمات جيش عرمرم في مجال الجهاد، عاش حياته، منذ أن كان طالبًا للعلم في المرحلة الثانوية الأزهرية، مدافعًا عن الإسلام في كل الميادين بما آتاه الله من قلب صاف وعقل وقّاد، وعلم واسع، فدبج المقالات، وكتب الكتب، وأذاع الأحاديث، وشارك في الكثير من المؤتمرات العالمية، وتصدى لكل ما كان يثار في حياته عن الإسلام، وما أعجزته فرية على الإسلام ردها، ولا شبهة ظالمة نقدها، ولا مشكلة عويصة فندها.

وظل على هذه الحال حتى صعدت روحه الطاهرة إلى بارئها غريبًا عن وطنه، وهو يمثل الأزهر في مؤتمر دولي عام، في لاهور عام (١٣٧٧هـ، ١٩٥٨م) ..

ولقد صدقوا، فإنه درسها، ولكن على أستاذه الروح الأمين واكتتبها، ولكن مـــن صـــحف مكرمة، مرفوعة مطهرة، بأيدي سفرة، كرام بــررة قـــال تعـــالى:] M N O P Q R
S T U V X Y Z [\ ] ' _ ` Z يونس: ١٦))(١).

٦- تناسبت أغراض السورتين ،أي يونس وهود ببيان مفصل، جمع بين التعليم ،والوعظ والترغيب ،والترهيب ،وإقامة الحجة على المكابرين، وتسلية النبي ﷺوكأن سورة هود استمرار للبيان والحجة، وإخبار بمصير وعاقبة المعاندين ، وقد أشار إلى ذلك الإمام أبو جعفر ابن الزبير -رحمه الله- بقوله: ((ولما كانت سورة يونس عليه السلام قد تضمنت – من آي التنبيه والتحريك للفطر ومن العظات والتخويف والتهديد والترهيب والترغيب وتقريع المشركين والجاحدين والقطع بهم والإعلام بالجريان على حكم السوابق ووجوب التفويض والتسليم - ما لم تشمل على مثله سورة لتكرر هذه الأغراض فيها، ثم قال: ألا ترى افتتاحها بقوله :

[D E F G H I J K L M N O P Q S T V W X
Y Z [\ ^ _ ` a c d Z يونس: ٣.

ومناسبة هذا الافتتاح دعاء الخلق إلى الله ثم قد نبهوا هنا كما نبهوا هناك فقال تعالى:

] أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ © وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ Z يونس: ٣٨، ثم تأكدت المواعظ والزواجر والإشارات إلى أحوال المكذبين والمعاندين ، فمن التنبيه:

[D E F Z يونس: ٣.] هُوَ ٱلَّذِى © ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا Z يونس: ٥.

] إِنَّ فِى ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ Z يونس: ٦] ! " # $ % & ' ( ) Z يونس: ٣

] قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن : ; < Z يونس: ٣٥] X Y Z [\ ] Z يونس: ١٠١. إلى غير هذا ، وعلى هذا السنن تكررت العظات والأغراض المشار إليها في هذه السورة إلى قوله] = > ? @ A B C D Z يونس: ١٠٨، فلما تقرر هذا كله أتبع

(١) النبأ العظيم: ١٤

المجموع بقوله:] d f g h i j k l m n Z هود: ١ .وتأمل مناسبة الإتيان بهذين الاسمين الكريمين وهما: الحكيم، الخبير، ثم تأمل تلائم صدر السورة بقوله :

[= > ? @ A B C D Z يونس: ١٠٨ .وقد كان تقدم قوله تعالى :

[R S T U V W X Z يونس: ٥٧ فأتبع قوله :] @ A B C D Z يونس: ١٠٨ .بقوله في صدر سورة هود:] f g h i j k l m n Z هود: ١ .فكأنه في معرض بيان الحق والموعظة، وإذا كانت محكمة مفصلة فحق لها أن تكون شفاء لما في الصدور، وهدى ورحمة للمؤمنين ، وحق توبيخهم في قوله تعالى] µ ¶ لَمۡ يُحِيطُواْ بِعِلۡمِهِۦ Z يونس: ٣٩ والعجب في عمههم مع إحكامه وتفصيله ولكن:] إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتۡ عَلَيۡهِمۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ Z يونس: ٩٦)) [1].

٧- ومن مناسبة سورة هود ليوسف: أن سورة يوسف من جملة ما قص عليه ﷺ من أنباء الرسل وأخبار من تقدمه مما فيه التثبيت الممنوح في قوله سبحانه وتعالى:] ? @ A B C D E F G H Z هود: ١٢ وحاصلها فرج بعد شدة ،وتعريف بحسن عاقبة الصبر ، فإنه تعالى امتحن يعقوب عليه السلام بفقد ابنيه وبصره وشتات بنيه ، وامتحن يوسف عليه السلام بالجب والبيع وامرأة العزيز وفقد الأب والإخوة والسجن ، ثم امتحن جميعهم بشمول الضر وقلة ذات اليد فقالوا:] = > ? @ A B C D E F G Z يوسف: ٨٨ ثم تداركهم الله بالفهم وجمع شملهم ورد بصر أبيهم وائتلاف قلوبهم ورفع ما نزع به الشيطان وخلاص يوسف عليه السلام من كيد كاده ، واكتنافه بالعصمة وبراءته عند الملك والنسوة ، وكل ذلك مما أعقبه جميل صبره وجلالة اليقين في حسن تلقي الأقدار بالتفويض والتسليم على توالي الامتحان وطول المدة، ثم انجرَّ في أثناء هذه القصة الجليلة إنابة امرأة العزيز ورجوعها إلى الحق وشهادتها ليوسف عليه السلام بما منحه الله من النزاهة عن كل ما

(١) نظم الدرر ١٢٨/٤

يشين ، ثم استخلاص العزيز إياه - إلى ما انجرّ في هذه القصة الجليلة من العجائب والعبر:] لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ Z يوسف: ١١١، وقد أشار في سورة برأسها إلى عاقبة من صبر ورضي وسلم ليتنبه المؤمنون على ما في طيّ ذلك ، وكانت قصة يوسف عليه السلام بجملتها أشبه شيء بحال المؤمنين في مكابدتهم في أول الأمر وهجرتهم وتشققهم مع قومهم وقلة ذات أيديهم إلى أن جمع الله شملهم ، وأورثهم الله الأرض وأيدهم ونصرهم ، ذلك بجليل إيمانهم وعظيم صبرهم ، وأما تأخر ذكرها عنها فمناسب لحالها ولأنها إخبار بعاقبة من آمن واتعظ ووقف عند ما حد له ، فلم يضره ما كان ، ثم إن ذكر أحوال المؤمنين مع من كان معهم من المنافقين وصبرهم عليهم مما يجب أن يتقدم ويعقب بهذه القصة من حيث عاقبة الصبر والحض عليه [١].

٨- ناسب ذكر سورة يوسف عليه السلام إثر قوله تعالى:] إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ © Z هود: ١١٤، في سورة هود ، فإن ندم إخوة يوسف عليه السلام واعترافهم بخطاء فعلهم وفضل يوسف عليه السلام عليهم بقولهم:] u v w x y z { | } Z يوسف: ٩١ وعفوه عنهم بقوله:] لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ © أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ Z يوسف: ٩٢. وندم امرأة العزيز وقولها:] ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ Z يوسف: ٥١ ، كل هذا من باب إذهاب الحسنة السيئة ، وكأن ذلك مثال لما عرف المؤمنون من إذهاب الحسنة السيئة[٢].

٩- ناسب قوله تعالى:] وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ Z هود: ١١٥. في سورة هود ما اتبع في سورة يوسف من أخبار، فإن هذا الأمر منه سبحانه لنبيه ﷺ بالصبر على قومه ، قد مثل له بحال يعقوب ويوسف عليهما الصلاة والسلام وما كان من أمرهما وصبرهما مع طول المدة وتوالى امتحان يوسف عليه السلام بالجب ومفارقة الأب والسجن حتى خلصه الله أجمل خلاص بعد طول تلك المشقات ، وقد شهد نبينا ﷺ لأخيه يوسف عليه السلام بجلالة الحال وعظيم

(١) من كلام الإمام أبي جعفر بن الزبير بتصرف ، ينظر: نظم الدرر ٤/٢٢٣، و أسرار ترتيب القرآن ١/١١.
(٢)نظم الدرر ٤/٢٢٤،بتصرف.

الصبر فقال: (ولو لبثتُ في السجن ما لبث أخي يوسف لأجبت الداعي)[1]. فتأمل عذره له عليهما الصلاة والسلام وشهادته بعظيم قدر يوسف عليهما الصلاة والسلام ، فلا شك أن هذا من التثبيت الذي ذكر الله لنبيه بقوله:] ? @ A B C D E F G H I Z هود: ١٢٠، وقيل له:] فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسۡتَعۡجِل لَّهُمۡ Z الأحقاف: ٣٥ ويوسف عليه السلام من أولي العزم؛ ثم إن حال يعقوب ويوسف عليهما الصلاة والسلام - في صبرهما ورؤية حسن عاقبة الصبر في الدنيا مع ما أعد الله لهما من عظيم الثواب - أنسب شيء لحال نبينا ﷺ في مكابدة قريش ومفارقة وطنه ، ثم تعقب ذلك بظفره بعدوه وإعزاز دينه وإظهار كلمته ورجوعه إلى بلده على حالة قرت بها عيون المؤمنين وما فتح الله عليه وعلى أصحابه ، ويوضح ما ذكرت أنه ختم السورة بقوله تعالى:] حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ © وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا Z يوسف: ١١٠ . فحاصل هذا كله الأمر بالصبر وحسن عواقب أولياء الله فيه [2].

١٠- وأما النسبة لقوله:] ! " # $ % & ' ( ) * + Z هود: ١١٨ فلا أنسب لهذا ولا أعجب من حال إخوة فضلاء لأب واحد من أنبياء الله تعالى وصالحي عباده جرى بينهم من التشتت ما جعله الله عبرة لأولي الألباب.

١١- وناسب ذكر التهديد في قوله عز وجل:] R S T U V W X Y Z Z هود: ١٢١ أن يتبع بقصة يعقوب ويوسف وصبرهما، بأنه لن نصبر عليكم مدة صبر يعقوب ويوسف عليهما الصلاة والسلام - والله أعلم[3].

١٢- ومن مناسبة سورة هود ليوسف ما وقع في سورة هود من قوله عز وجل عن زوج خليله إبراهيم عليه السلام:] فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ Z هود: ٧١ وقوله:] رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ : ; < = > Z هود: ٧٣. فإنه ذكر في سورة يوسف حال

(١) أخرجه البخاري برقم: ٣١٢١، باب قوله عز وجل :ونبئهم عن ضيف إبراهيم،١١/١٥٩ومسلم برقم: ٢١٦، باب: زيادة طمأنينة القلب بتظاهر الأدلة، ١/٣٦٢.

(٢) نظم الدرر ٤/٢٢٥،بتصرف يسير.

(٣) نظم الدرر ٤/٢٢٥،بتصرف.

يعقوب عليه السلام مع أبنائه، وحال ولده الذي هو من أهل البيت مع إخوته، فكان كالشرح لإجمال ذلك، وكذلك قال:] وَيُتِمُّ : ; < = > ? @ A B C D Z يوسف: ٦ فكان ذلك كالمقترن بقوله في هود:] رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ : ; Z هود: ٧٣.(١).

١٣- ومن لطيف المناسبات ورود أثر يستأنس به يدل على نزولها على النبي ﷺ بنفس هذا الترتيب ابتداءً ،قال الإمام السيوطي: ((وقد روينا عن ابن عباس وجابر بن زيد في ترتيب النزول: أن يونس نزلت، ثم هود، ثم يوسف وهذا وجه آخر من وجوه المناسبة في ترتيب هذه السور الثلاث لترتيبها في النزول هكذا))(٢).

(١) أسرار ترتيب القرآن ١/١١،بتصرف.

(٢) ينظر: أسرار ترتيب القرآن ١/١١، فضائل القرآن لابن الضريس ١/٣٣.

الفصل الثاني:

المبحث الثالث: وجه اختصاص السورة بما اختصت به.

سورة هود عليه السلام التي بين أيدينا اختصت بخصائص وامتازت بأمور جعلت منها مقصداً للمعتنين بعلوم شتى من علوم هذا الكتر الثمين كتاب الله عز وجل، ولعلي أجمع في هذا المبحث المبارك بما يفتح الله به من تلك الخصائص ، وأولها هذا الاسم الكريم لنبي الله الكريم هودعليه السلام ،فإنها تسمت بهذا الاسم واختصت به، لحكم وعلل ومناسبات عدة، وقد أفاض أهل العلم بيان سبب هذه التسمية، والاختصاص.

وقد ذكر الإمام السيوطي في "الإتقان" قول الإمام الزركشي في "البرهان": ((ويَنبَغِي النظر في اختِصاص كلِّ سورة بما سُمِّيت به، ولا شكَّ أن العرب تُراعِي في كثيرٍ من المسمَّيات أخْذ أسمائِها من نادرٍ أو مُستَغرَبٍ يكون في الشيء؛ من خلق أو صِفَة تَخُصُّه أو تكون معه، أحكم أو أكثر أو أسبق لإدراك الرَّائِي للمُسَمَّى، ويُسَمُّون الجملة من الكلام والقصيدة الطويلة بما هو أشهر فيها، وعلى ذلك جرَتْ أسماء سُوَر القرآن))[(١)].

وقد ذكر اسم هود عليه السلام صراحة في القرآن الكريم سبع مرات.

في الأعراف مرة واحدة ، وقد استغرقت قصته عليه السلام فيها آيات ثمان.

وفى الشعراء مرة واحدة كذلك ، وقد استغرقت قصته عليه السلام فيها ثمان عشرة آية.

وفى سورة هود خمس مرات، وقد استغرقت قصته عليه السلام فيها إحدى عشرة آية.

وكانت قصته عليه السلام مع قومه ، ودعوتهم لهم ، وعنادهم له ، في هذه السورة ، أوضح وأكمل مما في غيرها من السور .

فلا غرابة أن سميت هذه السورة باسمه عليه السلام ، والله أعلم.

وقد توسعت في بيان علة التسمية ونكتها في مبحث "اسم السورة الكريمة" .

ومما اختصت به هذه السورة الكريمة أيضاً أن بها الموضع الوحيد الذي ورد في القرآن الكريم بالثناء على من جمعوا بين الصبر والعمل الصالح وذلك في قوله سبحانه :] © ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ Z هود: ١١

(١) ينظر: الإتقان ١/٦٤ ، والبرهان ١/٢٧٠.

على فإن قيل: وما الفرق بينها وبين سورة العصر؟

قلنا: أنهم في سورة العصر وصفوا بأنهم تواصوا بالحق وتواصوا بالصبر، أما هنا فهم من صبر ، وبهذا استحقوا بيان جزاء صبرهم.

كما أنه تعالى بين في العصر أن ما عداهم في خسر، أما هنا فبين الوعد الذي ينتظرهم ويبشرهم به وهو:] أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ Z هود: ١١.

ومما اختصت سورة هود عليه السلام، عظيم الموعظة والأثر، لما قص الله فيها من أخبار الأمم، وأنباء الرسل عليهم السلام، وصبرهم ،ودعوتهم لأقوامهم، مما فيه تثبيت لقلب النبي ﷺ والمؤمنين، وإرهاب للطغاة المعاندين، ولذلك قال في آخرها:

[? @ A B C D E F G H | J K L M N O

P Q Z هود: ١٢٠ ولما حوته من إخبار عن يوم القيامة، وأهواله، فقد ورد في الأثر:(مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُ رَأْيُ عَيْنٍ فَلْيَقْرَأْ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ وَإِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ وَحَسِبْتُ أَنَّهُ قَالَ وَسُورَةَ هُودٍ) (١)

ومن هنا كانت هذه السورة الكريمة ونظائرها من السور السبب في إسراع الشيب إلى رسول الله ﷺ، فقد ثبت أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه قال: يا رسول الله قد شبت. قال ﷺ: (شيبتني هود ،والواقعة، والمرسلات، وعم يتساءلون، وإذا الشمس كورت) (٢).

وقال ﷺ: (شيبتني هود و أخواتها قبل المشيب)(٣).

قال الإمام القرطبي(١):((.... فالفزع يورث الشيب وذلك أن الفزع يذهل النفس فينشف رطوبة الجسد، وتحت كل شعرة منبع، ومنه يعرق، فإذا انتشف الفزع رطوبته يبست المنابع

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه ١١/ ١٠٦ بَاب وَمِنْ سُورَةِ الْوَاقِعَةِ برقم٣٢١٩وحسنه، والحاكم في المستدرك ٧/ ٤٥٣، تفسير سورة هود، برقم٣٢٧٢، وصححه، كما صححه الألباني في صحيح الجامع / ٣٧٢٣.

(٣) أخرجه ابن مردويه عن أبي بكر، ينظر كنز العمال ١/٥٧٣، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير/ ٣٧٢١.

فييبس الشعر وابيض، كما ترى الزرع الأخضر بسقائه، فإذا ذهب سقاؤه يبس فابيض، وإنما يبيض شعر الشيخ لذهاب رطوبته ويبس جلده، فالنفس تذهل بوعيد الله، وأهوال ما جاء به الخبر عن الله، فتذبل، وينشف ماءها ذلك الوعيد والهول الذي جاء به، فمنه تشيب)) [٢].

ومما اختصت به هذه السورة الكريمة أنه قد جاء فيها بيان سبيل تكفير الذنوب بالصلاة، فقد روى البخاري عن ابن مسعود رضي الله عنه[٣]: ((أن رجلاً أصاب من امرأة قُبلة، فأتى النبي ﷺ، فأخبره، فأنزل الله عز وجل:] y z } | { ~ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ © Z هود: ١١٤ فقال الرجل: يا رسول الله ألي هذا ؟ قال ﷺ: لجميع أمتي كلهم))[٤].

ومما اختصت به أيضاً أنه قد ورد فيها التوجيه والأمر بالاستقامة لرسول الله ﷺ، ولأمته كذلك ،وبيان أن الاستقامة إنما تكون بالاتباع وذلك في قوله تعالى :] Y Z [\ ] ^ Z هود: ١١٢.

(١)الإِمَام، العلّامة، مُحَمَّد بْن أَحْمَد بن أبي بكر بن فَرْح، أبو عَبْد اللَّه الأَنْصَارِيّ، الخَزْرَجيّ، القُرْطُبيّ صالح متعبد. من أهل قرطبة. رحل إلى الشرق واستقر بمنية بني الخصيب من الصّعيد الأدنى بمصر وتوفي بها سنة: ٦٧١ هـ، إمام متفنّن متبحِّر فِي العلم، له تصانيف مفيدة تدلُّ على كثرة اطّلاعه ووُفُور فضْله، وقد سارت بتفسيره العظيم الشّأن الرُّكْبان، وله مصنفات تدلّ على إمامته وذكائه وكثْرة اطّلاعه. ينظر: تاريخ الإسلام للذهبي١٥/٢٢٩،الأعلام٥/٣٢٢،طبقات المفسرين للداوودي٢/٦٩،طبقات المفسرين للأدنه وي١/٢٤٦.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ٩/١.

(٣) هو عبدالله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي رضي الله عنه، أبو عبدالرحمن من كبار علماء الصحابة تولى إمارة الكوفة في عهد عمر رضي الله عنه وتوفي سنة: (٣٢هـ).ينظر: معرفة الصحابة (١٧٦٥/٤)، وأسد الغابة (٣٨٤/٣)، والإصابة (٢٢٣/٤).

(٤)صحيح البخاري ١/ ١٤٠، كتاب بدء الوحي، باب الصلاة كفارة، برقم: ٥٢٦.

وثمة رؤيا متعلقة بما ذكرت يرويها الإمام البيهقي رحمه الله تعالى في "الشعب" قال: ((أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيُّ[(١)]،سَمِعْتُ أَبَا عَلِيٍّ السَّرِيَّ[(٢)]، يَقُولُ: رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ ﷺ: رُوِيَ عَنْكَ أَنَّكَ قُلْت: (شَيَّبَتْنِي هُودٌ)، قَالَ ﷺ: (نَعَمْ) فَقُلْتُ: مَا الَّذِي شَيَّبَكَ مِنْهُ قَصَصُ الْأَنْبِيَاءِ وَهَلَاكُ الْأُمَمِ ؟ قَالَ: (لَا، وَلَكِنْ قَوْلُه:] Y Z [Z هود:١١٢)))[(٣)].

ومن خصائص هذه السورة الكريمة أيضاً ما ازدانت به وما حوته من الأساليب البلاغية، والمحسنات البديعية، التي جعلت منها مقصداً لأهل البلاغة، والباحثين في هذا الجانب، ويكفي لهذا الاستشهاد بآية فيها فاقت الفنون البلاغية التي جاء بها العرب، شهد بذلك البلغاء وفحول اللغة، وذلك قوله تعالى:

---

(١) مُحَمَّدُ بنُ الحُسَيْنِ بنِ مُحَمَّدِ بنِ موسى بن خَالِد بن سَالِم بن زَاوِيَةَ بن سَعِيْدِ بنِ قَبِيْصَة بن سَرَّاق، الأَزْدِيُّ، السُّلَمِيُّ الأُمِّ، الإِمَامُ الحَافِظُ المُحَدِّثُ، شَيْخُ خُرَاسَان وَكَبِيرُ الصُّوْفِيَّة، أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ النَّيْسَابُوْرِيُّ الصُّوْفِيُّ، صَاحِبُ التَّصَانِيْفِ. قَالَ الخَطِيْبُ: قَالَ لِي مُحَمَّدُ بنُ يُوْسُفَ القَطَّان النَّيْسَابُوْرِيُّ: كَانَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيّ غَيْرَ ثِقَة، وَكَانَ يَضَعُ لِلْصُوْفِيَّة الأَحَادِيْثَ. وقال الذهبي: وَفِي الجُمْلَة فَفِي تَصَانِيْفِه أحاديث وَحِكَايَاتٌ مَوْضُوعَة، وَفِي حَقَائِق تَفْسِيْرِه أَشْيَاءُ لاَ تسوغُ أَصْلاً، عَدَّهَا بَعْضُ الأَئِمَّة مِنْ زَنْدَقَة البَاطنيَّة، وَعَدَّهَا بَعْضُهُم عِرْفَاناً وَحَقِيْقَةً، نَعُوْذُ بِاللهِ مِنَ الضَّلاَلِ وَمِنَ الكَلاَمِ بِهوَى، فَإِنَّ الخَيْرَ كُلَّ الخَيْرِ فِي مُتَابَعَة السُّنَّة وَالتَّمَسُّك بِهَدْي الصَّحَابَة وَالتَّابِعِيْنَ -رَضِي اللهُ عَنْهُم. ينظر: سير أعلام النبلاء،٤٣/٣١، تاريخ بغداد "٢/ ٢٤٨"،ميزان الاعتدال "٣/ ٥٢٣"، وتذكرة الحفاظ "٣/ ترجمة ٩٦٣".

(٢) قال الألوسي:(أبو علي السنوسي رضي الله عنه)، وقال القرطبي : ((الشتوي)). والصواب والله أعلم السري كما ذكر النووي، والسري هو: أَبُو الحَسَنِ البَغْدَادِيُّ. وُلِدَ فِي حُدُوْدِ السِّتِّيْنَ وَمائَة. من مشاهير المتصوفة، حَدَّثَ عَنِ: الفُضَيْلِ بنِ عِيَاضٍ، وَهُشَيْمِ بنِ بَشِيْرٍ، وَأَبِي بَكْرِ بنِ عَيَّاشٍ، وَعَلِيِّ بنِ غُرَاب، وَيَزِيْدَ بنِ هَارُوْنَ، وَغَيْرِهم بِأَحَادِيْثَ قَلِيْلَة، وَاشتَغَلَ بِالعِبَادَة، وَصَحِبَ مَعْرُوْفاً الكَرْخِيَّ، وَهُوَ أَجَلُّ أَصْحَابه. قَالَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيُّ: كَانَ السَّرِيُّ أَوَّلَ مَنْ أَظهَرَ بِبَغْدَادَ لِسَانَ التَّوْحِيْدِ وَتَكَلَّمَ فِي عُلُوْمِ الحَقَائِق، وَهُوَ إِمَامُ البَغْدَادِيِّيْنَ فِي الإِشَارَات. تُوُفِّيَ فِي رَمَضَانَ، سَنَةَ ثَلاَثٍ وَخَمْسِيْنَ وَمائَتَيْنِ. وَقِيْلَ: تُوُفِّيَ سَنَةَ إِحدَى وَخَمْسِيْنَ. وَقِيْلَ: سنة سبع وخمسين. ينظر: سير أعلام النبلاء ٥٣٣/٩،تواريخ بغداد "٩/ ١٨٧"، ولسان الميزان "٣/ ١٣"، وشذرات الذهب لابن العماد "٢/ ١٢٧".

(٣) ينظر: شعب الإيمان ٤٤٧/٥ برقم ٢٣٤٠، وقال الإمام الكتاني في نظم المتناثر،١٨٧/١:((خرج هذا الحديث الشيخ مرتضى الحسيني في جزء سماه بذل المجهود في تخريج حديث شيبتني هود وتكلم عليه أيضاً في شرح الأحياء في كتاب السماع والوجد وفي المقاصد الحسنة فراجعتهما..))، و لم أقف عليه.

] وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ Z هود: ٤٤

فإنه قيل فيها الكثير، ومن ذلك:((لو فتش كلام العرب والعجم ما وجد فيه مثل هذه الآية على حسن نظمها، وبلاغة رصفها، واشتمال المعاني فيها)) [١].

وروي أن أعرابياً سمع هذه الآية فقال:((هذا كلام القادرين)) [٢].

وعارض ابن المقفع القرآن فلما وصل إلى هذه الآية أمسك عن المعارضة وقال : ((هذا كلام لا يستطيع أحد من البشر أن يأتي بمثله))[٣].

وقال البقاعي:((نقل الأصبهاني عن صاحب المفتاح فيها كلاماً أغلى من الجوهر)) [٤]

أما صاحب "بديع القرآن"[٥] فقال عنها:((ما رأيت ولا رويت في الكلام المنثور والشعر الموزون كآية من كتاب الله استخرجت منها أحداً وعشرين ضرباً من البديع، وعددها سبع عشرة لفظة))[٦].

وبهذا يظهر لنا بعضاً من خصائص هذه السورة الكريمة، أسأل الله عز وجل أن ينفعنا ويرفعنا بالقرآن العظيم.

(١) الجامع لأحكام القرآن ٩/٤٠.

(٢) المحرر الوجيز ٣/١٩٠.

(٣) البحر المحيط ٦/٤٠٩

(٤)نظم الدرر٤/١٥٨ .

(٥) عبد العظيم بن الواحد بن ظافر ابن أبي الإصبع العدواني، البغدادي ثم المصري، (٥٩٥ - ٦٥٤ هـ)،شاعر، من العلماء بالأدب، له تصانيف حسنة منها: "بديع القرآن" ، و"تحرير التحبير" ، "الخواطر السوانح في كشف أسرار الفواتح" ، و "البرهان في إعجاز القرآن". ينظر: تاريخ الإسلام للذهبي١٣/٧٥٩، الأعلام للزركلي٤/٣٠.

(٦) بديع القرآن: لابن أبي الإصبع المصري، ص:٤٣٠.

الفصل الثالث

تاريخ نزول السورة، وأسباب نزولها، ومقاصدها، وفيه ثلاث مباحث:

المبحث الأول: تاريخ نزول السورة والجو العام الذي نزلت فيه.

المبحث الثاني: أسباب النزول الواردة في السورة.

المبحث الثالث: مقاصد السورة الكريمة وأهدافها.

المبحث الأول: تاريخ نزول السورة والجو العام الذي نزلت فيه.

ساير تتابع الوحي على رسول الله ﷺ تاريخ الدعوة بأحداثها في العهد المكي والعهد المدني، منذ بدأ الوحي حتى آخر آية نزلت، فالقرآن الكريم هو المرجع الأصيل لهذه السيرة المباركة، إذ لا يدع مجالًا للشك فيما رُوِيَ عن أهل السير موافقًا له، وهو القاطع لدابر الخلاف عند اختلاف الروايات.

والسورة الكريمة التي بين أيدينا نزلت في مرحلة كانت من أحلك وأصعب المراحل التي مرت بها دعوة النبي ﷺ لقومه، وكان أحوج ما يكون إلى ما يثبت فؤاده، ويربط على قلبه، ويعينه على مواصلة طريق دعوته، ويبين له الحجة والبرهان الذي يدمغ به باطل المعاندين، فقد جاءت معتنيةً بالموضوعات المكية المتعلقة بالعقيدة، وموقف مشركي قريش منها، وآثار هذا الموقف في نفس رسول الله ﷺ والقلة المسلمة معه، والعلاج القرآني الرباني لهذه الآثار.

أتت سورة هود لتسري عن قلب النبي ﷺ الذي ضاق صدره بما يقول الكافرون فقال له ربه تعالى:] µ ¶ ¸ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ صَدْرُكَ أَن يَقُولُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ Z هود: ١٢

كما أنه من الواضح أن هذا التحدي وهذا العناد من قريش قد بلغ إلى الحد الذي يضيق به صدر رسول الله ﷺ بحيث يحتاج إلى التسرية عنه، وتخفيف وطأة الأذى الذي ناله ويناله من أساطين الكفر وأكابر المجرمين من كفار قريش.

والتثبيت على ما يوحى إليه إنما كان في مكة وبالأخص في تلك الفترة التي تلت وفاة عمه أبي طالب، وزوجه خديجة رضي الله عنها -اللذين كاناً سندا آمان من البشر، ودرعا وقاية بعد رعاية الله- فكانت وفاتهما إيذاناً باستهلال عهد من البلاء جديد. كان ذلك أيضاً بعد حادثة الإسراء كذلك، وجرأة المشركين على رسول الله ﷺ وتوقف حركة الدعوة تقريباً فهي من أقسى الفترات التي مرت بها الدعوة في مكة[1].

---

(١) ينظر: في ظلال القرآن، ١٨٤٠/٤. مباحث في علوم القرآن للقطان، ٥٩/١ .

لقد نزلت السورة الكريمة بجملتها بعد سورة يونس، ونزلت يونس بعد الإسراء- على ما ذكره المحققون- وهذا يحدد معالم الفترة التي نزلت فيها وهي من أحرج الفترات وأشقها كما ذكرت في تاريخ الدعوة بمكة، فقد سبقها موت عمه أبي طالب وزوجه الوفية خديجة -رضي الله عنها- وجرأة المشركين على ما لم يكونوا ليجرؤوا عليه في حياة أبي طالب- وخاصة بعد حادث الإسراء وغرابته، واستهزاء المشركين به، وارتداد بعض من كانوا أسلموا قبله- مع وحشة رسول الله ﷺ بفقد خديجة- رضي الله عنها- في الوقت الذي تجرأت فيه قريش عليه وعلى دعوته وبلغت الحرب المعلنة عليه وعلى دعوته أقسى، وأقصى مداها، وتجمدت حركة الدعوة، حتى ما كاد يدخل في الإسلام أحد من مكة وما حولها. وذلك قبيل أن يفتح الله على رسوله ﷺ وعلى القلة المسلمة معه ببيعة العقبة الأولى ثم الثانية.

ومن مشاهد ووقائع تلك الفترة ما ذكره أهل السيرة وهم يتحدثون عن حال النبي عام الحزن، قال ابن إسحاق رحمه الله[1]: ((ثم إن خديجة بنت خويلد وأبا طالب ماتا في عام واحد فتتابعت على رسول الله ﷺ المصائب بهلاك خديجة وأبي طالب، وكانت خديجة وزيرة صدق على الإسلام، كان يسكن إليها))[2].

وبهلك عمه أبي طالب، الذي كان له عضداً وحرزاً له في أمره، ومنعة وناصراً على قومه وذلك قبل مهاجرته إلى المدينة بثلاث سنين. فلما هلك أبو طالب نالت قريش من رسول الله ﷺ من الأذى ما لم تكن تطمع به في حياة أبي طالب، حتى اعترضه سفيه من سفهاء قريش، فنثر على رأسه تراباً.

(١) مُحَمَّدُ بنُ إِسْحَاقَ بنِ يَسَارِ بن خيار، وَقِيْلَ: ابْنُ كُوْثَانَ، العَلاَّمَةُ، الحَافِظُ، الأَخْبَارِيُّ، القُرَشِيُّ، المُطَّلِبِيُّ مَوْلاَهُم، المَدَنِيُّ، صَاحِبُ "السِّيْرَةِ النَّبَوِيَّة" وَكَانَ جَدُّهُ يَسَارٌ مِنْ سَبْيِ عَيْنِ التَّمْر. وُلِدَ سَنَةَ ثَمَانِيْنَ. وَرَأَى أَنَسَ بنَ مَالِكٍ بِالمَدِيْنَةِ، وَسَعِيْدَ بنَ المُسَيِّبِ. وقَالَ عنه يَحْيَى بنَ مَعِيْنٍ:((كَانَ ثِقَةً حَسَنَ الحَدِيْثِ)) وَقَدْ أَمْسَكَ عَنِ الاحْتِجَاجِ بِرِوَايَاتِ ابْنِ إِسْحَاقَ غَيْرُ، وَاحِدٍ مِنَ العُلَمَاءِ، لأَشْيَاءَ مِنْهَا: تَشَيُّعُه، وَنُسِبَ إِلَى القَدَرِ، وَيُدَلِّسُ فِي حَدِيْثِه فَأَمَّا الصِّدْقُ فَلَيْسَ بِمَدْفُوْعٍ عَنْهُ. مَاتَ ابْنُ إِسْحَاقَ سَنَةَ خَمْسِيْنَ وَمائَةٍ. وقيل غير ذلك. ينظر: طبقات ابن سعد "٧/ ٣٢١"، التاريخ الكبير "١/ ترجمة ٦١"، تهذيب التهذيب "٩/ ٣٨" سير أعلام النبلاء٦/٤٩٢.

(٢) السير والمغازي، لابن إسحاق،١/٢٤٣.

ومما نقل إلينا أيضاً مما ناله ﷺ من الأذى في تلك الفترة أنهم كانوا يضعون سلى الجزور عليه في صلاته ﷺ، - فداه أنفسنا وآباؤنا وأمهاتنا- وتعلّقت به كفار قريش مرّة يتجاذبونه ويقولون له: أنت الذي تريد أن تجعل الالهة إلها واحداً ؟ فما تقدم أحد من المسلمين حتى يخلّصه منهم لما هم عليه من الضعف إلّا أبو بكر رضي الله عنه فإنه تقدم وقال: ((أتقتلون رجلا أن يقول: ربي الله؟!))[1].

وجاء في "الموهب اللدنية": ((لما حضرت أبا طالب الوفاة، جمع إليه وجوه قريش، فأوصاهم فقال: يا معشر قريش، أنتم صفوة الله من خلقه. إلى أن قال: وإني أوصيكم بمحمد خيراً، فإنه الأمين في قريش، والصديق في العرب، وايم الله كأني أنظر إلى صعاليك العرب، وأهل الوبر والأطراف، والمستضعفين من الناس قد أجابوا دعوته، وصدقوا كلمته، وعظموا أمره، فخاض بهم غمرات الموت، فصارت رؤساء قريش وصناديدها أذناباً، ودورها خراباً، وضعفاؤها أرباباً، وإذا أعظمهم عليه أحوجهم إليه، وأبعدهم منه أحظاهم عنده، يا معشر قريش، كونوا له ولاة، ولحزبه حماة، والله لا يسلك أحد سبيله إلا رشد، ولا يأخذ أحد بهديه إلا سعد، ولو كان لنفسي مدة ولأجلي تأخير لكففت عنه الهزاهز، ولدفعت عنه الدواهي. ثم هلك.))[2].

وقال عروة بن الزبير[3]:((لما نثر ذلك السفيه على رأس رسول الله ﷺ ذلك التراب، دخل رسول الله ﷺ بيته والتراب على رأسه، فقامت إليه إحدى بناته، فجعلت تغسل

---

(١)ينظر: نور اليقين،١/٦٠.

(٢)الموهب اللدنية،١/١٥٧.

(٣)عُرْوَة بْن الزُّبَيْر بْن العوام أَبُو عَبْد اللَّه الْقُرَشِيّ الأسدي روى عن أبيه وأخيه عبد الله وأمه أسماء بنت أبي بكر وخالته عائشة وعلي بن أبي طالب وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وحكيم بن حزام وزيد بن ثابت وعبد الله بن جعفر وعبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو بن العاص وأسامة بن زيد وأبي أيوب وأبي هريرة وخلق كثير، وروى عَنْهُ الزُّهْرِيّ وابنه هِشَام، وَرَوَى أَبُو سلمة بْن عَبْد الرَّحْمَن عن عمرو بْن عَبْد الْعَزِيز عَنْ عُرْوَة، ذكره بن سعد في الطبقة الثانية من أهل المدينة وقال كان ثقة كثير الحديث فقيها عالما ثبتا مأمونا وقال العجلي مدني تابعي ثقة وكان رجلا صالحا لم يدخل في شيء من الفتن وقال بن شهاب كان إذا حدثني عروة ثم حدثني عمرة صدق عندي حديث عمرة حديث عروة فلما بحرتهما إذا عروة بحر لا ينزف ينظر: التاريخ الكبير،٧/٣١، تهذيب التهذيب ، ٧/١٨٠.

عنه التراب وهي تبكي. و رسول الله ﷺ يقول لها: (لا تبكي يا بنية، فإن الله مانع أباك) قال: ويقول بين ذلك: (ما نالت مني قريش شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب).))[١].

وجاء في "إمتاع الأسماع": ((وقيل: كان موتهما بعد الخروج من الشّعب بثمانية أشهر وأحد وعشرين يوماً، فعظمت المصيبة على رسول الله ﷺ بموتهما وسماه عام الحزن))[٢].

ومما ذكر أهل السير أيضاً: أن خديجة -رضي الله عنها- ما ماتت الا بعد الاسراء، وأنهﷺ بعد وفاتها لزم بيته وأقلّ الخروج، وكانت وفاتها -رضي الله عنها- بعد وفاة أبي طالب بشهرين أو ثلاثة، وقيل بشهر وخمسة أيام، وقيل بل بثلاثة أيام فقط.[٣]

ولاشك أن حكمة الله بالغة في فقد النبي ﷺ لعمه وزوجه في تلك الفترة بالذات، ومما يظهر جلياً من هذا أن أبا طالب لو بقي إلى جانب ابن أخيه، يكلؤه ويحميه إلى أن تقوم الدولة الإسلامية في المدينة، وريثما ينجو الرسولﷺ من أذى المشركين وقبضتهم، لكان في ذلك ما قد يوهم أن أبا طالب كان من وراء هذه الدعوة، وأنه السبب في قوة النبيﷺ وانتصاره، ولم يكن الله تعالى ليذر المنة على نبيهﷺ لغيره فهو الناصر لدينه، والحامي لنبيهﷺ، وهو حافظ كتابه وحده سبحانه.

وجاء في "الرحيق المختوم":((فازدادﷺ غماً على غم، حتى يئس منهم، وخرج إلى الطائف، رجاء أن يستجيبوا لدعوته أو يؤووه وينصروه على قومه، فلم ير من يؤوي ولم ير ناصراً، وآذوه مع ذلك أشد الأذى، ونالوا منه ما لم ينله قومه))[٤].

ولقد نظم في وصف ذلك العام الشيخ عبد اللطيف بيارة أبياتاً يقول فيها:

حتى أتى العاشر من عمر دعوته ... جاء القضاء بموت العم بالسقم.

(١) هذا حديث مرسل رواه: ابن إسحاق، ومن طريقه الطبري في "التاريخ" ، والبيهقي في "الدلائل"؛ من مرسل عروة بن الزبير. ينظر: تاريخ الطبري، ٣٤٤/٢ ، الدلائل، ٣٥٠/٢، السيرة النبوية، ٦٧/٢.

(٢) إمتاع الأسماع للمقريزي، ٥٩/١.

(٣) ينظر: مستعذب الأخبار، ١١١/١.

(٤) الرحيق المختوم، ٧١/١.

بموت من نصره قد كان ديدنه ... بالحال والمال والانعام بالنعم.

وبعد موته أياماً مخمسة ... ماتت خديجة ذات العقل والحكم.

فصار عامه عام الحزن والأسف ... من هدم ركنين من أركان ذي الكرم.

فوجّه الوجه للطائف كان بها ... أرحامه بغية الايمان والسلم.

لكنهم لم يجيبوا بل أبو و عصوا ... وخالفوه بأصناف من النقم.(١)

ثم إن النبي ﷺ لم يطلق على تلك السنة: عام الحزن، لمجرد أنه فقد بعض أقاربه فاستوحش لفقدهم، فإنه أرضى الخلق بقدر الله، وأيقنهم بمصير الموت، لكن حزنه الأكبر ﷺ كان على دين الله ودعوته، إذ ضيق عليه بعد موهما، ولا أدل على هذا الأمر من كتاب الله، إذ لم يذكر القرآن حزنه ﷺ بموت زوجه أو عمه، وما شابهه، وإنما ذكر ضيق صدره وقرب إهلاكه لنفسه بما يتهم به كتاب الله، وبتكذيب قومه باليوم الآخر والبعث ولقاء الله، وأمور الاعتقاد الأخرى ومن دلائل ما ذكرت قوله تعالى:] قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ © لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَـٰكِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ Z الأنعام: ٣٣ وقوله تعالى:] فَلَعَلَّكَ بَـٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِمْ إِن : ; > = < Z الكهف: ٦ والآيات في هذا المعنى كثيرة (٢).

كما أنه ﷺ لم يتوقف عن أداء رسالته بموهما وإنما سعى بكل ما أوتي لتبليغ رسالة ربه ،فإنه لما ضيق عليه في مكة، انطلق إلى الطائف يبحث عن باب آخر يدعوا فيه إلى الله تعالى، وجاء الحديث الصحيح ليصور لنا طرفاً من الأذى والحزن الذي لحقه ﷺ عندما ذهب لثقيف، فعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت للنبي ﷺ: (هل أتى عليك يوم كان أشد عليك من يوم أُحُد؟

قال ﷺ:لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة؛ إذ عرضت نفسي على ابن عبد يا ليل بن عبد كلال، فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت على

---

(١) من القصيدة الموسومة بـــ"القصيدة الوردية في سيرة خير البرية" للشيخ عبد الكريم محمد المدرس بيارة المتوفى سنة:١٤٢٦هـــ ،١٢/١.

(٢) ينظر: فقه السيرة للبوطي،٩٩/١.

وجهي، فلم استفق إلا وأنا بقرن الثعالب فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني، فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك، وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فناداني ملك الجبال، فسلم علي ثم قال: يا محمد، لك ما شئت فيهم، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين لفعلت، قال فقلت: بل أرجو أن يخرج الله عز وجل من أصلابهم من يعبد الله عز وجل وحده لا يشرك به شيئا)[1].

في هذه الفترة العصيبة، وفي خضم هذه الأحداث والوقائع المؤثرة على قلب النبي ﷺ نزلت سورة هود و قبلها سورة يونس، وقبلهما سورة الإسراء، وسورة الفرقان، وكلها تحمل طابع تلك الفترة، وتكشف إلى أي مدى بلغ الضيق، والأذى، بالنبي ﷺ وأتباعه، فلذا كان أحوج ما يكون إلى ما يعينه على تجاوز هذه المرحلة، فكان كتاب الله سلوته ، ووجهته إذ قصده فكان نعم المعين.

كما جاءت السورة الكريمة مكملة للمحجة على الكافرين متممة للتحدي الذي بدء في سورة يونس إذ طلب منهم عند إنكارهم للقرآن وتكذيبهم بأنه وحي من عند الله وقولهم أنه مفترى أن يأتوا بسورة مثله لأنه غير مفترى، فقال:] j k l m n
o p q r s t u v w x y z { | } ~ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾
أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ © وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ´ Z
يونس: ٣٧ - ٣٨

فلما عجزوا عن ذلك قيل لهم في سورة هود هاتوا عشر سور مثل هذا المفترى بزعمكم فقال:] & ' ( ) * + , - . / ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ Z
هود: ١٣ فعجزوا وأظهروا التسليم[2].

ولبعض أهل العلم توجيه آخر لتقديم طلب سورة عن عشر سور، وهو أن ما وقع أولاً هو التحدي بسورة مثل القرآن في البلاغة، والاشتمال على ما اشتمل عليه من الأخبار عن

(١) صحيح البخاري - كتاب بدء الخلق ج١ ص٤٥٨.

(٢) ينظر: تفسير اللباب، ٢/٤٤١.

المغيبات، والأحكام وأخواتها، فلما عجزوا عن ذلك أمرهم بأن يأتوا بعشر سور مثله في النظم، وإن لم تشتمل على ما اشتمل عليه(١).

ومن أعظم صنوف التثبيت لنبينا الكريم ﷺ في تلك الفترة البيان الرباني للنبي ﷺ بشواهد صدقه ودلائل صحة وكمال المنهج الذي جاء به، وهو ما ورد في هذه السورة المباركة في قوله تعالى:] h i j k l m n o p q r s t u v x y z | { ~ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ © إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا ´ Z هود: ١٧ .

وقد ذكر ههنا تظافر الأمرين اللذين يحكم بأحدهما على صحة الدعوى: البينة والشاهد.

فقد ذكر البينة فقال:] h i j k l m Z. وهو رسولنا ﷺ معه بينة وقد أتى بها من عند الله وهي القرآن (٢).

وذكر الشاهد أيضاً فقال:] n o p Z وهذا الشاهد لاشك أنه عدل لأنه (منه) أي من ربه وهو جبريل عليه السلام، شاهدٌ من الله ، يتلو على محمد ﷺ ما بُعث به (٣).

ولما كانت الدعوى أنه مرسل من ربه أي أرسله ربه لزم أن تكون البينة من ربه فقال:] h i j k l m Z هود: ١٧ أي إن الله آتاه بينة وبرهاناً على أنه رسوله.

وكذا لما كان الشاهد يشهد على هذه القضية لزم أن يكون الشاهد من ربه فقال:] n o p Z وترتب على ذلك أن يكون عدلاً لأن الشاهد من الرب لا يكون إلا عدلاً وكيف يشك في هذا؟.

ثم إنه أضاف لهذين الأمرين شاهداً آخر لا تدفع شهادته وهو أن هناك كتاباً سابقاً من ربه أي من الجهة نفسها وذلك ثابت قبل أن يأتي هذا النبي ﷺ إلى الدنيا بقرون يشهد على ما سيأتي به.

(١) ينظر: روح المعاني ٦/٢٢٢.

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ، ٦/٢٠١٣.

(٣) ينظر تفسير الطبري ١٥/٢٧٤.

هذا الكتاب هو التوراة وقد ذكر ذلك صراحة بما لا يحتمل التأويل في أن هذا الشخص هو المقصود بعينه. فقد ذكر اسمه ﷺ و منشأه، ودلائل نبوته الخَلْقية ، والخُلُقية، وبم يأمر وعما ينهى ومن أين يخرج وإلى أين يهاجر إلى غير ذلك. كل ذلك مذكور في التوراة[1]ولذا فإن أهل الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم. قال تعالى:] !

Z / . - , + *) (' & % $ # "

البقرة: ١٤٦

فقال في ذلك:] q r s t u v Z أي يشهد على ذلك.

وجاء في آية أخرى شهادة التوراة والإنجيل له صراحة ﷺ وهي قوله تعالى:] D

E F G H I J K L M N O

P Q R S T U V W X Y Z

[\ ] ^ _ ` a c d e f g

h i j k l n o p q Z الأعراف: ١٥٧.

وبهذا يكون قد ذكر جملة من الأدلة كل واحد منها كافٍ في إثبات صحة الدعوى:

١- البينة ٢- الشاهد ٣- الكتب السابقة.

وكل ذلك من جهة الرب سبحانه الذي اختار رسولاً من عنده فأرسله ، لِئلا يبقى في نفس أحد شك أو ريبة في صحة رسالته ﷺ.

وذكر موسى عليه السلام ههنا مناسب لغرض التسرية عن الرسول ﷺ لتنبيه النبي بما كان من الاختلاف على موسى من قبل، فيكون هذا بمثابة أنه مسبوق بهذا الامتحان والابتلاء، ولاشك بأن علمه بذلك يهون عليه، وقد صرح له بذلك في معرض الوصايا التي أوصاها بها في ختام السورة ليثبت، ويستقيم كما أمره ربه، ولا يزيغ بالركون للظالمين، ويصبر على ما أصابه في سبيل دعوته فقال سبحانه:] وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا : ; < = =

? @ A B C D E G H I J K L M N O

(١) ينظر: شرف المصطفى ١/١٩٥، دلائل النبوة للبيهقي ١/١٨.

` _ ^] \ [Z Y X W V U T R Q P

q p o n m l k j i h g f e d c b

ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ ~ { | } z y x w v u t s r

يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ © ﴿١١٤﴾ وَٱصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١١٥﴾ Z هود: ١١٠ - ١١٥

ولقد انتفع النبي ﷺ بهذا البيان لحال موسى عليه السلام وما ابتلي به، وكان ذلك سلوة له حين أوذي واتهم في عدله فقال:(رَحِمَ اللَّهُ مُوسَى قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ) (١)

كما أن المتأمل في ختام السورة الكريمة يلتمس جانب التسلية والتسرية والتثبيت لقلب النبي ﷺ وتوجيهه إلى ما يعينه على تجاوز تلك المرحلة العصيبة فلقد جاءه التوجيه بالاستقامة كما أمر هو ومن تاب معه، وعدم الركون إلى الذين ظلموا (أي أشركوا)، والاستعانة بالصلاة وبالصبر على مواجهة ذلك وتتوارد الآيات بذلك متعاضدة لتحقيق ذلك المقصد، فتأمل حديث القرآن الكريم إذ يقول تعالى لنبيه :] ! " # $ % & ' ( )

* + , - . / قَبۡلُۚ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمۡ نَصِيبَهُمۡ غَيۡرَ مَنقُوصٖ ﴿١٠٩﴾ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا :

; < = ? @ A B C D E G H I J K

L M N O P Q R T U V W X Y Z [\ ]

^ _ ` b c d e f g h i j k l m n

o p q r s t u v w x y z { | } ~ ٱلَّيۡلِۚ

إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ © ﴿١١٤﴾ وَٱصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ

﴿١١٥﴾ Z هود: ١٠٩ – ١١٥

هكذا يعزي الله نبيهﷺ، ويصبره، ويعلمه مالم يعلم من خبر القوم، ويكشف له حالهم ومئالهم، ويظهر جلياً أن الآيات قطعة من القرآن المكي، موضوعاً وجواً وعبارة.

(١) أخرجه البخاري برقم ٢٤٩٤، باب إِعْطَاءِ الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ عَلَى الإِسْلاَمِ وَتَصَبُّرِ مَنْ قَوِيَ إِيمَانُهُ،٣/١٠٩.

وهكذا جاءت هذه السورة الكريمة واحة غناء، وركناً يأوي إليه نبيناﷺ ،في مرحلة كانت من أشد وأصعب المراحل التي مرت بها مراحل تبليغ رسالة ربه سبحانه وتعالى.

المبحث الثاني: أسباب النزول الواردة في السورة.

أثبت المصنفون في أسباب التزول، وبعض أهل التفسير، عند هذه السورة، آيتين منها قد نقل إلينا أسباباً لتزولهما وهي:

١- قوله تعالى:] أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُواْ مِنْهُۚ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ Z هود: ٥

وقد ورد في سبب نزول هذه الآية خمسة أقوال :

أحدها :أنها نَزَلَتْ فِي الْأَخْنَسِ بْنِ شُرَيْقٍ(١)، وَكَانَ رَجُلًا حُلْوَ الْكَلَامِ حُلْوَ الْمَنْظَرِ، يَلْقَى رَسُولَ اللَّه ﷺ بِمَا يحب ويطوي بقبله مَا يَكْرَهُ.

وَقَالَ الْكَلْبِيُّ: كَانَ يُجَالِسُ النَّبِيَّ ﷺ يُظْهِرُ لَهُ أَمْرًا يَسُرُّهُ وَيُضْمِرُ فِي قَلْبِهِ خِلَافَ مَا يُظْهِرُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى:] أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ Z هود: ٥ يَقُولُ يُكْمِنُونَ مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنَ الْعَدَاوَةِ لِمُحَمَّدٍ ﷺ (٢).

والثاني : أنها نزلت في ناس كانوا يستحيون أن يُفضوا إلى السماء في الخلاء ومجامعة النساء ، فترلت فيهم هذه الآية(١).

---

(١) بن عمرو بن وهب بن علاج الثقفي، أبو ثعلبة، حليف بني زهرة. اسمه أبيّ، وإنما لقب الأخنس، لأنه رجع ببني زهرة من بدر لما جاءهم الخبر أن أبا سفيان نجا بالعير، فقيل خنس الأخنس ببني زهرة، ثم أسلم الأخنس فكان من المؤلفة، وشهد حنيناً، ومات في أول خلافة عمر ،وقال ابن عطية: ما ثبت قط أن الأخنس أسلم. قال بن حجر: قد أثبته في الصحابة من تقدم ذكره، ولا مانع أن يسلم ثم يرتدّ ثم يرجع إلى الإسلام. واللّه أعلم. الإصابة: ١/١٩٢،الإكمال:٦/٣٠١.

(٢)نسب السيد أحمد صقر هذا السبب إلى ابن عباس، والثابت عنه بخلاف ذلك، فقد أخرج البخاري، وابن جرير من طريق محمد بن عباد بن جعفر عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أناس كانوا يستحيون أن يتخلوا فيفضوا إلى السماء، وأن يجامعوا نساءهم فيفضوا إلى السماء، فترل ذلك فيهم. ينظر: فتح الباري: ٨/٣٤٩ -برقم: ٤٦٨١، تفسير الطبري: ١١/١٢٦،أسباب التزول للواحدي:١/٢٦٥، تحقيق الحميدان.

جاء في "المحرر في سبب النزول ":((وقال ابن عاشور بعد ذكر السبب: (وهذا التفسير لا يناسب موقع الآية ولا اتساق الضمائر. فلعل مراد ابن عبَّاسٍ أن الآية تنطبق على صنيع هؤلاء وليس فعلهم هو سبب نزولها) .

وما تقدم حق فإن الآية لم تنزل بسبب فعل هؤلاء المسلمين لأن السياق في غيرهم)) (٢).

وعليه فكما قال صاحب "المحرر في سبب النزول ":((أن الحديث الذي معنا ليس سبب نزول الآية الكريمة لمخالفته سياق الآيات التي تتحدث عن المشركين في مكة واللَّه أعلم.)) (٣)

والثالث : أنها نزلت في بعض المنافقين ، كان إذا مرَّ برسول الله ﷺ، ثنى صدره وظهره وطأطأ رأسه وغطى وجهه لئلا يراه رسول اللهﷺ.

جاء في "المحرر في سبب النزول ":((وهذا القول يعكر عليه أمران:

الأول: أن السورة مكية، والنفاق إنما كان بالمدينة، وليس معهوداً الحديث عن المنافقين في العهد المكي، ثم إن النفاق لم يظهر إلا بعد الهجرة، والسورة نزلت قبلها، فكيف تكون أحداث المدينة سبباً لنزول الآيات المكية؟

الثاني: أن الضمير في قوله: (لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ) يعود على اللَّه وليس على النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كما ذكره عامة المفسرين.

قال الطبري: (إن الهاء في قوله: (منه) عائدة على اسم اللَّه، ولم يجر لمحمد ذكر قبلُ، فيجعل من ذكره ﷺ وهي في سياق الخبر عن اللَّه فإذا كان ذلك كذلك كانت بأن تكون من ذكر اللَّه أولى).....

ثم يبقى الإشكال الآخر وهو أن الضمير يعود على اللَّه وليس على رسوله ﷺ وحينئذٍ ينتهي القول الثاني أيضًا، وهو نزولها في المنافقين لأن الآية مكية، ولأن الضمير يعود على اللَّه وليس على رسوله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.)) (١)

---

(١) الأثر أخرجه ابن أبي حاتم عن ابن عباس ،٤ /١٥٠ بنحوه، وأخرجه ابن جرير، ١١/١٨٥، وانظرإلى: الصحيح المسند من أسباب النزول،١/١١٨.

(٢)المحرر في أسباب نزول القرآن،٢/٦٢٠.

(٣)المحرر في أسباب نزول القرآن،٢/٦٢٣.

والرابع : أن طائفة من المشركين قالوا : إذا أغلقنا أبوابنا وأرخينا ستورنا واستغشينا ثيابنا وثنينا صدورنا على عداوة محمد ﷺ، كيف يعلم بنا ؟ فأخبر الله عما كتموا .

والخامس : أنها نزلت في قوم كانوا لشدة عداوتهم رسولَ الله ﷺ إذا سمعوا منه القرآن حنَوا صدورهم ، ونكسوا رؤوسهم ، وتغشوا ثيابهم ليبعد عنهم صوت رسول الله ﷺ ولا يدخل أسماعهم شيء من القرآن (٢).

والصواب والله أعلم أن نزولها ابتداءً كان في من ذكر من المشركين في مكة إذ السورة مكية.

٢- قوله تعالى:] y z { | } ~ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ © Z هود: ١١٤.

نزلت ابتداءً في رجل من الأنصار يقال له أبو اليسر(٣)، وقد ورد في قصته عدة روايات نذكر جملة منها :

فعن عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود رضي الله عنه قَالَ: جاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي عَالَجْتُ امْرَأَةً فِي أَقْصَى الْمَدِينَةِ وَإِنِّي أَصَبْتُ مِنْهَا مَا دُونَ أن آتيها، وأنا هَذَا فَاقْضِ فِيَّ مَا شِئْتَ، قَالَ: فَقَالَ عُمَرُ رضي الله عنه: لَقَدْ سَتَرَكَ اللَّهُ لَوْ سَتَرْتَ نَفْسَكَ، فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ شَيْئًا، فَانْطَلَقَ الرَّجُلُ فأتبعه رجلا ودعاه فتَلَا عَلَيْهِ هَذِهِ الْآيَةَ، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا لَهُ خَاصَّةً؟ قَالَ:(لَا، بَلْ لِلنَّاسِ كَافَّةً)(٤).

---

(١)المحرر في أسباب نزول القرآن،٢/٦٢٠-٦٢١.

(٢) ينظر زاد المسير:٣/٣٢٠، التفسير الكبير:٨/٣٦٨.

(٣)سبقت ترجمته رضي الله عنه.

(٤) أخرجه مسلم برقم: ٤٩٦٤باب: إن الحسنات يذهبن السيئات،١٣ /٣٣٤، وأبي داوود برقم: ٣٨٧٥ باب: في الرجال يصيب المرأة دون جماع، ١٢/٤٧،والإمام أحمد : ١٨/١٨١.وأهل السنن ، وقد استثنى الحافظ ابن كثير منهم أبا داود مع أن أبا داود أخرجه في كتاب الحدود كما سبق.

وعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه أَنَّ رَجُلًا أَصَابَ مِنِ امْرَأَةٍ قُبْلَةً فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ:] y z } | { ~ ٱلَّيۡلِۚ Z إِلَى آخِرِ الْآيَةِ، فَقَالَ الرَّجُلُ: إِلَيَّ هَذِهِ؟ قَالَ:(لِمَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ أُمَّتِي)(١).

وعَنْ أَبِي الْيَسَرِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه قَالَ: أَتَتْنِي امْرَأَةٌ وَزَوْجُهَا بَعَثَهُ النَّبِيُّ ﷺ فِي بَعْثٍ، فَقَالَتْ: بِعْنِي بِدِرْهَمٍ تَمْرًا، قَالَ: فَأَعْجَبَتْنِي، فَقُلْتُ: إِنَّ فِي الْبَيْتِ تَمْرًا هُوَ أَطْيَبُ مِنْ هَذَا فَالْحَقِينِي، فَغَمَزْتُهَا وَقَبَّلْتُهَا، فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَقَصَصْتُ عَلَيْهِ الْأَمْرَ، فَقَالَ: (خُنْتَ رَجُلًا غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فِي أَهْلِهِ بِهَذَا؟!) وَأَطْرَقَ عَنِّي فَظَنَنْتُ أَنِّي مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ لِي أَبَدًا، وَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى:] y z } | Z الْآيَةَ. فَأَرْسَلَ إِلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ فَتَلَاهَا عَلَيَّ(٢).

و عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه أَنَّ رَجُلًا أَتَى عُمَرَ رضي الله عنه فَقَالَ: إِنَّ امْرَأَةً جَاءَتْنِي تُبَايِعُنِي فَأَدْخَلْتُهَا الدَّوْلَجَ، فَأَصَبْتُ مِنْهَا كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا الْجِمَاعَ، فَقَالَ: وَيْحَكَ بَعْلُهَا مُغَيَّبٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ قُلْتُ:أَجَلْ، قَالَ: ائْتِ أَبَا بَكْرٍ فَأَتَاهُ، فَقَالَ مِثْلَ مَا قَالَ لِعُمَرَ وَرَدَّ عَلَيْهِ مِثْلَ ذَلِكَ، وَقَالَ: ائت رسول الله ﷺ فسله، فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ مِثْلَ مَا قَالَ لِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :(بَعْلُهَا مُغَيَّبٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟) فَقَالَ: نَعَمْ، فَسَكَتَ عَنْهُ وَنَزَلَ الْقُرْآنُ:] y z } | { ~ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ Z فَقَالَ الرَّجُلُ: أَلِي خَاصَّةً يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَمْ لِلنَّاسِ عَامَّةً؟ فَضَرَبَ عُمَرُ صَدْرَهُ وَقَالَ: لَا وَلَا نَعْمَةَ عَيْنٍ وَلَكِنْ لِلنَّاسِ عَامَّةً، فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَالَ: (صَدَقَ عُمَرُ)(٣).

---

(١) أخرجه البخاري برقم: ٤٦٨٧، ٨/ ٣٥٥ . والترمذي برقم: ٣١١٤ ، ٥/٢٩١. وابن جرير :١٢/٨١.

(٢) أخرجه الترمذي برقم: ٣١١٥، ٥/٢٩٢ وابن جرير :١٢/٨٢، والطبراني في المعجم الكبير برقم: ٣٧١ (١٩/١٦٥. وإسناده صحيح، لكن هذه القصة غير القصة السابقة؛ لأن في هذه أن المرأة أتته فأدخلها البيت وفعل ما فعل، وفي تلك أنه فعل ما فعل خارج المدينة والله أعلم.

(٣) أخرجه أحمد في المسند برقم:٣،٢٢٠٦/١٥.قال أحمد شاكر: إسناده صحيح، ونقله ابن كثير في التفسير ٤/٤٠٣ عند هذا الموضع. وهو في مجمع الزوائد ٧: ٣٨ ونسبه أيضاً للطبراني في الكبير بزيادة، وفي الأوسط باختصار كثير، وقال:((وفي إسناد أحمد والكبير علي بن زيد، وهو سيئ الحفظ، وبقية رجاله ثقات)).

وعَنْ مُعَاذ بْنِ جَبَلٍ أَنَّهُ كَانَ قَاعدًا عنْدَ النَّبيِّ ﷺ فَجَاءَ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّه، مَا تَقُولُ فِي رَجُلٍ أَصَابَ مِن امْرَأَة لَا تَحلُّ لَهُ فَلَمْ يَدَعْ شَيْئًا يُصيبُهُ الرَّجُلُ من امْرَأَته إِلَّا قَدْ أَصَابَهُ منْهَا إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يُجَامعْهَا، فَقَالَ: (توَضَّأْ وضوءً حَسَنًا ثُمَّ قُمْ فصَلِّ)، قَالَ: فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذه الْآيَةَ:] y z { | { ~ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ Z إِلَى آخرِهَا، فَقَالَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ رضي الله عنه: أَهِيَ لَهُ خَاصَّةً أَمْ للْمُسْلمينَ عَامَّةً؟ فَقَالَ ﷺ: (بَلْ هيَ للْمُسْلمينَ عَامَّةً)[1].

عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ: جاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي قَدْ أَصَبْتُ مِنِ امْرَأَةٍ غَيْرَ أَنِّي لَمْ آتِهَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى:] y z { | { ~ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ Z[2].

قال الإمام الزركشي: (فهذا كان في المدينة، وسورة هود مكية بالاتفاق، ولهذا أشكل على بعضهم هذا الحديث مع ما ذكرنا ولا إشكال لأنها نزلت مرة بعد مرة) [3].

وقد أبان صاحب "المحرر في سبب النزول "أن قصة الرجل هي سبب نزول الآية لما يلي:

:((١ - أن أكثر الروايات تصرح بذكر النزول، فالبخاري، وأحمد، والنَّسَائِي، وابن ماجه لا يذكرون إلا النزول فقط.

وأما مسلم والترمذي ففي أكثر رواياتهم أيضاً لا يذكرون إلا النزول، وفي روايات قليلة ذكروا التلاوة (فتلا عليه)، ومعلوم أن كثرة هؤلاء قرينة من قرائن الترجيح وكيف لا يكون ذلك، والبخاري معهم.

---

(١) أخرجه الدار قطني برقم: ٤، ١/١٣٤. وابن جرير ١٢/٨٢.والطبراني في المعجم الكبير برقم: ٢٧٨ ، ٢٠ /١٣٧ والترمذي برقم: ٣١١٣، ٥/٢٩١ ، وقال البيهقي: وفيه إرسالٌ، عبدُ الرَحمن بن أبي ليلى لم يدرك معاذ بن جبل رضي الله عنه ،سنن البيهقي١/١٢٥،وانظر: الجامع الصحيح للترمذي: ٥/٢٩١ ، تهذيب التهذيب: ٦/٢٦٢، التعليق المغني على الدار قطني: ١/١٣٤، تنقيح التحقيق في أحاديث التعليق١/٢٥٤.

(٢) أخرجه الترمذي:٥/٢٩٠. وابن جرير:١٢/٨١. والطبراني في المعجم الكبير: ١٠/٢٥٥ من طريق إبراهيم عن عبد الرحمن به. وانظرإلى: الصحيح المسند من أسباب النزول،١/١١٩.

(٣)المحرر في أسباب نزول القرآن،١/١٥٠.

٢ - قول ابن العربي: اتفقوا على قوله: (فأنزل الله أقم الصلاة) ولا أدري من يعني بالمتفقين هل يعني بهم المحدثين وشراح الحديث لأنه قاله في عارضته على الترمذي، أو يعني بهم المفسرين لأنه منهم أيضاً، لا أدري لكن ليس غريباً أن يعني به الطرفين، وإنما المقصود هنا الاتفاق على نزول الآية الكريمة.

٣ - احتجاج المفسرين بالقصة على النزول، وجعلها سبباً لها، ولا ريب أن احتجاجهم هذا يقوي القلب ويجرئُ على الإقدام......

وجه الدلالة على النزول: أن الآية لو كانت قد نزلت قبل القصة لكان معلوماً أنها ليست له خاصة لأن مبرر التخصيص لم يوجد بعدُ وهو قصة الرجل مع المرأة، وستكون عامة بدون سؤال، فالسؤال عند القصة يدل على أن الآية حديثٌ نزولُها، والله الموفق للصواب.....

النتيجة:

أن قصة الرجل مع المرأة سبب نزول الآية الكريمة لصحة السند، واحتجاج المفسرين به، مع عدم مخالفة ذلك لسياق القرآن واللّه أعلم)) [1].

(١)المصدر السابق،٢/٦٢٨.

المبحث الثالث: مقاصد السورة الكريمة وأهدافها[1].

سورة هود سورة مكية حملت في ثنايها جل صفات القرآن المكي، فقد اعتنت بأصول العقيدة الإسلامية (التوحيد ، الرسالة، البعث والجزاء) ، وتحدت بالقرآن الكريم أرباب اللغة، وأثبتت أنه إنما نزل بعلم الله تعالى، وتحدثت عن الدعوة إلى الله والصبر على البلاء، والمقارنة بين المؤمنين والكافرين ، وتحدثت عن جوانب شتى من قصص الأنبياء فذكر فيها قصة نوح ، وهود ، وصالح ، ولوط ، وشعيب ، وموسى ، وهارون عليهم السلام ، وختمت ببيان الحكمة من ذكر قصص المرسلين .

والمتأمل في آيات هذه السورة الكريمة، يجد أنها تضمنت العديد من المقاصد الجليلة التي تدل على شرفها، وعظيم مكانتها، وأثرها، وقد اجتهدت في جمع ما فتح به الله تعالى من تلك المقاصد وجعلتها على الترتيب التالي:

المقصد الأول : ترسيخ أصول العقيدة من جهة بيان شرف القرآن العظيم فإنها افتتحت بوصف القرآن الكريم بـ (الإحكام) و(التفصيل)، وبيان شرف مصدره وهو الرب الحكيم الخبير.

ثم من جهة الدعوة إلى توحيد الألوهية ، وهو عبادته تعالى وحده وعدم عبادة أحد معه سبحانه كما قال تعالى:] p q r s u v w x y Z هود: ٢.

ثم ببيان أهمية اليقين بالله والتعلق به بالأوبة والإنابة إليه بالاستغفار والتوبة، والاعتراف بفضله تعالى، وأن ذلك سبب المتاع الحسن في الدنيا، وزيادة القوة والتمكين في الأرض، وذلك قوله تعالى:] } | { ~ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُمَتِّعۡكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى وَيُؤۡتِ © ذِي فَضۡلٖ فَضۡلَهُۥۖ Z هود: ٣.

---

(١) أفدت في هذا المبحث المبارك من جمع من كتب التفسير، ومنها تفسير المراغي ١٢/١٠٥ ،التحرير والتنوير١١/٣١١-٣١٣، وغيرهما كما سيأتي.

ثم من جهة إثبات توحيد الربوبية وذلك ببيان عناية الخالق العظيم بكل دابة في الأرض، و قدرته على كل شيء من البعث وغيره، وهذا يقتضي العلم بكل معلوم، ويلزم منه تفرده سبحانه بالمُلك.

وكذا نصرته تعالى لأوليائه ورعايته لهم وذلك من خلال ما ورد فيها من قصص لأنبيائه عليهم السلام.

المقصد الثاني: تثبيت قلب النبي ﷺ، وتسليته، والتسرية عنه، فيما يمر به في دعوته من أذىً نفسي وجسدي، وهو ظاهر ومنه قوله تعالى:] µ ¶ ¸ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَضَآئِقُۢ بِهِۦ صَدْرُكَ أَن يَقُولُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ Z هود: ١٢ وقال سبحانه:] ? @ A B C D E F G H I J K L M N O P Z هود: ١٢٠.ويتبع هذا أيضاً تثبيت قلب من سار على هديهﷺ، وسلك نهجه في الدعوة إلى الله.

وشواهد هذا التثبيت والتسلية كثير في السورة فمن ذلك:

١- الإشارة إلى عناية الله بنبيه ﷺ في كل ما يدور في مكة عليه من كيد له ولأصحابه، وما يعانيه من هم أنه غير خاف على الله تعالى، فالذي دبّر شؤون المخلوقات الصغيرة والدواب الضعيفة، لن يترك خيرة الرسل وصفوة الخلقﷺ وأتباعه وهم يبلغون رسالات الله وينصرون دينه.

٢- تقرير حقيقة دأب المفسدين على عداوة المصلحين وورثة الأنبياء، وأشدهم كيداً لهم وهم أهل الترف والفساد والحسد، من ملأ الملوك والأمراء وأمثالهم.

٣- التأكيد على فضيلة (الصبر)، فإنه ذُكر في هذه السورة في ثلاثة مواضع، لأنه الخُلق الذي يستعان به على جميع الأعمال والأحوال في الشدة والرخاء، والسراء والضراء، وهو وصية الله لنبيه ﷺ وأتباعه.

٤- تقرير سنة الله سبحانه في الأمم، وهي أنه لا يهلك عموم العباد بظلم فئة منهم، وذلك إن وجد فيهم من يقوم بالدعوة إلى الخير والإصلاح، وذلك قوله تعالى:]

وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ Z هود: ١١٧ وفي ذلك بشارة للنبي ﷺ أنه سبب أمان ورحمة لأهل الأرض، ولاشك أن هذا المعنى من أعظم ما يربط على قلبه ﷺ.

٥- المقارنة بين حال ومصير الفريقين من المؤمنين والكافرين ولاشك أن في ذلك تثبيت لأهل الإيمان، وتسليتهم، والبشارة لهم، وبيان أسباب فوزهم، وتوبيخاً للكافرين ووعيداً لهم وإقامة للحجة عليهم، قال تعالى:] N O P Q R
S T U V W X Z [\ ] _ `
a b c d f g h j k Z هود: ٢٣ – ٢٤. ويتبع هذا البيان تسلية النبي ﷺ بفلاح ونجاح دعوته، ونجاة وفوز أتباعه، وخيبة وخسران من خالفه.

٦- تهوين شأن الكافرين عند نبينا الكريم ﷺ ببيان أن المقولات التي قالوها له من سحر وتكذيب وغيره ليست جديدة، فإنك ستسمع وتعلم في ثنايا السورة أنواع من الأذى اللفظي والمعنوي الذي لحق بإخوانك من الرسل، فهي مكرورة بالية فلا تحزنك ولا تلق لها بالاً.

٧- تقرير استدراج الله تعالى للكافرين وإمهالهم لهوانهم عليه، وليعسر عليهم الحساب، ويتضاعف عليهم العذاب، وفي هذا جبر لقلب النبي ﷺ بأن كل أذى يتلقاه منهم هو زيادة شؤم وعقاب عليهم، يلقونه عند الله مضاعفاً ، قال تعالى:] ! "
$ % & ' ( ) * + , - . يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلْعَذَابُ مَا كَانُواْ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُواْ : Z هود: ٢٠.

٨- تسلية وتثبيت النبي ﷺ بما ظهر في قصة نبي الله صالح عليه السلام، إذ أبرزت مكابرة أهل الكفر على الحق البين وجدالهم بالباطل وذلك في موضعين:

أولهما: طلبهم البينة ، فجاءتهم آية مبصرة يدركها كل أحد، وهي الناقة، ومع هذا كفروا رغم وضوحها البيّن، فإذا وجدتَ من يكفر بآيتك فلا تعجب فقد

كُذّب بما هو أوضح منها، ولذا قال سبحانه في سورة الإسراء لنبيه ﷺ:] ! " # $ % & ' ( ) * , - . / فَظَلَمُواْ بِهَاۚ وَمَا نُرۡسِلُ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّا تَخۡوِيفٗا Z الإسراء: ٥٩

وثانيهما: ما كانوا يستخفون به من شأن نبي الله صالح عليه السلام وذلك في قوله تعالى:] قَالُواْ يَٰصَٰلِحُ قَدۡ كُنتَ فِينَا مَرۡجُوّٗا قَبۡلَ هَٰذَآۖ أَتَنۡهَىٰنَآ أَن نَّعۡبُدَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكّٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ مُرِيبٖ Z هود: ٦٢ وكأنهم يشعرونه بخيبة أملهم فيه، بعد أن كانوا يرونه بمنزلة علية، ولاشك أن هذا مما يحزن نفس المخاطب، وهكذا كانت قريش تقول للنبي ﷺ ، فعندما يعلم نبينا ﷺ أنه مسبوق بهذا الأذى فإنه يخف عليه وقعه، ويكون ذلك بمثابة سلوة له عن الحزن لأجله.

٩- إبراز ملامح التبشير والفرج للنبي ﷺ بما جاء في قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام فإنه بشر وزوجه بإسحاق، ثم بيعقوب من بعد إسحاق، جاء هذا بعد سنين من انقطاع الذرية، ويقال إنها تجاوزت المائة في حق إبراهيم عليه السلام ، وفي ذلك إشارة وتسلية للنبي ﷺ أنه مهما امتدت لحظات الشدة، ففرج الله وبشارته وعد حق محقق ، وفرجه إذا جاء فلا يقدر أحدٌ على وصف عظمه وسعته.

١٠- تطمين قلب النبي ﷺ بما جاء في قصة لوط عليه السلام فقد كانت مظاهر الإحباط ظاهرة في حاله ومقاله ،كما ورد في قوله تعالى:] c d e f g h i j k l m n o p q r s t u v w x y { | } ~ هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخۡزُونِ فِي © أَلَيۡسَ مِنكُمۡ رَجُلٞ رَّشِيدٞ ﴿٧٨﴾ قَالُواْ لَقَدۡ عَلِمۡتَ ´ µ ¶ مِنۡ حَقّٖ وَإِنَّكَ لَتَعۡلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾ قَالَ لَوۡ أَنَّ لِي بِكُمۡ قُوَّةً أَوۡ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكۡنٖ شَدِيدٖ Z هود: ٧٧ - ٨٠

ثم جاءه الفرج ، وطمأنته الملائكة عليهم السلام ، كما في قوله تعالى :] قَالُواْ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيۡكَۖ فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ Z هود: ٨١ وفي هذا تطمين لقلب رسولنا ﷺ بأن الذي حمى لوطاً عليه السلام ونجاه من أولئك

القـــــــــــــوم المجـــــــــــــــرمين، هــــــــــــــو حاميك وناصرك ومنجيك من أذى وكيد قومك.

١١- تعليم النبي ﷺ بأن لا يبالي باستهزاء المشركين به ، وأن هذه اللغة واللهجة متكررة، وهي ديدن أعداء الأنبياء ، وكأن القوم قد تواصوا بها ،كما جاء بيان ذلك في سورة الذاريات في قوله تعالى:] ! " # $ % & ' ( ) (* + , - . / بِهِۦۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ طَاغُونَ Z الذاريات: ٥٢ - ٥٣ ، وقد جاء هذا البيان والتعليم في هذه السورة في قصة نبي الله شعيب عليه السلام إذ كانت لهجة ولغة الاستهزاء ظاهرة بينة في كلام قومه له، تلك اللهجة التي كان يسمع نبينا ﷺ مثلها كثيراً ، كما يعلمه ربه الأسلوب الأمثل و الاقوم للتعامل مع أصحابها من خلال ما قال وفعل هذا النبي الكريم شعيب عليه السلام، قال تعالى:] t u v w x y z { | } ~ نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ © Z هود: ٨٧ ، ثم إنه كذلك ومع كونه فصيحاً بليغاً قالوا له: ((ما نفقه كثيراً مما تقول)). قال تعالى:] D E F G H I J K L M N Z هود: ٩١ ومع هذا كله غلبهم بحلمه، وهدوئه، وتماسكه، إذ لم يبادلهم أسلوبهم- وحاشاه — بل كان رده رد الكريم الحكيم الحليم، عظيم الخلق، قال تعالى:

] قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن ´ µ ¶ ¸ حَسَنٗاۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ Z هود: ٨٨ وفي هذا البيان بلا شك تربية وتعليم وتثبيت لنبينا ﷺ ، بأن لا يبالي بهذه السخرية وتلك اللهجة، ولا يجرنه القوم إلى مجاراتهم في مثل هذا الأسلوب، الذي يتره عنه أنبياء الله ورسله الكرام عليهم السلام.

١٢- الإفادة من قصة موسى عليه السلام في بيان منهج الداعية وثقته بربه ووضوح السبيل الذي يسلكه ، وثقته بمنهج السماء ووحيه، فإنه أعقبها بما له ارتباط واضح بمحور

السورة الكريمة، وذلك في قوله تعالى:] ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / قَبْلُ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ Z هود: ١٠٩ ، فمن تأمل هذا التعقيب وجده عظيم الارتباط بقضية تثبيت قلب النبي ﷺ وتسلية خاطره عما يحزنه.

١٣- الإفادة من قصة موسى الطَيْكِلاً أيضاً في بيان أن اختلاف القوم على النبي ﷺ والقرآن الذي جاء به أمر مكرور، وهو فعل ضُربائهم من الأمم قبلهم وسنَّة من سُننهم، فإن قوم موسى الطَيْكِلاً قد اختلفوا في قبول التوراة، فمن مصدِّق ومكذِّب، كما فعل قومك بالقرآن، وفي هذا البيان تعزية للنبيِّ ﷺ ، قال الله تعالى:] وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا : ; < = ? @ A B C D E G H I J K L M N O P Q R T U V W Z هود: ١١٠ - ١١١.

١٤- بيان أن سنة الله تعالى في اختلاف الأمم في (الدين) كاختلافهم في التكوين ماضية بقدر الله النافذ في خلقه، فهي سنة أرادها الله لحكم بالغة. قال سبحانه:] ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ : ; < = Z هود: ١١٨ – ١١٩.

١٥- تعليم النبي ﷺ لما يقوله لهؤلاء المكابرين المعاندين، ليكون ذلك بمثابة التقرير لهم على مكابرتهم، وإرغاماً لتعاليهم، وتهديداً لنفوسهم، وهو أيضاً تطييب لنفس النبي ﷺ وربط على قلبه ، بأن العاقبة له ، وللحق الذي جاء به ممن له غيب السموات والأرض، ومن مرد الأمر كله إليه. قال تعالى:] R S T U V W X Y Z [\ ] ^ _ ` a b c d e f g h i j l m n o p Z هود: ١٢١ – ١٢٣.

المقصد الثالث: الأمر بالاستقامة على منهج الله وأمره، وهذا يستدعي النهي عن الفساد في الأرض، ويلزم منه الأمر بالصلاح والاصلاح فيها، قال تعالى:] Y Z [\ ] ^ _ ` a b c d e Z هود: ١١٢.

ويظهر هذا المقصد بوجه آخر من خلال الوعيد بأن الظلم والطغيان والركون إلى الظالمين والانحراف عن المنهج القويم عاقبته وخيمة، وأنه يودي بصاحبه إلى المهالك في الدنيا والآخرة، ويعرض صاحبه كذلك لنار الله وعقوبته، ولا يجد للمتصف به ناصراً من دون الله قال تعالى:] g h i j k l m n o p q r s t u v w Z هود: ١١٣.

ويظهر أيضاً من خلال بيان أن من سبيل الاستقامة الأوبة بعد الزلل و أن الله سبحانه شرع لعباده ما يُكفِّر به عن سيئاتهم، وهو فعلهم الحسنات التي تمحو عنهم السيئات قال تعالى:

[y z { | } ~ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ © Z
هود: ١١٤.

ويظهر كذلك في تعليم النبي ﷺ وأتباعه من الدعاة من بعده نموذج وطريقة اختيار أسلوب الدعوة، حسب صفات المدعو، ومراحل ذلك الأمر، فإن السورة الكريمة اعتمدت أسلوب الدعوة بالترهيب؛ بعد الترغيب وإثبات الحجة، وهو العلاج الناجع لكل مكابر معاند للحق ، ذلك ليتعلم أهل الإيمان كيف تكون العزة على الكافرين بالحق الذي معهم، وكيف يغلظ للكافرين والمنافقين، إذا ثبت عدائهم وتعاليهم على الحق البين، ومن أمثلة ذلك قوله:] p q r s u v w x y Z هود: ٢ ، وقوله عز وجل:] وَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ ´ µ ¶ Z هود: ٣ ، كما يظهر هذا المقصد جلياً فيما قصه الله علينا من حال قوم هود عليه السلام إذ قال تعالى:] x y { | } ~ رُسُلَهُۥ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَمۡرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٖ ﴿٥٩﴾ وَأُتۡبِعُواْ فِي © ٱلدُّنۡيَا لَعۡنَةٗ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَآ إِنَّ عَادٗا كَفَرُواْ ´ ¶ ¸ لِّعَادٖ قَوۡمِ هُودٖ Z هود: ٥٩ - ٦٠.

وكــذا خطــاب هــود(عليه السلام) لقومــه بكــل عــزة ونــذارة، والتغلــيظ علــيهم في القول ومبارزتهم باستهجان واستنكار قبيح أفعالهم.

ومن التوجيه إلى هذا المقــصد الجليــل الاعتبــار في قــصة نــوح (عليه السلام) بــأن الكفــر يقطع كل نسب وسبب، فلــم ولــن ينفــع ابــن نــوح ولا زوجــه تلــك القرابــة بهذا الــنبي الكــريم (عليه السلام) ، إذ اختــاروا الكفــر علــى الإيمــان، فاســتحقوا عــذاب وخــزي الــدارين، وكــان مــن اســتقامة نــوح (عليه السلام) اســتعاذته ربــه أن يــسأله ماليس له به علم من طلب نجاة ابن الكافر .

وظهر التوجيه بالاستقامة من خلال بيان أهمية تعلق واعتزاز المؤمن بتوكله على الله، ذلــك التوكل الذي أعلنه هود (عليه السلام) في وجه قومه مع أنه واحدٌ وهم أمة، فهذه رسالة تعليم للنبي ﷺ وأتباعه من الدعاة إلى الله بأن هذا من الاستقامة على أمر الله قال تعالى على لسانه(عليه السلام):

هود: Z O N M L K I H G F E D C A @ ? > = < [٥٦

تلك جملة أهم المقاصد التي تضمنتها هذه السورة المباركة الكريمة، ويبقى ورائهــا مقاصــد ومقاصد أُخر، ستظهر كلما تأمل العباد لهذه السورة، ووقفوا معها وقفة تدبر، فبركة هــذا القرآن لا تنتهي وخيره ليس له حد، زادنا الله به فهماً وبصيرة، والحمد لله رب العالمين.

الباب الثاني

قسم الدراسة التطبيقية ،وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: محور السورة الكريمة ومناسباتها ، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: محور السورة وموضوعها الكلي (تأصيل العقيدة وتثبيت النبي ﷺ).

المبحث الثاني: مناسبة اسم السورة لموضوعاتها.

المبحث الثالث: مناسبة فاتحة السورة لخاتمتها.

الفصل الأول : محور السورة الكريمة ومناسباتها ، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول : محور السورة وموضوعها الكلي (تأصيل العقيدة وتثبيت النبيﷺ).

تبرز في سورة هود خصائص ومقاصد القرآن المكي، فنجد أن السورة الكريمة تتناول موضوعات العقيدة بشكل مباشر وغير مباشر، تعتني بحركة العقيدة في الأرض ، وقصتها في مواجهة الكفر، وكبرياء حاملي لوائه على مدار التاريخ، تثبت مصدر القرآن، تؤكد على التوحيد بأنواعه، تثبت الأسماء والصفات لله جل وعلا، تبين كيف يجب أن يكون أثر تلك الأسماء والصفات على الداعية إلى الله، تبرز بشكل خاص أهمية التوكل على الله الذي له صفات الكمال والجلال، تمثل له من حال ومقال وأفعال أنبياء الله ورسله عليهم السلام، وتوصي النبي ﷺ بالالتجاء إلى ركنه الشديد، تقرر اليوم الآخر بما فيه من أحوال للخلق متفاوتة، تصور مشاهد من تلك الأحوال لزيادة اليقين، وللعظة، وللذكرى، نجد موضوعات السورة العديدة تسير في هذا الإطار العام، وتسير على هذا المسلك.

كما نجد كذلك أن القصص الذى يكون جسم هذه السورة وهيكلها، إنما أتى شاهداً ومثالاً لتصديق وتثبيت الحقائق الاعتقادية التي تستهدفها السورة.

وكأن هذا القصص يمثل استعراضاً لحركة العقيدة الربانية على مدار التاريخ البشري، وما قوبلت به تلك العقيدة الواحدة من صنوف البشر.

هذا القصص الصادق يرسم للنبي ﷺ ،وللدعاة من بعده ،كيف يجب أن يكون منهج الداعية إلى الله في دعوته، كيف يجب أن يكون ظنه وثقته بربه، بماذا يبدأ في دعوته، كيف يرد على المشككين في العقيدة الحق، كيف يسفه أقوالهم وأفعالهم، كيف يتهكم بها بما لا يزل به مقاله ،ولا تطغى به ألفاظه، كيف يكون التوكل على الله، كيف يكون متماسكاً صلباً صابراً أمام

ما يتعرض له من صدمات وأذى ،كيف يظهر لخصومه ثقته بوعد الله، وبأن العاقبة له ولمن آمن معه، كل ذلك وغيره ترسمه هذه القصص من خلال هذه السورة المباركة.

كما أننا نلحظ محوراً وغرضاً آخر لا ينفك عن جميع موضوعات هذه السورة الكريمة، يلازمها ملازمة ظاهرة، كما نجده في ثنايا كل قصة، ألا وهو التسرية عن النبي ﷺ ، وتثبيت فؤاده، وتسليته عما يمر به ويتعرض له من أذى نفسي وجسدي ، فقد نزلت السورة الكريمة -كما أشرت في فصل تاريخ نزولها- في فترة كانت من أحلك وأشد الفترات في تاريخ دعوته ﷺ ، وقد جاء هذا صريحاً في بعض آيها كما في قوله تعالى:] µ ¶ ¸ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ وَضَآئِقُۢ بِهِۦ صَدۡرُكَ أَن يَقُولُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ كَنزٌ أَوۡ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٞۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٌ Z هود: ١٢ فإنه هنا يخبر النبي ﷺ بما يجول في صدره من ضيق بسبب ما يقوله المشركون، أو كراهية أن يقولوا، ثم يعزيه بأنه إنما بعث نذيراً، وقد قام ﷺ بهذه الأمانة فأنذر، والله هو الوكيل على هذا الأمر، فهو الحافظ لنبيه، وهو الشاهد على ما يقوله الكفار لنبيه، والمعنى أنه سيجازيهم بذلك فلا تحزن ولا يضيق صدرك بما يقولون.

وكقوله سبحانه مثبتاً لنبيه ﷺ بأن ما جاء به قد توافرت فيه جميع دلائل الصدق وثبوت الأمر:] h i j k l m n o p q r s t u v w x y z | } ~ مِنَ ٱلۡأَحۡزَابِ فَٱلنَّارُ مَوۡعِدُهُۥۚ فَلَا تَكُ فِي مِرۡيَةٖ © إِنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا ´ Z هود: ١٧ وكما نرى هنا أنه ختم الآية الكريمة بتوجيه نبيه ﷺ بأن لا يدع للشك احتمالاً - وهو ما اتصف به ﷺ فإنه لم يمار ولم يشك قط – إذ أن هذا الكتاب حق، صادرٌ عن الحق تعالى، ولكن العلة في أن أكثر الناس لا يؤمنون فلا تكترث لهم.

وكقوله سبحانه مقارناً بين فريق أهل الإيمان وأهل الكفر:] _ ` a b c d f g h j k Z هود: ٢٤ وفي هذا سلوة وعزاء لرسول الله ﷺ ومن معه أيضاً، إذ يُعلم منه أن من عاداه وخالفه من أهل الكفر كالعمي الصم عند الله، فهم محجوبون عن إبصار وسماع الحق لكفرهم وعنادهم فلا حسرة عليهم.

وكتعليمه سبحانه لنبيه ﷺ بما يرد به على ادعاء القوم وبهتانهم له، إذ يقولون أنه افترى القرآن من عنده قال تعالى:] ﴿ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَىَّ إِجْرَامِى وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴾ Z هود: ٣٥ ولاشك أن الاتهام للحر البريء مؤذ وشديد، وثقيل على النفس، ومحير في الرد، فعلم الله نبيه ﷺ الجواب الشافي والمناسب لهؤلاء الأفاكين.

ومن ذلك إظهار منته سبحانه على نبيه ﷺ، بما كشفه له من أنباء الغيب في قصة أخيه نوح ﷺ ، وأن علمه بتلك الأنباء تؤكد له أن العاقبة لأهل التقوى، وهو إمامهم ﷺ، فما عليك بعد هذا العلم إلا أن تصبر، ليقينك أن العاقبة لك، كما حصل لنوح ﷺ وأهل التقوى الذين كانوا معه، قال تعالى:] e f g h i j l m n o p q r s t v x y z Z هود: ٤٩ .

ومنه أيضاً إخباره ﷺ بخبر هود ﷺ مع قومه إذ تعالوا بباطلهم وقوتهم، فلم يأبه بهم، وتعالى عليهم، وعلى باطلهم، وأظهر اعتزازه بالله، وتوكله عليه، وثقته بنصره فكانت العاقبة له ولمن معه من المؤمنين، ليكون ذلك نبراساً لرسول الله ﷺ، وتثبيتاً لفؤاده بتحقق موعود الله له، وسيأتي تفصيل هذا في مبحث مناسبة اسم السورة لموضوعاتها إن شاء الله.

ومن ذلك إخباره سبحانه لنبيه ﷺ بأن انتقام الله تعالى من قوم لوط ﷺ ليس ببعيد عن كل ظالم، فإن ظلمك قومك واعتدوا عليك فإن انتصار الله لك قريب، واحتمال أخذ هؤلاء بجرمهم وظلمهم ليس ببعيد قال تعالى:] ! " # $ % &

' ( ) * + , - . / رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ

بِبَعِيدٍ Z هود: ٨٢ – ٨٣. لاشك أن مثل هذا الوعيد لأعدائه، يشعر النبي ﷺ بأنه غير مستضعف ،وغير معرض للخطر، بل أعداؤه وشانؤوه هم المهددون بأخذ الله وفجاءة نقمته جزاء ظلمهم، وكفرهم.

ومثيل ذلك قوله تعالى:] ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ : ; < = > ? @ A B C D E F G H I J K L M N O P Q R S T U V W X Y Z [\ ] ^ _ ` a b c d e f g h

i Z هود: ١٠٠ - ١٠٢ فقد بين سبحانه لنبيهﷺ مدى ضعف أعداء الرسل عليهم السلام على مر الأزمان، وانعدام حيلتهم، وافتقار آلهتهم، وتأكد عجزها عن أي نفع لهم لما اسحقوا العذاب والآخذ من الله تعالى، بل إنَّها لم تزدهم غير تخسير.

كما أخبره سبحانه بأن انتقامه جل وعلا من أهل القرى الظالمة أليم وشديد، فهو موجع شديد الإيجاع، وهو جزاء مناسب لعظيم جرمهم، فمهما عظم أذى المشركين وظلمهم لك فإن جزائهم سيكون جزاءً وفاقاً.

ومن ذلك أيضاً وصيته وأمره تعالى لنبيه ﷺ بأن لا يأبه لهؤلاء المشركين، ولا لآلهتهم الباطلة التي يتوارثون ضلال عبادها قال تعالى:] ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / قَبۡلُۚ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمۡ نَصِيبَهُمۡ غَيۡرَ مَنقُوصٍ Z هود: ١٠٩ وفي ختام هذه الآية أيضاً تأكيد للنبي ﷺ بأن كل فعل فعله هؤلاء المشركون من شرك وظلم، فإنهم سيلاقون جزاءه وافياً من العذاب ، فلا تعجل عليهم فإن الله موفيهم نصيبهم في الدنيا من الرزق، ومن جزاء ما فعلوا من خير من غير نقص، لينالوا العقاب في الآخرة وافياً غير منقوص.

ومن تسلية الله لنبيه ﷺ كذلك وربطه على قلبه في هذه السورة الكريمة، وصيته له بالصبر، ووعده وبشارته له بأن أجر إحسانه لا يضيع عنده سبحانه، وتقرير سنته وناموسه الذي قدره، بأن المصلحون أمان الأرض، وفي ذلك يقول تعالى:] وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾ ´ µ ¶ ¸ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتْرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ Z هود: ١١٥ - ١١٧

ومما جاء في هذه السورة تطميناً لقلب النبي ﷺ وتسلية له كذلك، بيانه تعالى لنبيه ﷺ أن من حكمته وقدره أن جعل الاختلاف بين البشر باقٍ ومستمر، وأنه لو شاء أن يجعلهم كلَّهم مسلمين لفعل، فلا تطمع بهدايتهم جميعاً ولا تحزن ولا تأسف، ولا تذهب نفسك حسرات على من لم يهتد بهدى الله، فإنه تعالى قد أوجب على نفسه تحقيق وعده بأن يملأ جهنم بمن يستحقها ممن رفض الحق ، وعاند وكابر ، وذلك قوله تعالى:] ! " # $ % & ' (* + , - . / رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ : ; < = Z هود: ١١٨ -١١٩.

ومن أعظم وأظهر دلائل هذا المقصد المهم، والمحور الجليل لهذه السورة قوله تعالى :] ? @ A B C D E F G H I J K L M N O P Z هود: ١٢٠ فإنه هنا يخبر نبيه ﷺ مباشرة بأن سرد القصص له في هذا الكتاب العزيز، مرة بعد مرة ، إنما هو لتثبيت فؤاده ﷺ ، ((لأن تكاثر الأدلة أثبت للقلب وأرسخ للعلم)) (١)، وأنه أعطاه في هذه السورة المباركة حظاً وافراً من القصص الحق، الذي فيه الموعظة والذكرى لأهل الإيمان، قال الإمام البقاعي: ((فاستدعت الإحالة والتسلية بسط أخبار الأمم السالفة

(١) الكشاف، ٤١٣/٢.

والقرون الماضية ، والإعلام بصبر الرسل - عليهم السلام - عليهم وتلطفهم في دعائهم)) [1].

و من أنواع تثبيت قلب النبي ﷺ وتسليته في هذه السورة أيضاً، تعليم الله تعالى له ﷺ ما يقوله لمخالفيه من المعاندين والمصرين على باطلهم، تهديداً ووعيداً لهم، وتهكماً بهم، وذلك قوله تعالى: [R S T U V W X Y Z [\ ] ^ Z هود: ١٢١ – ١٢٢

كما أن من أعظم شواهد تثبيت قلب رسول الله ﷺ ما ختمت به هذه السورة الجليلة، من إخبار النبي ﷺ بأن غيوب السموات والأرض لله وحده، فتأمل تطييبه سبحانه لخاطر نبيه ﷺ بقوله له: [` a b c d e f g h i j l m n o p Z هود: ١٢٣ وكأنه هنا سبحانه يقول لنبيه ﷺ: ((يا محمد، ملك كل ما غاب عنك في السموات والأرض فلم تطلع و لم تعلمه، و لم تعلمه، كل ذلك بيده وبعلمه، لا يخفى عليه منه شيء، وهو عالم بما يعمله مشركو قومك، وما إليه مصير أمرهم، من إقامة على الشرك، أو إقلاعٍ عنه وتوبة، [d e f g Z يقول: وإلى الله مَعَادُ كل عامل وعمله، وهو مجازٍ جميعَهم بأعمالهم.......فيقضي بينهم بحكمه بالعدل.

[h Z يقول: فاعبد ربك يا محمد [i j Z ، يقول: وفوِّض أمرك إليه، وثق به وبكفايته، فإنه كافي من توكل عليه)) [2]

وهكذا نجد فيما سبق من شواهد وأمثلة، أن هذه السورة الكريمة الجليلة، قد جاءت بمجمل آيها بلسماً لجراح النبي ﷺ ، وتطييباً لنفسه ، وربطاً على قلبه بأنه على الحق، وأن العاقبة

(١) نظم الدرر، ٥/٣.

(٢) تفسير الطبري، ٥٤٤/١٥.

الحسنة له، وأن الله ناصره على من اعتدى عليه، لعلمه الذي لا تخفى عليه خافية، ولعدله الذي ليس فيه ظلم مثقال ذره، ولقدرته التي لا تعجز عن أي أمر.

وهكذا نجد أيضاً من خلال تأمل القصص في هذه السورة أنه قد جاء لخدمة وتحقيق هذا الغرض الأساس، وهو تثبيت قلب رسول الله ﷺ ،وتسليته عما يتعرض إليه من أذى ، وما يخالج نفسه من حزن على حال الدعوة، وهو حقيق بهذا العطاء ﷺ من ربه الحكيم الكريم سبحانه.

المبحث الثاني: مناسبة اسم السورة لموضوعاتها.

ذكرت في مبحث "اسم السورة" أن دواعي تسمية هذ السورة بهذا الاسم أمور عدة، جعلت اسمها هذا مناسب لها أكمل مناسبة ، ولتلك الأسباب أيضاً اختصت هذه السورة الكريمة باسم هذا النبي الكريم عليه السلام، واستحق هود عليه السلام أن تسمى هذه السورة باسمه، والله تعالى أعلى وأعلم.

وعند النظر والتأمل في هذا الاسم الكريم لهذا النبي الكريم هود عليه السلام ، ومناسبة هذا الاسم لموضوعات السورة ومحورها الأساس نجد التالي:

أولاً: يرتبط اسم هود عليه السلام بتأصيل العقيدة الحق، وترسيخها في قلب النبي ﷺ وأتباعه ممن اقتدوا بهدى الأنبياء عليهم السلام، كما أوصى ربنا سبحانه نبيه ﷺ فقال تعالى:] أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ Z الأنعام: ٩٠ ، وذلك من خلال أقوال هود عليه السلام وأفعاله في هذه السورة، فلقد كان عليه السلام مثلاً عظيماً لثقة المؤمن بربه، واعتصامه بحبله، ووضوح السبيل إليه، والعلم بما يرضيه، ويجلب رحمته وبركته، نجد كل هذا من خلال دعوته عليه السلام لقومه إلى توحيد الله تعالى، ووصيته لهم باستغفاره والتوبة والإنابة إليه، وتلك هي أركان السعادة في الدارين، وبها يتحقق المتاع الحسن الذي عرفه لهم، نجد آيات السورة تبدأ بالحثّ على التوحيد والاستِغفار والتوبة وهي من العبادة، وترسيخ الثقة بالله ووعده، كما نُلاحِظ تَماسُك الآيات الثلاث الأُولَى وتقريرها لأمور العقيدة الأم، من الإيمان بالكتاب ومصدره ، وأسماء الله وصفاته ،والتوحيد بأنواعه ،والإيمان بالقدر، والإيمان باليوم الآخر، وهي بمجملها كأنها آية واحدة قال تعالى:] d f g h i j k l m n o p q r s u v w x y z { | { ~ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُمَتِّعۡكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى وَيُؤۡتِ © ذِي فَضۡلٖ فَضۡلَهُۥۖ وَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ ´ µ ¶ Z هود: ١ –٣.

وفي آخرِ السُّورة نجد كذلك الحثُّ على العبادة والتوكُّل على الله، وهو من صميم العبادة

أيضاً، ذلك لأن الأمرَ كلّه بيده يقول تعالى:] ` a b c d e f g h i j l m n o p Z هود: ١٢٣.

وكأن الآيات الأولى مع الآية الأخيرة متصلة بعضها ببعض، ومُتَمِّمة لمعنى مراد، فهي مرتبطة برباط وثيق.

كما نُلاحِظ أن هودًا ﷺ في دعوته لقومه هو الوحيد الذي فَسَّر كلمة المتاع الحسن إذ قال:] وَيَٰقَوۡمِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا وَيَزِدۡكُمۡ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمۡ وَلَا تَتَوَلَّوۡاْ مُجۡرِمِينَ Z هود: ٥٢ ، فأتى على التفصيل بمعنى:] يُمَتِّعۡكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا Z هود: ٣ وأتى بتفصِيل معنى الآية الأخيرة من السورة أيضًا بقوله :] < = > ? @ A C D E F G H I K L M N O Z هود: ٥٦ ،فالتوكُّل على الله لأنه ما من دابَّة إلا هو آخِذ بناصيتها ،والتوكل على الله لأنه:] " # $ % & ' ( ) * + , - . / فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ Z هود: ٦

والتوكل على الله ، لأن الذي بيده إنزال السماء عليهم مدراراً، وبيده إمدادهم بالقوة وزيادتها هو الله سبحانه.

كما نجد بيانه ﷺ للإخلاص لله في العمل في قوله لقومه:] يَٰقَوۡمِ لَآ ´ µ ¶ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِي فَطَرَنِيٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ Z هود: ٥١

نجد هذا المقصد الجليل ظاهراً أيضاً في إظهار عقيدة الولاء والبراء، وذلك في إشهاده ﷺ لله الواحد ببراءته من الشرك، هكذا يعلنها للكفار بكل عزة، وبكل شجاعة، ثم يطلب منهم أن يكيدوه مجتمعين، ولا يمهلوه، وكل هذا يدل على عظيم يقينه وثقته بربه، وحسن اعتقاده وظنه به، قال تعالى عنه:] (* + , - . / مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦۖ فَكِيدُونِي جَمِيعٗا ثُمَّ لَا : Z هود: ٥٤ – ٥٥.

نجد عقيدة الاستسلام لله مالك النواصي في قوله:] C D E F G H I K L M N O Z هود: ٥٦ .

نجد عقيدة المؤمن، العارف بالله، وسننه، الواثق به، المجل لقدره، وأنه المعز لأوليائه، المذل لأعدائه،وذلك في قوله:] Z [ ] \ ] ^ _ ` a b c d e f g Z هود: ٥٧ . فهذه روابط وثيقة تدلنا على مناسبة اسم السورة لهذا المحور الجليل، وهو ترسيخ العقيدة الحق، واليقين بالله، والتوكل عليه، والإخلاص له،والإيمان بأن له صفات الكمال سبحانه وتعالى.

ثانياً: عند التأمل في ارتباط اسم هود (عليه السلام) بمحور تثبيت قلب النبي (صلى الله عليه وسلم) وتسليته والتسرية عنه نجد أن له نصيباً وحظاً وافراً، فقصته (عليه السلام) مع قومه جزء من القصص الذي أخبر الله نبيه (صلى الله عليه وسلم) بأنه قد ساقه إليه لتثبيت فؤاده إذ قال سبحانه:] ? @ A B C D E F G H I J K L M N O P Z هود: ١٢٠ بيد أن قصة هود (عليه السلام) في هذه السورة امتازت بجانب الأنفة على الكافرين، والعزة عليهم، وعدم الاكتراث لتهديدهم، وتحديهم بأن يجمعوا كيدهم أجمعين لا فرداً منهم أو أفراداً، وزيادة تبكيتهم والتقليل من شأنهم بأن لا يمهلوه، وإظهار التوكل على الله والاعتزاز به قولاً وفعلاً ، واليقين بأنه ما من دابة إلا والرب تعالى آخذ بناصيتها، فالأمر كله إليه، والكافرون بجمعهم عاجزون أمام قدرته، وسننه فيهم أن يستخلف غيرهم إن هم تولوا عن الحق، قال تعالى على لسان هود(عليه السلام):] Q R S T U V W X Y Z [\ ] ^ _ ` a b c d e f g Z هود: ٥٧ ،إن هذا التهديد على لسان هود (عليه السلام) مثيل مالقن الله نبينا (صلى الله عليه وسلم) في ختام السورة إن لم يكن مطابقاً له، ليعلمه سبحانه كيف يرد على هؤلاء الذين عاندوا وكابروا وآذوه حتى ضاق صدره بمقالهم إذ قال تعالى له:] R S T U V W X Y Z [\ ] ^ Z هود: ١٢١ - ١٢٢

إن نهي النبي (صلى الله عليه وسلم) وأتباعه عن الركون للذين ظلموا في هذه السورة في قوله تعالى:] g h i j k l m n o p q r s t u v w Z هود: ١١٣، وتحذيره (صلى الله عليه وسلم) من ترك إبلاغ المشركين لبعض ما أوحي إليه، خشية مقالاتهم، أو خشية فعلهم في قوله تعالى:] µ ¶ ¸ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ وَضَآئِقُۢ بِهِۦ صَدۡرُكَ أَن يَقُولُواْ

لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ كَنزٌ أَوۡ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٌ Z هود: ١٢ كل ذلك مثال تطبيقه في هذه القصص في قول هود الطَّيْلاً وفعله إذ لم يداهن لقومه في القول ،و لم يتحرج أو يتردد في تسفيههم وآلهتهم ، وتقريعهم، ومبارزتهم العداء مع ما بلغوه من القوة التي لم يبلغها أحد من العباد فتأمل قوله:] إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا مُفۡتَرُونَ Z هود: ٥٠ وقوله:] أَفَلَا تَعۡقِلُونَ Z هود: ٥١ وقوله:] وَلَا تَتَوَلَّوۡاْ مُجۡرِمِينَ Z هود: ٥٢ وقوله:] * + , - . / مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦۖ فَكِيدُونِي جَمِيعٗا ثُمَّ لَا : Z هود: ٥٤ - ٥٥ وقوله:] Q R S T U V W X Z [\ ] ^ _ ` b c d e f g Z هود: ٥٧ كلها رسائل عزة، وأنفة، ولا مبالة، دلائل واضحة بعدم اكتراثه الطَّيْلاً بهؤلاء الكفار.

ثم ساق سبحانه في ختام هذه القصة لنبيه ﷺ بياناً بأن عاداً وهم من هم في قوتهم، لما جحدوا أمر رهم، صاروا هم البعداء، الأذلاء ، و لم يكن لهم حيلة أمام عذاب الله فكيف بقومك؟ قال تعالى:] x y { | } ~ رُسُلَهُۥ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَمۡرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٖ ﴿٥٩﴾ وَأُتۡبِعُواْ فِي © ٱلدُّنۡيَا لَعۡنَةٗ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَآ إِنَّ عَادٗا كَفَرُواْ ´ ¶ لِّعَادٖ قَوۡمِ هُودٖ Z هود: ٥٩ - ٦٠

ولقد جاء أيضاً في ثنايا حديث هود الطَّيْلاً لقومه تأكيده بأن أجره لن يضيع عند الله تعالى وأنه لا يطلب أجراً منهم ، لا يطلبه إلا من الله، قال تعالى حكاية عنه:] يَٰقَوۡمِ لَآ ´ µ ¶ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِي فَطَرَنِيٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ Z هود: ٥١.

وهذا المعنى الجليل الجميل، جاء عزاء من الله تعالى لنبيه ﷺ ، ليسعد به قلبه، ويثبت به فؤاده، إذ قال له تعالى:] وَٱصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ Z هود: ١١٥ فكما أن أجر أخيك هود الطَّيْلاً ،الذي وثق بربه ، وكان محسناً، لن يضيع عند الله، فلن يضيع أجرك عنده سبحانه.

وهذه الجوانب في الحقيقة عند التأمل، أعظم ما كان يحتاجه النبي ﷺ ليثبت فؤاده، وتسلوا نفسه عن الضيق الذي أصابها بسبب أذى القوم له، مع حرصه على هدايتهم، وشفقته بهم، وهمه وحسرته ﷺ لهذا الامر ، ليوقن ﷺ أن العاقبة له كما كانت لهودالطَّيْلاً.

ثالثاً: كما أننا نجد هذه الجوانب في قصة هود عليه السلام مع قومه بجملتها وتفاصيلها جاءت لترسم للنبي ﷺ وأتباعه من الدعاة إلى الله منهج دعوتهم، فتعلمهم بم يبدؤون في دعوتهم وبم ينتهون، ماذا يقولون وكيف يجادلون، ما هو سر نجاحهم ونجاتهم، جاءت لتؤكد للنبي ﷺ أن مولاه مطلع على ما يلقاه من أذى من قومه في هذه الدعوة، وأن هذا الأمر من سنته في الأرض، وأنه منتصرٌ له، وأن له من إخوته الأنبياء عليهم السلام سلفاً ومثلاً في هذا، وليسموا ﷺ بإيمانه وثقته بربه من أن يزل فيُدهِنَ للذين كفروا، أو يركن للذين ظلموا، فيستجيب لمطالبهم، أو يترك شيئاً من البلاغ لإرضائهم، بل فليكن كما كان أخوه هود عليه السلام بتجرده وإخلاصه لله وحده، بعزته وكبريائه على الكافرين، بيقينه بموعود الله، كل هذه الجوانب تظهر لنا الصلة الوثيقة بين اسم هذه السورة المباركة الكريمة وبين محورها الأساس، وهو تثبيت قلب النبي ﷺ ،وتسليته، والتسرية عنه، وإثبات جوانب العقيدة التي كانت عناية القرآن المكي، ورسم منهج الداعية إلى الله تعالى، والله أعلم.

المبحث الثالث: مناسبة فاتحة السورة لخاتمتها.

ذكرت في مبحث اسم السورة قول الإمام الشاطبيُّ رحمه الله في "الموافقات": ((فلا مَحِيص للمُتَفهِّم عن ردِّ آخر الكلام على أوَّلِه، وأوَّله على آخرِه، وإذ ذاك يَحصُل مَقصُود الشَّارِع في فهْم المكلف، فإن فرَّق النظر في أجزائه، فلا يتوصَّل به إلى مُرادِه، فلا يصحُّ الاقتِصار في النظر على بعض أجزاء الكلام دون بعض)) (١).

وقول الإمام الزركشي رحمه الله كلامًا يُفهَم منه أن القصْد من السورة أو المَسَاق يقع على الآيَة الأولى وما يَتعلَّق منها، ثم قال: ((بل يَكفِي التعلُّق على أيِّ وجه كان)) (٢).

وعند جمع قول الإمامين الزركشي مع الشاطبي بالنَّظَر والتأمل في أوَّل سورة هود وتعلقه بآخرها، سنجد الآتي:

أولاً : نجد أن السورة الكريمة تبدأ ببيان إحكام الكتاب وتفصيله على أكمل صفة، إذ أنه صادر من لدن حكيم خبير ،ثم أتبع ذلك بالحثِّ على عبادة الله وحده، والاستغفار والتوبة، وترسيخ الثقة بالله ووعده، ونُلاحِظ تَماسُك الآيات الثلاث الأُولَى وكأنها آية واحدة قال تعالى:] d f g h i j k l m n o p q r s u v w x y z { | } ~ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُمَتِّعۡكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى وَيُؤۡتِ © ذِي فَضۡلٖ فَضۡلَهُۥۖ وَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ ´ µ ¶ Z هود: ١ – ٣.

ثم في آخرِ السُّورة نجد كذلك الحثُّ على العبادة والتوكُّل على الله سبحانه وتعالى، لأن الأمرَ كلَّه بيده:] ` a b c d e f g h i j l m n o p Z هود: ١٢٣.

وكأن الآيات الأولى مع الآية الأخيرة يكمل بعضها البعض، نجدها بمجملها مُتَمِّمة لمعنى عظيم مراد، فهي مرتبطة برباط وثيق، فإن الذي أحكم الآيات أكمل إحكام، وفصلها أجمل تفصيل، هو الرب الحكيم الذي له غيب السموات والأرض فلا تخفى عليه خافية، وهو

---

(١) الموافقات،٤/٢٦٦

(٢) البرهان ١/٤٩.

الذي إليه يرجع الأمر كله، صفات الكمال هذه جعلت كتابه سبحانه محكم الآيات، فمن ذا الذي يستطيع أن يحكم كل كلامه ثم يفصله بأجل وأدق تفصيل مع غياب أكثر الأمور عنه؟! لا أحد يملك ذلك إلا عالم الغيب وحده سبحانه، وبذلك نجد القرآن يخبرنا بآيات محكمات ليس فيها احتمالات ولا تأويل عن الغيب الماضي و الغيب الحاضر والغيب المستقبل، يخبرنا بالحكم القاطع عن بواطن النفوس، وعن أفكار العقول، وعن أحوال القلوب، سواء عن المؤمنين أو المنافقين أو الكافرين، يخبرنا عن مصير أهل التقوى من أتباع الأنبياء وعن مصير أعدائهم من المكابرين المعاندين.

ثانياً: نلاحظ مناسبة الآية الأولى من السورة أي قوله:] d f g h i j k l m n Z هود: ١ لقوله في خواتيم السورة:] ? @ A B C D E F G H J K L M N O P Z هود: ١٢٠.

فإنه تعالى قص على نبيه ﷺ تلك القصص في الكتاب الذي أحكمت آياته، ثم إنه فصَّل ما جاء فيه، وما جاء فيه هو الحق، والموعظة، والذكرى، فهذا تفصيل لما جاء فيه.

ثم إنَّ الذي يختار من القصص ما يثبت به فؤاد نبيه ﷺ إنما هو الرب الحكيم الخبير.

والذي يأتي بالحق والموعظة والذكرى إنما هو حكيم خبير.

وبهذا يظهر لنا جانب من جوانب التناسق اللطيف والبديع بين مفتتح السورة وخاتمتها بأجمل ترتيب وأكمل اختيار للألفاظ.

ثالثاً: نجد تعلق قوله تعالى في أول السورة:] أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُواْ مِنْهُۚ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ Z هود: ٥ وقوله تعالى:] E F G H I J K L M N O P Q R S Z هود: ٧ وقوله تعالى:] µ ¶ ¸ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَضَآئِقُۢ بِهِۦ صَدْرُكَ أَن يَقُولُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ Z هود: ١٢ وقوله تعالى:] ! " # Z هود: ١٣ بقوله سبحانه في ختامها:

] وَٱصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ Z هود: ١١٥ فإنه سبحان يوصي نبيه ﷺ في ختام السورة بالصبر على هذه الأفعال وتلك الأقوال، التي ذكر في أولها ، ويخبره بأن صبره لن يضيع عنده، ولاشك أن ذلك من أعظم ما يربط على قلب النبي ﷺ ، ومما يربط على قلبه كذلك، ويعزيه ﷺ، إخباره وبشارته بقوله تعالى:] وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ بِظُلۡمٍ وَأَهۡلُهَا مُصۡلِحُونَ Z هود: ١١٧ وكأنه يخبر نبيه ﷺ بأن أقوالهم وفعالهم تلك والتي لا تغيب عن علم الله وبها يستحقون العذاب، قد يمهلون ليتوبوا ويقلعوا عنها، وذلك لوجود المصلحين فيهم، وهذا مما يدفع النبي ﷺ لزيادة الحرص على صلاحهم وهدايتهم، وإتمام البلاغ لهم والله أعلم.

رابعاً: نجد أيضاً تعلق قوله تعالى في أول السورة:] أَلَآ إِنَّهُمۡ يَثۡنُونَ صُدُورَهُمۡ لِيَسۡتَخۡفُواْ مِنۡهُۚ أَلَا حِينَ يَسۡتَغۡشُونَ ثِيَابَهُمۡ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ Z هود: ٥ وقوله تعالى: [E F G H I J K L M N O P Q R S Z هود: ٧ وقوله تعالى:] µ ¶ ¸ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ وَضَآئِقُۢ بِهِۦ صَدۡرُكَ أَن يَقُولُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ كَنزٌ أَوۡ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٞۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٌ Z هود: ١٢ وقوله تعالى:] ! " # Z هود: ١٣.

بقوله سبحانه في ختامها:] ? @ A B C D E F G H I J K L M N O P Z هود: ١٢٠ فإنه تعالى يخبر نبيه ﷺ بأن ما يمر به ويعانيه من قومه، إنما هو سنن إخوته من الأنبياء عليهم السلام، وذلك ليثبت فؤاده، وتهون عليه مصيبته في قومه ولا يأبه بمقالاتهم ، ولا يخف في ربه لومهم، وليكن له من فعل إخوته الأنبياء هدى ونبراساً. قال الإمام البقاعي: ((قوله :] E F Z أي تثبيتاً عظيماً] G H Z أي فيسكن في موضعه ويطمئن، أو يزداد يقينه فلا يضيق الصدر من قولهم:] لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ كَنزٌ أَوۡ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌ Z هود: ١٢ ونحوه ، وبهذا تبين أن المراد بذلك العام خاص لحصوله المقصود له ، وهو التسلية نظراً إلى قوله تعالى :] وَضَآئِقُۢ بِهِۦ صَدۡرُكَ Z هود: ١٢ لأن المشاركة

في الأمور الصعبة تهون على الإنسان ما يلقى من الأذى ، والإعلام بعقوبات المكذبين فيها تأنيس للمكروب ؛ والتثبيت : تمكين إقامة الشيء)) [(١)].

خامساً: نجد تعلق قوله سبحانه في أول السورة:] أَلَآ إِنَّهُمۡ يَثۡنُونَ صُدُورَهُمۡ لِيَسۡتَخۡفُواْ مِنۡهُۚ Z هود: ٥ بقوله تعالى أيضاً:] R S T U V W X Y Z [\ ] ^ Z هود: ١٢١ - ١٢٢ فلئن اختار الذين لا يؤمنون أن يثنوا صدورهم ليستخفوا من النبي ﷺ إذ كانوا إذا سمعوا منه القرآن حنَوا صدورهم ، ونكسوا رؤوسهم ، وتغشوا ثيابهم ليبعد عنهم صوت رسول الله ﷺ ولا يدخل أسماعهم شيء من القرآن[(٢)] فقل لهم اعملوا ما أنتم عاملون من هذه الأعمال فستعلمون عاقبة أمركم وَانْتَظِرُوا ما يِعدكم الشيطان إِنَّا مُنْتَظِرُونَ ما يِعدنا ربنا، فستجدون جزاء أفعالكم تلك.

سادساً: أن من جميل مناسبة مفتتح السورة لخاتمتها كذلك مناسبة قوله تعالى في مفتتح السورة] p q r s u v w x y Z هود: ٢ قوله في خاتمتها:] h i j l m n o p Z هود: ١٢٣.

فإنه ناسب تبليغه لعباد الله في أول السورة بألا يعبدوا إلا الله أن يؤمر هو أيضاً بعبادة ربه بقوله:] h i j Z فكلاهما مأمور بالعبادة المبلِّغ والمبلَّغ.

سابعاً: أنه قال في أول سورة هود:] وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِى : ; < = > ? Z هود: ٧ ثم بيَّن الحكمة والعلة الغائية من ذلك فقال سبحانه:] @ A B C Z ولم يقل: أيكم أكثر عملاً ، ثم بيَّن فرار الذين كفروا من هذا الابتلاء الذي نهايته جزاؤهم على عملهم، واستنكارهم للبعث خوفاً من تبعاته فقال:] E F G H I J K L M N O P Q R S Z ، وللآية الكريمة مثيلات كما في أول سورة الملك، و أول سورة الكهف، ونرى أن

(١) نظم الدرر ٣/٥٩١.

(٢)ينظر زاد المسير:٣/٣٢٠، التفسير الكبير:٨/٣٦٨.

تصريحه ـــ جلّ وعلا ـــ في هذه الآية المذكورة ومثيلاتها بأن حكمة خلقه للخلق هي ابتلاؤهم أيهم أحسن عملاً يفسر قوله:] C D E F G H Z الذاريات: ٥٦ ، وخير ما يفسر به القرآن القرآن، وهي في أول هذه السورة مرتبطة بمعنًى مهم في خاتمتها يمثل :] G H Z وهو قوله:] وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْۗ Z هود: ١١٩ ، ساق هذه الجملة في قوله تعالى:] ! " # $ % & ' (* + , - . / رَبُّكَۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ : ; < = Z هود: ١١٨ - ١١٩ وبالجمع بين الآيات يظهر لنا أنه تعالى خلقهم ليعبدوه ، وليختبرهم أيهم أحسن في هذا العمل ، ولذا خلقهم مختلفين لتظهر وتتحقق الحكمة من هذا الابتلاء ، ولتتم كلمت ربك بملء جهنم ممن أساء في عمله، فإنه لو خلقهم متساوون في إيمانهم وهو قادرٌ على ذلك، لما ظهر أيهم أحسن عملاً.

ثامناً: أن الإمام الرازي ذكر عند قوله تعالى في أوّل سورة هود:] U V W X Y Z [Z هود: ٨

أن مِنَ النَّظْمِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّ لِلْإِنْسَانِ أَيَّامًا ثَلَاثَةً: الْأَمْسُ وَالْبَحْثُ عَنْهُ يُسَمَّى بِمَعْرِفَةِ الْمَبْدَأِ وَالْيَوْمُ الْحَاضِرُ، وَالْبَحْثُ عَنْهُ يُسَمَّى بِعِلْمِ الْوَسَطِ، وَالْغَدُ وَالْبَحْثُ عَنْهُ يُسَمَّى بِعِلْمِ الْمَعَادِ وَالْقُرْآنُ مُشْتَمِلٌ عَلَى رِعَايَةِ هَذِهِ الْمَرَاتِبِ الثَّلَاثَةِ.

وارتباط هذا المعنى بآخر السورة الكريمة جاء في قوله تعالى:] ` a b c d e f g h i j l m n o p Z هود: ١٢٣

((وَذَلِكَ إِشَارَةٌ إِلَى مَعْرِفَةِ الْمَبْدَأِ وَلَمَّا كَانَتِ الْكَمَالَاتُ الْحَقِيقِيَّةُ لَيْسَتْ إِلَّا الْعِلْمَ وَالْقُدْرَةَ، لَا جَرَمَ ذَكَرَهَا فِي هَذِهِ الْآيَةِ، وَقَوْلُهُ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّماوات وَالْأَرْضِ إِشَارَةٌ إِلَى كَمَالِ الْعِلْمِ، وَقَوْلُهُ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ إِشَارَةٌ إِلَى كَمَالِ الْقُدْرَةِ، فَهَذَا هُوَ الْإِشَارَةُ إِلَى عِلْمِ الْمَبْدَأِ، وَأَمَّا عِلْمُ الْوَسَطِ وَهُوَ عِلْمُ مَا يَجِبُ الْيَوْمَ أَنْ يَشْتَغِلَ بِهِ، فَلَهُ أَيْضًا مَرْتَبَتَانِ: الْبِدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ أَمَّا الْبِدَايَةُ فَالِاشْتِغَالُ بِالْعُبُودِيَّةِ، وَأَمَّا النِّهَايَةُ فَقَطْعُ النَّظَرِ عَنِ الْأَسْبَابِ، وَتَفْوِيضُ الْأُمُورِ كُلِّهَا إِلَى مُسَبِّبِ الْأَسْبَابِ، وَذَلِكَ هُوَ الْمُسَمَّى بِالتَّوَكُّلِ، فَذَكَرَ هَذَيْنِ الْمَقَامَيْنِ، فَقَالَ:] h

i j Z وَأَمَّا عِلْمُ الْمَعَادِ فَهُوَ قَوْلُهُ:] l m n o p Z أَيْ فَيَوْمُكَ غَدًا سَيَصِلُ فِيهِ نَتَائِجُ أَعْمَالِكَ إِلَيْكَ، فَقَدِ اشْتَمَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ عَلَى كَمَالِ مَا يَبْحَثُ عَنْهُ فِي هَذِهِ الْمَرَاتِبِ الثَّلَاثَةِ)) (١).

تاسعاً: ومن المناسبة بين أول السورة وآخرها أنه أنذرهم في أولها بقوله:] p q r s u v w x y Z هود: ٢

وقال لهم في آخرها :] V W X Y Z [\ ] ^ Z هود: ١٢١ - ١٢٢

فمن لم ينتفع بنصح الناصح ونذارة النذير فليعمل على مكانته ولينتظر وعيد الله له.

عاشراً: نجد مناسبة وارتباطاً ظاهراً بين قوله تعالى:] u v w x y Z هود: ٢ في أول السورة، وبين قوله تعالى:] وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ : ; < = Z هود: ١١٩

فإن من نذارته ﷺ للقوم، إخبارهم بوعد وكلمت ربه التي هي الصدق والعدل، وهي ملء جهنم من الجنة والناس أجمعين.

ومن بشارته ما جاء في ختامها أيضاً من البلاغ لهم بعدم ضياع أجر المحسنين، والوعد بعدم هلاك القرى وأهلها مصلحون، وحصول الرحمة للمصطفين من عباد الله، وبالذكرى والموعظة التي تخص المؤمنين على ما اشار إليه سبحانه.

الحادي عشر: أنه قارن ومثل سبحانه للفريقين في أول السورة من أهل الكفر والإيمان بقوله:] ¶ ¸ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَـٰدُ هَـٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٨﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ كَـٰفِرُونَ ﴿١٩﴾ ! " # $ % & ' ( ) * + , - . يُضَـٰعَفُ لَهُمُ ٱلْعَذَابُ ۚ مَا كَانُوا۟ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُوا۟ : ;

(١) تفسري الرازي ١١٢/٧.

K J I H G F E D C B A @ ? > = <

W V U T S R Q P O N M L

f d c b a ` _] \ [Z X

Z k j h g هود: ١٨ - ٢٤

ثم ذكر في آخرها مصير الفريقين بقوله تعالى:] فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ ´ µ ¶ ¸ زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۖ عَطَآءً غَيْرَ à Z

هود: ١٠٦ – ١٠٨ وكأن الآيات متممات لبعضها البعض وليس بينها ذلك الفاصل الطويل من السورة الكريمة.

ثم أنه أتبع ذلك أيضاً ببيان أن تأجيل جزاء الفريقين ليوم القيامة إنما هو بحكمة أرادها سبحانه ،وأنه سيجازي كل فريق بعمله فقال سبحانه:] ? @ A B C D

W V U T R Q P O N M L K J I H G E

Z هود: ١١٠ – ١١١ وهو معنى مناسب للجواب عن سؤال يتبادر إلى النفس عند قراءة أول السورة وهو: لم لا يعجل الله بعقوبة الفريق الظالم على ظلمه؟! فيأتي الجواب في آخرها ببيان حكمته وقدره على ما ذكر سبحانه.

الثاني عشر: أن الله سبحانه ذكَّر نبيه ﷺ في أول السورة بقوله:] µ ¶ ¸ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ صَدْرُكَ أَن يَقُولُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ Z هود: ١٢

ثم إنه في آخرها أمره بالاستقامة كما أمره، ولا شك أن من الاستقامة على أمر الله إبلاغ جميع ما كلف بإبلاغه، كما أوصاه بالصبر على ما يلقى من أذى في سبيل إبلاغ ما أمر به وفي سبيل نذارة القوم. وذلك قوله سبحانه:] Y Z [\ ] ^ _ ` b

c d e Z هود: ١١٢وقوله سبحانه:] وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ Z هود:

١١٥ قال الإمام البقاعي: ((وفي تعقيب هذه الآية لآية الصبر إشارة إلى قوله تعالى إنما أنت نذير)) (١).

وقال في موضع آخر: ((ولما كان من المقطوع به أن الآمر له ﷺ مِن مَن له الأمر كله ، بني للمفعول قوله :] Z] Z أي كما استقام إخوانك من الأنبياء في جميع الأصول والفروع، سواء كان في نفسك، أو في تبليغ غيرك، معتدلاً بين الإفراط والتفريط، ولا يضيق صدرك من استهزائهم وتعنتهم، واقتراحهم للآيات، وإرادهم أن تترك بعض ما يوحى إليك، من التشنيع عليهم، والعيب لدينهم، بل صارحهم بالأمر، واتركهم وأهواءهم ، نحن ندبر الأمر كما نريد، على حسب ما نعلم)) (٢).

الثالث عشر: نجد تعلق قوله سبحانه في أول السورة:] µ ¶ ¸ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ وَضَآئِقُۢ بِهِۦ صَدۡرُكَ أَن يَقُولُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ كَنزٌ أَوۡ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٌ Z هود: ١٢

بقوله سبحانه في آخرها:] ´ µ ¶ ¸ مِن قَبۡلِكُمۡ أُوْلُواْ بَقِيَّةٖ يَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡفَسَادِ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّنۡ أَنجَيۡنَا مِنۡهُمۡ Z هود: ١١٦ ومعنى أولوا بقية: أي أولو فضل وخير(٣)، ونبينا ﷺ هو خير نذير بقي.

قال الإمام الزمخشري : ((لأن الرجل يستبقي مما يخرجه أجوده وافضله ، ويقال : فلان من بقية قوم ، اي من خيارهم)) (٤). فالله يخبر نبيه ﷺ في أول السورة بأن مهمته على الحصر إنما هي النذارة، ثم يحثه في آخرها للقيام بحقها من طريق الثناء على أهل الفضل والخير عبر القرون، وهم الذين ينهون عن الفساد في الأرض، وهي شعبة من النذارة، وتقرير أن النجاة والعاقبة قد حصلت لهم، وقد كان ﷺخير نذير، وخير بقية، فذلك مما يزيد من حرصه ﷺ على القيام بما قام به سلفه من أولي الفضل والخير.

---

(١) نظم الدرر٣/٥٨٩.

(٢) نظم الدرر٣/٥٨٤.

(٣) ينظر:الكشاف٢/٤١١.

(٤) المصدر السابق.

الرابع عشر: تعلق مفتتح السورة الكريمة في قوله تعالى: [f g h i j k l m n Z هود: ١ . بعدة آيات في ختامها جاءت وغيرها شواهد على ذلك الإحكام والتفصيل، فمن الإحكام أن يبين فيه سننه وقدره في اختلاف الخلق، وتأجيل جزائهم ليوم المعاد، ومن الإحكام فيه أن يأمر نبييه ﷺ فيه بالاستقامة، و يقص عليه فيه القصص الحق، ومن الإحكام فيه تقرير أن الركون إلى الذين ظلموا يعرض صاحبه للنار، وتقرير أن من سننه تعالى أن لا يهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون، ومن الإحكام فيه بيان أن الخلق لايزالون مختلفين إلا من رحم سبحانه، ومن الإحكام فيه أنه بين أن لله غيب السماوات والأرض وإليه مرجع الأمر كله.

قال الإمام البقاعي: ((وأغرق في النفي فقال : [l m n o p Z هود: ١٢٣ ولا تهديد أبلغ من العلم ، وهذا بعينه مضمون قوله تعالى: [f g h i j k l m n Z هود: ١))[١].

ومن خلال ما سبق يتبين لنا هذا الرباط الوثيق، والتناسق اللطيف ،والتعلق الوشيج بين مفتتح السورة الكريمة وبين خاتمتها، ولا غرابة في ذلك فهو كلام العليم الخبير الذي لا تخفى عليه خافيه.

---

(١) نظم الدرر: ٥٩٣/٣.

الباب الثاني

قسم الدراسة التطبيقية :

الفصل الثاني :

موضوعات السورة الكريمة و تناسقها.

موضوعات السورة الكريمة وتناسقها.[1]

سورة هود سورة مكية حملت في ثنايها جل صفات القرآن المكي، فقد اعتنت بأصول العقيدة الإسلامية (التوحيد ، الرسالة، البعث والجزاء) ، وتحدت بالقرآن الكريم أرباب اللغة، وأثبتت أنه إنما نزل بعلم الله تعالى، وتحدثت عن الدعوة إلى الله والصبر على البلاء، والمقارنة بين المؤمنين والكافرين ، وتحدثت عن جوانب شتى من قصص الأنبياء فذكر فيها قصة نوح ، وهود ، وصالح ، ولوط ، وشعيب ، وموسى ، وهارون عليهم السلام ، وختمت ببيان الحكمة من ذكر قصص المرسلين .

والمتأمل في آيات هذه السورة الكريمة، يجد أنها تضمنت العديد من الموضوعات الجليلة التي تدل على شرفها، وعظيم مكانتها، وأثرها، كما يظهر جلياً التناسق، والارتباط الوثيق بين تلك الموضوعات ، والتفافها حول محور السورة الكريمة ومقاصدها العظيمة، من تثبيت قلب رسول الله ﷺ، وأمره بالاستقامة في قوله تعالى:] Y Z [\ ] ^ _ ` b c d e Z هود: ١١٢. وقد اجتهدت في جمع ما فتح به الله تعالى لبيان تلك الموضوعات وإبراز التناسق الجليل بينها وجعلتها على الترتيب الآتي:

أولاً: بيان شرف القرآن العظيم: فإن سورة هود عليه السلام افتتحت بوصف القرآن الكريم بـــ (الإحكام) و(التفصيل) وذلك قوله تعالى:] d f g h i j k l m n Z هود: ١ .، وهذا يقتضي وضع كل شيء في مكانه الأنسب ، وإنفاذه على الوجه الأفضل والاحكم، وبيان شرف مصدره وهو الرب الحكيم الخبير، وهذا الموضوع مرتبط أيما ارتباط بمقصد تثبيت النبي ﷺ الذي جاء في قوله تعالى:] µ ¶ ¸ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَضَآئِقُۢ بِهِۦ صَدْرُكَ أَن يَقُولُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ Z هود: ١٢ وقوله سبحانه:] ? @ A B C D E F G H

(١) أفدت في هذا المبحث المبارك من جمع من كتب التفسير، ومنها تفسير المراغي ١٢/١٠٥ ،التحرير والتنوير١١/٣١١-٣١٣، وغيرهما.

J K L M N O P Z هود: ١٢٠. وأمره بالاستقامة على منهج الله تعالى، فإن الكتاب المحكم المفصل من لدن الرب الحكيم الخبير هو مصدر الأمان الذي لاريب فيه ولا شك ، فاتباعه والدعوة إليه شرف والاستقامة على أمره نجاة .

ثانياً: بيان أصول عقيدة الإسلام: وذلك من خلال ما اشتملت عليه هذه السورة الكريمة من الدعوة إلى توحيد الألوهية فهو أول ما دعا إليه نبينا ﷺ ودعا إليه كل إخوته من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وهو عبادته تعالى وحده وعدم عبادة أحد معه سبحانه كما قال تعالى:] p q r s t u v w x y Z هود: ٢ ، فعبادة غيره من المعبودات باطل وضلال، إذ جميع ما عدا الله هو عبد وملك له لا يتوجّه بالعبادة إليه، وارتباط هذا الموضوع بسالفه في أمرين أولاً: تحقيق مقاصد السورة والالتفاف حول محورها فلاريب أن التوحيد سبيل الأمان والنجاة وبهذا يستبشر ويطمئن النبي ﷺ أنه على الحق الذي سار عليه أسلافه من الرسل، فلا يضيره إشراك المشركين أو كيدهم به، كما أن التوحيد الخالص أعظم مطالب الاستقامة التي أمر بها ﷺ.

ثانياً: أن من كمال إحكام هذا الكتاب وتفصيله، ابتداؤه بالأمر بالدعوة إلى توحيد الخالق العظيم التي بها نجاة العبد قال تعالى:] r s t u v w x y z { | } ~ ﮯ

وَمَن يُشْرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا Z النساء: ٤٨

ثم إثبات توحيد الربوبية، وهو اعتقاد أن الله وحده هو الخالق المدبر لهذا الكون والمتصرف فيه على مقتضى حكمته، وكمال سنته، وتسخيره الأسباب لمن شاء بما شاء، ولإثبات هذا النوع الجليل، جاء البيان في هذه السورة الكريمة بعناية الخالق العظيم بكل دابة في الأرض، وذلك في قوله تعالى:] " # $ % & ' ( ) * + , - . / فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ Z هود: ٦

و قدرته على كل شيء من البعث وغيره، وهذا يقتضي العلم بكل معلوم، ويلزم منه تفرده سبحانه بالمُلك، وفيه زيادة طمأنينة بعناية الله بنبيه فكل ما يدور في مكة من كيد له ولأصحابه، وما يعانيه من هم لا يخفى على الله تعالى، فالذي دبّر شؤون المخلوقات الصغيرة

والدواب الضعيفة، لن يترك خيرة الرسل وصفوة الخلقﷺ وأتباعه وهم يبلغون رسالات الله وينصرون دينه.

كما اعتنت السورة بتقرير البعث، والجزاء، وإثبات نبوة نبينا محمد ﷺ، وذكر هذا الجانب الجليل متناسق مرتبط بإحكام هذا الكتاب من حيث عنايته بأسباب الفلاح هذه، وهذا مما يزيد من عظمة مكانته عند رسول الله ﷺ فيزيد بذلك وثوقاً وتعلقاً به غير مبالٍ بما يواجهه من أذى في سبيل تبليغ رسالة ربه ومولاه، فيثبت فؤاده وتستقر نفسه، ويسرى عنه كما أراد ربه به سبحانه بإنزال هذه السورة عليه.

ثالثاً: بيان فضل الأوبة إلى الله والإنابة إليه بالاستغفار والتوبة: هذا الأمر الذي فيه اعتراف بفضله جل وعلا، وهو سبب المتاع الحسن في الدنيا، وزيادة القوة والتمكين في الأرض، وذلك قوله تعالى:] } | { ~ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُمَتِّعۡكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى وَيُؤۡتِ © ذِي فَضۡلٖ فَضۡلَهُۥۖ Z هود: ٣، ومدار هذا الفعل الاستقامة على أمر الله الذي هو من مقاصد السورة الرئيسة، وهو مرتبط بمحورها الرئيس وهو تثبيت قلب رسول الله والتسرية عنه، فإنه علم من هذا ﷺ أنه بإقباله على ربه واستغفاره له ضمن لنفسه المتاع الحسن في الدنيا ، وتحقيق فضل الله عليه.

رابعاً: تعليم النبي ﷺ وأتباعه من الدعاة من بعده نموذج وطريقة اختيار أسلوب الدعوة: وذلك بحسب صفات المدعو، ومراحل ذلك الأمر، فإن السورة الكريمة اعتمدت أسلوب الدعوة بالترهيب؛ بعد الترغيب وإثبات الحجة، وهو العلاج الناجع لكل مكابر معاند للحق ، ذلك ليتعلم أهل الإيمان كيف تكون العزة على الكافرين بالحق الذي معهم، وكيف يغلظ للكافرين والمنافقين، إذا ثبت عدائهم وتعاليهم على الحق البين، ولذا جاءت آيات السورة متضمنة للوعيد والتغليظ والتهديد لكل مكابر، ومن أمثلة ذلك قوله:] p q r s u v w x y Z هود: ٢ ، وقوله عز وجل:] وَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ ´ µ ¶ Z هود: ٣ ، كما يظهر هذا الموضوع جلياً فيما قصه ربنا علينا من حال قوم هودعليه السلام إذ قال تعالى:] x y } | { ~ رُسُلَهُۥ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَمۡرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٖ ﴿٥٩﴾ وَأُتۡبِعُواْ فِي © ٱلدُّنۡيَا لَعۡنَةٗ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَآ إِنَّ عَادٗا كَفَرُواْ ´ ¶ لِّعَادٖ قَوۡمِ هُودٖ Z هود: ٥٩ – ٦٠.

وكذا خطاب هود عليه السلام لقومه بكل عزة ونذارة، والتغليظ عليهم في القول ومبارزتهم باستهجان واستنكار قبيح أفعالهم، كما أكدت السورة هذا الأسلوب في كل قصص الأنبياء عليهم السلام.

وارتباط هذا الموضوع الجليل بسابقه من موضوعات السورة جلي بين، وهو أن من إحكام هذا الكتاب تضمنه هذا البيان لنبيه ﷺ وأتباعه، فإنه لم يهمل بيان ما تقوم به دعوتهم، من استقامتهم، ويقينهم بنصر ربهم لهم ،وتعلقهم واعتزازهم به، وثقتهم في منهجهم الذي سلكه الذين هدى الله من أسلافهم من أنبياء الله ورسله، وأساليب الدعوة الصحيحة وغير ذلك، وكل ذلك مرتبط دائر حول محور السورة الكريمة وهو تثبيت رسول الله ﷺ والتأكيد له بأنه على الحق الذي لا ضلال ولا مرية فيه، وأمره بالاستقامة على منهج الله عز وجل.

خامساً: إقامة الحجة على الكافرين وإتمام لتحدي لهم: ذلك التحدي الذي بدء في سورة يونس، إذ طلب منهم عند إنكارهم للقرآن وتكذيبهم بأنه وحي من عند الله وقولهم أنه مفترى أن يأتوا بسورة مثله لأنه غير مفترى، فقال:] n m l k j
o p q r s t u v w x y z { | } ~ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾
أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ © وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ Z يونس: ٣٧ - ٣٨

فلما عجزوا عن ذلك قيل لهم في سورة هود هاتوا عشر سور مثل هذا - المفترى بزعمكم - فقال:] & ' ( ) * + , - . / ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ Z هود: ١٣ فعجزوا وأظهروا التسليم(١)،وهذا التحدي بلا شك من أعظم ما يثبت به قلب رسول الله ﷺ ، ومن أعظم دلائل إحكام هذا الكتاب ، فكل فرية واتهام لرسول الله ﷺ من جهة الكفار حول أنه أتى به من عنده، دحضت بهذا البيان الكامل، والتحدي المفند

(١) ينظر: تفسير اللباب، ٢/٤٤١.

لافتراءاتهم، وبهذا تسكن نفس رسول الله ويسرى عنه مما اتهم به من افتراء الكتاب، فيستقيم على أمر ربه ، ويهون عليه القيام بمهام رسالته، على المنهج الذي جلّيَ له.

سادساً: بيان صفات النفس البشرية وأخلاقها: من الفضائل والرذائل، التي هي مصادر الأعمال من الخير والشر، والحسنات والسيئات، والصلاح و الفساد، كما بينت السورة كذلك فضائل وصفات رسل الله والمؤمنين من أتباعهم التي يجدر بالمؤمن أن يتأسى بها، ومساوئ الكفار التي يجب تطهير الأنفس منها، وهذا الموضوع كما نرى يظهر كمال هداية هذا الكتاب، وكمال إحكامه، وفيه دليل عجز إتيان الكفار بمثله أو سورة منه، إذ هو ينبي عن غيوب النفس البشرية التي لا يدرك كنهه إلا الله، كما أنه من أعظم سبل تثبيت النبي ﷺببيان أن مخالفيه من أهل الكفر والعناد إنما هم سادرون سائرون في غيهم على ما سار عليه أسلافهم من أهل الكفر والعناد والضلال، ثم تكون العاقبة للمتقين.

ومثال ذلك قوله تعالى:] m n o p q r s t u v w x y z { | } ~ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّيٓۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴿١٠﴾ © ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ Z هود: ٩ - ١١

سابعا: بيان الحكمة البالغة من عدم أخذ الكافرين على عجل: وهي استدراجهم وإمهالهم لهوانهم على الله تعالى، وليعسر عليهم الحساب، ويتضاعف عليهم العذاب، قال تعالى:] ! " # $ % & ' ( ) * + , - . يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلۡعَذَابُۚ مَا كَانُواْ يَسۡتَطِيعُونَ ٱلسَّمۡعَ وَمَا كَانُواْ : Z هود: ٢٠.

وعند تأمل هذا الموضوع نجده متناسق مع مقصد السورة الجليلة وموضوعاتها من عدة أوجه فهذا التهديد والوعيد لا يمكن أن يصدر إلا من الخالق القائل بهذا الكلام العزيز، وهو دال على الإحكام لهذا الكتاب إذ يجمع مع الترغيب هذا الترهيب والوعيد لمخالف أمر الله، وفيه

تسلية لرسول الله داع له على الاستقامة، ففيه الرد على شبهة الكافرين وسؤالهم عن سبب عدم أخذهم حال كفرهم وإنزال العقاب بهم.

ويتبع هذا الأمر أيضاً المقارنة بين حال ومصير الفريقين من المؤمنين والكافرين، وذلك لتثبيت أهل الإيمان، وتسليتهم، والبشارة لهم، وبيان أسباب فوزهم، ولتوبيخ الكافرين ووعيدهم وإقامة الحجة عليهم، قال تعالى:] N O P Q R S T U
V W X Z [\ ] _ ` a b c
d f h j k Z هود: ٢٣ – ٢٤. وهكذا نرى أن هذا الموضوع متناسق مع كل موضوعات هذه السورة الكريمة والتي تدور حول تثبيت قلب النبي ﷺ وذلك من حيث بشارته بمثال وعاقبة أتباعه من أهل الإيمان، ومصير أعدائه من أهل الكفر والنفاق، وضرب المثل موجب لهذه السلوة لرسول الله ، وهو شاهد كمال إحكام هذا الكتاب وعجز الكفار أن يأتوا بمثله إذ ضرب الأمثال بهذه الطريقة لا يقدر عليه أي أحد .

ثامناً: إيراد القصص لتحقيق مقاصد السورة: فعند التأمل لتلك القصص نجد كلاً منها قد اعتنى بجانب يخدم غاية ومحور تثبيت قلب النبيﷺ من جهة، ومحور أمره بالاستقامة من جهة أخرى وسأبرهن هذا من خلال ما يأتي:

١ -بيان سنن الله جل و علا في الأمم: فقد جاء في التعقيب على تلك القصص بيان عاقبة الظالمين، والمفسدين في الأرض، وأن سبب الظلم والإجرام الموجب لهلاك الأمم، هو اتباع أكثرهم لما أترفوا فيه من النعيم والشهوات والملذات، وأن المترفين هم مفسدو الأمم ومهلكوها على مر التاريخ. ومن أمثلة ذلك قوله لخاتم رسله ﷺ:] ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ :
; < > ? @ Z هود: ١٠٠ وقوله:] B C D E F
H I J K L M N O P Q R S T U V X Y Z [
\ ] ^ _ ` a b c d f g h i Z هود: ١٠١ – ١٠٢.

ووعيد الله بأخذ القرى القائمة الظالمة عند استحقاقهم للعذاب في المستقبل، على نحو أخذه لأشباههم من العصاة في الماضي، أخذاً أليماً شديداً، لا هوادة فيه، ولا رحمة، ولا محاباة.

وهذا البيان له ارتباط وثيق بموضوعات السورة الكريمة من عدة أوجه، فإن من كمال إحكام الكتاب الجمع بين الترغيب والترهيب، ومن كماله بيان سنن الله في ملكوته على من بغى وظلم إتماماً للنذارة، وإقامة للمحجة، ومن تمام تحدي الكافرين وتبكيتهم وتوبيخهم، وعيدهم بما وقع على أسلافهم من الظلمة والمعاندين المخالفين لرسل الله، وكلا الأمرين مؤذن بالفرج والبشارة لرسول الله ﷺ ،بأن العاقبة له ولأتباعه ،ويترتب على هذا زوال همه والتسرية عنه ﷺ، وتثبيت فؤاده ، وذلك معين له على الاستقامة على أمر الله التي أمر بها، والقيام بمهام الرسالة على أكمل وجه.

٢-تقرير حقيقة دأب المفسدين على عداوة المصلحين وورثة الأنبياء: وهم أهل الترف والفساد والحسد، من ملأ الملوك والأمراء وأمثالهم، ومن ذلك قوله تعالى:] m n o p q r s t u v wx y z { | } ~ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ © قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ ´ µ ¶ بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ Z هود: ٢٥ – ٢٧.

وهذا الموضوع كما نرى مرتبط بمحور تثبيت قلب رسول الله ﷺ فإنه إذا تبينت هذه الحقيقة لرسول الله ﷺ سلت نفسه، وثبت فؤاده، وتيقن أن لم يكن ما حصل له من مشركي قومه بدعاً، وهو دليل على استقامته ﷺ على أمر الله التي أمره بها في هذه السورة الكريمة.

٣- إظهار قوة المؤمن بالتوكل على الله تعالى: وأهمية تعلق واعتزاز المؤمن بهذه الخلة العظيمة، ذلك التوكل الذي أعلنه هود عليه السلام في وجه قومه مع أنه واحدٌ وهم أمة، وهي رسالة تعليم للنبي ﷺ وأتباعه من الدعاة إلى الله قال تعالى على لسانه عليه السلام:] < = > ? @ A B C D E F G H I J K L M N O Z هود: ٥٦

وهذا الموضوع المهم ذكره في ثنايا هذه القصة والسورة كما نرى متناسق مع محور التثبيت لقلب رسول الله ﷺ، فهو الملاذ الآمن لأهل الإيمان بحسن اعتقادهم وتوكلهم على ربهم، فلا يضيرهم أذى، أوكيد لتعلقهم وثقتهم بربهم، كما أنه شاهد من أعظم شواهد الاستقامة التي أمر الله بها نبيه ﷺ.

٤- تسلية وتثبيت النبي ﷺ بما ظهر في قصة نبي الله صالح عليه السلام: إذ أبرزت مكابرة أهل الكفر على الحق البين ، وجدالهم بالباطل وذلك في موضعين:

أولهما: طلبهم البينة ، فجاءهم آية مبصرة يدركها كل أحد، وهي الناقة، ومع هذا كفروا رغم وضوحها البيّن، فإذا وجدتَ من يكفر بآيتك فلا تعجب فقد كُذّب بما هو أوضح منها، ولذا قال سبحانه في سورة الإسراء لنبيه ﷺ:] ! " # $ % & ') (* + , - . / فَظَلَمُواْ بِهَاۚ وَمَا نُرۡسِلُ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّا تَخۡوِيفٗا Z الإسراء: ٥٩

وثانيهما: ما كانوا يستخفون به من شأن نبي الله صالح عليه السلام وذلك في قوله تعالى:] قَالُواْ يَٰصَٰلِحُ قَدۡ à فِينَا â قَبۡلَ هَٰذَآۖ أَتَنۡهَىٰنَآ ç è é ê ë وَإِنَّنَا لَفِي î ï تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ مُرِيبٖ Z هود: ٦٢ وكأنهم يشعرونه بخيبة أملهم فيه، بعد أن كانوا يرونه بمنزلة علية، ولاشك أن هذا مما يحزن نفس المخاطب، وهكذا كانت قريش تقول للنبي ﷺ ، فعندما يعلم نبينا ﷺ أنه مسبوق بهذا الأذى فإنه يخف عليه وقعه، ويكون ذلك بمثابة سلوة له عن الحزن لأجله، وكل ذلك كما سلف مرتبط بمحوري التثبيت والأمر بالاستقامة.

٥- إبراز ملامح التبشير والفرج للنبي ﷺ بما جاء في قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام: فإنه بشر وزوجه بإسحاق، ثم بيعقوب من بعد إسحاق، جاء هذا بعد سنين من انقطاع الذرية، ويقال إنها تجاوزت المائة في حق إبراهيم عليه السلام ، وفي ذلك إشارة وتسلية للنبي ﷺ أنه مهما امتدت لحظات الشدة، ففرج الله وبشارته وعد حق محقق ، وفرجه إذا جاء فلا يقدر أحدٌ على وصف عظمه وسعته، فارتباط هذا الموضوع بتثبيت قلب النبي ﷺ جلي ،كما أن ارتباطه بالوصية بالصبر ظاهر أيضاً، وكل ذلك من الاستقامة على أمر الله.

٦-تطمين قلب النبي ﷺ بما جاء في قصة لوط عليه السلام: فقد كانت مظاهر الإحباط ظاهرة في حاله ومقاله ،كما ورد في قوله تعالى:] c d e f g h i j k l m n o p q r s t u v w x y { | هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخۡزُونِ فِي ~ © أَلَيۡسَ مِنكُمۡ رَجُلٞ رَّشِيدٞ ﴿٧٨﴾ قَالُواْ

لَقَدۡ عَلِمۡتَ ´ µ ¶ ¸ مِنۡ حَقّٖ وَإِنَّكَ لَتَعۡلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾ قَالَ لَوۡ أَنَّ لِي بِكُمۡ قُوَّةً أَوۡ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكۡنٖ شَدِيدٖ

Z هود: ٧٧ - ٨٠

ثم جاءه الفرج ، وطمأنته الملائكة عليهم السلام ، كما في قوله تعالى :] قَالُواْ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيۡكَۖ فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ Z هود: ٨١ وفي هذا تطمين لقلب رسولنا ﷺ بأن الذي حمى لوطاً عليه السلام ونجاه من أولئك القوم المجرمين، هو حاميك وناصرك ومنجيك من أذى وكيد قومك.

أليس هذا من أعظم أسباب التسرية عن رسولنا وتثبيت قلبه ﷺ؟

وهو أيضاً مؤكد على تآزر موضوعات هذه السورة قصصها، وأخبارها، وحثه على التوكل والصبر، وعدم الاكتراث بدعوى المشركين، وأمره بالاستقامة على أمر الله، فبه فوزه بعاقبة النصر في الدنيا ، والرفعة في الآخرة.

٧-الإفادة من قصة موسى عليه السلام في بيان منهج الداعية: ووضوح السبيل الذي يسلكه، وثقته بمنهج السماء ووحيه، فإنه أعقبها بما له ارتباط واضح بمحور السورة الكريمة، وذلك في قوله تعالى:] ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / قَبۡلُۚ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمۡ نَصِيبَهُمۡ غَيۡرَ مَنقُوصٖ Z هود: ١٠٩ ، فمن تأمل هذا التعقيب وجده عظيم الارتباط بقضية تثبيت قلب النبي ﷺ وتسلية خاطره عما يحزنه، كما أن له ارتباط بموضوعاتها الأخرى التي ذكرنا من الأمر بالاستقامة ، والصبر والثقة بالله تعالى وغيرها مما يثبت تناسقها وتكاملها بذكرها في ثنايا ذلك القصص الجليل.

٨- **تقرير سنة الله تعالى بأن لا يهلك عموم العباد بظلم فئة منهم:** وذلك إذا وجد فيهم من يقوم بالدعوة إلى الخير والإصلاح، فمنجاة الأمة والأفراد من الهلاك في الدنيا قبل الآخرة، هو وجود طائفة راشدة فيها، تنهاها عن الفساد في الأرض المتمثل في الظلم، والفسوق وارتكاب الفواحش والمنكرات، ومخالفة أوامر الله عموماً. قال تعالى:] وَمَا كَانَ رَبُّكَ

لِيُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ بِظُلۡمٖ وَأَهۡلُهَا مُصۡلِحُونَ Z هود: ١١٧ وهؤلاء مصلحون في أعمالهم وأحكامهم، وهذا هو الأساس الأعظم لبقاء الأمم أو موتها.

وعند التأمل لهذا الموضوع الجليل نجده متناسق مع محور السورة الكريمة وموضوعاتها فهو دال على كمال إحكام هذا الكتاب إذ جاء فيه هذا البيان بما سنه الله في كونه ليسير العباد على ما به نجاتهم وليستقيموا على أمره سبحانه، وهو متناسق مع محور التثبيت لقلب النبي ﷺ من حيث تشريفه بأن قيامه بأعباء الدعوة والإصلاح يجعل منه أمان لقومه، وأنعم وأعظم بهذا الشرف وكفى بهذا الأمر سلوة وتثبيتاً لفؤاده ﷺ.

كما أنه متوافق مع محور الأمر بالاستقامة فهو من دلائلها ولوازمها بأن يقوم العبد بحق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والنصح والاجتهاد في الإصلاح.

٩- تهوين شأن الكافرين عند نبينا ﷺ: ببيان أن المقولات التي قالوها عنه من وصف بسحر وشعر وتكذيب وغيره ليست جديدة، فإنك ستعلم في ثنايا السورة أنواع من الأذى اللفظي والمعنوي الذي لحق بإخوانك من الرسل، فهي مكرورة بالية فلا تحزنك ولا تلق لها بالاً، وهذا الموضوع مقصد من مقاصد القصص القرآني العظيم، وهذه السورة على الأخص، وقد نص على هذا المراد بقوله تعالى:] ? @ A B C D E F G H I J K L M N O P Z هود: ١٢٠.

تاسعاً: التأكيد على فضيلة الصبر: فإنه ذُكر في هذه السورة في ثلاثة مواضع، قوله تعالى:] © ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ Z هود: ١١ وقوله تعالى: [e f g h i j k l m n o p q r s t u v w x y z Z هود: ٤٩ وقوله تعالى:] وَٱصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ Z هود: ١١٥ ذلك أنه الخُلق الذي يستعان به على جميع الأعمال والأحوال في الشدة والرخاء، والسراء والضراء، وهو وصية الله لنبيه ﷺ وأتباعه، والوصية به دالة على إحكام هذا الكتاب، كما أن التصبر

من أعظم من ما يسلي النفس ويثبتها على طريق الاستقامة، وهو طريق الأنبياء الذين جاءت الوصية بالاهتداء بهم.

عاشراً: الوعيد بأن الظلم والطغيان والركون إلى الظالمين عاقبته وخيمة: وأنه يودي بصاحبه إلى المهالك في الدنيا والآخرة، ويعرض صاحبه كذلك لنار الله وعقوبته، ولا يجد للمتصف به ناصراً من دون الله قال تعالى:] g h i j k l m n o p q r s t u v w Z هود: ١١٣. وارتباط هذا الموضوع بمحور السورة الكريمة له أوجه ومنها تثبيت قلب النبي ﷺ بالتأكيد على سوء عاقبة من خالفوه وعادوه وركنوا للظالمين ، وأنه باستقامته وأتباعه ﷺ على أمر الله ومنهجه فهو في ولاية الله وكنفه، وهو حقيق بنصره له، ومن جانب تمام كمال هذا الكتاب وإحكامه فإن بيان هذا الأمر دال على ذلك الإحكام من حيث بيان طريق الهداية وعاقبة سالكيه، والنذارة من طريق أهل الباطل والظلم وإيضاح عاقبتهم لألا يكون على حجة بعد هذا الكتاب.

حادي عشر: الرحمة بالتائبين: وذلك ببيان أن الله سبحانه شرع لعباده ما يُكفِّر به عن سيئاهم ، وهو فعلهم الحسنات التي تمحو عنهم السيئات قال تعالى:] y z { | { ~ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ © Z هود: ١١٤.

وهذا الأمر الجليل متناسق مع محور السورة الكريمة وموضوعاها من حيث أن الكتاب المحكم لابد أن يحوي ما يكون به نجاة العباد وانتشالهم من مهاوى الرذيلة إنهم وقعوا فيها، وذلك دال أنه من عند الله العالم بسرائر النفوس، وضعف البشر، لاكما افترى المبطلون، وكل هذه الموضوعات -كما أشرت سلفاً- من أعظم ما يثبت فؤاد رسول الهدى ﷺ، ويكون له بها سلوة، كما أن أمر الرحمة بالتائبين وقبول اعتذارهم وأوبتهم وفتح باب الرجاء لهم وأسباب تكفير سيئاهم من أعظم ما يعين على الاستقامة التي أمر الله بها نبيه ومن تبعه فتأمل هذا التآلف والتناسق بين هذه الموضوعات ومحور السورة الكريمة.

الثاني عشر: بيان سنة الله تعالى في اختلاف الأمم في الدين:

وأنه كاختلافهم في التكوين ماض بقدر الله النافذ في خلقه، فهي سنة أرادها الله لحكم بالغة.

قال سبحانه:] ! " # $ % & ' (* + , - . / رَبُّكَۚ

وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمۡۗ وَتَمَّتۡ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ : ; < = Z هود: ١١٨ – ١١٩.

ويأتي هذا البيان في نسق موضوعات السورة الكريمة، مؤتلف مع محورها، فهو دال على كمال حكمة الخالق الحكيم الخبير، الذي سن هذا الأمر في كونه، والذي أحكم كتابه بذكر وبيان هذا القدر الأزلي الحكيم، وهو داع إلى الصبر، والثبات، والاستقامة على أمره، والتوكل والثقة به، وعدم الاكتراث بعناد وكفر الكافرين، واليقين بنفاذ أمر الله بشمول رحمته لمن اختارهم لها، واستحقاق عذابه لمن حقت كلمت العذاب عليهم ، وكل ذلك داخل في كمال حكمته وعدله.

الثالث عشر: تعليم النبي ﷺ لما يقوله للمكابرين المعاندين:

ليكون ذلك بمثابة التقرير لهم على مكابرتهم، وإرغاماً لهم على تعاليهم، وتهديداً بالغاً لنفوسهم، ويأتي هذا الأمر أيضاً تطييباً لنفس النبي ﷺ وربط على قلبه ، بأن العاقبة له ، وللحق الذي جاء به ممن له غيب السموات والأرض، ومن مرد الأمر كله إليه. قال تعالى:

[R S T U V W X Y Z [\ ] ^ _ ` a

b c d e f g h i j l m n o p Z

هود: ١٢١ – ١٢٣. كما أن هذا الموضوع متآزر مع الموضوعات الأخرى متناسق مع غايتها، في إثبات كمال حكمة الخالق وما جاء في كتابه المحكم، وأمر نبيه بالاتصاف بصفات الكمال التي تعينه على الاستقامة ، والقيام بأمانة الرسالة التي بعث بها كما بعث بها أسلافه وإخوته من الأنبياء عليهم السلام.

تلك جملة أهم الموضوعات الجليلة التي تضمنتها هذه السورة المباركة الكريمة، وقد بينت هنا بما فتح الله تعالى جوانب من التناسق بينها، كما أبرزت شيئاً من تلك الجوانب في ثنايا

الرسالة، ويبقى ورائها جوانب أُخر، ستظهر كلما تأمل وتدبر العباد لهذه السورة، فبركة هذا القرآن لا تنتهي وخيره ليس له حد، زادنا الله به فهماً وبصيرة، والحمد لله رب العالمين.

الباب الثاني

قسم الدراسة التطبيقية ،الفصل الثالث :

الفصل الثالث: تفسير السورة الكريمة في ضوء تناسقها الموضوعي وفيه تسعة مباحث:
المبحث الأول : التناسق في مفتتح السورة ويشمل الآيات (١-٢٤).
المبحث الثاني :قصة نوح عليه السلام مع قومه، ويشمل الآيات (٢٥-٤٩).
، ويشمل الآيات (٥٠-٦٠).قصة هود عليه السلام مع قومهالمبحث الثالث :
، ويشمل الآيات (٦١-٦٨).قصة صالح عليه السلام مع قومهالمبحث الرابع:
المبحث الخامس: قصة إبراهيم عليه السلام مع الملائكة، ويشمل الآيات(٦٩-٧٦).
، ويشمل الآيات (٧٧-٨٣). قصة لوط عليه السلام مع قومهالمبحث السادس :
، ويشمل الآيات(٨٤-٩٥).قصة شعيب عليه السلام مع قومهالمبحث السابع:
المبحث الثامن: قصة موسى عليه السلام مع قومه، ويشمل الآيات (٩٦-٩٩).
المبحث التاسع: خاتمة السورة، وارتباطها بالسياق، ويشمل الآيات (١٠٠-١٢٣).

المبحث الأول : تقرير أصول الدين، وتحدي الكافرين ويشمل الآيات (١-٢٤).

بسم الله الرحمن الرحيم

التناسق في مفتتح سورة هود عليه السلام

استهلت هذه السورة الكريمة بقوله تعالى:] Z d وهي من الحروف التي بدأت بها بعض سور القرآن وقد اختلف المفسرون في المراد من الحروف المقطعة التي في أوائل السور، فمنهم من قال: هي اسم من أسماء القرآن، ومنهم من قال: فَواتحُ يفتتح الله بها القرآن. وقال آخرون: هو اسم للسورة. وقال بعضهم: هو اسم الله الأعظم. وقال بعضهم: هو قسمٌ أقسمَ الله به، وهو من أسمائه. وقال بعضهم: هي حُرُوف مقطَّعةٌ من أسماء وأفعالٍ، كلٌّ حرف من ذلك لمعنى غير معنى الحرف الآخر. وقال بعضهم: هي حروفُ هجاءٍ موضوعٍ. وقال بعضهم: لكل كتاب سرٌّ، وسرُّ القرآن فواتحه. وأمَّا أهل العربية، فإنهم اختلفوا في معنى ذلك. فقال بعضهم: هي حروف من حُرُوف المعجم، استُغْنِيَ بذكر ما ذُكر منها في أوائل السور عن ذكر بَواقيها، وقال آخرون: بل ابتدأت بذلك أوائل السُّور ليفتح لاستماعه أسماعَ المشركين - إذ تواصَوْا بالإعراض عن القرآن- حتى إذا استمعوا له، تُلي عليهم المؤلَّفُ منه.[١]

وقال آخرون: هي مما استأثر الله بعلمه، فردوا علمها إلى الله، ولم يفسروها.[٢]

فإن قيل: هل يكون من القرآن ما ليس له معنى ؟

قيل: معنى هذا أنه افتتح بها ليُعْلم أن السورة التي قبلها قد انقضت، وأنه قد أخذ في أخرى، فجعل هذا علامةَ انقطاعِ ما بينهما، وذلك في كلام العرب [٣].

وقال الإمام الطبري[١]:((ولكل قول من الأقوال التي قالها الذين وصفنا قولهم في ذلك، وجهٌ معروفٌ)).[٢]

(١)حكى هذه الأقوال الإمام الطبري في تفسيره (١/٢٠٥-٢١٠).

(٢)حكاه القرطبي في تفسيره (١/١٥٤).

(٣) ينظر:تفسير االطبري (١/٢٠٩).

ثم أردف سبحانه تلك الحروف المعجزة بقوله:

] f ! g h i j k l m n Z هود: ١ وهو من براعة الاستهلال فلاشك أن البدء بالتحدي بهذه الحروف، ثم التعظيم والتفخيم لشأن القرآن هو أنسب استهلال لبيان شرف المتكلم وحال المخاطب في هذا المقام ، وكذا هو الأنسب للحال التي عليها رسول الله ﷺ مع قومه وفي دعوته، لتقرير صدق ما جاء به من الوحي من عند الله.

ومن براعة الاستهلال تعلق مبتدأ هذه السورة بمبتدأ السورة التي قبلها أعني سورة يونس بقوله:] ! " # $ % & Z يونس:١ فقد وصفت الآية الكتاب بأنه] m Z ، وذكر في هذه السورة أي سورة هود من أحكمه فقال إنَّ آياته أحكمت] k l m n Z .فالذي أحكمها هو الحكيم الخبير.

ومن براعة الاستهلال أنه قال في خاتمة سورة يونس:] W X Y Z [\ ] ^ ` a b Z . وما يوحى إليه هو الكتاب الذي أحكمت آياته ، فناسب قوله:] a b Zوصف الكتاب بأنه أحكمت آياته، فخير الحاكمين هو الذي أحكم آياته.

وناسب قوله:] a b Zفي الآية التي في آخر يونس قوله في آية هود:] k l m n Z فالحكيم قد يكون من معنى القضاء فيكون بمعنى الحاكم.

وقد يكون من الحكمة، فالحكيم على هذا هو خير الحاكمين لأنه حكيم وحاكم[٣]، ولا شك أن الحاكم إذا كان ذا حكمة كان خير الحاكمين، فناسب مفتتح السورة خاتمة السورة التي قبلها.

(١) الطبري هو: الإمام المجتهد شيخ المفسّرين أبو جعفر محمّد بن جرير بن يزيد الطبريّ أحد الأئمّة الأعلام الذين يُرجع إلى قولهم، برز في سائر العلوم، وصنّف في الكثير منها، مات سنة: عشر وثلاث مئة. طبقات المفسرين للسيوطي (٩٥/١) تذكرة الحفاظ (٧١٠/٢) .

(٢)تفسير الطبري (٢١٢/١).

(٣)ينظر: العين (١٧٩/١).

ومن براعة الاستهلال مناسبة قوله تعالى في مفتتح السورة] p q r s u v w x y Z هود: ٢ قوله في خاتمتها:] h i j l m n o p Zهود: ١٢٣.

فإنه ناسب تبليغه لعباد الله في أول السورة بألا يعبدوا إلا الله أن يؤمر هو أيضاً بعبادة ربه بقوله:] h i j Z فكلاهما مأمور بالعبادة المبلِّغ والمبلَّغ.

٢- وناسبت الآية الأولى من السورة أي قوله:] d f g h i j k l m n Z هود: ١ قوله في خواتيم السورة:] ? @ A B C D E F G H J K L M N O P Z هود: ١٢٠.

فإنه قص على نبيهﷺ ذلك في الكتاب الذي أحكمت آياته.

ثم إنه فصَّل ما جاء فيه، وما جاء فيه هو الحق، والموعظة، والذكرى، فهذا تفصيل لما جاء فيه.

ثم إنَّ الذي يختار من القصص ما يثبت به فؤاد نبيه ﷺ إنما هو الرب الحكيم الخبير.

والذي يأتي بالحق والموعظة والذكرى إنما هو حكيم خبير.

وبهذا يظهر التناسق اللطيف والبديع بين مفتتح السورة وخاتمتها بأجمل ترتيب وأكمل اختيار للألفاظ.

والمتأمل في تأليف وتناسق هذا الكلام البديع يلحظ ما يلي:

أنَّه ذكر أنَّه كتاب أحكمت آياته ثم فصلت، وذكر الذي أحكمه وفصله، فالذي أحكمه هو الحكيم الخبير، والذي فصله هو الحكيم الخبير.

وهل هناك من يُحْكِم أفضل من الحكيم الخبير، وهل هناك من يفصل أفضل منه سبحانه؟

ولم تجتمع هاتان الصفتان أي الإحكام والتفصيل في غير هذا الموضع، وإنما قد يوصف الكتاب بأنه حكيم كما في قوله تعالى:] # $ % & Z يونس: ١ أو أنه مفصل كما في قوله:]) (* + , - . Zفصلت: ٣، وقوله:] d e f g h i Z الأنعام: ١١٤.

ثم ذكر أنَّ هذا الإحكام والتفصيل إنما هو من لدن حكيم خبير. فجمع الله لنفسه تعالى وصفي الحكمة والخبرة وكلا الوصفين من أوصاف الكمال.

ثم ما أجل وأجمل هذين الوصفين ههنا ((فالحكيم هو: ذو الحكمة البالغة وهو الذي له كمال العلم و إحسان الفعل وإتقانه وهو الذي يعلم أجل الأشياء بأجل العلوم وعلمه أزلي دائم لا يتصور زواله ولا يتطرق إليه خفاء ولا شبهة فهو الحكيم الحق ، وهو الذي يكون مصيباً في التقدير ، ومحسناً في التدبير وليس له أغراض ولا على فعله اعتراض)).(١)

والحكيم هو الموصوف بكمال الحكمة وبكمال الحكم بين المخلوقات، فالحكيم هو واسع العلم والاطلاع على مبادئ الأمور وعواقبها ، واسع الحمد، تام القدرة ، غزير الرحمة فهو الذي يضع الأشياء مواضعها، وينزلها منازلها اللائقة بها في خلقه وأمره، فلا يتوجه إليه سؤال، ولا يقدح في حكمته مقال.(٢)

والخبير : هو العالم بدقائق الأشياء على ما هي عليها، وهو الذي لا تعزب عنه الأخبار الباطنة، ولا يخفى عليه في الملك والملكوت شيء، ولا تتحرك ذرة في الكون إلا ويكون علمه تعالى محيطاً بها.(٣)

فما أجل كتاباً أحكمه وفصله الحكيم الخبير!

ويأتي الحكيم بمعنى الحَكَم: وهو القاضي فيكون المعنى أنه أحكم آيات هذا الكتاب الحاكم الذي بيده الأمر فدل ذلك على علو مكانته. لأن أهمية الكتاب إنما تكون في أمرين:

في الجهة التي أصدرته، فكلما علت جهة من أصدره علا شأنه.

ومحتواه فإذا كان من أصدره حكيماً خبيراً، والحكمة المفصلة محتواه علت مكانته أيضا.

فهذا الكتاب إنما دل على علوه ورفعته كل مقتضيات العلو والرفعة.

فإنه كتاب أحكمت آياته ثم فصلت، وهو من لدن حاكم وحكيم خبير. ومحتواه طلب توحيد العبادة لخالق الكون الأوحد ، من له صفات الكمال والجلال، وجاء بالبشارة

---

(١)أسماء وصفات الله تعالى المركبة في القرآن لأبي إسلام محمد بن علي ٦١/١.

(٢) ينظر شرح أسماء الله الحسنى ٥٢/١.

(٣)أسماء وصفات الله تعالى المركبة في القرآن ٣٧/١.

والنذارة، وقد أنزله هذا الخالق العظيم منه إلى من يبلغه عنه، فأي كتاب له هذا الشأن غير كتاب الله ؟

قال الإمام البقاعي(١) نقلاً عن كتاب "مفتاح الباب المقفل": ((اعلم أن بلاغة البيان تعلو على قدر علو المبين ، فعلو بيان الله على بيان خلقه بقدر علو الله على خلقه ، فبيان كل مبين على قدر إحاطة علمه ، فإذا أبان الإنسان عن الكائن أبان بقدر ما يدرك منه وهو لا يحيط به علمه فلا يصل إلى غاية البلاغة فيه بيانه ، وإذا أنبأ عن الماضي فبقدر ما بقي من ناقص علمه به كائناً في ذكره لما لزم الإنسان من نسيانه ، وإذا أراد أن ينبىء عن الآتي أعوزه البيان كله إلا ما يقدّره أو يزوّره؛ فبيانه في الكائن ناقص وبيانه في الماضي أنقص وبيانه في الآتي ساقط)) (٢)

ولما كان هذا شأن هذا الكتاب، وتلك أوصاف من أنزله ذكر تعظيم هذا الكتاب وعلوه في السورة في أكثر من موضع وتحدى المعاندين لأن يأتوا بسورٍ من مثله في أكثر من موضع.

فقال:] ! " # % & ' ( ) * + , - . /
ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ : ; < = > ? @ A C
D E Z هود: ١٣ – ١٤.

وقال:] فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ © إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا ´ Z هود: ١٧.

وقال:] ، يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَىَّ إِجْرَامِى وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ هود: ٣٥

وقال: e f g h i j l m n o p q r s t v x
y z Z هود: ٤٩.

(١) إبراهيم بن عمر بن حسن بن الرُّبَاط - بضم الراء بعدها موحدة خفيفة ،البقاعي. نزيل القاهرة، ثم دمشق الإمام الكبير برهان الدين.(٨٠٩ هـ - ٨٨٥ هـ)، ولد بقرية من عمل البقاع، برع في جميع العلوم وفاق الأقران؛ لا كما قال السخاوي (إنه ما بلغ رتبة العلماء بل قُصارى أمره إدراجه في الفضلاء)، ومن أمعن النظر في كتابه في "التفسير" الذي جعله في المناسبة بين الآي والسُّوَر، علم أنه من أوعية العلم المفرطين في الذَّكاء الجامعين بين علميّ المعقول والمنقول. "البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع" للشوكاني.

(٢) نظم الدرر ٣٦/١.

فذكر أن ما ذكره من قصة نوح عليه السلام إنما هي من أنباء الغيب ما كان يعلمها رسوله ﷺ على علوا مكانته عند ربه ، ولا قومه من قبل هذا الكتاب أي إن هذا أول علمهم به، وهذا الدلائل على أن هذا الكتاب إنما هو من علم الله وأنه أنزله إلى رسوله ﷺ.

وقال:] ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ : ; < > ? @ Zهود: ١٠٠

وقال:] ? @ A B C D E F G H J K L M N O P Zهود: ١٢٠.

وقد قدمت بفضل الله بحثاً محكماً في هذا الموضوع ووسمته بـــ (إعجاز القرآن الكريم الغيبي)، جمعت فيه ما فتح الله به من جوانب الغيب عبر التاريخ ،التـــي انفرد القرآن بذكرها وقد اندثرت آثارها و لم تعد تعرف، أومن غيوب المستقبل التي أخبر بها القرآن.

ومعنى:] g h Z ((نظمت نظماً رصينا لا يقع فيه نقض و لا خلل))(١).

وجاء في تفسير الرازي(٢):((وإن ألفاظ هذه الآيات بلغت من الفصاحة والجزالة إلى حيث لا تقبل المعارضة)) (٣).

ومعنى (فصلت):أنه فصل فيها كل ما يحتاج إليه العباد لصلاح حالهم وفلاح مآلهم.(٤)

وجاءت (ثم) لترتيب الإخبار لا لترتيب الوقوع في الزمان.

جاء في (الكشاف): ((فإن قلت: ما معنى (ثم)؟

قلت: ليس معناها التراخي في الوقت ولكن في الحال كما تقول: هي محكمة أحسن الإحكام ثم مفصلة أحسن التفصيل. وفلان كريم الأصل ثم كريم الفعل))(٥).

] p q r s u v w x y Zهود: ٢

---

(١) الكشاف ٢/٨٩، وانظر البحر المحيط ٥/٢٠٠.

(٢)سبقت ترجمته رحمه الله.

(٣) تفسير الرازي ١٨/٣١٣.

(٤) الكشاف ٢/٨٩، وانظر تفسير الرازي ١٨/٣١٣.

(٥) الكشاف ٢/٩٠، وانظر البحر المحيط ٥/٢٠٠.

يحتمل أن يكون المعنى على التعليل أي لئلا تعبدوا إلا الله، ولام التعليل حذفت ، ويحتمل أن تكون (أنْ) مفسِرة و(لا) ناهية والمعنى (لا تعبدوا إلا الله). وقيل: (أمركم أن لا تعبدوا إلا الله)[1] .

وجميع هذه المعاني محتملة وهي مرادة فإنه أحكم الآيات وفصلها لئلا يعبدوا إلا الله، وهو كذلك نهاهم أن يعبدوا إلا الله، وأمرهم بألا يعبدوا إلا الله الواحد.

وهذا من التوسع في المعنى فإنه جمع كل هذه المعاني في تعبير واحد.

ولو قال: (لئلا تعبدوا) أو (أمركم بألا تعبدوا إلا الله) لدل على معنى واحد.

مع أن جميع المعاني المحتملة مرادة ولذا أطلق التعبير ليشملها كلها والله أعلم.

وقال: (إنني) بذكر نون الوقاية مع (إنَّ) ولم يقل (إني لكم منه نذير وبشير) بنون المتكلم (إنِّ) وحدها وذلك أنه ذكر وصفين للكتاب هما الإحكام والتفصيل ففصل بذكر النونين، وذكر وصفين في المبلغ وهما الإنذار والبشارة فقال: (نذير وبشير) فناسب ذلك أن يذكر النونين: نون إنِّ للمتكلم[2]ونون الوقاية وهومن التناسق اللطيف والدقيق.

ويؤكد ما ذكرت أنه إذا أفرد الإنذار قال:] r s t u Z بنون (إنِّ) وحدها في أكثر من موضع[3]. فلما زاد البشارة على الإنذار ذكر نوناً أخرى.

وقدم الإنذار على البشارة ههنا لأن موضوعات السورة تدور حول إنذارات الرسل لأقوامهم، وتحذيرهم من عاقبة مخالفة أمر الله وجحود نعمه.

في حين قدم البشارة على الإنذار في سورة فصلت فقال:] ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ Z فصلت: ١ – ٤ ذلك أنه ذكر أنه تتريل من الرحمن الرحيم فناسب هناك تقديم البشارة مع اسميه الرحمن الرحيم ولا يناسب تقديم الإنذار.

---

(١) انظر الكشاف ٢/٩٠، البحر المحيط ٥/٢٠٠.

(٢) هما في الحقيقة نونان لا نون واحدة.

(٣) وذلك كما في سور هود ٢٥، الحجر ٨٩، الذاريات ٥٠، ٥١، نوح ٢.

كما أنه لما قدم البشارة في سورة فصلت ذكر بشارة الملائكة للمؤمنين وذلك في قوله تعالى:

[! " # $ % & ' ( ) * + , - .

/ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا : ;

= > ? @ A B C D E F G H I J K Z

فصلت: ٣٠ – ٣٢.

ولم يجمع رسول من الرسل على لسانه أنه بشير ونذير إلا سيدنا محمدﷺ فقد قال في

الأعراف:] إِنْ أَنَاْ : ; < = > Z الأعراف: ١٨٨.

وعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ[1] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ:(صَعِدَ النَّبِيُّ ﷺ الصَّفَا ذَاتَ يَوْمٍ فَقَالَ يَا صَبَاحَاهْ فَاجْتَمَعَتْ إِلَيْهِ قُرَيْشٌ قَالُوا مَا لَكَ قَالَ أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ الْعَدُوَّ يُصَبِّحُكُمْ أَوْ يُمَسِّيكُمْ أَمَا كُنْتُمْ تُصَدِّقُونِي قَالُوا بَلَى قَالَ فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ تَبًّا لَكَ أَلِهَذَا جَمَعْتَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ] X Y Z [\ ] Z المسد)[2]

وقال ههنا في سورة هود:] p q r s t u v w x y Z

وقدم الجار والمجرور (لكم) على (منه) لأنهم هم المخاطبون، وهم المنذرون، وهم المأمورون بالعبادة، والكلام عليهم لا على الله.

وقد يقول أحياناً] إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ Z الذاريات ،بذكر (منه) ، ويقول في سياق آخر

] a b c d e Z نوح. من دون ذكر (منه) وكما في سورة هود:٢٥

وذلك أنه إذا تقدم ما يعود عليه الضمير ذكر (منه)، وإن لم يتقدم ما يعود عليه الضمير لم يذكر (منه).

وإيضاح ذلك أنه لما قال في هود:] m n o p q r s t u Z هود: ٢٥، فلا يصح أن يقول (منه) لأنه لا يعود على شيء فالله تعالى هو المتكلم.

(١) سبقت ترجمته رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري برقم٤٤٢٧، باب:قوله: { إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ }سبأ،٤٩٢/١٤.

وكذلك قوله:] P Q R S T U V W X Y Z [\ ] ^ _ ` a b c d e Z نوح ،فلا يصح أن يقول (منه) لأنه لا يعود على شيء.

بخلاف قوله تعالى في الذاريات:] فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ Z الذاريات: ٥٠ فقد ذكر (منه) لأن الضمير يعود على لفظ الجلالة وهو (الله).

وكذلك قوله:] وَلَا à مَعَ â إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي ç è é ê Z الذاريات: ٥١ فقد عاد الضمير في (منه) على (الله).

وكذلك آية هود وهي قوله:] p q r s t u v w x y Z فقد قال: (منه) والضمير يعود على (الله).

ولو لم يقل (منه) لم يدل على أن الله هو الذي أمره بالإنذار والتبشير. (١)

قال الإمام البقاعي(٢) عند قوله تعالى:] f g h i j k l m n Z هود: ١ ((أتبع هذا بالإيماء إلى فصول ثلاثة عليها مدار آي الكتاب ، وهي فصل الإلهية ، وفصل الرسالة ، وفصل التكاليف ، أما الأول فأشار إليه قوله :] ألا تعبدوا إلا الله Z وأما فصل الرسالة فأشار إليه قوله سبحانه :] إنني لكم منه نذير وبشير Z وأما فصل التكاليف فأشار إليه قوله سبحانه] وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه Z. وهذه الفصول الثلاثة هي التي تدور عليها آي القرآن وعليها مدار السورة الكريمة)) (٣)

وفي قوله تعالى:] } | { ~ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُمَتِّعۡكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى وَيُؤۡتِ © ذِي فَضۡلٖ فَضۡلَهُۥۖ وَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ ´ µ ¶ Z هود: ٣
قدم الاستغفار على التوبة لأن الاستغفار إنما يكون من الذنوب التي فعلها العبد، وأما التوبة فتالية له ومن شروطها عدم العودة إلى ما أسلف من المعصية.

---

(١) ينظر التفسير البياني: ٣/ ١٠ .
(٢) سبقت ترجمته رحمه الله.
(٣) نظم الدرر:٤/ ١٢٩.

قال بن جرير[١]:((ولم يقل: "وتوبوا إليه" ، لأن "التوبة" معناها الرجوع إلى العمل بطاعة الله، والاستغفار: استغفار من الشرك الذي كانوا عليه مقيمين، والعملُ لله لا يكون عملا له إلا بعد ترك الشرك به))[٢]

ولأن الاستغفار والتوبة معنيان متباينان أمر بالاستغفار من الذنوب ثم بالتوبة لأن الاستغفار طلب المغفرة وهي الستر بحيث أنه لا يبقى لها تبعة.

وأما التوبة فانسلاخ من المعاصي وندم على ما سلف منها وعزم على عدم العودة إليها [٣]

وجاء في تفسير الرازي[٤]:((في فائدة هذا الترتيب أن المراد: استغفروا من سالف الذنوب، ثم توبوا إليه في المستأنف...

ثم قال :الوجه الرابع: الاستغفار طلب من الله لإزالة ما لا ينبغي.

والتوبة سعي من الإنسان في إزالة ما لا ينبغي، فقدم الاستغفار ليدل على أن المرء يجب أن لا يطلب الشيء إلا من مولاه فإنه هو الذي يقدر على تحصيله.

ثم بعد الاستغفار ذكر التوبة لأنها عمل يأتي به الإنسان ويتوسل به إلى دفع المكروه، والاستعانة بفضل الله مقدمة على الاستعانة بسعي الإنسان))[٥].

] يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى Z

المتاع الحسن هو: أن يبسط عليهم من الدنيا ويرزقهم من زينتها، وينسأ لهم في آجالهم إلى الوقت الذي يقضى فيه عليهم بالموت. [٦]

وعرف المتاع الحسن أيضاً بأنه: الرضى بالميسور والصبر على المقدور، أو حسن العمل وقطع الأمل، أو النعمة الكافية مع الصحة والعافية..، أو لزوم القناعة والتوفيق للطاعة... [٧]

(١) سبقت ترجمته رحمه الله.

(٢) نظم الدرر:٤/١٢٩.

(٣) البحر المحيط٥/٢٠١.

(٤) سبقت ترجمته رحمه الله.

(٥) تفسير الرازي ١٨/٣١٥.

(٦) ذكره الطبري في تفسيره: ١٥/٢٣٠.

(٧) البحر المحيط ٥/٢٠١.

وكل هذا من المتاع الحسن وليس كله، فإنه من عطاء الله الذي لا حد ولا قيد له، وقد أورد المتاع الحسن نكرة ليكون بشارة للمؤمنين بعموم هذا المتاع، وكذا عموم حُسنه.

ووصف المتاع بالحسن إنما هو لطيب عيش المؤمن برجائه في الله عز وجل وفي ثوابه وفي فرحه بالتقرب إليه بمفروضاته والسرور بمواعيده، والكافر ليس في شيء من هذا [١].

وفي هذا معنى ودليل على أن المتاع قد يكون قبيح وغير حسن، وهو ما يمتع به الكافر مع غفلته عما خلق لأجله، فإن هذا المتاع مهما بلغ، فإنه يقبحه كفر صاحبه، وانقطاع أمده قال تعالى : M أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ ! " # $ % & ' Z الشعراء

وقد يُستغرب أن يسمي منافع الدنيا بالمتاع، إذ المتاع زاد الراكب وهو قليل، فلم قال ذلك؟

فالجواب: لأجل التنبيه على حقارتها وقلتها.

ثم أنه نبه على كونها منقضية بقوله تعالى:] إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى Z فصارت هذه الآية دالة على كونها حقيرة خسيسة منقضية [٢].

] وَيُؤْتِ © ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ Z

((الضمير في (فضله) يحتمل أن يعود على الله تعالى أي يعطي في الآخرة كل من كان له فضل في عمل الخير وزيادة ما تفضل به تعالى وزاده.

ويحتمل أن يعود على (كل) أي جزاء ذلك الفضل الذي عمله في الدنيا لا يبخس منه شيء))[٣].

فهذا التعبير يحتمل معنيين:

الأول إن الضمير في (فضله) يعود على صاحب الفضل فالله يؤتيه فضله لا يبخس منه شيئا بل يزيده.

والآخر أن يعود الضمير على الله أي إن الله يؤتي فضله من كان ذا فضل، وكلاهما صحيح.

---

(١)المحرر الوجيز٥/٢٠١.

(٢) تفسير الرازي ٨/٣٦٦.

(٣) البحر المحيط ٥/٢٠١.

] وَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ ´ µ ¶ Z

(تولوا) أي تتولوا حذفت إحدى التاءين تخفيفا. ومن الملاحظ في التعبير القرآني أنه حيث ذكر التاءين في هذا الفعل كان الموقف أشد، وإذا كان أخف خفف بحذف إحدى التاءين. فقد ذكر ههنا أنه إن تولوا خاف عليهم عذاب يوم عظيم، و لم يقل إنه يعذبهم وإنما خاف عليهم العذاب، والخوف عليهم لا يقتضي وقوع المخوف.

في حين قال:] وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ كَمَا تَوَلَّيۡتُم : ; < = > Z الفتح: ١٦

فقد ذكر أنهم إن تولوا يعذبهم عذابا أليما و لم يقل إنه يخاف عليهم العذاب، فهو هنا على التحقيق.

ثم إنه وصف العذاب بأنه أليم وههنا وصف اليوم و لم يصف العذاب.

وقال على لسان هود لقومه:] وَلَا تَتَوَلَّوۡاْ مُجۡرِمِينَ Z هود: ٥٢ بتاءين. وقال على لسانه أيضاً: [Q R S T U V W X Z هود: ٥٧ بتاء واحدة.

وسياق الآية الأولى أشد، ذلك أنهم قالوا له بعد أن قال لهم ذلك:] قَالُواْ يَٰهُودُ مَا جِئۡتَنَا بِبَيِّنَةٖ وَمَا نَحۡنُ بِتَارِكِيٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوۡلِكَ à نَحۡنُ â بِمُؤۡمِنِينَ ﴿٥٣﴾ ! " # $ % & ' Z هود: ٥٣ – ٥٤.

في حين لم يقولوا شيئاً بعد قوله:] Q R S T U V W X Z

وقال:] N O P Q S T U V W X Y Z آل عمران: ٣٢

فذكر أنهم إن تولوا عن طاعة الله والرسولﷺ فإن الله لا يحب الكافرين و لم يذكر عذابهم أو عقابهم.

وقال:] \ ] ^ _ ` a b c d e f Z الأنفال: ٢٠.

والخطاب للمؤمنين، و لم يطلق التولي بل خصه بالتولي عن الرسولﷺ، ولما كان المخاطبون مؤمنين فإنه نهاهم عن شيء من التولي من باب التحذير.

وقال:] ! " # $ % ' ( ) * + , - . / وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ : Z النور: ٥٤

فلم يذكر عاقبة التولي إلا أنَّ عليه ما حمل وعليكم ما حملتم، لكنه ذكر أن من أطاعه تطيعوه اهتدى.

في حين قال:] وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمْثَٰلَكُم Z محمد: ٣٨.

وهكذا يتكرر في القرآن مثل هذا الاختيار.

وقوله تعالى:] أَخَافُ عَلَيْكُمْ ´ µ ¶ Z هود: ٣

اليوم الكبير هو يوم القيامة وصف بالكبر لما فيه من الأهوال.[1]

ولم يرد في القرآن (إنَّني أخاف) بنون الوقاية مع (إن).[2]

] إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ Z هود: ٤

قدم الخبر الجار والمجرور (إلى الله) على المبتدأ (مرجعكم) للدلالة على القصر والاختصاص فإن المرجع إليه حصراً لا إلى غيره فهو مالك يوم الدين وحده[3].

وقال:] إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ Z ولم يقل(إلى الله مرجعكم جميعاً) كما ورد في آيات أخرى[4] ذلك أنه حيث ذكر الجميع ذكر جهات متعددة مختلفة ومعتقدات متباينة، بخلاف آية هود هذه فإنه ذكر جهة واحدة فلم يحتج إلى ذكر الجميع .

ومما نبه فيه إلى الجميع فيه قوله تعالى:] O P Q R S T U V W

X Y Z \ ] ^ _ ` b c d e f g h i

j k l m n p q r s t u v w x y z

| { إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ Z المائدة: ٤٨

فقال:] إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا Z ذلك أن السياق الذي جرى فيه ذكر هذه الآية في ذكر معتقدات وأحوال اليهود والنصارى وغيرهم من الكفار وذلك من الآية الحادية والأربعين إلى الآية السابعة والأربعين.

---

(١) ينظر تفسير الشوكاني:٢/٤٨١ .

(٢) ينظر التفسير البياني:٣/١٤ .

(٣) انظر تفسير الرازي ١٨/٣١٧.

(٤) كما في المائدة: ٤٨، ١٠٥، ويونس ٤.

ثم استمر سياق الحديث على الملل المختلفة فناسب ذكر الجميع.

ونحو ذلك ما جاء في الآية الخامسة بعد المائة من سورة المائدة فإنها في سياق ذكر أكثر من جهة، فإن السياق في ذكر الكافرين والمؤمنين.

فقد جاء قبل هذه الآية قوله:] مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٖ وَلَا سَآئِبَةٖ وَلَا وَصِيلَةٖ وَلَا حَامٖ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ وَأَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ١٠٣ ! " # $ %& ' ( ) * + , - . / ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ Z المائدة: ١٠٣ – ١٠٤.

ثم التفت إلى الذين آمنوا فخاطبهم بقوله:] ; < = > ? A B C D E F H I J K L M N O Z المائدة: ١٠٥.

أي إلى الله مرجعكم جميعاً من الكافرين والمؤمنين، الذين ذكرهم في الآيات السابقة فناسب السياق ذكر الجميع.

وكذلك سياق آية يونس في ذكر أكثر من جهة، فهو في سياق جهتي الكافرين والمؤمنين.

فقد قال قبل هذه الآية:]) (* + , - . / أَنۡ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمۡ قَدَمَ صِدۡقٍ : ; = > ? @ A B Z يونس: ٢.

فجعلهم فريقين

الفريق الأول وهم المؤمنون الذين بشرهم ربهم بقدم الصدق عنده.

والفريق الآخر هم الكافرون الذين قالوا إن هذا لساحر مبين.

ثم قال بعد ذلك:] f g h j k l n o p q r s t u v w x z { | } ~ حَمِيمٖ وَعَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ Z يونس: ٤.

فذكر المؤمنين والكافرين.

أما آية هود هذه فإن المخاطبين فيها صنف واحد.

فعند النظر في قوله تعالى:] d f g h i j k l m n o p q r s u v w x y z { | } ~ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُمَتِّعۡكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى

وَيُؤْتِ © ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ وَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ ´ µ ¶ ¸ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ Z هود: ١ – ٤.

نجد المخاطبين إما أن يستغفروا ربهم فيمتعهم أو يتولوا فيعذبهم، ولم يجعلهم قسمين كما سلف.

] أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُواْ مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٥﴾ Z هود: ٥.

ورد في سبب نزول هذه الآية خمسة أقوال:

أحدها: أنها نزلت في الأخنس بن شريق(١)، وكان يجالس رسول الله ﷺ ويحلف إنه ليحبّه، ويضمر خلاف ما يُظهر له، فنزلت فيه هذه الآية.(٢)

والثاني: أنها نزلت في ناس كانوا يستحيون أن يُفضوا إلى السماء في الخلاء ومجامعة النساء، فنزلت فيهم هذه الآية.

والثالث: أنها نزلت في بعض المنافقين، كان إذا مرَّ برسول الله ﷺ، ثنى صدره وظهره وطأطأ رأسه وغطى وجهه لئلا يراه رسول الله ﷺ.

والرابع: أن طائفة من المشركين قالوا: إذا أغلقنا أبوابنا وأرخينا ستورنا واستغشينا ثيابنا وثنينا صدورنا على عداوة محمد ﷺ، كيف يعلم بنا؟ فأخبر الله عما كتموا.

والخامس: أنها نزلت في قوم كانوا لشدة عداوتهم رسولَ الله ﷺ إذا سمعوا منه القرآن حنَوا صدورهم، ونكسوا رؤوسهم، وتغشوا ثيابهم ليبعد عنهم صوت رسول الله ﷺ ولا يدخل أسماعهم شيء من القرآن.(٣)

وذكر أنه حين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون ليدل على أنه يراهم ويراقبهم ويعلم فعلهم ونواياهم سبحانه.

---

(١) سبقت ترجمته.

(٢)ذكره الواحدي في أسباب النزول:١/٩٦.

(٣)ينظر زاد المسير:٣/٣٢٠، التفسير الكبير:٨/٣٦٨.

ولئلا يظن أن علمه محصور فيما يُفعل من ظواهر الأمور، وأن علمه مقيد في ذلك الحين قال:] إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ Z ليدل على إطلاق علمه من غير تقييد، فدل بذلك على أنه يعلم الإعلان والإسرار على كل حال عند الفعل وقبله وبعده.

وذات الصدور: الحالة التي قرارها الصدور فهي صاحبتها وساكنتها، فذات الصدور النوايا والخواطر وما يهم به المرء وما يدبّره ويكيده. (١)

وذكر كذلك أن علمه بهم حين يستغشون ثيابهم أي في وقت الفعل لا بعده ،فهو سبحانه مستغنٍ بعلمه عن التأمل والتفكير أو الاستفسار أو التبيُّن أو انتظار مجيء الخبر أو ظهور ما يدل على ذلك فيما بعد فهو بكل شيء عليم.

قال الإمام الزمخشري (٢):((يعني أنه لا تفاوت في علمه بين إسرارهم وإعلانهم ، فلا وجه لتوصلهم إلى ما يريدون من الاستخفاء ، والله مطلع على ثنيهم صدورهم واستغشائهم ثيابهم ، ونفاقهم غير نافق عنده.))(٣)

وقوله:] يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَۚ Z فيه احتمالان:

الأول: أن تكون (ما) مصدرية أي يعلم إسرارهم و إعلانهم.

والآخر: أن تكون اسماً موصولاً بمعنى الذي، أي أنه يعلم الذي يسرونه والذي يعلنونه من الأمور.

والمعنيان مرادان فإنه يعلم الإسرار والذي يسرونه، ويعلم الإعلان والذي يعلنونه.

وهذا من التوسع في المعنى، وهو مراد، فإنه لو ذكر العائد فقال (ما يسرونه وما يعلنونه) لدل على شيء واحد وهو الاسم الموصول.

---

(١)ينظر التحرير والتنوير:١٠/٢٥.

(٢)هو : محمود بن عمر بن محمد بن عمر العلامة أبو القاسم الزمخشري الخوارزمي النحوي اللغوي المتكلم المفسر، يلقب بـــ (جار الله) لأنه جاور بمكة زماناً ، ولد في رجب سنة سبع وستين وأربعمائة بزمخشر، وقال ابن خلكان في وفياته: كان إمام عصره ، وكان متظاهراً بالاعتزال. طبقات المفسرين للداوودي (١/١٧٢).

(٣)الكشاف:٣/٦٦.

لقد قال هنا:] يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ Z وقال في النمل:] H I J K L Z النمل: ٢٥ فذكر الإخفاء دون الإسرار ذلك أن الإسرار قد يكون في النفس كما قال تعالى:

] فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ، وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ Z يوسف: ٧٧.

وقد تسره إلى غيرك، قال تعالى:] @ A B C D E F Z التحريم: ٣ وقال:] C D E Z الممتحنة: ١وقال:] فَتَنَٰزَعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَىٰ Z طه: ٦٢.وقال تعالى:] سِرًّا وَعَلَانِيَةً Z ... ويستعمل في الأعيان والمعاني...

وأسررت إلى فلان حديثا أفضيت إليه في خفية.[1] قال تعالى:] @ A B C D E F Z التحريم: ٣ ...

والإسرار إلى الغير يقتضي إظهار ذلك لمن يفضي إليه بالسر وإن كان يقتضي إخفاءه عن غيره.

فإذن قولهم (أسررت إلى فلان) يقتضي من وجه الإظهار ومن وجه الإخفاء[2].

وفي (العين): ((وأسرَرْتُ الشيءَ: أظهَرْتُه، وأسرَرْتُه: كَتَمْتُه))[3].

أما الإخفاء فكأنه أخفى من السر. قال تعالى:] n o p q Z طه: ٧.

وقد يكون في الأشياء التي تسترها عن الناظر.

قال الراغب[4]:((خفي الشيء خفية إذا استتر... وأخفيته أوليته خفاء وذلك إذا سترته. ويقابل به الإبداء والإعلان قال تعالى:] إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَ I Z البقرة))[5].

(١) غريب القرآن للأصفهاني: ٢٢٨/١.

(٢) المصدر السابق.

(٣) العين: ٥٠/٢.

(٤)العَلاَّمَةُ المَاهِرُ المُحَقِّقُ البَاهِرُ ، الحسين بن محمد بن المفضل، أبو القاسم الأصفهاني (أو الأصبهاني) المعروف بالراغب: صَاحِبُ التَّصَانِيْف ،كَانَ مِنْ أَذكيَاء المتكلِّمين ،أديب من الحكماء العلماء. من أهل (أصبهان) سكن بغداد، واشتهر، حتى كان يقرن بالإمام الغزالي(ت ٥٠٢ هـ) سير أعلام النبلاء:٣٤١/١٣،الأعلام:٢٥٥/٢.

(٥) غريب القرآن:١٥٣/١

أما قوله تعالى في النمل:] H I J K L Z النمل: ٢٥ دون (ما تسرون وما تعلنون) فالسياق يوضح ذلك. قال تعالى:] ? @ A B C D E F G H I J K L Z النمل: ٢٥ ذلك أنه ذكر أنه يخرج الخبء أي ما هو خاف أو مخفي.

((والخبء كل ما غاب))[1]. فلما ذكر المخبوء ناسب ذكر الإخفاء لأن المخبأ مخفي.

وقال تعالى:] C D E F G H I J K Z الممتحنة: ١ .

فقال:] F G H I J K Z بعد قوله:] C D Z ولم يقل (وأنا أعلم بما أسررتم وما أعلنتم) ذلك لأنه أفاد أنه يعلم الدافع الذي أخفوه في أنفسهم من هذا الإسرار. فإنك قد تسر شيئاً لشخص وأنت تبتغي غرضاً من ذلك تخفيه في نفسك، والله يعلم ذلك الأمر وماذا أخفيت. ولو قال:(وأنا أعلم بما أسررتم) لانصرف إلى إسرارهم بالمودة دون الغرض الذي يخفيه أصحابه، فسبحانه ما أعظم علمه.

وقال سيدنا إبراهيمالطَّيِّلاً:] n o p q r s t Z إبراهيم: ٣٨ دون (ما نسر وما نعلن) ذلك لأنه قال بعدها:] v w x y z { | } ~ فِي ٱلسَّمَآءِ Z .

وقال في موطن آخر:] مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ Z القصص: ٦٩ دون (ما يسرون) أو (ما يخفون) وذلك لسبب آخر، فإن (الكن) هو ما تحفظ فيه من الأشياء التي تريد صونها. والكن: ((ما يحفظ فيه الشيء يقال: كننت الشيء كنًّا جعلته في كِنٍّ وخص. وكننت بما يستر ببيت أو ثوب وغير ذلك من الأجسام...

وأكننت بما يستر في النفس... وجمع الكن أكنان. والكنان الغطاء الذي يكن فيه الشيء))[2].

قال تعالى:] ~ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ Z الطور: ٢٤ وقال:] B C D E F Z النحل: ٨١ أي: وجعل لكم من الجبال مواضع تسكنون فيها.[3]

---

(١)المحكم والمحيط الأعظم:٣٥١/٢

(٢) مفردات الراغب (كنَّ).

(٣) تفسير الطبري:٢٩٦/١٧.

وقال:] وَقَالُواْ قُلُوبُنَا : ; > = < Z فصلت: ٥

في أكنة: في أغطية وقال مجاهد[١]: كالجعبة للنبل.[٢] فلا يصل إليها شيء من دعوته.

وقال عن هذا القرآن العظيم:] ! " # $ % & ' ( ) Z الواقعة: أي مصون عند الله لا يمسه أيُّ أذىً من غبار ولا غيره، وهو كذلك محفوظ عن الباطل فلا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه أبداً. [٣]

] إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ Z

وذات الصدور: الأشياء الموجودة في الصدور ، وهي الأسرار والضمائر ، وهي ذات الصدور ، لأنها حالة فيها مصاحبة لها.[٤]

] " # $ % & ' ( ) * + , - . / فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ Z

هود: ٦

الدابة: اسم لكل حيوان ذي روح ذكراً كان أو أنثى عاقلا أو غيره [٥]. ويحتاج إلى رزق[٦].

قال الإمام الطبري[٧]: ((كلَّ دابة ، والناسُ منهم)).[٨]

والمعنى أن كل دابة في الأرض ضمن الله لها رزقها وهو يعلم مستقرها، وهو الموضع الذي استقرت فيه قبل مجيئها إلى هذه الدنيا سواء كانت في صلب ،أم رحم، أم بيضة. وما تستقر فيه حيث تأوي إليه من الأرض. ويعلم مستودعها وهو الموضع الذي تموت فيه وتدفن[٩].

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم: ٥/٢٠٧، والطبري:٢١/٤٢٨، ومجاهد هو: بن جبر بن السائب المخزومي، أبو الحجاج، شيخ القراء والمفسرين، روى عن ابن عباس فأكثر وأطاب (٢١ – ١٠٤هـ). ينظر: طبقات الفقهاء للشيرازي (٦٩) ، والعقد الثمين (٧/١٣٢)، والمعرفة والتاريخ (١/٧١١) .

(٢)تفسير ابن أبي حاتم: ٥/٢٠٧، والطبري:٢١/٤٢٨.

(٣) جامع البيان ٢٣/١٤٩،الجامع لأحكام القرآن: ١٧/٢٢٤.

(٤) التفسير الكبير: ٤/٤٢٩.

(٥) روح المعاني ١٢/٢.

(٦) البحر المحيط ٥/٢٠٤.

(٧)سبقت ترجمته رحمه الله.

(٨)تفسير الطبري ١٥/٢٤١.

(٩)الكشاف ٢/٩١، البحر المحيط ٥/٢٠٤.

بل قد أشار القرآن إلى تكفل الله عز وجل برزق من ليس له قوة، أو حيلة، في حمل رزقه، أو كثره فقال:] o p q r s t Z العنكبوت:٦٠ أي: لا تطيق جمعه وتحصيله ولا تؤخر شيئًا لغد] u v w Z أي: الله يقيض لها رزقها على ضعفها، وييسره عليها، فيبعث إلى كل مخلوق من الرزق ما يصلحه، حتى الذر في قرار الأرض، والطير في الهواء والحيتان في الماء(١)

قال الإمام البقاعي(٢): ((لقد شاهدت داخل حصاة من شاطئ بحر قبرس شديدة الصلابة كأنها العقيق الأبيض دودة عندها ما تأكل)).(٣)

وقد ذكر بعض المفسرين قصصاً في عجائب تدبير الخالق العظيم لرزق بعض المخلوقات وتسخير بعضها لبعض، وعظيم رحمته بها سبحانه.(٤)

وفي العموم فإن تكفله سبحانه برزق مخلوقاته، من أعظم دلائل قيوميته، ورحمته، وقدرته، وكمال صفاته.

وقد يقال: لم خص الدابة التي في الأرض هنا ولم يذكر ما في السماء مع أنه ذكر دواب السماء في آية أخرى وذلك في قوله تعالى:] وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ Z الشورى: ٢٩ ؟

فنقول: إن السياق قبل الآية وبعدها على من في الأرض وعلى سكان الأرض، بل إن السورة عموما في الكلام على أهل الأرض والأمم التي عاشت فيها.

فناسب ذكر دواب الأرض.

ثم إن ذكر قدرته على كل شيء فيما سبق عند قوله:] وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ Z هود: ٤ يدخل فيه دواب السماء وغيرها.

وقال بعد هذه الآية:] وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ Z هود: ٧ فذكر أنه هو الذي خلقهما فدخل في ذلك دوابهما.

---

(١) ينظر تفسير بن كثير:٦/٢٩٢.

(٢)سبقت ترجمته رحمه الله.

(٣)نظم الدرر ٤/١٣١.

(٤)ينظر تفسير الرازي ١/٢٠٢، تفسير بن كثير٦/٢٩٣.

غير أنه لما كان السياق في سكان الأرض ناسب ذكر ما يسكن في الأرض من الدواب.

وضمن الإمام القرطبي _ رحمه الله _ طيور السماء في دواب الأرض فقال :((دابة تجمع الحيوان كله، وقد أخرج بعض الناس الطير، وهو مردود، فإن الطير يدب على رجليه في بعض حالاته.))[١]

ونقل أيضاً عن أعرابية أنها أنشأت تقول:

لو كان في صخرة في البحر راسية * صماً ململمة ملساً نواحيها

رزق لنفسٍ براها الله لانفلقت *حتى تؤدي إليها كل ما فيها

أو كان بين طباق السبع مسلكها * لسهل الله في المرقى مراقيها

حتى تنال الذي في اللوح خط لها * إن لم تنله وإلا سوف يأتيها[٢]

وقال تعالى على لسان لقمان الحكيم[٣]

:] y z { | } ~ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ © ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ Z لقمان: ١٦

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (لو أنكم توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً)[٤]

ومن التناسق البديع أن هذه الآية لها ارتباط في آية سابقة بقوله تعالى:] وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ Z ذلك لأن الذي ضمن لكل دابة رزقها ، وهو كذلك موصله إليها إنما هو على كل شيء قدير.

(١)الجامع لأحكام القرآن: ١٩٦/٢.

(٢) ينظر تفسير القرطبي:٤٣/١٧، ونقله صاحب روضة العقلاء عن عبد العزيز الأبرش:٥٣/١.

(٣)هُوَ لُقْمَانُ بْنُ عَنْقَاءَ بْنِ سَدُونَ، وَيُقَالَ لُقْمَانُ بْنُ ثَارَانَ، كَانَ نُوبِيًّا مِنْ أَهْلِ أَيْلَةَ، وَكَانَ رَجُلًا صَالِحًا ذَا عِبَادَةٍ وَعِبَارَةٍ وَحِكْمَةٍ عَظِيمَةٍ، وَيُقَالُ كَانَ قَاضِيًا فِي زَمَنِ دَاوُدَ عليه السلام، وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ عَبْدًا حَبَشِيًّا نَجَّارًا ،وعَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ قَالَ: كَانَ لُقْمَانُ مِنْ سُودَانِ مِصْرَ ذو مَشَافِرَ أَعْطَاهُ اللَّهُ الْحِكْمَةَ وَمَنَعَهُ النُّبُوَّةَ. البداية والنهاية:١٤٧/٢،تفسير بن كثير٣٣٦/٦،تفسير القرطبي٥٨/١٤.

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك برقم: ٨٠٠٨ ، باب لو أنكم توكلتم على الله حق توكله ،٢٦٦/١٨.

ولها كذلك اتصال بقوله تعالى في الآية السابقة لها:] يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ Z فإنه ذكر جانباً من علمه هناك، وذكر جانباً آخر هنا، فإن الذي يعلم مكان كل دابة في الأرض ويوصل إليها رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها إنما هو الذي يعلم الإسرار والإعلان وهو العليم بذات الصدور.

ثم ذكر علمه بكل دابة في الأرض ومكانها ومستقرها فاستغرق علمه كل الأحياء.

ثم ذكر علمه الذي لا يحد فإنه علم كل ذلك قبل وجود هذه الأشياء وسطر ذلك في كتاب مبين في كتاب مبين وهو: اللوح المحفوظ.

وقد جاء في الآية بـــ(مِن) الاستغراقية التي تستغرق كل ما يدب على الأرض فقال:] " # $ Z

ثم قال:] ') (* Z فقدم الخبر وهو (على الله) على المبتدأ (رزقها) وذلك للحصر للدلالة على أن رزقها عليه حصراً لا على غيره.

ولو قال (إلا رزقها على الله) لم يفد أن رزقها عليه حصراً.

فهناك في الآية قصران:

الأول: (إلا) وهو استثناء مفرَّغ.(١)

والآخر: تقديم الخبر.

فأفاد بأنْ حَصَرَ كل دابة على زرق الله ، وحصر أيضاً الرزق على الله.

ثم قال: (كلٌ) أي كلُ ذلك عن كلِ دابة مدون في كتاب قبل خلقها ،وذلك من عظيم قدرة الإله الواحد جل وكمل سبحانه، ووصف الكتاب بـــ(المبين) وهو ظاهر الدلالة،

---

(١)سمي مفرغاًكما يقول ابن هشام- لأن ما قبلها قد تفرغ للعمل فيما بعدها، وهو استثناء ناقص؛ لأن جملة الاستثناء نقصت ركناً مهما من أركانها هو "المستثنى منه". و يشترط النحويون للاستثناء المفرغ تقدم نفي أو شبهة، معللين ذلك بأن وقوع المفرغ بعد الإيجاب يتضمن المحال أو الكذب، ولا مانع من القول بوقوع الاستثناء المفرغ بعد الإثبات استناداً إلى ما ورد في القرآن الكريم من الآيات المتعددة، التي بلغت ثماني عشرة آية، وفي بعضها من التوكيد ما يبعد تأويل الإثبات بنفي، قال تعالى:] وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى © ﴿٤٥﴾ Z البقرة . ينظر دليل السالك إلى ألفية بن مالك:١/٣٦٣،النحو المصفى١/٤٨٩.

المفصل لكل صغيرة وكبيرة، وبذلك تضمنت الآية إظهار قدرة الله وعلمه بأكمل وأجل وأجمل بيان.

] وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى : ; < = > ? @

A B C E F G H I J K L M N O P

Q R S Z هود: ٧.

بعد أن ذكر قدرته، وعلمه بالبشر، وعموم الأحياء سبحانه ،ذكر قدرته وعلمه بعموم الخلق فقال:] وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ Z أي هو لا غيره.

فهو الذي خلقهنَّ حصراً، وعليه فلا يحق ولا يليق لسكانهما أن يعبدوا غيره.

فارتبط ذلك بقوله:] p q r s Zهود: ٢.، وهومن التناسق والتناسب بمكان.

وقال أيضاً:] < = > ? Z هود: ٧. فدل على أنه الملك والمالك والحاكم لأن صاحب العرش هو الملك.

ودلَّ على أن ملكه وحكمه قديمان فإنه الملك قبل أن يخلق السماوات والأرض وقد كان عرشه على الماء قبلهما فهو رب العرش العظيم ورب الماء الذي كان عليه العرش.

وقال:] @ A B C Z أي ليختبركم ومعنى ذلك أنه خلق السماوات والأرض لحكمة وليس عبثاً قال تعالى:] وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا à Z الدخان: ٣٨ – ٣٩ فدل على أنه حكيم.

ثم ذكر عاقبة هذا الابتلاء وأنه لم يتركهم سدى بل سيبعثهم بعد الموت ليجزيهم على ما قدموا فقال:] E F G H I J K L M N O P Q

R S Z هود: ٧.

فدل على أنَّ لهذا الاختبار جزاء بعد الموت.

فمن التناسق والتناسب في الآيات ما يلي:

١- ارتباط قوله سبحانه:] وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ Z بقوله:] وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ Z هود: ٤.

٢- ارتباط ذلك بقوله:] m n Z فإن الذي خلق السماوات والأرض بهذا النظام المحكم الدقيق إنما هو حكيم خبير.

٣- ارتبط قوله:] > = > ? Z بقوله:] k l m Z بمعنى الحكم، فإن صاحب العرش إنما هو الحاكم.

٤- دلَّ قوله:] > = > ? Z بأن حكمه وملكه قديمان وليسا حادثين فإن ذلك قبل خلق السماوات والأرض.

٥- ودل قوله:] @ A B C Z أنه إنما فعل ذلك لحكمة، فارتبط ذلك بقوله:] k l m n Z بمعنى الحكمة والخبرة.

فالذي يعلم أحسن الأعمال إنما هو الخبير.

فارتبط قوله:] > = > ? Z باسمه الحكيم من الحكم.

وارتبط قوله:] @ A B C Z باسمه الحكيم من الحكمة، وارتبط باسمه الحكيم من الحكم والقضاء لأن الذي يحكم في الأعمال حسنها وأحسنها إنما هو الحاكم ذو الحكمة.

٦- وارتبط قوله:] E F G H I J K Z بقوله:] إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ Z .

٧- وارتبط قوله:] فِي : ; Z بقوله تعالى بعد هذه الآية:] U V W X Y Z [Z هود: ٨

فان قيل: لم خلق السموات والأرض في ستة أيام ،فهلاَّ خلقها في لحظة، وهو القادر؟

فأجيب عنه بخمسة أجوبة .

أولها: أنه أراد أن يوقع في كل يوم أمراً تستعظمه الملائكة ومن يشاهده .

ثانياً: أن التثبُّت في تمهيد ما خُلق لآدم وذريته قبل وجوده، أبلغُ في تعظيمه عند الملائكة.

ثالثاً: أن التعجيل أبلغ في القدرة ، والتثبيت أبلغ في الحكمة ، فأراد إظهار حكمته سبحانه في ذلك ، كما يظهر قدرته في قوله :] كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾ Z البقرة.

رابعاً: أنه علَّم عباده التثبُّت ، فاذا تثبَّت من لا يزلُّ جل وعلا، كان ذو الزَّلل أولى بالتثبُّت .

خامساً: أن ذلك الإمهال في خلق شيء بعد شيء، أبعد من أن يُظن أن ذلك وقع بالطبع أو بالاتفاق.[١] كما أنَّه قد يكون من حِكَم هذا الأمر أنَّه فعل ذلك جلَّ وعلا ليعلم عباده الصبر والأناة وعدم الاستعجال في بعض أحوالهم، فإنَّه أمر بالصبر بعد بعض الآيات التي أشارت إلى هذا الأمر ومنها قوله في سورة (ق):] M N O P Q R S T U V W X Z ق: ٣٩.

وإذا كان قد ذكر أياماً معدودات لخلق السماوات والأرض وهي ستة أيام وذلك لحكمة بالغة أرادها فإنه كذلك قد يؤخر العذاب إلى أمة معدودة تقتضيها حكمته.

فدلت هذه الآية على أنه حي عالم قدير حكيم خبير.

واقتضى ذلك ألا يعبد غيره، وكيف يعبد غيره وهو الخالق الذي خلق هذا الخلق العظيم، القادر الرزاق، القيوم، العالم، الباعث لخلقه؟

ثم قال بعد ذلك:] E F G H I J K L M N O P Q R S Z.

في هذه الآية يبين جل وعلا أن الذين كفروا يَعدُّون حديث النبي ﷺ عن البعث ووعدهم به حيلة ساحر ليطيعه الناس ويتبعوه ، وهم لا يقبلون ذلك ولو على سبيل الاحتمال، قال الزمخشري[٢] : ((باتّين القول ببطلانه...))[٣] وهذا من الغلو في الخلاف، وشدة الخصومة.

وقد يشمل نعتهم هذا للقرآن فهوا الناطق بالبعث، وما النبي إلا مبلغ، وقد قال أحدهم عن القرآن كما كشف القرآن:] : ; < = > Z المدثر: ٢٤.

وقال الامام الرازي[٤]: ((قال القفال[٥]: معناه أن هذا القول خديعة منكم وضعتموها لمنع الناس عن لذات الدنيا وإحرازاً لهم إلى الانقياد لكم والدخول تحت طاعتكم...))[١].

(١) ينظر: زاد المسير ٢/٤٩٢.

(٢) سبقت ترجمته رحمه الله.

(٣) الكشاف ١٢/٩١.

(٤) سبقت ترجمته رحمه الله.

(٥) محمد بن علي بن إسماعيل القفال الكبير الشاشي ، الإمام الجليل أحد أئمة الدهر ،ذو الباع الواسع في العلوم واليد الباسطة والجلالة التامة والعظمة الوافرة ، كان إماماً في التفسير، إماماً في الحديث، إماماً في الكلام إماماً في

[U V W X Y Z [\ ] ^ _ ` a b c d

e f g h i j k Z هود: ٨

قد يراد بحكم الله في هذه الآية التأخير أي أنه لا يعذب أحداً منهم بعذاب الاستئصال في الدنيا بل يؤخرهم إلى يوم القيامة، كما حكم بذلك في شأن الظالمين فقال:] وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَـٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَـٰرُ ﴿٤٢﴾ Z إبراهيم. ويمكن أن يكون المراد ما حاق بهم يوم بدر.(٢)

وأسند تأخير العذاب إلى نفسه سبحانه فقال: (أخرنا) ثم قال: [` a b c d e Z ولم يقل (ليس منصرفا عنهم) ليدل على أن العذاب لا ينصرف من نفسه وإنما لابد وأن يصرفه صارف.

كما لم يقل: (ألا يوم يأتيهم لا نصرفه عنهم) فيسند عدم صرف العذاب إلى نفسه وإنما جعله اسم مفعول.

فأسند تأخير العذاب لنفسه، ولم ينسب عدم صرفه إلى نفسه سبحانه إشارة إلى رحمته بخلقه.

والأمة هي المدة من الزمان، أي: ولئِن أخرنا عنهم العذاب إلى مجيء أمة وانقراض أخرى قبلها محددٌ أجلها.

ومعنى الآية أن الذين كفروا إذا تأخر عنهم ما يوعدون من العذاب استهزؤا وقالوا: ما يحبسه؟ أيُّ شيءٍ يمنعه من الوقوع ؟

يقولون ذلك استهزاءً، وظنًّا منهم أن ذلك إنَّما أُخر عنهم لكذب المتوعِّد.

الأصول، إماماً في الفروع، إماماً في الزهد والورع ،إماماً في اللغة والشعر، ذاكراً للعلوم محققاً لما يورده، حسن التصرف فيما عنده فرداً من أفراد الزمان، لم يكن للشافعية بما وراء النهر مثله في وقته . طبقات الشافعية الكبرى (٣/٢٠٠)، طبقات المفسرين للسيوطي(١/ ١٠٩).

(١) تفسير الرازي ٦/٣٢٠ .

(٢) تفسير الرازي ٨/٣٧٢،التحرير والتنوير:٧/٩٨.

فقال سبحانه:] ` a b c d e f g h i j k Z

فقال:] ` a b Z ولم يقل (ألا يوم نأتي به) فأسند الإتيان إلى العذاب ولم يسند إتيانه إلى نفسه.

فأسند تأخير العذاب عنهم إليه سبحانه، ولم يسند إتيان العذاب عليهم إليه سبحانه.

بينما نفى الصرف بصيغة اسم المفعول (d) فلم يقل (لا نصرفه عنهم). وكل ذلك تلطفاً منه بعباده لعلهم يرجعون إليه.

وقال:] f g Z ((على لفظ الماضي مع أنه لم يقع مبالغة في التأكيد والتقرير))(١).

والفعل (حاق) يقال لما يصيب الإنسان من مكروه وسوء،يقال: ((حاق يحيق حيقاً وحيوقاً وحيقاناً أي : أحاط ، قال الضحاك(٢): ولا يستعمل إلا في الشر)) (٣)

وقال الأصفهاني(٤): ((قال عزوجل:] ´ µ ¶ ¸ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ Z فاطر: ٤٣ ،أي لا ينزل ولا يصيب، قيل وأصله حق فقلب نحو زل وزال)).(٥)

والمراد هنا :((وقع بهم العذاب الذي استهزءوا به)).(٦)

فعبر بقوله:] f g h i j k Z فجعل استهزاءهم هو الذي حاق بهم ،وهو الذي أوجب عليهم العذاب، فهذا الذي وقع بهم إنما كان بما كسبت أيديهم وبظلمهم لأنفسهم.

---

(١) تفسير الرازي ٣٢١/١٨.

(٢)الضحاك بن مزاحم الهلالي أبو القاسم ،وقيل أبو محمد، المفسر، ولد ببلخ ،وكان يقيم بمرو مدة وببلخ زماناً، وربما أقام ببخارى وبسمرقند حيناً، يقال أن أمه حملت به سنتين وولد وله سنان اثنتان، وكان ممن عنى بعلم القرآن عناية شديدة مع لزوم الورع ، صدوق كثير الإرسال ،مات سنة خمس ومائة، لم يسمع من بن عباس ولا من أحد من الصحابة شيئاً وإنما لقى سعيد بن جبير بالري فأخذ عنه التفسير. مشاهير علماء الأمصار ٣٠٨/١،طبقات المفسرين للداوودي ٢٢٢/١.

(٣) البحر المحيط ٧١/٥.

(٤) سبقت ترجمته رحمه الله.

(٥) غريب القرآن ١٣٧/١.

(٦) تفسير الطبري ٢٧٢/١٨.

] m n o p q r s t u v w Z هود: ٩.

ذاق الشيء: جربه، والذوق يكون بالفم وبغير الفم، ويكون في المحمود والمكروه[١]وهو يصلح للقليل والكثير، وأصله فيما يقل تناوله دون ما يكثر.[٢]

قال تعالى:] فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا Z الأعراف: ٢٢

وقال:] ! " # $ % & ' ( ) Z السجدة: ٢١

وهذا من الذوق القليل.

وقال:] b c d e f g h Zالنساء:٥٦.

وقال:] كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا ´ µ ¶ ¸ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ Z الحج: ٢٢،وهو نحو ما مر.

وقال:] o p q r s t u v w Z القمر: ٣٨ – ٣٩، فذكر أن العذاب مستقر أي ثابت لا يتحول ثم قال:] u v w Z القمر: ٣٩ وهو عذاب متصل وقد عبر عنه بالذوق.

وقال:] وَمَن يَظۡلِم مِّنكُمۡ نُذِقۡهُ عَذَابٗا كَبِيرٗا Z الفرقان: ١٩ فوصفه بأنه عذاب كبير.

وقال:] ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلۡعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ Z يونس: ٧٠فوصفه بأنه عذاب شديد.

والرحمة: تشمل الرخاء، والسعة في الرزق والعيش، والبسط في أمور الدنيا من صحة أو مال أو ولد، وغيرها مما يسر الإنسان وينعِّمه.

واليؤوس: فعول من يئستُ، وهو ((شديد اليأس من أن تعود إليه مثل تلك النعمة المسلوبة، قاطع رجاءه من سعة فضل الله، من غير صبر ولا تسليم لقضائه ولا استرجاع.

والكفور:((عظيم الكفران لما سلف من التقلب في نعمة الله، نَسَّاءٌ له))[٣]

(١) انظر لسان العرب١٠/١١١،النهاية في غريب الأثر٢/٤٢٨.

(٢) غريب القرآن١/١٨٢.

(٣) الكشاف٢/٩٢.

وهذا البيان بيان لحال الإنسان وهو أنه إذا سلبت منه نعمة كان يتقلب فيها يئس من عودتها، وكفر النعمة التي كان ينعم فيها إلا من استثناه الله فيما ذكر بعد.

وهذا الوصف يقال في جنس الإنسان عموماً فإن طبعه الجزع عند التحول من الرخاء إلى الشدة، إلا من اتصف وتحلى بحلة الإيمان فإنه يصبر ويرضى بقدر الله وابتلائه ولا يقنط من رحمته وفضله.

وفي الحديث: (عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ)[(١)]

بل إن المؤمن يعد كل ابتلاء يبتلى به مكفراً لذنوبه ففي الحديث:(قَارِبُوا وَسَدِّدُوا فَفِي كُلِّ مَا يُصَابُ بِهِ الْمُسْلِمُ كَفَّارَةٌ حَتَّى النَّكْبَةِ يُنْكَبُهَا أَوْ الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا)[(٢)]

واختُلف فيمن نزلت فيه هذه الآية ابتداءً فمنهم من قال أنها نزلت في الوليد بن المغيرة ،ومنهم القائل بأنها في عبد الله بن أبي أمية المخزومي.[(٣)]

وقد قدم هنا الجار والمجرور (منَّا) على الرحمة فقال:] n o p q Z هود: ٩ في حين أخره عنها في موضع آخر ،فقال في فصلت:] [\ ] ^ _ ` a b c d e f g h i j k l m n o p q Z فصلت: ٥٠. وذلك أنه في آية هود ذكر أثر نزع الرحمة ، وأما آية فصلت فالكلام على حصول الرحمة نفسها فقدمها، وهوالأنسب.

ثم إنه ختم آية هود هذه بقوله:] u v w Z فختمها بوصف اليأس والكفران.

أما آية فصلت فختمها بوصف اليأس والقنوط، فقال:] O P Q R S T U V W X Y Z فصلت: ٤٩

---

(١) أخرجه مسلم برقم: ٥٣١٨، باب: المؤمن أمره كله خير، ١٤/٢٨٠.

(٢) أخرجه مسلم برقم: ٤٦٧١، باب: ثواب المؤمن فيما يصيبه، ١٢/٤٥١.

(٣) ينظر زاد المسير،٣/٣٢٣، أسباب النزول للواحدي١/٩٦.

والقنوط شدة اليأس من الخير، ذلك والله أعلم أنه في هود ذكر أمرين: إذاقة الرحمة ونزعها ،وبين أن الإنسان إذا سلبت منه النعمة التي كان يتقلب فيها أدركه اليأس و لم يشكر ما سلف من نعمة الله عليه فهو يؤوس كفور، مع أن إذاقة الرحمة تقتضي الشكر ونزعها يقتضي الصبر والرجاء غير أن حال الكافر اليأس والكفر.

وأما في فصلت فلم يذكر نعمة أو خيراً أصابته قبل أن يمسه الشر وإنما ذكر حاله إذا مسه الشر فحسب.

وأما قبل ذلك فلم يذكر أنه مسه خير أو أصابته حسنة وإنما قال:] O P Q R S T Z وهذا لا يدل على حال بعينها من نعمة أو سوء فقد يكون الدعي مستزيداً وقد يكون مقدراً عليه دون الشر، أو يكون في الكفاف ويرجوا السعة، فلما ذكر مس الشر له فحسب جاء بصفتين من صفات اليأس فقال(يؤوس قنوط).

وبهذا ناسب كل تعبير موضعه الذي ورد فيه، وكان متناسقاً مع السياق الذي عرض فيه.

قوله تعالى:] y z { | } ~ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّيٓۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٞ فَخُورٌ ﴿١٠﴾ © ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ Z هود: ١٠ – ١١

النعماء:((النعمة: المنة، ومثلها النعماء)) [١]قيل هي ((إنعام يظهر أثره على صاحبه، والضراء مضرة يظهر أثرها على صاحبها... وهذا هو الفرق بين النعمة والنعماء والمضرة والضراء))[٢].

وقال:] ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّيٓۚ Z بتذكير الفعل (ذهب) ولم يقل (ذهبت السيئات عني)، وهذا جارٍ في جميع القرآن[٣] إذا جعل السيئات فاعلاً فإنه يُذكِّر الفعل. قال تعالى:] ! " # $ % Z الزمر: ٤٨ وقال:] Q R S T Z الزمر: ٥١ وقال: [V W X Y Z [\ ] Z الزمر: ٥١ وقال:] ! " # $ % Z الجاثية: ٣٣.

(١) زاد المسير١/٥٩.
(٢) تفسير الرازي ٨/٣٧٣.
(٣) ينظر التفسير البياني:٣/٣٦.

وسبب التذكير أنه أراد معنى المذكر ويوضح ذلك قوله:] E F G H I J K

L M N O P Q R S T V W X Y Z

[\ ] ^ _ ` Z الزمر: ٥٠ – ٥١

فذكَّر الفعلين (أصابهم) و(سيصيبهم) ذلك أنه ليس المقصود أنه أصابتهم سيئات أعمالهم وإنما المقصود أنه أصابهم جزاء هذه السيئات ولذلك قال:] J K L M N O

Z الزمر: ٥٠ إشارة إلى العذاب الذي حل بهم.

وأراد هنا بقوله:] ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّيٓ Z ذهاب الضيق والعسرة ، وزوال الشدائد والمكاره وكل ذلك منهم غِرَّةً بالله، وجرأة، وتألياً عليه وكأن قائلهم يقول جازماً: (محال أن ينالني بعد هذا ضيم ولا سوء) فذكر الفعل مراعاةً للمعنى ، وليس المقصود كما هو ظاهر ذهاب السيئات من الأعمال التي عملها أي ذنوبه بل أراد هنا الضر والفقر ، والله أعلم، ولا عجب فهذه مقاييس الغافل وهمته.

وقد جاء في الحديث:« إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَأَنَّهُ قَاعِدٌ تَحْتَ جَبَلٍ يَخَافُ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ ، وَإِنَّ الْفَاجِرَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَذُبَابٍ مَرَّ عَلَى أَنْفِه »(١)

والفرِح: الأشِر البطِر ((وهذا الفرح مطلق فلذلك ذم المتصف به.))(٢)

أما ما اقترن بفضل الله والثناء على نعمه وآلائه، وعطائه بالإيمان، والقرآن، والدار الآخرة، فقد وجه إليه، ورغب فيه كما في قوله تعالى :] a b c d e f g

h i j k Z يونس .وفسر فضل الله بالإسلام، وبالإيمان، وبالقرآن، وبالعلم، وبالتوفيق، وأما رحمته: فكتابه، أو نبيهﷺ، أو سنته، أو عصمته.(٣)

وكل صنوف هذا الفرح محمودة، ولا لوم على أهلها فيها، إذ هو فرح في محله، وهو ومما يحبه الله تعالى، وليس مما يدعوا إلى أشر أو بطر.

---

(١) أخرجه البخاري برقم ٦٣٠٨،باب التوبة،٨٧/٢١.

(٢) البحر المحيط ٢٠٦/٥.

(٣) زاد المسير٢٩٠/٣.

وأما ما عداه مما فيه بطر، وكبرياء، وتعالٍ على عباد الله، فإن أصحابه يعاقبون ويلامون ويقال لهم يوم القيامة:] ذَٰلِكُم بِمَا ´ µ ¶ ¸ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَبِمَا كُنتُمۡ تَمۡرَحُونَ ﴿٧٥﴾ Z غافر. فقال هنا:] بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ Z فدل على أن الفرح بالحق غير مذموم ، بل مرغب فيه كما جاء الحث عليه في آية سورة يونس.

والفخور هو الذي يفخر على الناس بما عنده وهنا يفخر ((بما أذاقه الله من نعمائه قد شغله الفرح والفخر عن الشكر))(١).

و لم يأت لفظ (فخور) في القرآن إلا بذم من اتصف به، قال تعالى:] إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ Z لقمان: ١٨وقال:] وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ Z الحديد: ٢٣. قيل: ((المختال الذي ينظر إلى نفسه بعين الافتخار، والفخور الذي ينظر إلى الناس بعين الاحتقار)).(٢)

] © ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ Z حال الضراء والبلاء على ما أصابهم من أقدار الله.

] وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ Z في كل أحوالهم سواء في حال الضراء أو النعماء.

وهم يُتبعون صبرهم على الأقدر المؤلمة بالعمل الصالح إظهاراً للرضى التام وشكراً لربهم على ما أولاهم من نعم سابغة فأولئك لهم مغفرة وذلك حال المؤمن كما أسلفت وقد ذكر المغفرة لأن ما أصابهم من الضراء مدعاة للمغفرة إذا صبر صاحبها، راضياً بقدر الله.

وقد وعدهم سبحانه بـــــــ (أجر كبير) وقد حصل لهم هذا الأجر بما كان منهم في حالتي الضراء والنعماء، ففي الضراء نالهم أجر الصابرين المحتسبين، قال تعالى:] إِنَّمَا يُوَفَّى ç è é ê Z الزمر: ١٠ وفي حال النعماء نالهم أجر الشاكرين إضافة إلى أجر العمل الصالح الذي ذكره في قوله:] وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ Z فكان حقيق بهم أن يكون أجرهم كبيراً، علاوة على فضل الله وكرمه وجوده وخيره الكثير.

(١) الكشاف ٢/٩٢.

(٢) تفسير القرطبي ١٧/٢٥٩.

جاء في (روح المعاني): ((وأياً ما كان فالمراد صبروا على ما أصابهم من الضراء سابقاً أو لاحقاً إيماناً بالله تعالى واستسلاماً لقضائه...] وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ Z شكراً على نعمه السابقة واللاحقة))[1].

ومن التناسق والتناسب في الآيات مع ما تقدم أن ذكر أحوال الإنسان في حالي إذاقة الرحمة ونزعها، وحالي إذاقة النعماء ومس الضراء هو بياناً لما تقدم من قوله:] @ A B C Z هود: ٧ فإن هذا من البلاء في السراء والضراء. قال بعض المحققين: ((إن وجه التعلق من حيث إن إذاقة النعماء ومساس الضراء فصل من باب الابتلاء واقع موقع التفصيل من الإجمال في قوله سبحانه:] @ A B C Z))[2].

ثم إنه فيما سبق أسند مظاهر الرحمة والخير إلى نفسه سبحانه دون مقابلها فقال:

[U V W X Z فأسند تأخير العذاب إلى نفسه، في حين قال:] ` a b Z هود: ٨ فأسند إتيان العذاب لا إليه سبحانه فلم يقل (ألا يوم نأتي به).

بينما قال هنا:] m n o p q Z فأسند إذاقة الرحمة إلى نفسه.

وقال:] y z { Z فأسند إذاقة النعماء إلى نفسه.

في حين قال:] | } ~ Z فأسند المس إلى الضراء ولم يقل (بعد ضراء مسسناه بها) ونحوه، كل ذلك من باب إسناد الخير إلى نفسه سبحانه دون السوء والشر، وهو الاختيار اللائق.

وقد يقال: ولكنه قال:] r s t Z.

فنقول: إن هذا ما يقتضيه قوله:] @ A B C Z فإن البلاء يكون في السراء والضراء والخير والشر كما قال تعالى:] وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ وَإِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ Z الأنبياء: ٣٥.

(١) روح المعاني ١٢/١٦.

(٢) المصدر السابق.

وهذا النزع أيضاً يعد هيناً مع غيره من فلم يقل (مسسناه بالشر أو بالسوء) ونحو ذلك، وإنما قال:] r s t Z فكأنه أعاده إلى حالته قبل إذاقته الرحمة، وهومن دلائل قدرته.

وهو أيضاً لا يعدوا أن يكون على سبيل الاسترجاع لأمرٍ كان في نوبته فقط، مما هو لله أصلاً، وذلك ابتلاء له ليرى كيف يفعل.

فهو لم يقل إنه أصابه بالضر أو بالسوء أو بالشر وإنما قال أذاقه شيئاً ثم أعاده ليختبره. وهو أخف من إصابته بالضراء أو بالشر أو نحوه.

ولذا فإن المؤمنين إذا أصابتهم مصيبة أظهروا هذا الأمر وسلموا به لله عزو جل فقالوا: (إنا لله وإنا إليه راجعون)، فأثنى الله عليهم لقولهم هذا ووعدهم بصلواته عليهم ورحمته، ووصفهم بأنهم مهتدون قال تعالى:] > ? @ A B C D E F G H I J K L M N P Q R S Z البقرة.

جاء في (روح المعاني): ((وفي إسناد الإذاقة إليه تعالى دون المس إشعار بأن إذاقة ملابسة الرحمة والنعماء بالذوق المؤذن على ما قيل بلذتهما وكونهما مما يرغب فيه، وعن ملابسة الضراء بالمس المشعر بكونها في أدنى ما يطلق عليه اسم الملاقاة من مراتبها من اللطف ما لا يخفى ولعله يقوي عظم شأن الرحمة))(١).

] µ ¶ ¸ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ وَضَآئِقُۢ بِهِۦ صَدۡرُكَ أَن يَقُولُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ كَنزٌ أَوۡ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٞۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٌ Z هود: ١٢

لما ذكر الذين صبروا وما سيؤول إليه حالهم في الآية السابقة، أشار إلى ما يقتضي الصبر في هذه الآية، وذلك تثبيتاً له ﷺ، وأنه في مثل هذا الحال الذي بلغ بالنبي ﷺ حد الضيق ينبغي عليه أن يصبر، فيصبر على ما يجد في نفسه، ويصبر على ما يقولون.

وقوله:] µ ¶ ¸ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ Z استفهام معناه:((هل أنت تارك ما فيه سب آلهتهم كما سألوك ؟

(١) روح المعاني ١٢/١٥.

وقيل: معنى الكلام النفي استبعاداً، أي لا يكون منك ذلك، بل تبلغهم كل ما أنزل إليك، وذلك أن مشركي مكة قالوا للنبي ﷺ: لو أتيتنا بكتاب ليس فيه سب آلهتنا لاتبعناك، فهم النبي ﷺ أن يدع سب آلهتهم، فترلت)).[١]

قيل و(لعل) في نحو هذا تفيد الزجر ،كما يقول الرجل لولده إذا أمره: (لعلك تقصر فيما أمرتك به) ويريد توكيد الأمر فمعناه: لا تترك))[٢].

وقال:] µ ¶ ¸ مَا يُوحَىٰٓ Z لم يقل (تارك ما يوحى إليك) ليحذره من التفكير في عدم تبليغ شيء من أمور الدين بسبب أقوال الكافرين واستهزائهم، بل إن عليه أن يبلغه بكل عزَّة وأمانة كله أياً كان موقف الكافرين منه، ومهما سبب ذلك من ضيق في صدره- وقد كان كذلكﷺ مبلغاً أميناً لم يخف لومة لائم أبداً- ((وكانوا لا يعتدون بالقرآن ويتهاونون به وبغيره مما جاء به من البينات فكان يضيق صدر رسول الله ﷺأن يُلقي إليهم ما لا يقبلونه ويضحكون منه فحرك الله منه وهيجه لأداء الرسالة وطرح المبالاة بردهم واستهزائهم واقتراحهم بقوله:] µ ¶ ¸ مَا يُوحَىٰٓ Z أي لعلك تترك أن تلقيه إليهم وتبلغه إياهم مخافة ردهم وتهاونهم وضائق به صدرك بأن تتلوه عليهم، ومعنى] أَن يَقُولُواْ Z : كراهية أو مخافة أن يقولوا:] لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ كَنزٌ Z هلا أنزل عليه ما اقترحنا نحن من الكتر والملائكة ولم يترل عليه ما لا نريده و لا نقترحه))[٣].

قوله تعالى:] ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ : ; < = > ? @ A C D E Z هود: ١٣ – ١٤

لم يكن قول المشركين الذي ذكر القرآن:] لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ كَنزٌ أَوۡ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌ Z

(١) تفسير القرطبي ٩/١٢.

(٢) تفسير الرازي ١٨/٣٢٤.

(٣) البحر المحيط ٥/٢٠٦- ٢٠٧،وانظر زاد المسير٢/٣٦١.

أو نحوه ، تيقناً، وتثبتاً، وبحثاً عن الحق، بل كان ذلك منهم لعدم تصديقهم برسالته ﷺوأنهم يرون أن ما يأتي به إنما هو افتراء فلم تتعلق أطماعهم بأن يترك بعض ما يوحى إليه إلا لدعواهم أنه ليس من عند الله وأنه مفترى فهي سلسلة من التهم والأباطيل، فناسب أن يتحداهم هنا بأن يأتوا بعشر سور مثله وأن يفتروا هم كما افترى وأن يدعوا كل من يستطيعون ليفعلوا ذلك.

وليست الآية استفهاماً عن حالهم بل توبيخ وتقبيح لقولهم ودلالة على جهلهم. (١)

ويصح أن تأتي أم هنا بمعنى الواو، فجميع حروف العطف قد تقوم مقام الواو. (٢)

((والفرقُ بين الافتراءِ والكذب أَنَّ متعلّق الافتراء القولُ، ومتعلقَ الكذبِ الفعل)) (٣)

وجاء في (الكشاف): ((أم منقطعة، والضمير في (افتراه) لما يوحى إليك. تحداهم أولاً بعشر سور ثم بسورة واحدة كما يقول المخاير في الخط لصاحبه: اكتب عشرة أسطر نحو ما أكتب، فإذا تبين له العجز عن مثل خطه قال: قد اقتصرت منك على سطر واحد...

فإن قلت: ما وجه جمع الخطاب بعد إفراده وهو قوله (لكم فاعلموا) بعد قوله: (قل)؟

قلت: معناه فإن لم يستجيبوا لك وللمؤمنين لأن رسول الله ﷺ والمؤمنين كانوا يتحدونهم))(٤).

] فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ : ; > Z هود: ١٤ أي القرآن.

] = > ? @ A Z أي واعلموا ذلك أيضاً.

والعلم بهذا إنما هو من مقتضيات ما مر من التحدي، ونتيجة له. فإنه بعد أن تبين عجز الجميع من دون الله عن المعارضة لهذا الكلام تأكد أنه أنزله بعلمه، وعُلم أن ما عداه ليس بإله إذ لو كان إلها لم يعجز عن الإتيان بمثله.

وقال:] فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ : ; > Z بهذا بالعلم يكون إيمانهم عن علم وبصيرة ، ويقيناً قائماً على حجة ، وتسليماً ببرهان ، ولذا أمروا به هنا .

---

(١) ينظر معاني القرآن للأخفش ١/٣٣،تفسير الطبري٣/٢٨٤.

(٢) غرائب التفسير للكرماني٢/٩٠٥.

(٣) نكت وتنبيهات في تفسير القرآن المجيد١/١٥٨.

(٤) الكشاف ٢/٩٢.

وقدم قوله:] أَنَّمَآ : ; > Z على قوله:] < ? @ A Z لأن السياق إنما هو في الكلام على القرآن وليس على التوحيد. ثم إنَّ القرآن يتضمن التوحيد ويأمر به، فالإيمان به قبول للتوحيد. وإذا ثبت اعتقاد أن القرآن من عند الله، سهل التصديق والتسليم بكل ما فيه.

وبعد أن ذكر ما ذكر من مقتضيات الإيمان والعلم به حفزهم إلى الإسلام وهو الانقياد لأمر الله والاستجابة له و لم يكتف بمجرد إثبات الإيمان والعلم فقال:] C D E Z لأنه لو صدق المرء بقلبه، وعلم الحق، وعقله، و لم يكن منقاداً لأمر الله مستجيباً له، لم ينفعه ذلك، و لم ينجه من عقاب الله، كما قال تعالى في عادٍ وثمود:] وَكَانُواْ مُسْتَبْصِرِينَ Z العنكبوت: ٣٨ ،أي أنهم قد عرفوا الحق من الباطل بظهور البراهين، وكانوا عقلاء ذوي بصائر(١)، فلم ينفعهم استبصارهم ذلك إذ لم يستجيبوا لأمر الله ورسولهﷺ.

وقال تعالى: : ! " # $ % & ' ( ) * + , - . . / بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهۡدِيهِ مِنۢ بَعۡدِ ٱللَّهِۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ : Z الجاثية: ٢٣ وكما قال في قوم رسولناﷺ:] © لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ Z الأنعام: ٣٣ فلم ينفعهم عدم تكذيبهم برسول اللهﷺ، وذلك لجحودهم ،بل إنهم سيكونون من الذين أضلهم الله على علم والعياذ بالله.

وقال:] C D E Z أي أفلا يدعوكم ذلك إلى الإسلام؟

وهو أبلغ بلا شك مما لو قيل (أسلموا) ذلك أنه ينبغي أن يستجيبوا هم من أنفسهم لتوفر دواعي الإسلام وإن لم يطلب منهم ذلك أحد ،فكان الاستفهام تحفيزاً لهم.

كما أن قوله تعالى:] فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ : ; > = < ? @ A Z دال على السبيل للدخول في الإسلام، فإن الذي يريد الدخول في الإسلام عليه أن ينطق بالشهادتين:

(لا إله إلا الله محمد رسول اللهﷺ)

وهذا الجزء من الآية تضمنهما، فقوله:] فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ : ; > Z إقرار بنبوة محمدﷺ.

وقوله:] < ? @ A Z إقرار بكلمة التوحيد.

(١) الكشاف ١٣/٨٢٤.

ولما كانت هاتان الشهادتان هما المدخل إلى دين الله الحق وهو الإسلام قال بعد ذلك:

] C D E Z.

مسألة إعجاز القرآن وتحدي المشركين:

في قوله تعالى:] ! " # $ % & ' ( ) * + , -

. / ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ : ; < = > ? @ A

C D E Z هود: ١٣ – ١٤

مسألة مهمة بسط أهل العلم فيها الحديث عن وجه إعجاز القرآن وتحدي المشركين به وقد أجمل الإمام الرازي(١) تلك الأقوال بقوله: ((فقال بعضهم: هُوَ الْفَصَاحَةُ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: هُوَ الْأُسْلُوبُ، وَقَالَ ثَالِثٌ: هُوَ عَدَمُ التَّنَاقُضِ، وَقَالَ رَابِعٌ: هُوَ اشْتِمَالُهُ عَلَى الْعُلُومِ الْكَثِيرَةِ، وَقَالَ خَامِسٌ: هُوَ الصَّرْفُ، وَقَالَ سَادِسٌ: هُوَ اشْتِمَالُهُ عَلَى الْإِخْبَارِ عَنِ الْغُيُوبِ، وَالْمُخْتَارُ عِنْدِي وَعِنْدَ الْأَكْثَرِينَ أَنَّهُ مُعْجِزٌ بِسَبَبِ الْفَصَاحَةِ، وَاحْتَجُّوا عَلَى صِحَّةِ قَوْلِهِمْ بِهَذِهِ الْآيَةِ لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ وَجْهُ الْإِعْجَازِ هُوَ كَثْرَةَ الْعُلُومِ أَوِ الْإِخْبَارَ عَنِ الْغُيُوبِ أَوْ عَدَمَ التَّنَاقُضِ لَمْ يَكُنْ لِقَوْلِهِ: مُفْتَرَيَاتٍ مَعْنًى أَمَّا إِذَا كَانَ وَجْهُ الْإِعْجَازِ هُوَ الْفَصَاحَةَ صَحَّ ذَلِكَ لِأَنَّ فَصَاحَةَ الْفَصِيحِ تَظْهَرُ بِالْكَلَامِ، سَوَاءٌ كَانَ الْكَلَامُ صِدْقًا أَوْ كَذِبًا، وَأَيْضًا لَوْ كَانَ الْوَجْهُ فِي كَوْنِهِ مُعْجِزًا هُوَ الصَّرْفَ لَكَانَ دَلَالَةُ الْكَلَامِ الرَّكِيكِ النَّازِلِ فِي الْفَصَاحَةِ عَلَى هَذَا الْمَطْلُوبِ أَوْكَدَ مِنْ دَلَالَةِ الْكَلَامِ الْعَالِي فِي الْفَصَاحَةِ ثُمَّ إِنَّهُ تَعَالَى لَمَّا قَرَّرَ وَجْهَ التَّحَدِّي قَالَ:] + , - . / ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ Z هود. وَالْمُرَادُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فِي ادِّعَاءِ كَوْنِهِ مُفْتَرًى كَمَا قَالَ: أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ.))(٢).

قوله تعالى:] G H I J K L M N O P Q R S T U V W X Y Z [\ ] ^ _ ` a b c d e f Z

هود: ١٥ - ١٦

ناسب وجود هاتين الآيتين للسياق الذي وردتا فيه.

(١)سبقت ترجمته رحمه الله.

(٢) التفسير الكبير ١٧/٣٢٤.

فقد رغبهم في أول السورة لنيل المتاع الحسن في الدنيا ودل على سبيله بالاستغفار والتوبة فقال:] } | { ~ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُمَتِّعۡكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى وَيُؤۡتِ © ذِي فَضۡلٖ فَضۡلَهُۥۖ وَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ ´ µ ¶ Z هود: ٣.

والمتاع مطلب لكل إنسان في هذه الدار مؤمنهم وكافرهم.

وقد حررت عند تفسير الآيتين أن متاع الدنيا مهما بلغ فإنه لا يوصف بالحسَن، إلا إذا كان صاحبه في طاعة الله، ورضوانه، وفيما أحله له، ويؤكد ما ذكرت هناك أنه وعد هنا من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها فقط أنه يوفي إليهم أعمالهم فيها، ولم يقل أنه يمتعهم متاعاً حسناً.

في حين قال في الصنف المستغفر التائب إنه يمتعهم متاعاً حسناً، وقال فيمن يريد الحياة الدنيا

] M N O P Q R S T Z.

وقال في الصنف التائب:] وَيُؤۡتِ © ذِي فَضۡلٖ فَضۡلَهُۥۖ Z هود: ٣ .

ولا شك أن الصنف التائب متاعه أفضل ممن يريد الحياة الدنيا وزينتها.

وذلك أن الوفاء جزاء مقيد بالعدل لا يزيد ولا ينقص، فهو على سبيل الإنصاف.

وأما الإيتاء فغير مقيد والفضل ليس له حد في تقديره، لكن الأعمال يمكن أن يحدد جزاء كل صنف منها، ويتأكد هذا المعنى إن أريد بـــ] فَضۡلَهُۥۖ Z فضل الله عز وجل فهو ذو الفضل العظيم، وهل يقارن عطاء المنصف، بعطاء المتفضل العظيم؟.

ثم ذكر بعد ذلك أثر الرحمة والنعماء في الإنسان فقال:] m n o p q r s t u v w x y z { | } ~ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّيٓۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٞ فَخُورٌ Z هود: ٩ - ١٠

وذكر الذين يقولون:] لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ كَنزٌ Z هود: ١٢ والكنز من وسائل متاع الحياة الدنيا وزينتها.

جاء في (البحر المحيط): ((مناسبة هذه الآية لما قبلها أنه تعالى لما ذكر شيئاً من أحوال الكفار المناقضين في القرآن، ذكر شيئاً من أحوالهم الدنيوية وما يؤولون إليه في الآخرة. وظاهر من

العموم في كل من يريد زينة الحياة الدنيا والجزاء مقرون بمشيئته تعالى كما بين ذلك في قوله تعالى:] ! " # $ % & ' ( ) * + Z الإسراء: ١٨))[١].

لقد قال سبحانه :] G H I J K Z والتعبير بإدخال (كان) على الفعل المضارع (يريد) يفيد الاستمرار أي يريدها على وجه الدوام، ولا يطمح إلى الآخرة.

جاء في (روح المعاني): ((وإدخال (كان) للدلالة على الاستمرار أي من يريد ذلك بحيث لا يكاد يريد الآخرة أصلاً))[٢].

ويظهر الذي ذكرت ويؤكده قوله تعالى:] ! " # % & ' ( ) * + , - . / ٱللَّهِ Z يونس: ٧ فالآية عن من كان يريد بعمله الحياة الدنيا فقط.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما[٣] قال: ((قوله:] G H I J K Z الآية، وهي ما يعطيهم الله من الدنيا بحسناتهم، وذلك أنهم لا يظلمون نقيرًا. يقول: من عمل صالحًا التماس الدنيا، صومًا أو صلاةً أو تهجدًا بالليل، لا يعمله إلا لالتماس الدنيا، يقول الله: أوفيه الذي التمس في الدنيا من المثابة، وحبط عمله الذي كان يعملُ التماس الدنيا، وهو في الآخرة من الخاسرين.)) [٤]

ويدخل في هذا تعجيل طيبات الكافر في الدنيا كما أخبر سبحانه بقوله:] وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ à Z الأحقاف.

ولهذه الآيات مثيلات في المعنى أكده القرآن وقرره للموعظة والذكرى فهو مثاني، ومنها

(١) البحر المحيط ٥/٢٠٩.

(٢) روح المعاني ١٢/٢٣.

(٣) عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي أبو العباس ابن عم رسول الله ﷺ ، من أشهر الصحابة، وكان يقال له حبر العرب، وحبرالأمة، وترجمان القرآن. الإصابة (٤/١٤١) .

(٤) تفسير الطبري ١٥/٢٦٣.

قوله جل شأنه:] e f g h i j k l m o p q r s t u v w x y z { | Z الشورى.

وقد اختلف أئمة التفسير فيمن قصد في هاتين الآيتين على خمسة أقوال:

أحدها: أنها عامة في جميع الخلق، وهو قول الأكثرين.

والثاني: أنها في أهل القبلة.

والثالث: أنها في اليهود و النصارى.

والرابع: أنها في أهل الرياء.

الخامس: إنها في الكافر عموما، لأن المؤمن يريد الدنيا والآخرة. (١)

و عند النظر في الآية الأولى نرى أنها عامة وتشمل جميع من ذكر بلا ريب.

لكن بالنظر والتأمل في تاليتها نراها تعد بوعيد لا يليق إلا بالكفار(٢)ولا يصح تتريله عموماً على عصاة أو مرائي أهل القبلة وذلك قوله تعالى:] V W X Y Z [\ ] _ ` a b c d e f Z هود: ١٦

ومما يعضد رأي القائلين بأنها للكفار خاصة السياق الذي وردت فيه من مجادلة المشركين بالباطل و تعنتهم ، ودعواهم بأن القرآن مفترى ، وكل ذلك منهم ليس بحثاً عن الحق ، بل محض حسد ، واستنكاف عن المتابعة ، وكل هذه المطلوبات دنيوية.

وأما أصحاب الأقوال الأخرى فيستندون إلى آثار وردت في بعض هذه الأصناف فيقوى لدى صاحبه أنه المراد بالآية.

ومن تلك الآثار الحديث العظيم الذي يرويه أبو هريرة رضي الله عنه قال: حَدَّثَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:((أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ نَزَلَ إِلَى الْعِبَادِ لِيَقْضِيَ بَيْنَهُمْ، وَكُلُّ أُمَّةٍ جَاثِيَةٌ، فَأَوَّلُ مَنْ يَدْعُو بِهِ رَجُلٌ جَمَعَ الْقُرْآنَ، وَرَجُلٌ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَرَجُلٌ كَثِيرُ الْمَالِ، فَيَقُولُ اللَّهُ لِلْقَارِئِ: أَلَمْ أُعَلِّمْكَ مَا أَنْزَلْتُ عَلَى رَسُولِي؟ قَالَ: بَلَى يَا رَبِّ، قَالَ: فَمَاذَا عَمِلْتَ فِيمَا عَلِمْتَ؟ قَالَ: كُنْتُ أَقُومُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ، وَآنَاءَ النَّهَارِ، فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: كَذَبْتَ وَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ

(١) ينظر زاد المسير ٣٦٢/٢، ودفع إيهام الاضطراب ١١٨/١-١١٩.

(٢) ينظر التفسير الكبير٣٢٧/١٧.

لَهُ: كَذَبْتَ فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ فُلَانٌ قَارِئٌ فَقَدْ قِيلَ، وَيُؤْتَى بِصَاحِبِ الْمَالِ فَيَقُولُ: أَلَمْ أُوَسِّعْ عَلَيْكَ حَتَّى لَمْ أَدَعَكَ تَحْتَاجُ إِلَى أَحَدٍ؟ قَالَ: بَلَى، قَالَ: فَمَاذَا عَمِلْتَ فِيمَا آتَيْتُكَ؟ قَالَ: كُنْتُ أَصِلُ الرَّحِمَ وَأَتَصَدَّقُ، فَيَقُولُ اللَّهُ: كَذَبْتَ وَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ: كَذَبْتَ، وَيَقُولُ اللَّهُ: بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ فُلَانٌ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ ذَلِكَ، وَيُؤْتَى بِالرَّجُلِ الَّذِي قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقَالُ لَهُ: فِيمَ قُتِلْتَ؟ فَيَقُولُ: أُمِرْتُ بِالْجِهَادِ فِي سَبِيلِكَ فَقَاتَلْتُ حَتَّى قُتِلْتُ فَيَقُولُ اللَّهُ: كَذَبْتَ، وَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ لَهُ: كَذَبْتَ، وَيَقُولُ اللَّهُ: بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ فُلَانٌ جَرِيءٌ فَقَدْ قِيلَ ذَلِكَ))، ثُمَّ ضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى رُكْبَتِي، فَقَالَ: ((يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أُولَئِكَ الثَّلَاثَةُ أَوَّلُ خَلْقِ اللَّهِ تُسَعَّرُ بِهِمُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ))(١).

وهذا الحديث في المرآئين بعملهم ، نعوذ بعظمة الله وقدرته من حالهم ومآلهم.

ودَخَلَ رَجُلٌ عَلَى مُعَاوِيَةَ رضي الله عنه(٢)، فَأَخْبَرَهُ بِهَذَا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ رضي الله عنه : قَدْ فُعِلَ بِهَؤُلَاءِ هَذَا فَكَيْفَ بِمَنْ بَقِيَ مِنَ النَّاسِ ؟ ثُمَّ بَكَى مُعَاوِيَةُ رضي الله عنه بُكَاءً شَدِيدًا حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ هَالِكٌ ، وَقُلْنَا قَدْ جَاءَنَا هَذَا الرَّجُلُ بِشَرٍّ ، ثُمَّ أَفَاقَ مُعَاوِيَةُ رضي الله عنه وَمَسَحَ عَنْ وَجْهِهِ ، وَقَالَ : صَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ﷺ [G H I J K L M N O P Q R S
T U V W X Y Z [\ ] ' _ ` a b c d e
f g Z هود(٣)

ومن لطيف تفسير القرآن بالسنة قول الإمام الكيا الهراسي رحمه الله(٤) : ((قوله تعالى: [G H I J K L M N O P Q R S T U Z هود
معناه معنى قوله: (إنما الأعمال بالنيات، الحديث) (١)))(٢)

(١)أخرجه الحاكم في المستدرك برقم: ١٥٢٧ ، ١/٥٧٩.وقال هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ.

(٢)معاوية ابن أبي سفيان صخر ابن حرب ابن أمية الأموي أبو عبد الرحمن الخليفة صحابي، رضي الله عنه أسلم قبل الفتح وكتب الوحي ومات في رجب سنة ستين وقد قارب الثمانين، تقريب التهذيب، ١/٥٣٧.

(٣)المستدرك ١/٥٧٩.

(٤) عَليّ بن مُحَمَّد بن عَليّ ،الإِمَام شمس الْإِسْلَام أَبُو الْحسن إِلْكيَا الهراسي، الملقب عماد الدّين، أحد فحول الْعلمَاء ورؤوس الْأَئِمَّة فقهاً وأصولاً وحفظاً لمتون أَحَادِيث الْأَحْكَام، ولد فِي خَامِس ذِي الْقعدَة سنة خمسين وَأَرْبَعمائَة، وتفقه على إِمَام الْحَرَمَيْنِ وَهُوَ أجل تلامذته بعد الْغَزالِيّ، وكان إماماً نظاراً قوي البحث دقيق الفكر ذكياً فصيحاً جهوري الصوت حسن الوجه جداً قدم بغداد وتولى النظامية واستمر مدرساً بها عظيم الجاه رفيع المحل

وقد رجح العلامة محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله(٣) أن المؤمن يجمع الله له بين ثواب الدنيا والاخرة فقال رحمه الله: ((وقد ثبت من حديث أنس(٤) أن النبي ﷺ قال:(إن الله لا يظلم مؤمناً حسنة يعطي بها في الدنيا ويجزى بها في الآخرة، وأما الكافر فيطعم بحسناته ما عمل بها لله في الدنيا حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم تكن له حسنة يجزى بها)(٥).

وفي لفظ له عن رسول الله ﷺ : (إن الكافر إذا عمل حسنة أطعم بها طعمة في الدنيا، وأما المؤمن فإن الله يدخر له حسناته في الآخرة ويعقبه رزقاً في الدنيا على طاعته)(٦).

فهذا الحديث الثابت عن النبي ﷺ فيه التصريح، بأن الكافر يجازى بحسناته في الدنيا فقط، وأن المؤمن يجازى بحسناته في الدنيا والآخرة معاً.

وبمقتضى ذلك، يتعين تعييناً لا محيص عنه، أن الذي أذهب طيباته في الدنيا واستمتع بها هو الكافر، لأنه لا يجزى بحسناته إلا في الدنيا خاصة.

وأما المؤمن الذي يجزى بحسناته في الدنيا والآخرة معاً، فلم يُذهب طيباته في الدنيا؛ لأن حسناته مدخرة له في الآخرة، مع أن الله تعالى يثيبه بها في الدنيا كما قال تعالى:] j k l m n o p q r s t u Z الطلاق))(١)

يتخرج عليه الطلبة إلى أن توفي في المحرم سنة أربع وخمسمائة وعمره أربع وخمسون سنة. طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٧/٢٣١،طبقات الشافعية لابن قاضى شهبة ١/٢٨٨.

(١) أخرجه البخاري برقم١، كتاب بدء الوحي ١/٢، ومسلم برقم٥٠٣٦، باب قوله ﷺ:"إنما الأعمال بالنية"،٦/٤٨.

(٢) أحكام القرآن للكيا٤/٢٢٥.

(٣) هو العلامة محمد الأمين بن محمد المختار، بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، ولد عام ١٣٢٥هـ، في موريتانيا، كان على علم غزير في التفسير، والعقيدة، والفقه وأصوله، واللغة، وغيرها، ومن مؤلفاته: تفسير القرآن الكريم المسمى: أضواء البيان، وكتاب منع المجاز، وغيرها. سكن المدينة النبوية، ودرَّس بالجامعة الإسلامية، توفي - رحمه الله عام١٣٩٣هـ، انظر: ترجمته بقلم تلميذه الشيخ عطية سالم في مقدمة أضواء البيان، وكتاب: علماء ومفكرون عرفتهم، لمحمد المجذوب، ص (١٧١) ، عالم المعرفة، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ.

(٤) أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار أبو حمزة الأنصاري الخزرجي ، خادم رسول الله، وأحد المكثرين من الرواية عنه . الإصابة (١/١٢٦)، الاستيعاب (١/١٠٩) .

(٥) أخرجه مسلم برقم:٢٨٠٨ ، باب : جزاء المؤمن بحسناته في الدنيا،٤/٢١٦٢.

(٦) التخريج السابق.

] M N Z((نوصل إليهم أجور أعمالهم))[2].

وجاء في (روح المعاني): (((نوف) متضمن معنى (نوصل) ولذا عدي بإلى وإلا فهو مما يتعدى بنفسه. وقيل إنه مجاز عن ذلك))[3].

والإيصال إلى شخص ما لا يقتضي المباشرة بالإيصال أو المواجهة له ، فقد توصل شيئاً إلى أحدهم عن طريق شخص آخر أو وسيلة ما.

ويلاحظ في القرآن أن ما جاء معدًّى بنفسه جعله في الآخرة وذلك نحو قوله تعالى:] ~ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ Z النور: ٢٥

وقوله:] وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ Z الأحقاف: ١٩ .

وقوله:] " # $ % & ' ( ) * + , - Z النحل: ١١١

وغيرذلك.

ومعنى ذلك أن الأمر يدل على المواجهة والتوفية المباشرة ذلك أنه في يوم القيامة يعرض الجميع على ربهم فيواجههم بأعمالهم كما قال:] وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ : ; < = > ? @ A B C D E Z الكهف: ٤٧ - ٤٨ .

وأما ما عدّاه بـــ(إلى) فهو لا يخص الآخرة فقد يكون ذلك الإيصال في الدنيا، فآية هود إنما هي خاصة بالدنيا كما هو واضح فقد قال تعالى:] G H I J K L M N O Z أي في الدنيا.

وأما آية الإنفاق فإنها لا تختص بالآخرة بل قد يكون أثره واقع في الدنيا، فإن قوله تعالى:] وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ Z الأنفال: ٦٠

(١)دراسة ترجيحات الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تفسيره، رسالة ماجستير١/١١١.

(٢) الكشاف ٢/٩٣.

(٣) روح المعاني ١٢/٢٣.

وقوله:] Z [\ ] ^ _ ` a b c d e f g h
i Z البقرة: ٢٧٢ ، قد يكون في الدنيا والآخرة أي يوفيه ما أنفق في الدنيا، ويؤتيه أجره في الآخرة.

ومصداق ذلك قوله تعالى:] وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ Z سبأ: ٣٩ وقوله ﷺ: (مَا نَقَّصَ مَالَ عَبْدٍ صَدَقَةٌ).(١) وسيأتي تفصيل هذا المعنى إن شاء الله.

وعلى هذا فالفرق بين (وفاه) و(وفى إليه) في القرآن في أمرين:

١- أن (وفى إليه) استعمل فيما قد يكون في الدنيا ، وأما (وفاه) فاستعمله لما يكون في الآخرة.

٢- لما كان (وفى إليه) متضمن معنى الإيصال فإن ذلك لا يقتضي المواجهة والمباشرة بالتوفية بل قد يكون عن طريق آخر.(٢)

قوله تعالى:] M N O P Q R S T Z

] M N O P Z أي في الدنيا.

وقوله:] Q R S T Z

البخس عند أهل اللغة: الظلم وَقيل: البَخس: النُقصان.(٣)

والآية تحتمل معنيين:

أحدهما: أن الضمير في قوله (فيها) يعود على الأعمال، ويكون المعنى نوفِ إليهم أعمالهم في الدنيا ولا يبخسون في أعمالهم.

والآخر: أن (فيها) يعود على الدنيا أي وهم في الدنيا لا يبخسون.

وهذا هو الأظهر والله أعلم، لأنه المناسب للَّحاق بعدها في قوله سبحانه:] V W X Y Z [\ ] _ ` a b c d e f Z.

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده برقم: ١٨٠٦٠،من حديث أبي كبشة الأنماري ،٢٣١/٤.

(٢) ينظر: التفسير البياني: ٥١/٣.

(٣)المحكم والمحيط الأعظم٥/٨٨.

فتكون التوفية في الدنيا وكذلك عدم البخس، وأما الآخرة فليس لهم إلا النار وذلك أنهم أخذوا حقهم وافياً دون بخس فيما سلف.

وقد يقال: أما كان يمكن الاكتفاء بضمير واحد فلا يكرر (فيها) فيقول: (وهم لا يبخسون)؟

والجواب: أنه لو قال ذلك لكان عدم البخس في الدنيا وشمل معه الآخرة ولكان المعنى أنه يوفي إليهم أعمالهم في الدنيا وأنهم لا يبخسون مطلقاً فيكون عدم البخس في الدنيا والآخرة في حين أنه أراد أن كل ذلك إنما يكون في الدنيا فقط .

وأما الآخرة فتحبط أعمالهم فيها وليس لهم فيها إلا النار، وذلك إنقاص لكن ليس فيه ظلم ، لاستحقاقهم ذلك الجزاء ، وذلك غبن لهم ولذا سمي يوم التغابن ، وذلك أن عملهم يذهب هباءً منثوراً، وجميع ما ذكرت تؤيده الآيات الظاهرة ، وقد قال تعالى في الآية بعدها. [V W X YZ] \ [' _ ` a b c d e f Z.

جاء في (روح المعاني) في قوله: [Q RS T Z ((أي لا ينقصون، والظاهر أن المجرور للحياة الدنيا. وقيل: الأظهر أن يكون للأعمال لئلا يكون تكرارا بلا فائدة. ورد بأن فائدته من أول الأمر أن عدم البخس ليس إلا في الدنيا فلو لم يذكر توهم أنه مطلق))(١).

[_ ` a b c d e f Z

حبوط العمل: رده وعدم قبوله وبطلانه وفيه معني السقوط والانحطاط(٢)

ومن أوجه التناسق في الآيات ما يلي:

١- أنه ذكر الصنع في الآية ثم ذكر العمل فقال: [_ ` a b Z ثم قال : [c d e f Z. والصنع إجادة العمل والاحتراف فيه(٣)، وأما العمل

(١) روح المعاني ١٢/٢٤.

(٢) ينظر: مجمل اللغة لابن فارس١/٢٦١.

(٣) ينظر: جمهرة اللغة٢/٨٨٨، الصحاح٣/١٢٤٥.

فهو عام يشمل الصنع وغيره، وقد ذكر ضياعه كله: ما بذلوا فيه جهدهم لإحسانه، وما عملوه على وجه العموم.

وذكر مع الصنعة الحبوط ، ومع العمل البطلان ، ذلك أن الحبوط أخص من البطلان، فالحبوط خاص بالأعمال وأما البطلان فهو عام في الأعمال وغيرها.

والصنع أخص من العمل لأنه ما أجيد منه. فذكر الخاص مع الخاص والعام مع العام.

٢- قوله:] _ ` a b Z يحتمل أن يكون الجار والمجرور (فيها) متعلقاً بـــ(حبط) فيكون المعنى: (وحبط فيها ما صنعوا) أي في الآخرة فيعود الضمير على الآخرة فيكون الحبوط في الآخرة.

كما يحتمل أن يكون الجار والمجرور متعلقاً بـــ(صنعوا) فيكون المعنى: وحبط ما صنعوا في الدنيا، فيعود الضمير على الدنيا.

والمعنيان مرادان، فإنه حبط في الآخرة ما صنعوا في الدنيا.

ولو قدم الجار والمجرور فقال: وحبط فيها ما صنعوا، لكان احتمالاً واحداً.

جاء في (البحر المحيط): ((والضمير في قوله:] ` a b Z الظاهر أنه عائد على الآخرة والجار والمجرور متعلق بحبط. والمعنى: وظهور حبوط ما صنعوا في الآخرة. ويجوز أن يتعلق بقوله (صنعوا) فيكون عائدا على الحياة الدنيا كما عاد عليها في (فيها) قبل))(١).

وإذا نظرنا في تأليف هذه العبارة، أعني قوله تعالى:] _ ` a b c d e f Z نلاحظ أن القسم الأول منها وهو قوله: ] _ ` a b Z مبني على الخصوص والقسم الآخر وهو قوله:] c d e f Z مبني على العموم.

فقوله:] c d e f Z أعم من قوله:] _ ` a b Z وذلك من أكثر من جهة:

أولها: أنه قال في العبارة الأولى (وحبط).

وقال في العبارة الثانية (وباطل) .

(١) البحر المحيط ٥/٢١٠.

والباطل أعم من الحبوط، فإن الحبوط خاص بالأعمال، و لم يرد في القرآن إلا كذلك.

قال تعالى:] وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلۡإِيمَٰنِ فَقَدۡ حَبِطَ عَمَلُهُۥ Z المائدة: ٥ .

وقال:] p q r s t u Z البقرة: ٢١٧ وقال:] g h i j Z المائدة: ٥٣.

وأما الباطل فهو عام في الأعمال وغيرها مما لا يصح فيه الحبوط. قال تعالى:] فَوَقَعَ ٱلۡحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ Z الأعراف: ١١٨ وقال:] c d e f Z هود: ١٦ .

ويكون الباطل لغير العمل فقد يكون في المعبودات والمعتقدات وغيرها مما هو نقيض الحق.

قال تعالى :] b c d e f g h i Z البقرة: ٤٢ .

وقال:] > = < > ? @ Z النساء: ٢٩ .

وقال:] أَفَبِٱلۡبَٰطِلِ يُؤۡمِنُونَ وَبِنِعۡمَتِ ٱللَّهِ ç è Z النحل: ٧٢.

وقال:] i j k l m o p q r Z الإسراء: ٨١ .

وللآيات نظائر.

فقد يكون الباطل يعني المعبودات الباطلة من دون الله، وقد يكون من المعتقدات الباطلة غير دين الله، وغير ذلك.

فالباطل أعم من الحبوط.

ثانياً: أنه قال (حبط) بالفعل الماضي، وقال (باطل) بالاسم.

و الاسم على العموم أثبت وأعم من الفعل.

فكان الباطل أعم من الحبوط من حيث الدلالة ومن حيث الصيغة.

ثالثاً: قال في العبارة الأولى: (ما صنعوا).

وقال في العبارة الثانية: (ما كانوا يعملون).

والصنع هو إجادة العمل وإحسانه، فالعمل أعم من الصنع لأنه قد يحصل بإجادة أو بغيره.

رابعاً: قال في العبارة الأولى (ما صنعوا) بالفعل الماضي.

وقال في العبارة الثانية: (ما كانوا يعلمون).

فقوله: (صنعوا) قد يدل على زمن من أزمنة الماضي، وقد يدل على الحدوث مرة واحدة في الزمن الماضي.

أما قوله:] d e f Z فإنه يدل على الاستمرار في الماضي فهو أعم.

فقولك: (صنعوا) حالة واحدة وزمن واحد من قولك: (كانوا يصنعون).

خامساً: أنه قال في العبارة الأولى:] _ ` a b Z فقيد الصنع في الدنيا أو الحبوط كما ذكرنا.

وأطلق في العبارة الثانية فلم يقل (وباطل فيها)، كما لم يقل (ما كانوا يعملون فيها)، فالعبارة الثانية أعم.

سادساً: قوله:] c d e f Z أعم من حيث التأليف من قوله:] _ ` a b Z ذلك أن قوله : ] _ ` a b Z فعل وفاعل.

وقوله:] c d e f Z يحتمل أن يكون (باطل) خبراً مقدماً وقوله:] d e f Z مبتدأ مؤخر.

كما يحتمل أن يكون] d e f Z فاعلاً لاسم الفاعل (باطل) والباطل خبر ثان لأولئك[1].فهو أعم في كل الأحوال.

قوله تعالى:] h i j k l m n o p q r s t u v x y z | { ~ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ © إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا Z هود: ١٧.

لما ذكر في الآيات السالفة من كان همه وهمته الدنيا، وليس له في الآخرة إلا النار، كان مناسباً هنا أن يذكر سبب حصول ذلك لهم الا وهو الضلال، فإن من كان على بينة وهداية من ربه فإنه يحذر الآخرة ويسعى لها ويطلبها.

---

(١) انظر البحر المحيط ٥/٢١٠.

قال الإمام الرازي(١):((اعْلَمْ أَنَّ تَعَلُّقَ هَذِهِ الْآيَةِ بِمَا قَبْلَهَا ظَاهِرٌ وَالتَّقْدِيرُ: أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا وَلَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ، إِلَّا أَنَّهُ حَذَفَ الْجَوَابَ لِظُهُورِهِ)).(٢)

وهذه الآية من الدلائل القرآنية المثبتة لنبوة رسول الهدى ﷺ(٣) فإن صحة الحكم وإثباته في القضاء تستند إلى أحد أمرين:

البينة أو الشهود العدول، فإن ثبت أحدهما ثبت الحكم على الدعوى بالصحة.

وقد ذكر ههنا تظافر الأمرين اللذين يحكم بأحدهما على صحة الدعوى: البينة والشاهد.

فقد ذكر البينة فقال:] h i j k l m Z . وهو رسولنا ﷺ معه بينة وقد أتى بها من عند الله وهي القرآن.(٤)

وذكر الشاهد أيضاً فقال:] n o p Z وهذا الشاهد لاشك أنه عدل لأنه (منه) أي من ربه وهو جبريل عليه السلام، شاهدٌ من الله ، يتلو على محمدﷺ ما بُعث به.(٥)

ولما كانت الدعوى أنه مرسل من ربه أي أرسله ربه لزم أن تكون البينة من ربه فقال:

] h i j k l m Z هود: ١٧ أي إن الله آتاه بينة وبرهاناً على أنه رسوله.

وكذا لما كان الشاهد يشهد على هذه القضية لزم أن يكون الشاهد من ربه فقال:

] n o p Z وترتب على ذلك أن يكون عدلاً لأن الشاهد من الرب لا يكون إلا عدلاً وكيف يشك في هذا؟.

ثم إنه أضاف لهذين الأمرين شاهداً آخر لا تدفع شهادته وهو أن هناك كتاباً سابقاً من ربه أي من الجهة نفسها وذلك ثابت قبل أن يأتي هذا النبي ﷺ إلى الدنيا بقرون يشهد على ما سيأتي به.

---

(١)سبقت ترجمته رحمه الله.

(٢) التفسير الكبير:١٧/٣٢٩.

(٣)دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني:١/٤٤، بينات الرسول ﷺ ومعجزاته:١/٦٩.

(٤)ينظر تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم : ٦/٢٠١٣.

(٥)ينظر تفسير الطبري ١٥/٢٧٤.

هذا الكتاب هو التوراة وقد ذكر ذلك صراحة بما لا يحتمل التأويل في أن هذا الشخص هو المقصود بعينه. فقد ذكر اسمه و منشأه، ودلائل نبوته الخَلْقية ، والخُلُقية، وبم يأمر وعما ينهى ومن أين يخرج وإلى أين يهاجر إلى غير ذلك. كل ذلك مذكور في التوراة(١)ولذا فإن أهل الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم. قال تعالى:] !

" # $ % & ') * + , - . / Z

البقرة: ١٤٦

فقال في ذلك:] q r s t u v Z أي يشهد على ذلك.

وجاء في آية أخرى شهادة التوراة والإنجيل له صراحةﷺ وهي قوله تعالى:] D

E F G H I J K L M N O

P Q R S T U V W X Y Z

[\ ] ^ _ ` a c d e f g

h i j k l n o p q Z الأعراف: ١٥٧.

وبهذا يكون قد ذكر جملة من الأدلة كل واحد منها كافٍ في إثبات صحة الدعوى:

١- البينة ٢- الشاهد ٣- الكتب السابقة.

وكل ذلك من جهة الرب سبحانه الذي اختار رسولاً من عنده فأرسله ، لِئلا يبقى في نفس أحد شك أو ريبة في صحة رسالتهﷺ.

وقيل في البينة والشاهد غير ذلك كما قال الإمام الرازي(٢): ((فَالْحَاصِلُ أَنَّهُ يَقُولُ اجْتَمَعَ فِي تَقْرِيرِ صِحَّةِ هَذَا الدِّينِ أُمُورٌ ثَلَاثَةٌ أَوَّلُهَا: دَلَالَةُ الْبَيِّنَاتِ الْعَقْلِيَّةِ عَلَى صِحَّتِه. وَثَانِيهَا: شَهَادَةُ الْقُرْآنِ بِصِحَّتِه. وَثَالِثُهَا: شَهَادَةُ التَّوْرَاةِ بِصِحَّتِه، فَعِنْدَ اجْتِمَاعِ هَذِهِ الثَّلَاثَةِ لَا يَبْقَى فِي صِحَّتِهِ شَكٌّ وَلَا ارْتِيَابٌ)) (٣).

(١) ينظر: شرف المصطفى ١/١٩٥،دلائل النبوة للبيهقي ١/١٨.

(٢)سبقت ترجمته رحمه الله.

(٣) التفسير الكبير:١٧/٣٢٩.

ولذا قال بعد ذلك:] فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ © Zهود: ١٧ بحذف نون (تكن)، أي لا يك في نفسك أي شيء من شك أو ريبة، وهو من التناسق اللطيف.

فتعاضد على إزالة المرية من النفس النهي بـــقوله:] فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ © Z وتقرير أنه الحق فقد قال بعد ذلك:] إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ Z .

قال الإمام الطبري:((فإن قال قائل: أوَ كان النبي ﷺ في شكٍّ من أن القرآن من عند الله، وأنه حق، حتى قيل له:] فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ © Z ؟

قيل: هذا نظير قوله تعالى:] { ~ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَـٰبَ © قَبْلِكَ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ´ µ Z يونس: ٩٤))(١)

وقال في موطن آخر:((فإن قال قائل: أو كان رسول الله ﷺ في شكٍّ من خبَرِ الله....

قيل: لا وكذلك قال جماعة من أهل العلم.....

فإن قال: فما وجه مخرج هذا الكلام، إذنْ، إن كان الأمر على ما وصفت؟

قيل: قد بيّنا في غير موضع من كتابنا هذا، استجازة العرب قول القائل منهم لمملوكه: "إن كنت مملوكي فانته إلى أمري" والعبد المأمور بذلك لا يشكُّ سيدُه القائل له ذلك أنه عبده. كذلك قول الرجل منهم لابنه: "إن كنت ابني فبرَّني"، وهو لا يشك في ابنه أنه ابنه، وأنّ ذلك من كلامهم صحيح مستفيض فيهم))(٢)

وقد شنع أيضاً على من يكذب ويكفر بعد هذه الدلائل القاطعة فقال:] | { ~ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ Z وَالْمُرَادُ بِالْأَحْزَابِ أَصْنَافُ الْكُفَّارِ.(٣)

وقد جاء عن رَسُولِ اللهِ ﷺأَنَّهُ قَالَ: (وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِه، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ، وَلَا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ

(١) تفسير الطبري:٢٧٩/١٥.
(٢) تفسير الطبري:٢٠١/١٥.
(٣) التفسير الوسيط:٥٦٨/٢.

أَصْحَابِ النَّارِ) قَالَ أَبُو مُوسَى: فَقُلْتُ فِي نَفْسِي إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَا يَقُولُ مِثْلَ هَذَا إِلَّا عَنِ الْقُرْآنِ، فَوَجَدْتُ اللَّه تَعَالَى يَقُولُ:] | { ~ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ Z [1]

ثم أنه احتاط بعد ذلك بما يمنع كل خاطر شك، فقد يرى النبيﷺ أن كثيراً من الناس لم يؤمنوا بما جاء به، بعد كل الدلائل والبراهين، فبين له أن هذا من طبيعة الناس فإن أكثرهم لا يؤمنون وإن جاءهم كل آية وإن أتيتهم بكل دليل كما قال في موطن آخر:

] وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ Z يوسف: ١٠٣ .

فذكر كل أمر يدفع الريبة ويمنعها فلا يبقى في النفس منها شيء.

ونهاه عن ذلك بقوله:] فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ © إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا ´ Z هود: ١٧ أبلغ ما يكون النهي.

وتفصيل ذلك فيما يلي:

١- أنه جاء بـــ(الفاء) الدالة على السبب في قوله: (فلا تك) أي إن ما ذكرناه سبب كاف للانتهاء عن الريبة.

٢- النهي بقوله: (لا تك).

٣- قال (في مرية) فجاء بـــ(في) الظرفية أي لا تكن فيها، ولكن اخرج عنها .

٤- نكّر المرية ليشمل كل شك فيه .

---

(١)أخرجه مسلم، برقم ٢٤٠،باب وجوب إيمان أهل الكتاب برسالة الإسلام،١/١٣٤،وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤ / ٤١١) للمصنِّف وابن المنذر والطبراني وابن مردويه، وأخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده ٦٩ / ٥٠٩.

ومن طريقه البزار كما في ((كشف الأستار)) (١ / ١٦ / رقم ١٦) .

وأبو نعيم في ((الحلية)) (٤ / ٣٠٨) .

وأخرجه الإمام أحمد في ((المسند)) (٤ / ٣٩٦ و ٣٩٨) .

والنسائي في ((التفسير)) (١ / ٥٨٥ / رقم ٢٦١) .

وابن جرير في ((تفسيره)) (١٥ / رقم ١٨٠٧٩) .

جميعهم من طريق شعبة، عن أبي بشر، به بالمرفوع فقط، و لم يذكروا قول سعيد بن جبير.

قال البزار:(لا نعلم أحدًا رواه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ إلا أبو موسى بهذا الإسناد، ولا أحسب سمع سعيد من أبي موسى).وقد أخرجه ابن جرير(١٥ / ٢٧٩ - ٢٨٠ /رقم ١٨٠٧٣ - ١٨٠٧) من طرق عن أيوب السختياني.

٥- ثم قال (منه) أي من القرآن ولم يقل (ولا تك في مرية) فتكون عامة مطلقة، إذ المرء لا ينفك عن شك أو ريبة في أمر من الأمور ، وإنما طلب الانتهاء عن الريبة في هذا الأمر.

٦- ثم أكد له صحة ما هو عليه بقوله: (إنه الحق) فأكده بـــ(إن).

٧- عرّف (الحق) ولم يقل (إنه حق) ليدل على أنه وحده الحق ولا حق سواه، فلو اتبعت أي كتاب غيره لم ينفعك، لأنه المهيمن عليها والناسخ لها جميعاً.

٨- ذكر الجهة التي قررت أنه الحق وقضت بذلك فقال:] إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ Z فلا أحد أعلم بالحق منه سبحانه، ولا شيء أحق بالإتباع من هذا الحق.

٩- ثم قال بعد ذلك:] وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا ´ Z ليطمئن قلبه إلى ما هو عليه فلا توحشه، ولا تثير تعجبه كثرة من لا يؤمن من الناس.

١٠- ثم توعد من لا يؤمن به بأن موعده النار فقال:] | { ~ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ Z فلا حسرة على من كان هذا موعده من الله.

فذكر في الآية أن البينة من ربه، وأن الشاهد من ربه، وأن الكتب السابقة التي شهدت له من ربه، وأنه الحق من ربه فهل بعد ذلك ما يدعوا إلى ضيق الصدر، أو المرية ؟!

قال الإمام القرطبي(١): ((والكلام راجع إلى قوله :] وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ صَدْرُكَ Z هود: ١٢ ؛ أي أفمن كان معه بيان من الله ، ومعجزة كالقرآن ، ومعه شاهد كجبريل - على ما يأتي - وقد بشرت به الكتب السالفة يضيق صدره بالإبلاغ ، وهو يعلم أن الله لا يسلمه.)) (٢) فسبحان من جعل في هذا القرآن العظيم سلوة لنبيه ﷺ، ومثبتاً لقلبه، ومصبراً له على ما يلقاه.

---

(١) سبقت ترجمته رحمه الله.

(٢) الجامع لأحكام القرآن:٩/١٦.

] فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ © Z :أي في شك من أمر القرآن وكونه من عند الله تعالى، أو لا تك في شك من كون النار موعدهم، وهذا المعنى مقدم ، ((وأياً ما كان فالخطاب إن كان عاماً لمن يصلح له فالمراد التحريض على النظر الصحيح المزيل للشك، وإن كان للنبيﷺ فهو بيان لأنه ليس محلاً للشك، تعريضاً بمن شك فيه ولا يلزم من نهيه عليه الصلاة والسلام عنه وقوعه ولا توقعه منه ﷺ)).(١) ونخلص من هذا بأن هذا النهي إنما هو تعريض بمن كفر به أي لاتكن كهؤلاء الكافرين المكذبين الذين يمارون بعد ظهور البينات وهو تشنيع وذم لفعلهم إذ لا يتوقع الممارة والشك من رسول اللهﷺ أبداً.

وجاء في (الكشاف): (([h i j k l m Z معناه أفمن كان يريد الحياة الدنيا كمن كان على بينة؟ أي لا يعقبوهم في المترلة ولا يقاربوهم، يريد أن بين الفريقين تفاوتاً بعيداً وتبايناً بيناً. وأراد بهم من آمن من اليهود كعبد الله بن سلام رضي الله عنه(٢)وغيره [i j k l m Z أي على برهان من الله وبيان أن دين الإسلام حق))(٣)

قوله تعالى:] ¶ ¸ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْأٓخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ Z هود: ١٨ - ١٩

لما تقدم ذكر دعوى الكافرين على رسول الله ﷺ بقولهم أنه افتراه ورد عليهم القرآن بقوله سبحانه:] ! " # Z هود: ١٣ وما تلاها ، فقد ذكر فيها شأن المفترين على رسول اللهﷺ وبطلان دعواهم وعجزهم عن إثبات الدعوى. جاءت هذه الآيات مناسبة لهذا السياق ببيان شأن المفترين على الله سبحانه وعظيم جرمهم وذنبهم بهذه الجرأة ،وبيان ما

---

(١) روح المعاني:٦/٢٣٠.

(٢)عبد الله بن سلام ابن الحارث، الإِمَامُ الحَبْرُ، المَشْهُوْدُ لَهُ بِالجَنَّةِ، أَبُو الحَارِثِ الإِسْرَائِيْلِيُّ، حَلِيْفُ الأَنْصَارِ، مِنْ خواصِّ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، وكان إسلامه لما قدم النَّبِيّﷺ المدينة مهاجرًا، وكان اسمه في الجاهلية الحصين، فسماه رَسُول اللَّهِﷺ حين أسلم عَبْد اللَّهِ، شهد مع عمر فتح بيت المقدس والجابية ،مات بالمدينة سنة ثلاثاً وأربعين، ذكره أبو عروبة في البدريين وانفرد بذلك وأما بن سعد فذكره في الطبقة الثالثة ممن شهد الخندق وما بعدها والله أعلم.
سير أعلام النبلاء: ٤/٥٩، تهذيب التهذيب:٥/٢٤٩،أسد الغابة:٣/٢٦٥.

(٣) الكشاف: ٢/٩٣.

سيؤول إليه حالهم، وما سيلحق بهم من لعنة لظلمهم ، وكشف حقيقة قصدهم من الصد عن سبيل ورغبتهم في التنكب عن الصراط المستقيم، وجحودهم للدار الآخرة، وكل ما صدر منهم لم يكن و لم يصدر ممن اتهموه بالافتراء وهو رسول الله ﷺ وحاشاه، بل كانوا هم أهل الافتراء وأهل الظلم.

ولهاتين الآيتين نظائر منها قوله تعالى:] l m n o p q r s t u v w x y z { | } ~ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۗ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي © ٱلۡمَوۡتِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيۡدِيهِمۡ أَخۡرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُۖ ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ ´ µ ¶ ¸ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَكُنتُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِهِۦ تَسۡتَكۡبِرُونَ ٩٣ Z الأنعام

وقوله سبحانه:] فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ يَنَالُهُمۡ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوۡنَهُمۡ قَالُوٓاْ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالُواْ à عَنَّا â عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ ç è Z الأعراف

وإذا كان القول على الله بغير علم محرم من أعظم المحرمات ،كما جاء في قوله تعالى:] P Q R S T U V W X Y Z [\ ] ^ _ ` a b c d e f g h i j k l m Z الأعراف. فقد ذكرت الآية هذه المفاسد بطريق التدلي آخرها أخطرها وأخفها أولها(١)،وذلك عند مقارنتها ببعضها، فكيف بما هو أعظم من ذلك ألا وهو الكذب على الله.

ثم إنه قد جاءت الآثار بالتهويل والوعيد الشديد على من افترى الكذب على رسول الله ﷺ، ومنها قوله ﷺ:(إِنَّ كَذِبًا عَلَيَّ لَيْسَ كَكَذِبٍ عَلَى أَحَدٍ مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ) (٢) فكيف بمن يكذب على الله الرب الواحد.

ومن التناسق هنا في آيتي سورة هود ما يلي:

(١) ينظر أيسر التفاسير للجزائري: ٢/١٦٦.

(٢) أخرجه البخاري برقم:١٢٩١،كتاب بدء الوحي ٢/١٠٢.

١- أنه قال سبحانه:] ¶ ¸ Z على سبيل الاستفهام والمعنى: ولا أحد أظلم ممن يفتري على الله.

وقال:] ¶ ¸ Z ولم يقل: (ولا أظلم) ليشارك المخاطَب في الجواب فيقول: (لا أحد أظلم منه) .

وهو أبلغ من (لا أظلم) لأن كل مخاطب أو سامع إذا سُئل عن ذلك فقيل له:] ¶ ¸ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًاۚ Z فسيقول حتماً: لا أحد أظلم منه، ويقرر ذلك.

٢- وقال:]مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًاۚ Z فنكّر الكذب ليشمل كل كذب، ولا يختص بأمر معين. فدخل في ذلك كل افتراء وكل مفتر.

فيشمل ذلك من قال: أوحي إليّ ولم يوح إليه شيء، كما في آية الأنعام الآنفة الذكر، ومن زعم أن ما جاء به هو كلام الله أو من شرع الله فحلل وحرم ،كما صرح بذلك في سورة النحل بقوله تعالى:] } | { ~ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ © ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ´ Z أومن قال على الله بغير علم وغير ذلك من الافتراءات.

٣- وقال:] أُوْلَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ Z لتقريرهم بفعلتهم والإشهاد عليهم لفضحهم وإلحاق الخزي بهم، وهومن أبلغ العقاب.

ولاشك أن عرضهم على ربهم فيه إذلال لهم لأنه عرض على من افتروا وكذبوا عليه.

فيكونون بمواجهته، ولئلا ينكروا ذلك جاء بالأشهاد ليشهدوا عليهم ويقولوا:] هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْۚ Z والأشهاد أصناف متعددة يوم القيامة فالرسل تشهد، والملائكة تشهد، والناس يشهدون، كما يقال: (فضح على رؤوس الأشهاد)، ويخص من الناس بالشهادة أمّة محمّد ﷺ، والجوارح تشهد على ابن آدم كما ثبتت بذلك الأدلة.

٤- أنه بدء الآية بقوله:] ¶ ¸ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ Z فذكر اسمه العلم (الله). ثم قال:] هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْۚ Z فذكر اسم الرب مضافاً إليهم.

فهؤلاء افتروا على الله خالق كل شيء، ومليكه، العلم المعروف لكل أحد.

وكذبوا على (ربهم) ربهم الذي أحسن إليهم ورباهم وقام على أمرهم ومصالحهم.

فالافتراء على الرب شنيع قبحه، فلو افترى عبد على ربه وسيده ومتولي أمره ومن أحسن إليه من البشركان مسيئاً بالغ الإساءة، إذ هو جحود يأباه كل عاقل، وتستقبحه كل فطرة سليمة.

فكيف إن كان الرب المتفضل هو (الله)، فبذلك يكون هذا الفاعل قد جمع قبح الإساءة بالكذب على (الله)، وقبح جحود فضل ربه عليه فكانت أسوأ فعلة وأخزى فضيحة.

كما أن مجيئ اسمين من أسماء الله في الآية يعطي الأمر مهابة أكثر، إذ أن لكل اسم من أسماء الله الحسنى دلالته، فقد افتروا عليه على عظمته] B C Z الأنعام :٣ وكذبوا عليه مع أنه ربهم، وولي كل نعمة بهم، فمن أظلم وأقبح من هؤلاء؟.

٥- أنه قال تعالى:] وَيَقُولُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ Z والأشهاد جمع شاهد كأصحاب جمع صاحب، أو جمع شهيد كأشراف جمع شريف(١).

وهذه شهادة علنية بمعنى التشهير على أن هؤلاء كذبوا على ربهم ليفضحوهم ويخزوهم.

وكذا الإشارة إليهم بـــ] هَٰٓؤُلَآءِ Z زيادة في إذلالهم وتأنيبهم ليكون خزي لهم، وعذاباً عليهم .

جاء في (البحر المحيط): ((وفي قوله] هَٰٓؤُلَآءِ Z إشارة إلى تحقيرهم وإصغارهم بسوء مرتكبهم))(٢).

فاستحق هؤلاء اللعنة والطرد من رحمة الله، وما ذاك إلا لشنيع فعلهم وقبيح جرمهم.

إنه لم يقل (ألا لعنة الله عليهم) وإنما قال:] أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ Z فشملت اللعنة كل ظالم، وهؤلاء أقرب الناس للدخول فيها لأنه لا أحد أظلم منهم فهم أولى باللعنة.

وختم الآية بقوله:] أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ Z وذكر الظالمين في غاية التناسق والمناسبة لقوله:] ¶ ¸ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًاۚ Z.

ويحتمل أن يكون قوله:] أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ Z من قول الأشهاد فإنه قال في سورة الأعراف:] فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ : ; < = < > Z الأعراف: ٤٤

(١) انظر الكشاف ٢/٩٤.

(٢) البحر المحيط ٥/٢١٢.

ويحتمل أن يكون ذلك من قول الله سبحانه[1]. فتكون إحدى اللعنتين من الأشهاد والأخرى من الله ، فيتحقق منهما معاً قوله تعالى:] يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ Z البقرة: ١٥٩ وهو جمع مناسب، فأصحابه يستحقونه لعظيم ظلمهم.

٦-أنه وصف الظالمين بقوله:] ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْأَخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ Z هود: ١٩ فقال: (يصدون) و(يبغونها) بالمضارع.

فإن كان ذلك من قول الأشهاد كان من حكاية الحال الماضية، وفي ذلك تقريرهم بسوء فعلتهم ومعاينتها كما في قوله تعالى:] p q r s t u v Z البقرة: ٩١ فقتل الأنبياء ماضٍ بدليل قوله:] u v Z وعبر عنه بالمضارع] r Z حكاية للحال، ودلالة على الاستمرار.

وإن كان من قول الله تعالى احتمل أن يكون من حكاية الحال أيضاً.

واحتمل أن يكون ذلك للحال والاستقبال ، فتشمل اللعنة هؤلاء في الدنيا والآخرة.

وقوله:] ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ Z أي يفعلون ذلك على سبيل الدوام .

وكذلك قوله:] وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا Z .وهذا الوصف القرآني لم يدع لهؤلاء المفترين الظالمين مجالاً لتبرير سوء فعلهم لأنه كشف عن عظيم جرمهم وهو الصد عن سبيل الله ،كما كشف سوء غايتهم وهي رغبتهم في انحراف الناس واعوجاجهم عن الجادة.

وقوله:] وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا Z ((الْعَرَبُ تَقُولُ لِلْمَيْلِ فِي الدِّينِ وَالطَّرِيقِ: (عِوَجٌ) بِكَسْرِ الْعَيْنِ))[2].

٧- أنه قال تعالى:] وَهُم بِٱلْأَخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ Z فذكر (هم) الثانية توكيداً.جاء في (الكشاف): ((و(هم) الثانية لتأكيد كفرهم بالآخرة واختصاصهم به))[3].

أما في الأعراف فقال:] G H I Z الأعراف: ٤٥ فلم يكرر (هم) كما في هود.

---

(١) انظر البحر المحيط ٥/٢١٢، روح المعاني ١٢/٣١.

(٢) تفسير الطبري ١٠/٢٠٧.

(٣) الكشاف ٢/٩٤.

والسبب أنه قال في الأعراف:] فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ : ; < = > ? @ A
B C D E F G H I Z الأعراف: ٤٤ - ٤٥

وقال في هود] ¶ ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ... Z هود: ١٨ - ١٩

فبين في هود أنهم أذنبوا ذنباً آخر وهو الكذب على الله الذي هو من أكبر الظلم فقال:
] هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ Z

فلما زاد في ذكر معاصيهم زاد في الإشارة إليهم بالكفر لتقريعهم.

قوله تعالى:] ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلْعَذَابُ ۚ مَا كَانُوا۟ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُوا۟ : ; < = > ? @ A B C D Z هود: ٢٠ – ٢١

وجه التناسق في هذه الآية أنها تبين ذل الكافرين، وصغارهم ،وضعفهم من أكثر من جهة وهي كالتالي:

١- أنه ابتدأها بالإشارة إليهم بقوله:] ! Z وهو على سبيل التحقير لشأنهم. فإن الله لا يعجزه شيء مهما عظم في أعين المخلوقين فكيف بأولئك ؟

(أولئك) لم يكونوا يعجزون الله لو أراد أن يأخذهم ، أو يعذبهم، أو أن يفعل بهم مايشاء.

٢- أنه قال:] " # $ Z فنفى عنهم صفة الإعجاز أصلاً فهم أذل وأضعف من أن يعجزوا أحداً، كما أنه جعل عدم الإعجاز وصفهم الثابت فجاء بالاسم فقال:] $ Z ولم يقل (لم يكونوا يعجزون)وكل ذلك دال على دوام ولزوم العجز لهم.

٣-أنه قال:] % & Z أي أن عجزهم المذكور حاصل في مكانهم وموضع استقرارهم. والإنسان أعز وأمكن ما يكون حينما كان في داره، فإذا انتفى إعجازهم في مكانهم الذي فيه تمكنهم فانتفاؤه في غير الأرض أولى.

٤-أنه نفى عنهم الولي فقال:] ') (* + , - . / Z فلا ولي لهم يتولى أمرهم، فليس لهم من أولياء من دون الله.

فهم ضعفاء في ذواتهم وأنفسهم، ويزيد ضعفهم وعجزهم بفقد الولي الذي يحميهم وينصرهم.

فهؤلاء الذين كانوا يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجاً ولا يؤمنون بالآخرة هم أذل ما يكون على الحقيقة.[1]

وقد اقتضت حكمة الله، وقدره عدم معاقبة كثير من أهل الظلم في الدنيا مع شديد عجزهم ، ويسر ذلك عليه ،وتأجيل عقابهم ليوم القيامة قال تعالى:] p q r s t u v w x y z { | } ~ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا © ﴿٦١﴾ Z النحل.

وقال :] وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ Z إبراهيم. إن إخبار الظالم بذلك فيه زيادة تهديد له ، كما أن في التأخير مكر به ،ليزداد رصيده من الشر الذي يزيد في استحقاقه للعقاب الشديد.

ولقد قال ههنا سبحانه:] ') (* + , - . / Z فجاء بالأولياء مجموعة، وفي مواضع أخرى أفرد الولي كقوله:] @ A B C D E F G H Z البقرة: ١٠٧ وقال سبحانه:] وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن © وَلَا نَصِيرٍ Z الشورى: ٨

فما السبب مع أن الإفراد في نحو أدل على الشمول فقولنا: (ما لهم من ولي) نفي لأن يكون لهم ولي أصلا وذلك على سبيل الاستغراق واحداً أو أكثر.

---

(١) الكشاف ٢/٩٤.

أما إذا قلنا: (ما لهم من أولياء) فإنه ينفي الجنس في حالة الجمع ولا ينفي أن يكون لهم ولي واحد أو اثنان.

والجواب والله أعلم، أن هذا الكلام في الآخرة والمذكورون هم جماعات مختلفة ومن أمم متعددة وأزمان مختلفة متباعدة وقد يكون بين جماعة وأخرى قرون كثيرة فلا يمكن أن يكون لهؤلاء الجماعات ولي واحد وإنما يكون لكل جماعة أو أمة ولي أو أولياء يتولونهم فلا يصح أن يقال (ما كان لهم من دون الله من ولي) .

كما أنه قد يتخذ أهل البلد الواحد أولياء متعددين، فنفي الأولياء أصوب من نفي الولي، بل هو المتعين ، خاصة أن هؤلاء الأولياء غير الله فلا بد أن يتعددوا.

ونلحظ أنه حيث نفى الأولياء بالجمع فإن الحديث يكون عن الآخرة نحو قوله:] ')

(* + , - . Z هود: ٢٠ وقوله:] ? @ A B C Z الشورى: ٤٦.

وحيث أفرد الولي في نحو ذلك فإن الكلام يكون عن حالهم في الدنيا، سواء كان الكلام عن فرد واحد أو مجموعة معينة.

جاء في (روح المعاني): (([- . Z (من) زائدة لاستغراق النفي، وجمع (أولياء) إما باعتبار أفراد الكفرة كأن قيل: وما كان لأحد منهم من ولي، أو باعتبار تعدد ما كانوا يدعون من دون الله تعالى فيكون ذلك بيانا لحال آلهتهم من سقوطها عن رتبة الولاية))[١].

٥-أنه قال:] يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلۡعَذَابُۚ Z و"ضعف الشيء"، مثله مرة. وقيل: إن "المضَعَّف"، في كلام العرب، ما كان ضعفين، و"المضاعف"، ما كان أكثر من ذلك.[٢]

ومضاعفة العذاب لهم إنما هو جزاء أفعالهم إذ جمعوا عدة جرائم ومظالم ،فكفروا بالبعث وزادوا ذلك بالكذب على الله وكانوا يصدون عن سبيل الله، وجعلوا بغيتهم العوج عن الطريق المستقيم، ويمكن أنهم منعوا أسماعهم من وعي الحق وأبصارهم من رؤيته ،كفراً وتعالياً منهم، وإصراراً على الباطل فاستحقوا بذلك مضاعفة العذاب.

(١) روح المعاني ١٢/٣٢.

(٢) تفسير الطبري ١٢/٤١٩.

جاء في البحر المحيط:((هذا استئناف إخبار عن حالهم في الآخرة لأنهم جمعوا إلى الكفر بالبعث الكذب على الله وصد عباده عن سبيل الله وبغي العوج لها وهي الطريقة المستقيمة))(١).

٦_ أنه قال عنهم:] مَا كَانُوا۟ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُوا۟ : Z أي يكرهون سماعه فلا يطيقون أن يسمعوه لشدة بغضهم له. كما يكرهون أن ينظروا إليه فلا يطيقون ذلك لشدة بغضهم لرؤيته.

وجاء في (البحر المحيط): (( ] مَا كَانُوا۟ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ Z إخبار عن حالهم في الدنيا على سبيل المبالغة، يعني السمع للقرآن، ولما جاء به الرسول ﷺ.

] وَمَا كَانُوا۟ : Z أي ينظرون إليهم لبغضهم فيه، ألا ترى إلى حشو الطفيل بن عمرو(٢)أذنيه من الكرسف وإباية قريش ما نقل إليهم من كلام الرسولﷺ))(٣).

وجاء في (روح المعاني): (( ] مَا كَانُوا۟ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ Z إي إنهم كانوا يستثقلون سماع الحق الذي جاء به الرسول ﷺ ويستكرهونه إلى أقصى الغايات حتى كأنهم لا يستطيعونه.

] وَمَا كَانُوا۟ : Z أي إنهم كانوا يتعامون عن آيات الله تعالى المبسوطة في الأنفس والآفاق)) (٤).

ومن التناسق في الآية أنه قدم السمع على الإبصار ههنا فقال:] مَا كَانُوا۟ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُوا۟ : Z

وقدم آلة الإبصار على السمع في الكهف فقال:] G H I J K L M N 0 P Q Z الكهف: ١٠١ وذلك أنه ذكر في سياق آية هود ما يسمع وهو الكذب

(١) البحر المحيط ٥/٢١٢.

(٢)الدوسي الأزدي صَاحِبُ النَّبِيِّ ﷺكَانَ سَيِّداً مُطَاعاً مِنْ أَشْرَافِ العَرَبِ وَدَوْسٌ بَطْنٌ مِنَ الأَزْدِ ، أَسْلَمَ قَبْلَ الهِجْرَةِ بِمَكَّةَ، كَانَ يُلَقَّبُ ذَا النُّوْرِ ؛ لأَنَّهُ قَالَ: يَا رَسُوْلَ اللهِ إن دوساً قد غلب عليهم الزنى فَادْعُ اللهَ عَلَيْهِم قَالَ: "اللَّهُمَّ اهْدِ دَوْساً" ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُوْلَ اللهِ ابْعَثْ بِي إِلَيْهِم وَاجْعَلْ لِي آيَةً فَقَالَ: "اللَّهُمَّ نَوِّرْ له".سير أعلام النبلاء ٣/٢٠٨، وأسد الغابة "٣/ ٧٨"، والإصابة "٢/ ترجمة رقم ٤٢٥٤.

(٣) البحر المحيط ٥/٢١٢.

(٤) روح المعاني ١٢/٣٢.

فقال:] ¶ ¸ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًاۚ Z وقال:] وَيَقُولُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ Z وقال:] وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ Z الأنعام: ٢٤ في حين ذكر في الكهف ما يرى وهو عرض جهنم فقال:] A B C D E F G H I J K L M Z الكهف: ١٠٠ - ١٠١ ، فقدم في كل موضع ما يناسبه.

وثمة أمر آخر في هاتين الآيتين، فقد عرّف السمع في آية هود فقال:] مَا كَانُواْ يَسۡتَطِيعُونَ ٱلسَّمۡعَ Z ، ونكره في آية الكهف فقال:] N O P Q Z ذلك أن آلة السمع في آية هود غير معطلة وإنما يستثقلون سماع نوع معين من الكلام وهو الكلام في دين الله. أما غيره من الكلام فإنهم يسمعونه ويستحبونه، فعرّف السمع الذي يستثقلونه ويكرهونه.

وأما في سورة الكهف فإنها قررت أن آلة الإبصار معطلة وآلة السمع معطلة، فقد قال في آية الإبصار] G H I J K L M Z فهي لا تبصر لأنها مغطاة.

وقال في السمع:] N O P Q Z وهذا إثبات لعدم استطاعة السمع أي إنهم لا يسمعون لأن آلة السمع معطلة فلا يسمعون أي نوع من الكلام(١).

ومن كانت آلة السمع عنده معطلة فإنه لا يسمع شيئاً فلذلك نكره، والله أعلى وأعلم.

قوله تعالى:] < = > ? @ A B C D Z

لقد ذكر سبحانه أن هؤلاء خسروا أنفسهم وهو أكبر الخسران، فأي خسران أكبر من أن يخسر الإنسان نفسه؟.

] @ A B C D Z لقد بطل كذبهم وإفكهم وفريتهم على الله، بادعائهم أن له شركاء، فسلك ما كانوا يدعونه إلهًا من دون الله غير مسلكهم، وأخذ طريقًا غير طريقهم، فضَلَّ عنهم، وكأنه شيء ضاع منهم، وكان ضياعه خسران عظيم عليهم، لأنه سلك بهم إلى جهنم، وصارت آلهتهم عدمًا لا شيء، لأنها كانت في الدنيا حجارة أو خشبًا

(١) انظر: روح المعاني ١٦/٤٥، ١٢/٢٢، الكشاف ٢/٩٤، معاني النحو ١/٢٤٠ - ٢٤١.

أو غيره، مما يفنى، وإن كان لله وليًّا من الأولياء الصالحين، فإنه قد سلك به إلى الجنة، وذلك أيضًا غير مسلكهم، وذلك أيضًا ضلالٌ عنهم وخسران عظيم لهم(١).

و(ما) هنا مصدرية أي ضل افتراؤهم كقوله سبحانه:] j k Z الكهف: ١٠٤ أي لم ينفعهم ذلك (٢).

فقد خسروا أنفسهم، وغاب عنهم من ظنوا أنه منجدهم، أو نافعهم، وذلك عين الهلاك واليأس.

ومن أوجه التناسق في الآية ما يلي:

١- أنه قال سبحانه] F G H I J K L Z هود: ٢٢

فاختار] L Z ولم يقل (هم الخاسرون) أو (من الخاسرين) دلالة على أنه لا أخسر منهم.

وقال في سورة النمل:] إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا : ; > = < ? @ A B C D E F G H I J K Z النمل: ٤ - ٥

فقال في آية هود:] F G H I J K L Z

وقال في آية النمل:] G H I J K Z

لكن آية هود أشد إذ أكد الخسران في آية هود بما لم يؤكده في آية النمل، فقد قال:] F G Z والأصل في (لا جرم): لا بُدَ ولا محالةَ، ثم كَثُر استعمال العرب لها، حتى جعلوها بمنزلة قولهم: حقّاً (٣).

وهي عند العرب تنزل منزلة القسم للتأكيد وقد تجاب بما يجاب به القسم فيقال: لا جرم لآتينك(٤).

---

(١) تفسير الطبري ١٥/٢٨٨.

(٢) روح المعاني ٧/١٢٤، وانظر تفسير الرازي ٤/٥٠٤.

(٣) الزاهر ١/٢٧٢.

(٤) معاني القرآن للفراء ٢/٨.

٢- أنه قال (أهم) فأكد بـــ(أنَّ) وذلك أنه في سياق آية هود زيادة على ما ذكر في سياق آية النمل من الآثام.

فقد قال في آية النمل إنهم لا يؤمنون بالآخرة، فهوا إثم واحد.

أما الآثام التي ذكرت في سياق آية هود فأربعة: أنهم كذبوا على ربهم، ويصدون على سبيل الله، ويبغونها عوجا، وهم بالآخر هم كافرون.

٣- أنه أضاف لعذابهم الذي سيجازون به في سورة هود أنه يضاعف لهم العذاب فأكد أنهم الأخسرون حقاً. وكان كل تعبير مناسباً للسياق الذي ورد فيه.

قال الإمام الرازي(١): ((اعلم أن الله تعالى وصف هؤلاء المنكرين الجاحدين بصفات كثيرة في معرض الذم:

الصفة الأولى: كونهم مفترين على الله وهي قوله:] ¶ ¸ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًاۚ Z

والصفة الثانية: أنهم يعرضون على الله في موقف الذل والهوان والخزي والنكال وهي قوله:

] أُوْلَٰٓئِكَ يُعۡرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمۡ Z

والصفة الثالثة: حصول الخزي والنكال والفضيحة والعظيمة وهي قوله:] وَيَقُولُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ Z

والصفة الرابعة: كونهم ملعونين من الله وهي قوله:] أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ Z

والصفة الخامسة: كونهم صادين عن سبيل الله مانعين من متابعة الحق وهي قوله:] ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ Z

والصفة السادسة: سعيهم في إلقاء الشبهات وتعويج الدلائل المستقيمة وهي قوله:

] وَيَبۡغُونَهَا عِوَجًا Z .

والصفة السابعة: كونهم كافرين وهي قوله:] وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ Z هود: ١٩

والصفة الثامنة: كونهم عاجزين عن الفرار من عذاب الله وهي قوله:] ! " # $ % & Z ....

(١)سبقت ترجمته رحمه الله.

معنى الإعجاز المنع من تحصيل المراد.

يقال: أعجزني فلان أي منعني من مرادي. ومعنى] $ % & Z أي لا يمكنهم أن يهربوا من عذابنا...

والصفة التاسعة: إنهم ليس لهم أولياء يدفعون عذاب الله عنهم.

والمراد منه الرد عليهم في وصفهم الأصنام بأنهم شفعاؤهم عند الله.

والمقصود أن قوله:] ! " # $ % & Z دل على أنهم لا قدرة لهم على الفرار.

وقوله:] ' ( ) * + , - . Z هو أن أحداً لا يقدر على تخليصهم من ذلك العذاب. فجمع تعالى بين ما يرجع إليهم وبين ما يرجع إلى غيرهم. وبين ذلك انقطاع حيلهم في الخلاص من عذاب الدنيا والآخرة...

والصفة العاشرة: قوله تعالى:] يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلۡعَذَابُ Z قيل سبب تضعيف العذاب في حقهم... أنهم مع ضلالهم الشديد سعوا في الإضلال ومنع الناس عن الدين الحق...

والصفة الحادية عشرة: قوله:] مَا كَانُواْ يَسۡتَطِيعُونَ ٱلسَّمۡعَ وَمَا كَانُواْ : Z

الصفة الثانية عشرة: قوله:] < = > ? Z ومعناه أنهم اشتروا عبادة الآلهة بعبادة الله تعالى فكان هذا الخسران أعظم وجوه الخسران.

الصفة الثالثة عشرة: قوله:] @ A B C D Z...

الصفة الرابعة عشرة: قوله:] F G H I J K L Z))[1]

وهذا الجمع من هذا الإمام لما اتصفوا به يؤكد أن لا أحد أظلم منهم، ويؤكد استحقاقهم لمضاعفة العذاب من الحكم العدل جل وعلا.

قوله تعالى:] N O P Q R S T U V W X Y Z [\ Z هود: ٢٣

(١) التفسير الكبير ٦/٣٣٢- ٣٣٤.

لما ذكر تعالى ما يؤول إليه حال أهل الكفر والافتراء على الله، الذين يصدون عن سبيل الله ناسب أن يتبع ذلك بما يؤول إليه حال أهل الإيمان الذين أخبتوا إلى ربهم، وتواضعوا لأمره، ليتم البيان، وتقوم الحجة، ويقارن كل ذي لب بين خير المسلكين وخير المصيرين.

قال الإمام البقاعي: ((ولما كان الحاصل ما مضى من وصف الكافرين بعد مطلق الأعمال السيئة الإعراض عن ربهم والنفرة عن المحسن إليهم جلافة وغلظة، وصف المؤمنين بالإقبال عليه والطمأنينة إليه فقال:] S Z أي خشعوا متوجهين منقطعين] T U Z أي المحسن إليهم فشكروه فوفقهم لاستطاعة السمع والأبصار))[1].

والاخبات: يجمع عدة صفات متقاربة من صفات العبودية لله من التخشع، والتواضع، والإنابة، والخوف، والطمأنينة إليه، غير أن نفس "الاخبات"، عند العرب يعني : الخشوع والتواضع.[2]

كما أنه((يتعدّى بإلى وباللام فإذا قلت: أخبت فلان إلى كذا، فمعناه اطمأن إليه، وإذا قلت: أخبت له فمعناه خشع وخضع له)) [3]

وقوله تعالى:] _ ` a b c d f g h i j k Z هود: ٢٤ الآية تتمة للمقارنة بين الفريقين.

ومن أوجه التناسق فيها ما يلي:

١-أنه شبه الفريق الكافر بالأعمى والأصم، ولم يشبههم بالأبكم ذلك أنهم متكلمون بالكذب على الله، وكانوا يصدون عن سبيل الله، ويبغونها عوجاً، وكل هذه الأصناف إنما تحصل بالكلام.

وشبه الفريق المؤمن بالبصير والسميع.

---

(١) نظم الدرر ٩/٢٩٣.

(٢) تفسير عبد الرزاق ٢/١٨٦، تفسير الطبري ١٥/٢٨٩.

(٣) السراج المنير ٢/٥٢.

٢- بدأ بتمثيل حال الفريق الكافر لأنه تقدم ذكرهم في قوله تعالى:] ¶ ﮋ مِمَّنِ
ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ
ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ
ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٩﴾ ! " # $ %
& ' ( ) * + , - . يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلْعَذَابُۚ مَا كَانُواْ يَسْتَطِيعُونَ
ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُواْ : ; < = > ? @ A B
C D E F G H I J K L Z هود: ١٨ - ٢٢

ثم مثل بعده لحال الفريق المؤمن وهو البصير السميع وذلك تابع لقوله:] N O P
Q R Z

جاء في (البحر المحيط): ((والفريقان هنا الكافر والمؤمن، ولما كان تقدم ذكر الكفار وأعقبه بذكر المؤمنين جاء التمثيل هنا مبتدأ بالكافر فقال:] a b Z

وقال:] j k Z . ويمكن أن يكون من باب تشبيه اثنين باثنين ، فقوبل الأعمى بالبصير وهو طباق ، وقوبل الأصم بالسميع وهو طباق أيضاً))(١).

٣- ومن التناسب في الآية أنه حذف إحدى التاءين من الفعل فلم يقل (تتذكرون) كما في آيات أخرى، ذلك لأن الأمر من الوضوح بحيث لا يحتاج إلى قدر طويل من التذكر والتأمل ،فلو سُئل أي عاقل هل يستوي رجل أعمى أصم ورجل بصير سميع؟

لكان جوابه بِلا تردد: كلا لا يستويان.

(١) البحر المحيط،٥/٢١٤.

أوجه التناسب والتناسق بين ما سبق وبين ما سيأتي من القصص.

لما تم البيان لشرف الكتاب على أكمل وجه، وأجمل وأجل وصف، وأظهر عجز الكافرين بأن يعارضوه، أو يأتوا بسورة من مثله، وأكد بكل مؤكدٍ مصدره، وصدق وأمانة ناقله ومبلغه، ثم فصل سبحانه في حال ومآل الفريقين، مريدو الدنيا، ومن همتهم الآخرة، مؤمنهم وكافرهم، وختم بالحث على التذكر، المفضي إلى التصديق بما وصف به الفريقان، وكان تقديم ذكر كتاب موسى محركاً لتوقع ذكر نبئه ونبأ غيره من الرسل، عطف على ذلك بقوله :] m n Z أي بما لنا من العظمة أرسلنا] o p q Z وما بعد ذلك من القصص، تقريراً لمضمون هذا المثل، وتثبيتاً، وتسلية، وتأييداً، وتعزية، لهذا النبي الكريمﷺ، لئلا يضيق صدره بشيء مما أمر بإبلاغه، وبياناً له ولغيره بأنه لم يأت ببدع من الرسل، بل هو على سنن دعوة الحق التي سار عليها سلفه من الأنبياء والتي مبدأها] w x y z { |Z،[1] وباجتماع هذه الموضوعات تتحقق مقاصد السورة الكريمة، والله أعلى وأعلم.

---

(١) ينظر نظم الدرر٣/٥١٨، في ظلال القرآن٤/١٨٤١.

المبحث الثاني : التناسق في قصة نوح عليه السلام مع قومه، ويشمل الآيات (٢٥-٤٩).

قال الله تعالى:] m n o p q r s t u v wx y z { | }
~ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ أَلِيمٖ Z هود: ٢٥ – ٢٦

القصص في هذه السورة يعتني بسير التاريخ، فيبدأ بنوح عليه السلام ، ثم هود عليه السلام، ثم صالح عليه السلام، ويعرج على قصة إبراهيم عليه السلام في الطريق إلى لوط عليه السلام، ثم شعيب عليه السلام، ثم يختم بقصة موسى عليه السلام على نبينا وعليهم أفضل الصلاة والسلام، وحال ومآل فرعون وقومه وهو يشير إلى ذلك البعد التاريخي، لأنه يذكر الآخرين بمصير سلفهم على التوالي.

وقد وردت قصة نوح عليه السلام في أكثر من موضع من القرآن الكريم إلا أنها ليست متطابقة في كل المواضع وإنما يذكر في كل موضع المقام والحال الذي وردت فيه وما يراد بيانه منها.

ولا شك أن تلك القصص مكملة لبعضها، فيذكر قسم منها في موضع ويذكر ما يليه في موضع آخر.

والموضع الذي جاء في هذه السورة هو أطول المواضع، وذكرت قصص نوح عليه السلام في سور: الأعراف ويونس عليه السلام وهود عليه السلام والأنبياء والمؤمنون والشعراء والعنكبوت والصافات والقمر وختمت في سورة نوح عليه السلام، إضافة إلى إشارات موجزة في مواطن أخرى من القرآن الكريم غير أنها ليست مكررة.

وأول موضع وردت فيه القصة في سورة الأعراف وعرضت موجزة، وفي هذه السورة بدأ عرض القصة بقوله:] لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ Z من دون أن تسبق بالواو، وأما المواطن الأخرى فابتدأها سبحانه بقوله:] m n o Z بالواو فكأنها معطوفة على القصة الأولى، وقد يعد هذا وجه من أوجه التناسق القرآني، مع أن هذه الواو ليست عاطفة على ما قبلها وإنما هي استئنافية.

فقد قال في هود عليه السلام:] m n o p q Z وليس قبلها ما تعطف عليه، وكذا قال في سورتي المؤمنون والعنكبوت.

أما في سورة نوح عليه السلام فقد بدأت السورة بقوله:] P Q R S T Z فلا يصح ذكر الواو.

بل إنه قد يذكر الواو في غير هذا التعبير أيضاً فقد قال في سورة يونس:] " # $ % Z يونس: ٧١ وقال في الأنبياء:] L M N O P Z وقال في الصافات:] وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ Z الصافات: ٧٥ .

ولم يذكر الواو كذلك عندما جاءت القصص الأخرى في نفس السورة بدون ذكر الواو وذلك كما في سورتي الشعراء والقمر.

فإن جميع القصص الواردة في الشعراء ابتداءً من قصة نوح عليه السلام تبدأ بنحو قوله:] كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ Z فقد قال:] q r s Z وقال:] < ? @ Z وقال:] ! " # $ Z وقال:] كَذَّبَ أَصْحَٰبُ ´ µ Z كلها على هذا النمط، تستأنف كل قصة على حدة.

كذلك في سورة القمر فقد قال:] كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ Z وقال:] v w Z وقال:] كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ Z وقال:] F G H I Z

وعرض القصص في سورة الأعراف على نسق واحد تبدأ بدعوة نوح عليه السلام لقومه إلى عبادة الله وهي دعوة الرسل جميعاً، فقد قال لهم:] ; < = > ? @ A B C D E F G H Z الأعراف: ٥٩ .

فأجابوه بقولهم:] N O P Q R Z فرد عليهم أنه ليست به ضلالة وإنما هو رسول من رب العالمين. فكذبوه فأنجاه الله والذين معه وأغرق الذين كذبوا.

وهذا نص القصة:] لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ : ; < = > ? @ A B C

D E F G H I J K L M N O P Q R S T

U V W X Y Z [\ ] ^ _ ` a b c

d e f gh i j k l m n o p q r s t

u v w x y z { | } ~ وَأَغۡرَقۡنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآۚ

إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمًا عَمِينَ © Z الأعراف: ٥٩ - ٦٤

و لم يذكر أن له أتباعاً معه وذلك أنه كان في ابتداء الدعوة.

وأما القصة في سورة يونس فيمكننا القول بأنها جاءت استكمال لما ورد منها في الأعراف.

فإنه لم يذكر فيها أنه دعاهم إلى عبادة الله و لم يذكر ماذا قال له قومه وإنما كان حديث نوح عليه السلام عن شخصه هو، وأنه إن كان كبر عليهم مقامه وتذكيره بآيات الله لهم، فليفعلوا به ما يشاؤون، وأن لا يمهلوه، وأنه لم يسألهم على دعوته لهم أجراً، وإنما أجره على الله، فكذبوه فنجاه الله وأغرق الذين كذبوا. و لم يذكر أيضاً أن له أتباعاً ولا أنهم عرضوا بأتباعه، أو طالبوه بإبعادهم إذ لا تزال الدعوة في مهدها.

وهذا نص القصة في سورة يونس عليه السلام: [" # $ % & ' ( ) (* + ,

- . / بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡتُ فَأَجۡمِعُوٓاْ أَمۡرَكُمۡ وَشُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ لَا :

; < = > ? @ A B C D E F G H I K

L M N O Q R S T U V W X Y Z [\

] ^ _ ` a b d e f g h Z يونس: ٧١ - ٧٣

ومن التناسق في عرض هذه القصة أنه اكتفى بذكر دعوته لهم إلى عبادة الله في الأعراف، و لم يكررها في يونس عليه السلام، وذكر رد قومه عليه في الأعراف بأنهم يرون أنه في ضلالة، و لم يكرر ذلك في يونس.

كما أنه عند التأمل في كلام نوح عليه السلام في سورة يونس وهو يرد عليهم نجد أنه ليس تكراراً لما قاله في الأعراف، بل ذكر جوانب أخرى، وكأن الكلام جاء استكمالاً لما ذكره في الأعراف، ثم إنه تحداهم وهو ما لم يفعله في الأعراف، ما يؤكد قبول القول بأن القصة استكمالاً لما ورد في الأعراف.

وأما في سورة هود عليه السلام التي نحن بصددها، فهي متناسقة في عرضها للقصة مع ما سبق، بيد أنها عرضت القصة بشكل مطول فقد ذكر أنه لهم نذير مبين، وأنه دعاهم إلى عبادة الله، وذكر رد الملأ الذين كفروا عليه ، وقد أفاضوا في ردهم عليه.

وظهر فيها أن له أتباعاً، وهو ما لم يذكره في الأعراف، ولا في يونس عليه السلام، إذ كانت الدعوة في مهدها، وذكر رأي الملأ في هؤلاء الأتباع وأنهم كانوا يزدرونهم.

وبين أنه قد دار بينهما كلام طويل وجدال، يدل على بذل نوح عليه السلام جهداً كبيراً في دعوتهم، حتى قالوا:] i j k l m Z

وذكر أيضاً كيفية النجاة التي لم يفصل فيها فيما سبق في الأعراف أو يونس، فذكر صنع الفلك واستهزائهم بنوح عليه السلام، وذكر أمره لنوح عليه السلام بحمل من أراد لهم النجاة، ومشهد جريان الفلك وغرق ابنه إلى أن انتهى الأمر وقضي واستوت السفينة وهبوطهم بسلام.

وهي أطول ما ذكر من القصة وأكثر تفصيلاً من كل المواطن الأخرى.

وبهذا يمكننا القول بأنها جاءت استكمالاً وتوضيحاً لما ورد عن القصة في السورتين السابقتين.

وأما في سورة الأنبياء فالقصة ليست في سياق الدعوة والتبليغ وإنما في سياق نجاة الأنبياء من أقوامهم واستجابة دعاء من دعا منهم.

فقد ذكر نجاة إبراهيم عليه السلام ونجاة لوط عليه السلام ونجاة نوح واستجابة دعائه عليه السلام، واستجابة دعاء أيوب عليه السلام واستجابة دعاء ذي النون وزكريا عليهما السلام.

وهذا نص ما ورد فيها:

] L M N O P Q R S T U V W X

Y Z [\ ] ^ _ ` a b c d e Z وهو متناسب مع سياق ما ورد في السورة من قصص الأنبياء، وطريقة عرضها.

وأما في سورة المؤمنون فقد عرضت القصة بعد ذكر الأنعام وفوائدها والحمل عليها وعلى الفلك، فجاء ذكر قصة نوح عليه السلام والنجاة في الفلك مناسباً لذكر الحمل على الأنعام والفلك، فقد جاءت القصة بعد قوله:] H I J K L N O P

Q R S T U V W X Y Z [\ Z المؤمنون: ٢١ - ٢٢

وأما الجانب المذكور من قصة نوح عليه السلام في هذه السورة فهو لا يطابق ما ورد من القصص فيما سبق، فإنه بلغهم بدعوته فقال:] d e f g h i j k l m n Z المؤمنون: ٢٣ ولم يقل شيئا آخر.

فقومه هنا لم يواجهوه بكلام ولم يباشروه بجدال، بل كانوا يذكرون رأيهم فيه في غيبته وفي مجالسهم.

أما في سورة هودعليه السلام فذكر ما كان يواجههم به ويواجهونه به، وما كان يجادلهم به ويجادلونه، وفي المؤمنون جاء البيان لما يحصل بعد ذلك، أي بعد الافتراق وفي مجالسهم، وكأنه استكمالا لما حصل في هود.

ثم ذكر أنه دعا ربه لينصره، وهو أول موطن يذكر فيه دعاء نوح عليه السلامبصورة صريحة، فقد قال:] رَبِّ ٱنصُرۡنِي بِمَا كَذَّبُونِ Z .

وهذه هي القصة في سورة المؤمنون :] ^ _ ` a b c d e f g h i j k l m n o p q r s t u v w x y z { | } ~ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةٗ مَّا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنۡ هُوَ إِلَّا رَجُلُۢ بِهِۦ جِنَّةٞ فَتَرَبَّصُواْ ´ µ ¶ ¸ قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾ فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ أَنِ ٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ فَٱسۡلُكۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ مِنۡهُمۡۖ وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ à مُّغۡرَقُونَ â ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / وَقُل رَّبِّ أَنزِلۡنِي مُنزَلٗا مُّبَارَكٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡمُنزِلِينَ Z المؤمنون: ٢٣ - ٢٩

وأما في سورة الشعراء فقد قال تعالى في قوم نوح عليه السلام ما قاله في الأقوام الأخرى] كَذَّبَتۡ قَوۡمُ نُوحٍ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ ﴿١٠٧﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ Z وهو نحو ما قاله في الأقوام الأخرى وفي رسلهم.

ثم ذكر مواقف الأمم من رسلهم فكانت كلها على نسق واحد.

وإضافة إلى هذا فإن قصة نوح عليه السلام هنا أيضاً تأتي وكأنها استكمالاً لما ورد قبلها في سالفتها من السور وليست مماثلةً لها، فقد دعا نوح عليه السلام قومه فيما سبق إلى عبادة الله فقال:] e f g h i j k Z أو] wx y z { Z.

وأما في هذه السورة فقد طلب منهم تقوى الله، وطاعته ﷺ، ولم يأمرهم بالعبادة كما سبق بل قال لهم:] فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ Z .والتقوى إنما تكون بعد الأمر بالعبادة فهي استكمال للأوامر السابقة.

كما لم يذكر أنهم كذبوه لذاته، وإنما ذكر أنهم اعترضوا على أتباعه قائلين:] ë لَكَ وَاتَّبَعَكَ Î Z الشعراء: ١١١ وأتبعوا ذلك بأن هددوه إن لم ينته بالرجم.

فدعا ربه قائلاً إن قومه كذبوه، وطلب النجاة له، ولمن آمن، فاستجاب له ربه، فأنجاه ومن آمن معه، وأغرق الآخرين.

وهذا هو نص ما جاء في الشعراء.] كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ à عَلَىٰ â الْعَالَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ ç è ê ë لَكَ وَاتَّبَعَكَ Î ï ! " # $ % & ' ( ) * + , . . / ﴿١١٣﴾ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ : ; < = > ? @ A B C D E F G H I J K L M N O P Q R S T U V W X Y Z [\ ] ^ _ ` a b c d f g h i j k l m n o p Z.

وأما في سورة العنكبوت فإنه لم يذكر دعوته لقومه، ولم يذكر موقف قومه منه ومن دعوته ، وإنما ذكر مدة لبثه في قومه، وهو جانب جديد لم يذكر فيما سبق، كما ذكر أن قومه أخذهم الطوفان لظلمهم، وأنجاه الله ومن معه.

وهذا نص ما ورد عن القصة في هذه السورة.

قال تعالى:] وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾ ! " # $ % & Z

وأما في سورة الصافات فذكر أن نوحاً عليه السلام دعا ربه، وأن ربه أجابه، وأنه نجاه وأهله من الكرب العظيم، وأنه جعل ذريته هم الباقين، وبعض هذه الأمور لم يذكر في المواطن الأخرى، فإنه ذكر فيها ما كان بعد نوح عليه السلام وبعد النجاة، وماذا ترك عليه في الآخرين، ،ذكر أنه أغرق الآخرين، ولم يذكر من هم الآخرون ولماذا أغرقهم.

وهذا ما ورد فيها:

قال تعالى:] وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ : ; < = > Z

وأما في سورة القمر فإنه قال كما قال في بقية الأقوام :] كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ Z وكذلك قال في الأقوام الأخرى.

[v w Z] كَذَّبَتْ ثَمُودُ Z] F G H Z

فالقصة على نمط ما ذكر في السورة من القصص، وهو من التناسق الظاهر في كتاب الله.

وهي لم تذكر أنه دعا قومه إلى عبادة الله، وإنما ذكر فيها تكذيب قومه وزجرهم له، ثم أنه دعا ربه أنه مغلوب، والمغلوب إنما يطلب النصر، فطلب النصر قائلاً:] A B C Z فأجابه ربه إلى ذلك، ونصره نصر عزيز مقتدر.

والفرق بين القصص في سورتي القمر والشعراء مع أنها كلها تجري على نسق واحدٍ تقريباً، هو اختلاف المشهد في السورتين.

ففي سورة الشعراء كان يذكر ما تقوله الرسل لأقوامها، وإلى ما كانوا يدعونهم، فكان كل رسول يقول لقومه:] z { | } ~ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ Z .

وأما في سورة القمر فلم يذكر دعوة الرسل لأقوامهم، وإنما ذكر فيها تكذيب الأقوام لرسلهم وعاقبة تكذيب كل فريق منهم، وكان التعقيب على القصص كلها واحداً، وهو قوله جل وعز بعد كل قصة:] i j k l Z

فالقصص في سورة القمر تذكر جانباً آخر من جوانب القصص القرآني.

وقصة نوح عليه السلام لابد وأن تأتي على نمط القصص الأخرى في السورة ليحصل التناسق الذي عليه هذا الكتاب العزيز.

وهذا ما ورد في سورة القمر:

] كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا : ; < = > ? @ A B C D

E F G H I J K L M N O P Q R S T

U V W X Y Z [\ ] ^ _ ` a b c d e f

g h i j k l Z القمر: ٩ - ١٦

وأما في السورة التي تسمت باسمه سورة نوح عليه السلام وهي آخر موطن تذكر فيها قصته وآخر موطن يذكر فيها اسمه فإنها تختلف عن ما جاء في سالفتها من القصص القرآني ومن السور.

فقد عرضت القصة كأنها سرد لخلاصة سيرة نوح عليه السلام، ومساره في دعوته، واعتذاره لربه ،وموقف قومه منه، ورأيه فيهم، وقراره بأن يدعوا على كافرهم وفاجرهم.

فهو هنا لم يخاطب قومه بشيء ولم يخاطبوه بشيء وإنما ذكر ماذا قال لهم وكيف واجهوه فقد قال تعالى:] P Q R S T U V W X Y Z [\ ] ^ Z نوح: ١ وهنا بيان لأمر ربه له بإنذار قومه.

فقال نوح عليه السلام مستجيباً لأمر الله:] _ ` a b c d e Z، فكان قوله تنفيذاً للأمر] U V W Z.

ثم ذكر إلى ماذا دعاهم، وذلك قوله:] f g h i j k Z.

ثم ذكر نوح عليه السلام لربه ماذا كان منه ومنهم فقال:] رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا © Z إلى آخر ما قال عليه السلام في بيان للعناء العظيم والجهد الكبير الذي بذله في دعوتهم ،ثم ذكر

نوح ﷺ بعد ذلك لربه ماذا كان موقفهم منه على سبيل الشكاية وذلك في قوله:] c d e f g h i j k l m n o p Z إلى آخر ما ذكر.

ثم ختم هذا الإعذار والشكاية ببيان الحال، بالدعاء عليهم بالهلاك الشامل الذي لا يذر كافراً على وجه الأرض فقال:] وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ Z وعلل دعائه عليهم بقوله:] إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ Z ثم ختم دعائه بطلب المغفرة لنفسه، ولوالديه، وللمؤمنين والمؤمنات، اعترافاً بالتقصير في جنب الله واستعداداً للقائه، وهو فعل العارفين بالله.

وبهذا نرى هذه السورة جاءت كأنها تقرير جمع فيه خلاصة ما حصل في سيره الطويل في دعوته لقومه، ذيله بقناعته بأن الكافر المعاند المصر على كفره، المجادل بالباطل يستحق الفناء، ولذا دعا عليهم بأن لا يذر منهم أحد.

ومن صور التناسق في عرض هذه القصة ما يلي :

١- أنه قال في الأعراف والمؤمنون:] ; < = > ? @ A B Z

وقال في هود:] r s t u Z.

وقال في الشعراء:] فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ Z .

وقال في سورة نوح ﷺ:] a b c d e f g h i j k Z.

فجمع جميع ما جاء في سور الأعراف، والمؤمنون، وهود، والشعراء، من الأمر بعبادة الله وحده، ومن النذارة، والوصية بالتقوى، والوصية بطاعته، وذلك مناسب لتأخر موقعها عن سالفتها، فإنه قال في الأعراف والمؤمنون:] يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ Z ، وقال في سورة نوح ﷺ:] f g h Z ، وقال في سورة هود ﷺ:] r s t u Z وكذلك قال في سورة نوح ﷺ،وقال في الشعراء:] فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ Z ونحوه قال في سورة نوح ﷺ.

فجمع فيها كل ما قاله نوح ﷺ في كل ما ورد من القصص القرآني فيما سبق.

٢- نلاحظ أنه جمع في سورة نوح ﷺ بين القول الصريح وبين (أنْ) المفسرة فقال:

] _ ` a b c d e f g h i j Z.

وهو ما تفرق في الأعراف والمؤمنون وهود والشعراء.

فقد قال في الأعراف والمؤمنون:] : ; > = Z .

وقال في الشعراء:] إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ Z .

وقال في هود:] p q r s Z.

و لم يجمع بينهما في قصته في موطن آخر.

٣- أنه ذكر موقف قومه في سورة نوح عليه السلام بتفصيل لم يسبق، فبين أنهم عصوه، وأنهم اتبعوا من لم يزده ماله وولده إلا خساراً، وأنهم مكروا مكرا كباراً، إلى غير ذلك.

ثم ذكر عاقبتهم في الدنيا والآخرة وهي أنهم أغرقوا، وهذا في الدنيا، وأنهم أدخلوا ناراً، وهو في الآخرة، فهو تقرير جامع مع ذكر العقوبة الجامعة في الدنيا والآخرة.

وقد استجاب الله لدعائه مبيناً سبب الإجابة وهي خطيئاتهم فقال:] مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ أُغْرِقُواْ فَأُدْخِلُواْ نَارًا Z

٤- أنه ختم ذلك البيان للقصة بذكر دعاء من نوح عليه السلام، طالباً المغفرة للمؤمنين والمؤمنات ،وهو ما لم يذكر عنه في غير هذا الموطن من القرآن فقال:] رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ Z نوح: ٢٨

أوجه التناسق في دعاء نوح عليه السلام في القرآن:

المتأمل في قصة نوح عليه السلام يرى وجهاً من أوجه التناسق القرآني، وهو تأخير ذكر الدعاء المفصل إلى سورة نوح عليه السلام، ذلك أنه لم يدع بالنجاة في سورتي الأعراف، ويونس، لأن الدعوة كانت في مهدها فلا يناسب طلب النجاة.

وكذلك في سورة هود، فإنه لم يدع بالنجاة وإنما أخبره ربه في هذه السورة أنه لن يؤمن من قومه إلا من قد آمن، وأمره بصنع الفلك، وقال له ربه تعالى:] وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ à ۚ â مُّغۡرَقُونَ ٣٧ Z .

فعلم من ذلك أنه والمؤمنون ناجون، لأنه قال له إنه سيغرق الذين ظلموا.

وأول دعاء صريح له كان في سورة المؤمنون وهو قوله:] رَبِّ ٱنصُرۡنِي بِمَا كَذَّبُونِ ٢٦ Z . فطلب النصر وحده.

ولقد قال له ربه في هذه السورة أيضاً:] وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ à مُّغۡرَقُونَ â Z

وقال له مثل ذلك في سورة هود، فلم دعا لنفسه و لم يكتف بما أخبره ربه إذ علم أنه ناج من غير دعاء؟

والجواب والله أعلم: أنه في سورة المؤمنون قال له ذلك بعد الدعاء فكأنه استجابة لدعائه.

وأما في سورة هود فقد أعلمه به ربه ابتداءً، فلا حاجة إلى طلب النجاة بعد إخباره به. وجاء كل تعبير مناسب ومتناسق مع السياق الذي ورد فيه ، فإن سورة المؤمنون بعد هود في تسلسل السور، ومن المناسب أن يكون الطلب والدعاء بعد أن يمضي وقت طويل مع قومه، وأن يصبر عليهم، وأن ينال من أذاهم الكثير، فيلجأ إلى الدعاء، ولذا أخر الدعاء إلى الموقف المتأخر.

ولما اشتد عليه الأمر في سورة الشعراء، وهددوه بالرجم، ونالوا منه، ومن المؤمنين قائلين له:] ë لَكَ وَٱتَّبَعَكَ î Z و] = < ? @ A B C Z طلب النجاة لنفسه ولمن معه من المؤمنين.

وأما دعائه لنفسه فقط بالنجاة في سورة المؤمنون، وعدم ذكر من آمن معه، كما في الشعراء. فلأن قومه لم يذكروا من معه من المؤمنين في سورة المؤمنون، فدعا لنفسه و لم يذكر من معه.

ولما ذكروا من معه في الشعراء دعا لنفسه ولمن آمن معه قائلاً: [K L M N O P Q R S Z

ولم يذكر له دعاء صريح في سورة الصافات، فإنه لم يذكر له موقف مع قومه وإنما ذكر القرآن أن نوحاً عليه السلام نادى ربه فاستجاب له.

وأما في سورة القمر فقد دعا لنفسه عليه السلام ،ولم يذكر من آمن، ذلك لأنه ذكر تكذيب قومه، وزجرهم له، ولم يرد ذكر لمن معه فقال: [A B C Z كما أن دعاءه كان طلباً للنصر وليس طلباً للنجاة لأنه ذكر أنه مغلوب، وذكر الانتصار هو الأنسب مع المغلوب.

وأما في سورة نوح عليه السلام والتي هي نهاية المطاف فنرى نوحاً عليه السلام يدعو على قومه بأن يهلكهم الله جميعاً قائلاً:] رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا Z

جاء في الكشاف:((فإن قلت : كيف جاز أن يريد لهم الضلال ويدعو الله بزيادته ؟ قلت : المراد بالضلال : أن يخذلوا ويمنعوا الألطاف ، لتصميمهم على الكفر ووقوع اليأس من إيمانهم ، وذلك حسن جميل يجوز الدعاء به ، بل لا يحسنَ الدعاء بخلافه . ويجوز أن يريد بالضلال : الضياع والهلاك)) (١)

والمتأمل يرى أن هذا الموطن هو الموطن الوحيد الذي دعا فيه على قومه بالهلاك، ولم يدع لنفسه بالنجاة، في حين كان يدعو بالنجاة في القصص الأخرى جميعاً.

ذلك أن هذا الموقف هو الأخير، فدعا ربه بأن يستأصل هؤلاء الكفرة جميعاً.

والسبب في كونه لم يدع لنفسه بالنجاة، أنه إذا أهلك الله الكافرين، فالنتيجة حتماً نجاة المؤمنين منهم، ومن شرورهم، فلا داعي لطلب النجاة، وإنما دعا بالمغفرة له ولوالديه وللمؤمنين والمؤمنات لأن هذا هو المناسب، فإن الدعاء بالمغفرة في خواتيم الأمور هو الأنسب، وقد أمر الله به رسولنا ﷺ في آخر حياته، وبعد إتمامه تبليغ الرسالة، وذلك في

(١)الكشاف:٤/٦١٩.

سورة النصر فأمره بالاستغفار فقال:] A B C D E F G H

I J K L M N P Q R T U V W Z النصر .

ومن التناسق الظاهر أنه لم يرد التصريح بذكر المؤمنين في دعاء نوح الطَّيْلاِعند طلبه النجاة، أو في أمر الله له أن يحمل معه من آمن إلا حيث ورد ذكر المؤمنين وازدرائهم في القصة وذلك في موضعين:

الأول في سورة هود حيث قال الملأ الذين كفروا:] وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ ´ µ ¶

بَادِىَ ٱلرَّأۡيِ Z .

وقد جرى ذكرهم أيضاً في بقية القصة فقال له الله:] H I J K L M

N O P Q R S T U Z.

والآخر في سورة الشعراء حيث قالوا له:] ë لَكَ وَٱتَّبَعَكَ Î Z الشعراء: ١١١

فدعا نوح الطَّيْلاِ لنفسه ولهم قائلاً:] O P Q R S Z الشعراء: ١١٨ فذكر وصف الإيمان لمن معه.

وحيث لم يرد لهم ذكر فإنه يطلب النجاة لنفسه، ولمن معه على العموم من دون تقييد بذكر صفة الإيمان فإنه مفهوم من المقام.(١)

---

(١) ينظر تفسير الرازي: ٣٣٦/١٧ ، التحرير والتنوير:٨٣/١٢ ،في ظلال القرآن :٣٧١٧/٦، التفسير البياني: ٩٢/٣.

التناسق في مسألة الناجين في قصة نوح عليه السلام:

من أوجه التناسق القرآني في قصة نوح عليه السلام، اختلاف عرض المواطن لذكر خبر الناجين.

فهو أحياناً يذكر نجاته ومن معه ولا يذكر أهله مكتفياً بذكر من معه.

وفي مواطن أخرى يذكر أهله ولا يذكر معهم غيرهم.

وأحياناً يذكر أهله ومن معه.

وقد يذكر نوحاً عليه السلام وحده ولا يذكر أحداً لا من أهله ولا من غيرهم.

و وجه التناسق في هذا الاختيار أنه حيث يذكر تبليغ نوح قومه فإنه يذكر من معه ،وقد يذكر أهله معهم.

كما في سورة الأعراف قال تعالى:] لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ : ; < = Z

فقال في النجاة:] U V W X Y Z.

وفي سورة يونس قال:] " # $ % & ' ( ) Z

وفي سورة هود قال:] m n o p q r s t u v w x y z { Z

فقال في النجاة:] G H I J K L M N O P Q R S T U Z

وفي سورة المؤمنون قال:] ^ _ ` a b c d e f Z

فقال في النجاة:] ! " # $ % & ' Z

وقال في سورة الشعراء:] كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ Z

فقال في النجاة:] U V W X Y Z Z

وقال في سورة العنكبوت:] وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ Z.

فقال في النجاة:] ! " # Z.

وحيث لم يذكر تبليغه قومه ذكر أهله فقط وذلك في سورة الأنبياء فإنه قال:] L M N O P Q R S T U V W Z.

فذكر أهله و لم يذكر من معه، فإنه ذكر دعاءه و لم يذكر تبليغ قومه.

وأما في سورة الصافات فقال تعالى:] وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ Z ، فذكر هنا نجاة أهله و لم يذكر من معه، فقد ذكر دعاءه و لم يذكر قومه.

أما في سورة القمر فقد ذكر نجاته وحده، و لم يذكر معه لا أهله، ولا الذين معه، وذلك أنه دعا ربه] A B C Z فذكر الله نصره لعبده المغلوب.

وذكر نجاة أهله ، ومن معه في موضعين:

الأول في سورة هود وقد ذكر الأهل لما ورد في القصة من ذكر مناداة نوح عليه السلام لابنه ليركب معه، ومناداة نوح عليه السلام ربه قائلاً:] رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ Z فناسب ذكر نجاة أهله.

والموضع الآخر في سورة المؤمنون وذلك مناسبة لجو السورة.

فمما بدأت به السورة قوله:] وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ : ; < = > ? @ A B C D Z المؤمنون: ٥ - ٦

فذكر الأزواج وهم من الأهل، فناسب أن يشير إليهم في النجاة في القصة.

كما أتبع ذلك بذكر خلق الإنسان، وتطوره من سلالة من طين، إلى نطفة في قرار مكين، إلى أن أنشأه خلقا آخر، وهذا إنما يكون بالتزاوج، والتصاهر الذي به يكون الأهل.

ثم إنه ذكر كذلك في السورة بعضاً من الرسل وذوي قرباهم، فقد ذكر موسى وأخاه هارون فقال:] @ A B C D E F G Z المؤمنون: ٤٥

ثم ذكر بن مريم وأمه فقال:] e f g h i j k l m n o Z.

وذكر البنين والآباء من الأهل فقال:] أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ Z

وقال :] t u v w x y z { | } ~ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾ Z

فناسب ذكر الأهل في النجاة والله أعلم.

التناسق القرآني في عرض خاتمة قصة نوح ﷺ:

نلاحظ أن خاتمة هذه القصة ونهاياتها ليست متطابقة في جميع المواضع، بل إن كل خاتمة جاءت مناسبة للسياق الذي وردت فيه، كما أننا نجد النهايات تكمل بعضها بعضاً.

فقد قال في الأعراف:] y z } | { ~ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآۚ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا عَمِينَ Z الأعراف: ٦٤

وقال في يونس:] W X Y Z [\ ] ^ _ ` a b d e f g h Z يونس: ٧٣

فقد وصف قوم نوح ﷺ في الأعراف بأنهم كانوا قوماً عمين وذلك أنهم قالوا له:] N O P Q R Z والتناسق في هذا الاختيار أنهم لما وصفوه بالضلال ناسب أن يصفهم بالعمى وذلك من جهتين:

الجهة الأولى: أنهم قالوا] N O Z وضد الرؤية عدمها ، بمعنى العمى، فإن الذي لا يبصر أعمى فناسب أن يصفهم بالعمى لبيان أنهم لم يروا الأمر على حقيقته كما زعموا بل كانوا عمياناً.

وقال (عَمين) ولم يقل (عُمْيٌ) لأن العمِي هو أعمى القلب والبصيرة، وأما الأعمى فهو أعمى البصر. قال ابن عباس رضي الله عنهما[١]: ما عميت قلوبهم عن معرفة الله تعالى وقال الزجاج[٢]: عموا عن الحق والإيمان.[٣]وقال إبراهيم ابن عرفة[١]: كلما ذكر الله سبحانه في كتابه العمى فذمه فانما يراد به عمى القلب.[٢]

(١) سبقت ترجمته رضي الله عنه.

(٢)الإِمَامُ، نَحْوِيُّ زَمَانه، أَبُو إِسْحَاقَ، إِبْرَاهِيْمُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ السَّرِيِّ الزَّجَّاجُ، البَغْدَادِيُّ، مُصَنِّفُ كِتَاب "مَعَانِي القُرْآن"، لَهُ تآلِيفُ جَمَّةٌ، لزِمَ المُبَرِّدَ، فَكَانَ يُعْطِيه مِنْ عَمَلِ الزُّجَاجِ كُلَّ يَوْمٍ دِرْهَماً، فَنَصَحَه وَعلَّمَه، ثُمَّ أَدَّبَ القَاسِمَ بنَ عُبَيْدِ اللهِ الوَزِيْرَ، فَكَانَ سَبَبَ غِنَاهُ، ثُمَّ كَانَ مِنْ نُدَمَاءِ المُعْتَضِد. مَاتَ سَنَةَ إِحْدَى عَشْرَةَ وَثَلاَثِ مائَة. وَقِيْلَ: سَنَةَ عَشْرَةَ. وكان آخر كلامه: اللَّهُمَّ احشرني على مَذْهَب أَحْمد بن حَنْبَل. سير أعلام النبلاء:١١/٢٢٢،طبقات المفسرين للدودي:١/٩، طبقات المفسرين للأدنه وي:١/٥٢.

(٣) ينظر تفسير الخازن: ٢/٢٤٦،وتفسير المراغي:٢٠/١١.

ولما كانت الرؤية في قولهم:] N O P Q R Z رؤية قلبية، فقلوبهم هي التي تراه في ضلالة، بينما يرون حسن خلقه، وحسن صنيعه بأعينهم، فناسب وصفهم بعمى القلب فقال:] عَمِينَ Z مناسبة للرؤية القلبية.

والجهة الأخرى: أنهم وصفوه بالضلال، وهو الضياع لعدم رؤية واتباع الطريق المنجي أو الموصل، وقد كانوا على الحقيقة هم الضالون، إذ لم يتبين لهم الهدى، وعموا عنه، ولم يسيروا في طريقه، فناسب وصفهم بالعمى.

وأما الموضع الذي في سورة يونس فإنه قد أنذرهم وذكرهم ولم يذكر أنهم يردوا عليه بشيء فناسب أن يقول:] d e f g h Z.

ثم ذكر بعد ذلك أنه نجاه ومن معه وجعلهم خلائف وهو المناسب لما تقدم في السورة من قوله:] وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ µ ¶ ﯿ وَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ Z يونس.

فجاء قوله سبحانه:] [^ Z متناسقاً من حيث التركيب مع قوله:

] ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ Z.

وأما في سورة هود فالمشهد طويل، والقصة مفصلة ،ولذا ناسب أن يقال في خاتمتها:] Q R S T U V W X Y Z] [^ _ ` a b

(١) الإمامُ الحَافظُ النَّحْوِيُّ العَلاَّمَةُ الأَخْبَارِيُّ، أَبُو عَبْدِ اللهِ إِبْرَاهِيْمُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ عَرَفَة الوَاسِطِيُّ، المَشْهُوْرُ بنِفْطَوَيْه، صَاحِبُ التَّصَانِيْفِ. سَكَنَ بَغْدَادَ، ولد سنة أربع وأربعين ومائتين. وَكَانَ متضلِّعاً مِنَ العُلُوم، خَلَطَ نَحْوَ الكُوْفيِّين بِنَحْوِ البَصْرِيِّين، وَصَارَ رَأْساً فِي رَأْيِ أَهْلِ الظَّاهِرِ. وَكَانَ ذَا سُنَّةٍ وَدِينٍ وَفُتُوَّةٍ وَمُرُوءةٍ، وَحُسْنِ خُلُقٍ. وَلَهُ نَظْمٌ وَنثر. صَنّف "غَرِيْبَ القُرْآن" واشتهر بتفسير بن عرفة، وكتَاب "المقنع" فِي النَّحْوِ وَأَشيَاء. توفي سَنَةَ "٣٢٣هـ".سير أعلم النبلاء:٣٨٦/١١، طبقات المفسرين للداودي:٢١/١، طبقات المفسرين للأدنه وي:٦٣/١.

(٢) ينظر روح المعاني: ٢٧٨/١٦.

Z c وذلك أن الهبوط إنما هو بعد الركوب، والجري، والاستواء على الجودي، مما لم يذكره في الأعراف ويونس.

ثم إننا نجد المشاهد عند التدقيق متناسقة، متسلسلة مراعية ترتيب السور.

فقد قال في الأعراف:] z { } | } ~ Z.

ثم ذكر في يونس عليه السلام أنه جعلهم خلائف وتمم لهم هذه النعمة بعد النجاة في الفلك.

ثم قال في هود:] R S Z فطلب منه الهبوط وهي مرحلة ما بعد النجاة في الفلك.

كما قال بعدها:] [ ] ^ _ ` a b c Z وهي مرحلة تأتي بعد قوله في يونس:] [^ Z فقد ذكر في يونس عليه السلام أنه جعل الناجين خلائف.

وذكر في هود عليه السلام من يكون بعدهم من الأقوام.

وأما في المؤمنون فقد قال:] وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ Z المؤمنون: ٢٩

وهذا إنما يكون بعد الهبوط، فطلب المترل إنما يكون بعد الهبوط من السفينة.

فبعد الهبوط بسلام دعاه إلى أن يطلب المترل المبارك فتأمل هذا الترتيب اللطيف.

وأما في سورة الشعراء فالخاتمة متناسبة مع أسلوب عرض القصص في السورة.

فقد بين فيها وحدة الرسالة وأن الأنبياء دعوا إلى أمر واحد، وكان موقف أممهم منهم واحداً وكان التعقيب واحداً.

فنوح عليه السلام قال لقومه:] أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ à عَلَىٰ â ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ç Z الشعراء: ١٠٦ - ١١٠

وكذلك قال هود، وصالح، ولوط، وشعيب، عليهم جميعاً السلام.

ولذا جاء التعقيب واحداً وهو قوله:] \ [^ _ ` a b c d e f g h i j k Z

وذلك بعد هلاك قوم نوح عليه السلام، وقوم عاد، وثمود، و قوم لوط عليه السلام، وأصحاب الأيكة، فهي متناسبة مع القصص الواردة في السورة في وحدة الرسالة، والخاتمة، والتعقيب.

ثم ذكر أن الفلك كان مشحوناً، أي محملاً[1]، و لم يذكر ذلك في موضع آخر.

وأما في سورة العنكبوت فقد قال تعالى:] ! " # $ %

& Z العنكبوت: ١٥ فأشار أنه جعلها آية للعالمين، ومما قيل في معنى ذلك: أنه أبقاها بعد ذهاب نوح ﷺ لتكون آية لمن بعده، فقد قيل إنها بقيت زمناً طويلاً على الجودي - وهو جبل بالجزيرة غرب الموصل- يشاهدها المارة. قال قتادة: (أبقاها الله بباقر دى من أرض الجزيرة حتى أدركتها أوائل هذه الأمة).[2] و لم يذكر ذلك في موطن آخر.

فذكر أمر الفلك في الشعراء عند النجاة، ووصفه بأنه مشحون، وذكره هنا بعد خلوه مما فيه وأنه جعله آية للعالمين.

وأما في سورة الصافات فقد قال:] وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ ! " #

$ Z الصافات: ٧٦ - ٧٧ فذكر نجاته وأهله و لم يشر إلى من معه.

لأن المقام هنا لا يناسب ذكر من معه، وذلك أنه قال:] ! " # $ Z أي جعل ذريته هم الباقين على قيد الحياة، وأما من نجا معه من المؤمنين فقد هلكوا وبادوا، وأن البشر بعدهم إنما هم من ذرية نوح فهو أبو البشر الثاني والأول هو آدم كما هو معلوم.[3]

فلو قال: (ونجيناه وأهله والمؤمنين)، ثم قال بعد ذلك:] ! " # $ Z

لدل ذلك على أنه أهلك من معه من المؤمنين، وأبقى أهل نوح وذريته، وهذا لا يناسب مع ذكر النجاة، إذ سيكون المعنى أنه أنجى المؤمنين من الماء ليهلكهم على اليابسة ويبقى ذرية نوح وحده، وهذا يجعل نجاة المؤمنين لامعنى لها .

فلما ذكر أنه أبقى ذريته وحدهم، ناسب ذكر نجاة أهله وعدم ذكر الآخرين.

وأما الخاتمة في سورة القمر فقد ذكر بداية أن نوحاً دعا ربه بقوله:] A B C

Z فذكر نجاته و لم يذكر أحداً معه، وذلك أنه دعا لنفسه فذكر نجاته فقط.

ثم وصف السفينة التي حملته فقال:] W X Y Z .

(١) ينظر تفسير الصنعاني: ٤٦٢/٢.

(٢)ينظر: تاريخ الطبري١/١٨٩، تفسير المراغي١٢/٣٩،الظاهرة القرآنية١/٢٦٤، تفسير ابن كثير ٣/٤٠٧.

(٣) ينظر البحر المحيط: ٥٥٦/٧.

وهذا هو الموطن الوحيد الذي بين فيه صفة السفينة، وأنها تجري برعاية الله وعينه، ثم ذكر مآلها بعد ذلك فقال:] b c d e f g Z.

فكأن ما ذكره في سورة القمر استكمال لما ورد في السور قبلها، لبيان تفاصيل أخرى.

فقد ذكر في سورة هود حال نوح ‏عليه السلام وهو يصنع السفينة، ومرور قومه عليه ساخرين.

وأنتقل هنا لبيان حال السفينة وشأنها، فهذا من التناسق في الخاتمة، ومن التناسب أيضاً في ترتيب السور بتأخر القمر عنهم والله أعلم.

ومن أوجه التناسق أيضاً أن نوح ‏عليه السلام دعا في سورة القمر لنفسه فقال:] A B C Z فطلب لنفسه النجاة و لم يذكر أحداً معه.

وورد دعاؤه لنفسه أيضاً في سورة المؤمنون فقال:] رَبِّ ٱنصُرۡنِي بِمَا كَذَّبُونِ Z المؤمنون: ٢٦ ثم ذكر نجاته، ونجاه أهله، وذكر من معه. وذلك لأن السياق في سورة المؤمنون دل على أن هناك مؤمنين.

فقد قال:] p q r s t u Z،فذكر قول الذين كفروا من قومه، ومعنى ذلك أن هناك من قومه من آمن.

وقال له ربه:] وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ à مُّغۡرَقُونَ Z.

ومعنى ذلك أن من لم يكن من الذين ظلموا فلن يغرق، فدل ذلك على أن هناك صنفاً غير المذكورين وهم المؤمنون.

ثم أمره ربه إذا استوى هو ومن معه على الفلك أن يقول:] (* + , - . / Z فذكر أنه ليس وحده.

وأمر أيضاً أن يكون دعاؤه بصيغة الجمع وهو:] (* + , - . / Z كما وصف القوم الذين نجاه منهم بأنهم ظالمون. فكل هذه الإشارات غير المباشرة تدل على وجود المؤمنين وإن لم يصرح بهم مراعاةً للسياق.

فكان كل تعبير مناسباً لسياقه الذي ورد فيه.

وبهذا يتضح لنا جلياً أن القصة ليست مكررة، وأنه ذكر في كل موضع أمراً لم يذكره في المواطن الأخرى.

قوله تعالى:] m n o p q r s t u v wx y z { |} ~ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ أَلِيمٖ Z هود: ٢٥ – ٢٦

الواو في قوله:] m n Z ابتدائية.

وقوله:] r s t u Z على إضمار القول[1] أي فقال:] r s t u Z.

وقوله:] wx y z { |Z يحتمل أن يكون معلقاً بـــ(أرسلنا) أي أرسلناه بأن لا تعبدوا إلا الله كما في قوله تعالى:] I J K L M N OZ أي أرسلنا بهذا الأمر.

كما يحتمل أن يكون معلقاً بقوله: (نذير) أي إني لكم نذير بأن لا تعبدوا إلا الله، كما في قوله تعالى:] _ ` a b c d e f g h i j Z نوح: ٢ - ٣

والمعنى إني أنذركم بهذا الأمر.

ويحتمل أيضاً أن تكون مفسرة للإرسال، أي لقد أرسلنا نوحاً، والرسالة هي:] wx y z { Z.

كما يحتمل أن تكون مفسرة للإنذار[2] أي قال لهم: إني لكم نذير مبين. وإنذاري لكم هو] wx y z { |...Z والمعنى أنه سبحانه أرسل نوحاً عليه السلام بعبادة الله وعدم عبادة غيره، وأن نوحاً بلغهم وأنذرهم بذلك.

فدلت الآية على أمور ثلاثة وهي: ما قاله نوح عليه السلام، وما أرسل به، وما أنذرهم به.

ولقد قال تعالى في سورة الأعراف:] لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ : ; < = > ? @ A B Z الأعراف: ٥٩ . فصرح بالقول وذلك قوله:] : ; < = Z وكذا قال في سورة المؤمنون ٢٣.

(١) انظر روح المعاني١٢/٣٥، البحر المحيط ٥/٢١٤.

(٢) انظر: الكشاف ٢/٩٤، البحر المحيط ٥/٢١٤ ، فتح القدير ٢/٤٩٣.

وقال ههنا:] m n o p q ...xw y z {|Z ((فجاء بـــ(أن) فما الفرق؟

والجواب أنه إذا صرح بالقول فقال:] : ; < = Z فذلك ما قاله لقومه وبلغهم به.

وأما إذا ذكر (أن) فالمعنى : أي أرسلناه بهذا الأمر، أي إن هذه هي الرسالة التي أرسلناه بها وليس هذا قوله.

وكذا قوله في سورة المؤمنون:] I J K L M N OP Q R S T Zأي أرسلناه بهذا الأمر، أي هذه الرسالة التي أرسلناه بها، فـــ(أن) مصدرية أو مفسرة)). (١)

وقوله تعالى على لسان نوح عليه السلام:] { ~ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ أَلِيمٖ Z.

وصف اليوم هنا بأنه أليم، والحقيقة أن اليوم لا يكون أليماً في ذاته وإنما يقع فيه الألم. فهو في الحقيقة وصف المعذب.

وهو تعبير مجازي يدل على اتساع الألم وشدته في ذلك اليوم ووقوعه فيه على سبيل الاستغراق بحيث يكون اليوم كله شاملاً للألم يحيط به من كل جهة.

ولو أنه قال: (إني أخاف عليكم عذاباً أليماً) لاحتمل أن يكون ذلك في وقت من أجـــزاء اليوم دون سائره، وذلك مما يهون الأمر. فلما قال:] { ~ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ أَلِيمٖ Z دل على أن الألم شامل لليوم كله وليس في جزء منه .

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى أنه إذا ذكر اليوم مع العذاب كما في الآية كان العـــذاب عاماً وليس خاصاً بفرد، وهو بلا شك مما يزيد في ترهيبهم من عظم وشمول هذا العذاب لهم جميعاً، وطول أمده والله أعلم. (٢)

قوله تعالى:] فَقَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ © قَوۡمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرٗا مِّثۡلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ ´ µ ¶ ¸ بَادِيَ ٱلرَّأۡيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلِۭ بَلۡ نَظُنُّكُمۡ كَٰذِبِينَ Z هود: ٢٧

(١) انظر: التفسير البياني: ٣/ ١٠٢.

(٢) ينظر: التسهيل لابن جزي ١/٣٦٨، جامع البيان للإيجي: ٢/١٧١ ، رموز الكنوز للرسعني: ٣/١٤٥.

ذكر الملأ الذين كفروا هنا شبهاً، وأموراً تدعوهم بزعمهم إلى الشك في دعواه وهي:

١- أنه بشر مثلهم فليس يتفضل عليهم بشيء، وهم أصحاب الجاه، والمال، والسلطة وغيرها، وهو قياس فاسد منهم، وتكذيب في الحقيقة بالنبوة، لأنَّ الفضل كلَّه في النُّبوَّة. [١]

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى أنهم يرون أنه لا يصح أن يؤثره الله بهذا الفضل دونهم وهو بشر مثلهم، فالله لو أراد ن يرسل رسولاً لأرسل ملكاً من الملائكة، كما قالوا في موطن آخر:] وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً Z المؤمنون: ٢٤ ،وهو الحسد الذي هو الداء العضال الذي يحرم الانسان خيرات كثيرة عياذاً بالله.

٢- أنَّ الذين اتبعوه هم أراذل القوم وذلك في نظرهم، والرذل: هو الخسيس الدون والأراذل: السفلة أو الشرار[٢]، وأما هم فملأ القوم أي أشرافهم، فتعجبهم أن كيف يرى هؤلاء الأراذل ما لا يراه أشراف القوم من الحق؟!

وفي نظرهم أيضاً أن نوحاً عليه السلام وإن كان على حق فإن هؤلاء لا ينبغي أن يكونوا معهم فيجالسوهم ويخالطوهم.

٣- من شبههم علاوة على ذلك أن هؤلاء الذين اتبعوه - وهم أراذل في أعينهم - اتبعوه بادي الرأي، أي أول الأمر من دون تفكير، ولا تأمل، لا روية، ولو فكروا وترووا لم يفعلوا[٣]، وذلك اعتزاز بالرأي منهم.

٤- أنهم لا يرون لنوح عليه السلام وأتباعه عليهم من فضل - وذلك حسب مقاييسهم المادية - لا في حصافة عقل، ولا في مكانة اجتماعية، ولافي حسن تصرف فعلام يتبعونه؟!

جاء في تفسير الرازي[٤]: ((والمعنى لا نرى لكم علينا من فضل، لا في العقل، ولا في رعاية المصالح العاجلة، ولا في قوة الجدل، فإذا لم نشاهد فضلك علينا في شيء من هذه

(١) ينظر: الوجيز للواحدي ١/٥١٨.

(٢) ينظر: تفسير السمعاني:٢/٤٢٣، زاد المسير ٤/٩٥.

(٣)ينظر تفسير الثعلبي:٥/١٦٥.

(٤)سبقت ترجمته رحمه الله.

الأحوال الظاهرة، فكيف نعترف بفضلك علينا في أشرف الدرجات وأعلى المقامات؟))[1].

٥- أنهم يظنونهم كاذبين، والخطاب للجميع لنوح عليه السلام وأتباعه، فنوح عليه السلام في ظنهم كاذب بما جاء به من أنه رسول ولذا قالوا:] وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً Z المؤمنون: ٢٤ ، وأتباعه في ظنهم كاذبون أيضاً، فظنهم بهم أنهم لم يؤمنوا به حقاً وإنما قد يكون إيمانهم لغرض من الأغراض، أو أنهم آمنوا به أول الأمر فقط و لم يثبت إيمانهم لكنهم يكذبون على نوح عليه السلام.[2]

ومن التناسق القرآني في الآية أنه قال ههنا:] بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ Z من غير توكيد للظن. بينما قال في الأعراف:] وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ Z الأعراف: ٦٦ فأكده بإنَّ واللام. وأما في سورة الشعراء فقال:] وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ Z الشعراء: ١٨٦فأكده بـــ(إنْ) المخففة وكل ذلك بحسب المقام الذي يقتضي كل تعبير.

وإيضاح ذلك فيما يلي:

نجد مقام التكذيب في الأعراف أشد من الموطنين الآخرين، فقد قالوا لنبيهم عليه السلام:] إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ Z الأعراف: ٦٦ وهي كلمة قاسية، شديدة، وبالأخص على مقام النبي، و لم يرد نحو هذا في الموطنين الآخرين.

كما أنه قد حصل بينه وبين قومه مشادة، وأخذ ورد فيها من الشدة والغلظة ما فيها فقد قالوا له:] G H I J K L M N O P | R S

T U V W X Y Z الأعراف:٧٠

فرد عليهم عليه السلام قائلاً:] Z [\ ] ^ _ ` a |

c d e f g h i j k l m n | p

q r s t Z الأعراف: ٧١، فناسب ذلك قوة المواجهة في التكذيب.

---

(١) تفسير الرازي ٦/٣٣٦- ٣٣٧.

(٢) ينظر المحرر الوجيز ٣/١٦٤.

وأما في الشعراء فالمواجهة كانت بين نبي الله شعيب وقومه، ووردت أخف من المواجهة السابقة في التي الأعراف بين نوحu وقومه، فقد قالوا لشعيب uفي الشعراء:] ') (* + , - . / بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ Z الشعراء: ١٨٥ - ١٨٦.

ثم تحدوه قائلين:] فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا : ; < = > ? Z الشعراء: ١٨٧

وشعيب كذلك لم يواجه قومه بتلك الشدة التي واجه بها نوح قومه في الأعراف، فإنه لم يزد على قوله:] A B C D E Z الشعراء: ١٨٨

وعند التأمل بين قول هود في الأعراف:] Z] [\ ] ^ _ ` a Z

وقول شعيب في الشعراء:] B C D E Z الشعراء: ١٨٨

والنظر أيضاً بين قولهم في الأعراف:] إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ Z وقولهم في الشعراء:] ( ) * + Z.

يتضح الفرق بين المقامين في مستوى الحديث، ويتضح الفرق بين التكذيبين.

((فجاء التكذيب في الشعراء بـــ(أنْ) المخففة.

وأما في هود فالسياق والمقام مختلفان، فهما لم يكونا بذلك العنف والقـــوة. فهـــم لم يزيدوا على ما ذكروا من دون مواجهة عنيفة.

حتى إنَّ نوحاً uفي رده عليهم لم يكن عنيفاً وإنما قال لهـــم:] قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ Z هود: ٢٨

أي لُبِّست عليكم البينة، فكانت المواجهة أخف وكان التكذيب أخف. فناسب كـــل تعبير مكانه.)) (١)

قوله تعـــالى:] قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ Z هود: ٢٨

---

(١) ينظر: التفسير البياني: ٣/١٠٧.

هنا بدأ عليه السلام بالرد العام عليهم قائلاً لهم: يا قوم إن كنت على بينة من ربي وهي البرهان والحجة التي تثبت صدقي، وصحة ما أقول، فإنه أيدني بمعجزات تدل على ذلك، وآتاني رحمة من عنده، وهي النبوة التي خصني ربي بها.

ثم إنْ هذه البينة أبهمت عليكم ولبست، تبعاً لأهوائكم، فكيف نلزمكم الحجة مع إبهامها وأنتم كارهون لها لا تحبونها ولا تحبون أن تظهر؟

كيف نلزمكم الحجة وهناك مانعان من ذلك وهما: الإبهام والالتباس، والكراهة لها، إذ لو كنتم تحبونها وتودون معرفتها لتوصلتم إلى ذلك بما هو ظاهر من الدلائل والبراهين ولكنكم تكرهونها فكيف نلزمكم إياها؟

جاء في (الكشاف): ((أرأيتم: أخبروني] إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ Z على برهان] مِّن رَّبِّى Z وشاهد يشهد بصحة دعواي،] وَءَاتَىٰنِى رَحۡمَةً مِّنۡ عِندِهِۦ Z بإيتاء البينة على أن البينة في نفسها هي الرحمة، ويجوز أن يريد بالبينة المعجزة وبالرحمة النبوة))[1].

] فَعُمِّيَتۡ عَلَيۡكُمۡ Z : أبهمت وأخفيت[2]وقال الإمام القرطبي((وَالْمَعْنَى: فَعَمِيَتِ الرَّحْمَةُ، فَقِيلَ: هُوَ مَقْلُوبٌ، لِأَنَّ الرَّحْمَةَ لَا تَعْمَى إِنَّمَا يُعْمَى عَنْهَا)) [3].

و من أوجه التناسق في هذه الآية ما يلي:

١- أنه قال (يا قوم) وهو نداء فيه توقير لهم، وقد أضافهم إلى نفسه تألفاً، واستمالة لهم، ودعوة منه لأجل أن يستمعوا له، فالإنسان يميل بفطرته إلى الانتماء.

٢- أنه قال (أرأيتم)، ومعنى (أرأيتم) أخبروني، ((ومعنى هذا الفعل منقول من الرؤية إلى معنى الإخبار، فقولك مثلاً: (أرأيت إن أصبحت أميراً ماذا أنت فاعل؟) معناه: أنظرت في هذا الأمر؟ فأنت تستخبره عما سألته عنه))[4].

وهو لا يطابق (أخبروني) في كل موطن، لكن هذا الفعل فيه معنى التعجيب. جاء في (شرح الرضي على الكافية): ((ومعنى (أرأيت) أخبرْ وهو منقول من (رأيت) بمعنى (أبصرت) أو

---

(١) الكشاف ٩٥/٢.

(٢) البحر المحيط ٢١٦/٥.

(٣) الجامع لأحكام القرآن ٢٥/٩.

(٤) معاني النحو ٤٣٢/٢.

(عرفت) كأنه قيل: أأبصرته وشاهدت حاله العجيبة، أو أعرفتها أخبرني عنها. فلا يستعمل إلا في الاستخبار عن حالة عجيبة))[1].

و معنى التعجيب ظاهر، إذ المعنى: عجباً منكم، ألا تتفكرون، ولا تنظرون، فإذا كانت البينة مبهمة عليكم، وأنتم لها كارهون، فكيف نلزمكموها ؟ كيف يصير ذلك ؟ أيكون ذلك مقبولا عقلاً؟!

فاستعماله هنا (أرأيتم) أنسب من (أخبروني) الذي قد لا يكون فيه معنى التعجيب، الذي يثير انتباههم وتفكيرهم علهم يهتدون.

٣- أنه قال:] إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي Z فذكر أن البينة من ربه، فأعاد الضمير لنفسه، ولم يقل (من ربكم) لأن البينة جاءته هو، ولو كانت البينة جاءتهم هم لقال: (من ربكم) ذلك أنه حيث كان الكلام على المتكلم نفسه يقول إن البينة من ربي فيضيف الرب إلى ياء المتكلم، وحيث قال: إن البينة جاءتكم يقول: إن البينة من ربكم بإضافة الرب إلى ضمير المخاطبين.

فقد قال في الأنعام:] µ ¶ ¸ مِّن رَّبِّكُمْ Z الأنعام: ١٥٧ .

وقال في الأعراف:] ¶ ¸ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ Z الأعراف: ٧٣.

وذلك أن البينة كانت لهم، فجاء كل تعبير مناسب للسياق الذي وردت فيه، فكل تأتيه البينة من ربه. لأن الرب هو المربي، والمعلم، والمرشد، والموجه، فناسب أن تنسب البينة في كل موضع إلى رب من تأتيه.

ومن اللطيف بيان أن جميع الأمم السالفة التي خوطبت بنحو هذا الخطاب فقيل لها] ¶ ¸ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ Z وذلك في قوم صالح ومدين[2]

وقال موسى عليه السلام لفرعون:] + , - . / Z الأعراف: ١٠٥

---

(١) شرح الرضي على الكافية ٢/٢١٢.

(٢) وذلك في الأعراف ٧٣و ٨٥.

ومن اللطيف أيضاً أن نشير هنا إلى أن أمة محمدﷺقال لهم:] µ ¶ ¸ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ Z الأنعام: ١٥٧ بزيادة الهدى والرحمة على البينة، وذلك من فضله على هذه الأمة.

أما الأقوام البائدة فلم يزد فيها على البينة ولم يذكر الهدى ولا الرحمة، ذلك أنه عذبوا وهلكوا والله أعلم.

أما أتباع نبينا محمد ﷺ فقد هدوا ورحموا، فضلاً ومنة من الله تعالى.

٤- أنه قال:] وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ Z فقدم الرحمة على الجار والمجرور] مِّنْ عِندِهِۦ Z وذلك لأن الكلام على الرحمة فقد قال في تمام الآية:] أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ Z فالكلام على الرحمة.

في حين قال في السورة نفسها في موطن آخر:] * + , - . / ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥ Z هود: ٦٣ فقدم الجار والمجرور المتصل بضمير الرب أي (منه) لأن الكلام على الله تعالى لا على الرحمة.

٥- أنه قال:] رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ Z ، بينما قال في مواطن أخرى:] رَحْمَةٍ مِّنْهُ Z

ذلك أنه يستعمل] رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ Z بذكر كلمة (عند) لما هو أخص فلا يستعمل ذلك إلا مع المؤمنين.

وأما مع (من) فيستعملها عامة للمؤمن والكافر.

قال تعالى:] وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ : ; < = > ? @ Z يس: ٤٣ - ٤٤

وقال:] m n o p q r s t u v w Z هود: ٩

وقال:] ! " # $ % & ' ( ) * Z ص: ٤٣

أما مع (عند) فلم يستعملها إلا مع المؤمنين.[1]

(١) على طريق التفسير البياني:٢/١٥٠ وما بعدها.

٦- أنه قال:] فَعُمِّيَتۡ عَلَيۡكُمۡ Z هود: ٢٨ أي أبهمت وأخفيت، فاستعمل (عميت) دون (أبهمت) أو (لُبّست) أو نحو ذلك، ذلك أنهم قالوا في الآية السابقة:] مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرٗا مِّثۡلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ ´ µ ¶ ¸ بَادِيَ ٱلرَّأۡيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلِۭ Z هود: ٢٧ ولذلك علاقة فإنهم ذكروا فعل الرؤية، ونقيض الرؤية العمى، فلما كانت رؤيتهم القاصرة لم تهدهم إلى الحق، وإلى رؤية البينة ناسب أن يذكر أنها عميت عليهم، فاستعمال (عميت) أنسب بالمقام.

كما أنه يمكننا القول أنه لما ذكر الرؤية ثلاث مرات ناسب تضعيف التعمية.

وقرئ أيضاً (فعَميت) بالتخفيف والبناء للفاعل أي التبست عليهم البينة.

والقراءتان معاً تفيدان أن البينة التبست عليهم، وأبهمت فهي ملتبسة ومبهمة، فكان الالتباس مضاعفاً عليهم من أوجه: من الشيء نفسه، ومعمًّى من غيره فزاد ذلك التباساً وتعمية.

وإيضاح ذلك أن نقول: (الأمر ملتبس، ولبسته عليه) فالأمر في ذاته، لا يهتدي إليه صاحبه فإن زدت على ذلك أنك لبسته أيضاً فإنه يزيد التباساً. وكذلك ههنا (عميت عليكم) و(عُمّيت عليهم) فجمعت القراءتان هذين المعنيين(١).

٧- أنه مناسبة لمقام الدعوة والداعية قال:] فَعُمِّيَتۡ عَلَيۡكُمۡ Z و لم يقل (فعَمِيْتم عنها) أو(تعاميتم) وفي هذا الاختيار تلطفاً في الكلام لهم. فإنه نسب ذلك إلى البينة لا إليهم.

٨- أنه قال:] وَأَنتُمۡ لَهَا كَٰرِهُونَ Z فقدم الجار والمجرور (لها) على اسم الفاعل و لم يقل (وأنتم كارهون لها) وذلك لإفادة القصر، والاختصاص أي تخصون هذا الأمر بالكراهة.

أي أنلزمكم البينة وأنتم تخصونها بالكراهة فلا تكرهون شيئاً ككراهتكم لها.

---

(١)ينظر:التسهيل لابن جزي١/٣٦٩، السبعة في القرآءات١/٣٣٢،الحجةللقراء السبعة٤/٣٢١.

ولو أنه قال: (وأنتم كارهون لها) لأفاد ذلك أنهم يكرهونها ولكن لا يخصونها بالكراهة فلما قدم الجار والمجرور دل على قصر الكراهة عليها وبين ذلك شدة كراهتهم لها فكيف يلزمهم إياها؟(١)

قوله تعالى:] ! " # $ %' ( ) * + , - . / ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ : ; < = > ? @ A C D Z هود: ٢٩ - ٣٠

قال نوح عليه السلام إنه ليس بطالب منهم على دعوته مالاً، ولا جاه، فهو لا يسألهم مالاً ولا يبغي جاهاً، وإنما هو مبلغ دعوة، وهو لن يطرد من يسموهم الأراذل فإنهم ملاقو ربهم وقد حذره الله من ذلك.

وفي قوله هذا عليه السلام رد على ما قاله الملأ بأن الذين اتبعوه إنما اتبعوه بادي الرأي من غير تفكير ولا روية. فكأنه يقول لهم هنا: أنا لا أعلم ذلك، وإنما أحكم بظواهر الأمور، والله يعلم دخائل النفوس، وما في القلوب، ثم هم ملاقو ربهم وهو أعلم بسرائرهم وهو محاسبهم.

جاء في (الكشاف): ((فإن قلت: ما معنى] إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ Z ؟

قلت: معناه إنهم يلاقون الله فيعاقب من طردهم، أو يلاقونه فيجازيهم على ما في قلوبهم من إيمان صحيح ثابت كما ظهر لي منهم وما أعرف غيره منهم أو على خلاف ذلك مما تقرفونهم به من بناء إيمانهم على بادي الرأي من غير نظر وتفكر. وما عليّ أن أشق عن قلوبهم وأتعرف سر ذلك حتى أطردهم إن كان الأمر كما تزعمون.

ونحوه] وَلَا تَطۡرُدِ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم Z الآية. أو هم مصدقون بلقاء ربهم موقنون به عالمون أنهم ملاقوه لا محالة.

] تَجۡهَلُونَ Z تتسافهون على المؤمنين وتدعونهم أراذل، أو تجهلون لقاء ربكم، أو تجهلون أنهم خير منكم))(٢).وجاء في ظلال القرآن:(( ] وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ Z..

(١) ينظر: البرهان ٢/٤١٤، أسرار البيان في التعبير القرآني ١/٢٦.

(٢) الكشاف ٢/٩٦.

تجهلون القيم الحقيقية التي يقدر بها الناس في ميزان الله. وتجهلون أن مرد الناس كلهم إلى الله)).(١)

وقوله تعالى:] ! " # $ %... Z

جواب عن شبهتهم إذ قالوا:] وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ ´ µ ¶ ¸ Z هود: ٢٧ وذلك من وجوه:

الوجه الأول: أنه عليه الصلاة والسلام قال: أنا لا أطلب على تبليغ دعوة الرسالة مالاً حتى يتفاوت الحال بسبب كون المستجيب فقيراً أو غنياً.

الوجه الثاني: أن قولهم يدل على نظرهم لظاهر حال نوح عليه السلام من الفقر، فظنوا أنه مدعٍ للنبوة ليصل بها لأموالهم ،فألجمهم ببعد ظنهم وخطأهم فهو لم يسألهم مالاً وأجراً على تبليغ الرسالة بل بين أن طلبه للأجر من رب العالمين (٢).

ومن المناسبة والتناسق البديع في الآية ما يلي:

أنه قال ههنا:] ! " # $ %... Z وفي المواطن الأخرى وردت كلمة (أجر)،وذلك كما في قوله:] يَٰقَوۡمِ لَآ ´ µ ¶ Z هود: ٥١ ، وقوله:] وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍ Z الشعراء: ١٠٩ وكما في آيات أخرى نحو ما جاء في الشعراء ١٢٧، ١٤٥، ١٦٤، ١٨٠ وغيرها.

وذلك أنه ذكر لفظة (خزائن) بعدها، ولا شك أن لفظ المال بالخزائن ألصق وأقرب (٣) فقد جاء بعدها على لسان نوح الطَّيِّلا:] F G H I J K Z هود: ٣١ فناسب ذكر المال.

ومن التناسق الدقيق أيضاً: نفيه الطَّيِّلا للسؤال بـــ(لا) فقال: (لا أسألكم)، ونجد في كتاب الله أنه حيث نفى هذا الفعل بـــ(لا) جرد مفعوله من (مِن) الاستغراقية وذلك نحو:] لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا Z الأنعام: ٩٠ وكما في آيات عدة.(١)

(١) في ظلال القرآن٤/١٨٧٤.

(٢) تفسير الرازي ٦/٣٣٦.

(٣) ينظر: البرهان للكرماني ٢٣٤- ٢٣٥، التعبير القرآني ١٧٦.

وحيث نفاه بــ(ما) أدخل (مِن) الاستغراقية على المفعول فيقول:] وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍ Z وذلك في آيات عدة[2].وذلك في جميع القرآن بلا استثناء.

ولعل من أسباب ذلك أن (لا) أكثر أطلاقاً من (ما) وأوسع استعمالاً. بل هي أوسع حرف نفي[3].

ثم قال:] - . / ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ Z فأكد النفي بالباء الزائدة.

وجاء بـــاسم الفاعل (طارد) للدلالة على الدوام، فلم ولن يطردهم. ولم يقل (ولا أطرد) أو (ولن أطرد) بالفعل فيدل ذلك على زمن معين، وإنما قراره فيهم على سبيل الدوام والثبات.

كما أنه أضاف اسم الفاعل (طارد) إلى ما بعده وهو الاسم الموصول ولم ينون اسم الفاعل فلم يقل (وما أنا بطاردٍ) وفي كل ذلك دلالة على إطلاق الزمن أي لم أفعله في الماضي ولا أفعله في الحال ولا في الاستقبال.[4]

وقال هنا:] - . / ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ Z

وقال في الشعراء في القصة نفسها:] وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ Z الشعراء: ١١٤

فجعل صلة الموصول في آية هود فعلاً وهو:(الذين آمنوا)، أما في الشعراء فاختار وصفهم بالإيمان على جهة الثبوت فقال(المؤمنين)، وذلك مراعاة لفرق الزمن، لأن الكلام في هود كان في زمن أسبق مما هو في الشعراء، فقد قال الملأ في هؤلاء:] وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ ´ µ ¶ ¸ بَادِيَ ٱلرَّأۡيِ Z هود: ٢٧،في حين كان الكلام في الشعراء على ما بعد ذلك فهو بعد أن لبث فيهم نوح الطَيْئِلا زمناً يدعوهم حتى هددوه بالرجم إن لم يكف، ولم يذكر مثل ذلك في سياق آيات هود، وإنما قالوا له:] j k l m n o p q r s t Z هود: ٣٢ فدل ذلك على أن المشهد في الشعراء إنما كان بعد ما قضى مرحلة طويلة وبعد أن هددوه بالرجم حتى دعا ربه قائلاً:] E F G H I

(١)كما في هود ٥١، يس ٢١، الشورى ٢٣.

(٢)كما في الفرقان ٥٧، الشعراء ١٠٩، ١٢٧، ١٤٥، ص ٨٦ وغيرها.

(٣) ينظر:معاني النحو: ٤/٨٥٠.

(٤) ينظر التفسير البياني: ٣/١١٦.

J K L M N O P Q R S Z الشعراء: ١١٧ - ١١٨ فوصف من معه ههنا بالإيمان الثابت لصبرهم وثباتهم والدلالة على أن إيمانهم عن يقين وليس إيماناً بلا تروٍّ ولا تمحيص، فكان كل وصف في مكانه أنسب.

وقال:] وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ Z فقال نوح عليه السلام (أراكم) كما قالوا له:] مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرٗا مِّثۡلَنَا Z فكأنه رد على ما قالوه فيه وما كانوا يرونه.

فقد قالوا له:] مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرٗا مِّثۡلَنَا Z فقال لهم:] وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ Z.

وقال ههنا:] وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ Z وكذلك قال في الأحقاف، فقال في الموطنين (أراكم).

وقال في الأعراف:] إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ Z الأعراف: ١٣٨

وقال في النمل:] بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ Z النمل: ٥٥ و لم يقل فيهما أراكم.

ذلك أن الكلام في هود والأحقاف فيما يراه كلا الفريقين من الدعوة إلى التوحيد، فقد قال ذلك في قصة نوح عليه السلام بعد ما دعاهم إلى عبادة الله قائلاً:] w x y z { | } ~ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ أَلِيمٖ Z هود: ٢٦ وما واجهه قومه به.

وقال ذلك في قوم عاد بعد أن قال لهم نبيهم ﷺ:] أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ : Z الأحقاف: ٢١ وما واجهه به قومه به.

فالكلام فيما يراه كل فريق في الآخر.

وأما في سياق آية الأعراف فليس الأمر كذلك وإنما قال ذلك موسى لقومه بني إسرائيل بعد ما أغرق آل فرعون أمام أعينهم وجاوز بهم البحر قال تعالى:] ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / لَنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ : ; < = > ? @ A B C D Z الأعراف: ١٣٨ - ١٣٩ فقد قال لهم موسى عليه السلام:] إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ Z لم يقل (أراكم) ذلك أن هؤلاء مؤمنون بما جاء به موسى وقد أنجاهم الله وأغرق آل فرعون بمعجزة شاهدوها وعاشوها ومع ذلك طلبوا أن يجعل لهم صنما يعبدونه كما يفعل عبدة الأصنام ،فكان طلبهم دالاً على جهلهم وعدم

إدراكهم لحقيقة وسبب هذه الأحداث الفاصلة ، فلم أنجاهم الله وأغرق آل فرعون إذا كان كل منهم يعبد غير الله ؟

فلم يقل (أراكم)، إذ أن هذا ليس ما يراه وفيه احتمال وإنما هو أمر ظاهر مؤكد.

وقال في قوم لوط] بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ Z ولم يؤكده كما فعل موسى عليه السلام مع قومه. ذلك لأن جهل بني إسرائيل أكبر، فهم مع إيمانهم بموسى عليه السلام وبدعوته طلبوا صنمًا ليعبدوه وهذا أكبر الجهل.

فالمؤمن بالله الموحد إذا عبد صنمًا كان فعله أكبر وأعظم ممن فعل الفاحشة، فهذه ردة بعد الإيمان وشرك بعد التوحيد.

والشرك أكبر الكبائر وقد ذكر الله عز وجل أنه لا يغفر للمشرك ويغفر مادون ذلك لمن يشاء قال تعالى:] r s t u v w x y z { | } ~ Z النساء: ٤٨ فناسب تأكيد جهل قوم موسى عليه السلام بـــ(إنَّ) دون قوم لوط مع نسبتهما كليهما إلى الجهل والله أعلم.

قوله تعالى:] ; < = > ? @ A B C D Z هود: ٣٠

ذكر هنا أمرين يمنعانه من طرد من آمن معه:

الأمر الأول: أنهم ملاقو ربهم وهو أعلم بسرائرهم وسيجازيهم على نياتهم عند لقائه.

والأمر الأخر: أنه ليس له ذلك ولا يستطيعه، فإنه إن فعل ذلك فإن الله سيعاقبه ولا ينجيه أحد منه. ومن ذا الذي ينصره من الله إن طردهم؟

كل ذلك تعظيم من نوح عليه السلام للإيمان وأهله، وتقريراً لأخذ الله وبطشه لمن يجترئ على أولياء الله المؤمنين.

وقال:] @ A B Z ولم يقل (إن أطردهم) أي لا أحد ينجيني من الله إن طردتهم ولو مرة واحدة. فكيف إذا تكرر طردهم؟!

فالآية دالة على أنَّه لو طردهم ولو مرة لوجب عليه العقاب من ربه.

وقال:] C D Z ولم يقل (أفلا تتذكرون) أي إن هذا الأمر لوضوحه وظهوره لا يحتاج إلى طول تذكر وإنما هو أمر ظاهر.فإنهم عباده وهم ملاقوه وهو أعلم بحالهم.

قوله تعالى:] F G H I J K L M N O P Q R S T U
V W X Y Z [ ] ^ _ ` a c d e f Z هود: ٣١

ذكر هنا أن ليس عنده من المغريات المادية، أو المحسوسة التي يطمع بها أرباب الدنيا، والتي تدعو إلى اتباعه بسببها، ليظن في أتباعه أنهم إنما اتبعوه لمطمع دنيوي ،فهو لا يملك المال الكثير حتى يتبعه طلاب المال ، ولا يعلم الغيب، ليكشف لهم عما يستقبلهم من خير أوشر في معايشهم وشؤنهم الأخرى، ولذا فهو لا يستطيع الحكم عليهم فيعلم المؤمن من مدعي الأيمان وإنما علم ذلك إلى الله وحده.

وهو كذلك لم يقل إني ملك وإنما هو مقر ببشريته فهو موافقهم في ما يقولونه بأنه بشر .

ولسان حاله: فإن كنتم ترون وتحسبون الفضل في هذه الأشياء، فمالي عليكم من فضل ولست مدعٍ لها، بل أنا بشر رسول مبلغ عن ربي.

ثم إني لا أقول للذين تزدرونهم لن يؤتيهم الله خيراً، وهذا توكيد منه لعدم علمه الغيب.

ثم أكد الطَّيْلاً ذلك بقوله:] [^ _ ` a Z فالله هو الذي يعلم بما في أنفسهم وأما أنا فلا أعلم الغيب، وهذا درس عظيم في التواضع من نوح الطَّيْلاً، مع الخالق العظيم ومع الخلق.

فهو لا يملك _كما هو ظاهر من كلامه_ مغريات تدعو الفقير أو الغني إلى إتباعه، ولم يدَّعِ ما ليس له، ثم هو أيضاً لم يظهر لهم ما امتاز به عليهم فليس مراده ذلك .

وقد جاء في (الكشاف):((لا أقول عندي خزائن الله، ولا أقول أنا أعلم الغيب، ومعناه لا أقول لكم عند خزائن الله فأدعي فضلًا عليكم في الغني حتى تجحدوا فضلي بقولكم] وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ Z هود: ٢٧.

ولا أدعي علم الغيب حتى تنسبوني إلى الكذب والافتراء أو حتى أطلع على ما في نفوس أتباعي وضمائر قلوبهم.

] O P Q R Z حتى تقولوا لي] مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثۡلُنَا Z ، ولا أحكم على من استرذلتم من المؤمنين لفقرهم أن الله لن يؤتيهم خيراً في الدنيا والآخرة لهواهم عليه ، كما على تقولون مساعدة لكم ونزولاً على هواكم))[1].

ومن التناسق البديع في ألفاظ الآية مايلي:

١-إنه قال:] F G H Z فجاء بالفعل المضارع(أقول) ونفاه بـــ(لا)، و لم يقل (ما أقول)أو(ما قلت)أو(لم أقل) للدلالة على الاستمرار في عدم القول. فهو لا يقوله في كل الأحوال. [2]

فلم ينفه بـــ(ما) فتكون العبارة (ما أقول) فذلك نفي للحال فقط.

و لم يقل(ما قلت)أو (لم أقل) فيكون النفي في الماضي، ولعله أن يقوله في وقت آخر.

و لم يقل (ولن أقول) ففيه إشارة أو اعتراف بأنه قاله في الماضي.

٢-أضاف الخزائن إلى الله سبحانه فقال:] J K Z و لم يقل (خزائن لله) فتكون الخزائن نكرة، وقد تكون الخزائن قليلة أو كثيرة، ولكنه قال:] J K Z فشملت جميع خزائنه وذلك أدعى إلى إتباعه لو كانت عنده، لكن الأمر ليس كذلك ، فعلام تلك الاتهامات؟!

٣- أنه قال هنا:] O P Q R Z وعلم الله نبينا محمد ﷺ في سورة الأنعام أن يقول:] x y z { | Z فكرر(لكم) إذ الخطاب لعتاة قريش.

وأما المقام في سورة هود فهو مقام تلطف بالقوم فقد قال قبلها:] يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي ... ! " # $ %... ; < = > ?@ A ...F G H I J K Z وكل ذلك لطف منه عليه السلام في خطابهم رغبة في هدايتهم واستمالة قلوبهم.

قال الإمام بن الزبير الغرناطي[1] رحمه الله:((فتأمل جليل ملاطفته عليه السلام لهم، وما يُفهم من كلامه من عظيم الإشفاق من حالهم، وإرادته ما به نجاتهم من العذاب، ومن أخذه

(١) الكشاف٢/٩٦.

(٢) نظم الدرر ٣/٥٢٥.

بمرتكباهم. فهذا كله استلطاف في الدعاء لا يناسب تكرار كلمة تفهم تعنيفاً أو توبيخاً، والتأكيد والتكرار يفهم ذلك يردان حيث يُقصَد))(٢).

أما السياق في الأنعام فهو مقام توجيه من الله لنبيه ﷺ ليبكتهم ويعنفهم ويستعمل معهم التهديد والوعيد الذي لم يكن يلجأ إليه النبي ﷺ لحلمه وشفقته، فقال له ربه :] , -

. / ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَـٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ : ; = < ?

P O N M L K J I H G F E D C B A @

Q R Z الأنعام: ٤٦ - ٤٧

((فتكرر فيها قوله (لكم) تأكيداً يفهم التعنيف ويناسب التوبيخ والتقريع))(٣).

٤-أنه قال:] S T U V W Z فقال (تزدري) بالفعل المضارع و لم يقل (ازدرت) للدلالة على الاستمرار فهم لا يغيرون حكمهم ونظرهم فيهم علواً واستكباراً، ويمكن أن يكون البيان لحكاية الحال.(٤)

٥-أنه قال:] S T U V W Z وذلك فيه لطف منه في الخطاب أيضاً حيث حذف العائد والأصل (ازدريتم)، فحذف العائد تخفيفاً لوقع الحقيقة عليهم لئلا ينال الازدراء ضميرهم صراحة.

وذلك من التحرز والتلطف والمداراة التي يستعملها الناس، فإنا إذا أردنا أن نتلطف مع شخص ما فلا نعدي إليه فعلاً فيه إهانة ومواجهة له فلا نقول مثلاً: (أنت شتمت فلاناً) بل نقول:(شُتِم فلان) فنحذف المفعول إكراماً ومداراة له.

---

(١)أحْمد بن إِبْرَاهِيم الشهير بِابْن الزبير الغرناطي، الإِمَام الْعَالم الْفَاضِل الشَّيْخ أَبُو جَعْفَر، كان محدثاً جليلاً، ماهراً، نحوياً، فصيحاً، مفوّهاً حسن الخطّ، مقرئاً مفسراً مؤرخاً، أقرأ القرآن والنحو والحديث صنف الْبُرْهَان فِي تَفْسِير الْقُرْآن ذكر فِيهِ مُنَاسبَة كل سُورَة لما قبلهَا، وصنف ملاك التَّأْوِيل فِي فن التَّفْسِير مؤلف ضخم الحجم لخص فِيهِ كتاب الْعَلامَة القَاضِي الحصنكيفي وَزَاد عَلَيْهِ من التَّفْسِير مَا يحْتَاج إِلَيْهِ الْمُفَسِّرُونَ والمصنفون، وَكَانَت وَفَاته فِي سنة ثَمَانِينَ وَتسْعمائَة. طبقات المفسرين للداوودي: ١/ ٢٨، طبقات المفسرين للأدنه وي: ١/ ٣٩٧.

(٢) ملاك التأويل ١/٣٢٨.

(٣) المصدر السابق ١/٣٢٩.

(٤) انظر روح المعاني ١٢/٤٣.

٦- ومن التناسق الطيف في التراكيب أيضاً أنه أسند الازدراء إلى الأعين فقال:] U V W Z ولم يقل (للذين تزدروهم)، وذلك أنه أراد إكرامهم أيضاً فكأنه قال: (لعلكم ترون ظواهرهم ولم تخبروا حقيقتهم، ولو خبرتم حقيقتهم لقلتم غير هذا القول)، ((وهذا الازدراء إنما وقع من ظاهر الرؤية، وقد لا يدل على ذلك على الحقيقة فكم من رجل تزدريه عيناك وهو في الحقيقة رجل أيّ رجل)).(١)

ثم إن هذا التعبير مناسب لقوله:] وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ ´ µ ¶ ¸ Z فعلقوا ذلك بالرؤية، والرؤية إنما تكون بالعين فناسب أن يقول:] V W Z فكأنه قال: إنما حكمتم بالظواهر ولم تدركوا الحقائق.

٧- أنه قال:] X Y Z] Z فجاء بضمير الغيبة ولم يقل: (لن يؤتيكم الله خيراً) بضمير الخطاب. وكان الأصل أن يقول – كما هو ظاهر السياق- (ولا أقول للذين تزدري أعينكم لن يؤتيكم الله خيراً). قيل وقد عدل عن ذلك إلى قوله:] X Y Z] Z لأن اللام ليست للتبليغ وإنما هي لبيان العلة أي لأجلهم. جاء في (روح المعاني): ((واللام للأجل لا للتبليغ وإلا لقيل فيما بعد (يؤتيكم))) (٢).

وقد يكون ذلك لغرض آخر لطيف، وهو أن الإنسان قد يتكلم في الشخص في غيبته أو يصفه بوصف لا يستطيع أن يواجهه به تلطفاً، أو حياءً، أو خوفاً، أو لأي سبب.

أما نوح عليه السلام فقال:] S T U V W X Y Z] Zهود: ٣١ أي لا أقول ذلك حتى في غيبتهم، مع أنه في مأمن من أن يسمعوا كلامه، فيتأثروا وفي قوله هذا بلا شك إكراماً ورعاية لهم. ثم إنه من باب الأولى أن لا يقول ذلك في حضرتهم وهم يسمعون كلامه.

ثم إنه جعل باب احتمال تغير الأحوال في المستقبل الذي لا يعلمه إلا الله مفتوحاً، فلربما آتاهم الله خيراً يجعلكم تندمون على ما قلتم في حقهم.

---

(١) ينظر:على طريق التفسير البياني ١٢٣/٣.

(٢) روح المعاني ٤٣/١٢.

وحديثه هذا عن المؤمنين مفيد من ناحية تخفيف عداء الملأ لهم ،ثم هو مدعاة إلى إكرامهم والتواضع لهم.

٨- أنه قال:] [^ _ ` a Z وفيه تعلق وتوكيد لما قاله من قبل:] L M N Z.

وقال ههنا:] _ ` a Z فجاء بالأنفس بجمع القلة.

و أما في سورة الإسراء فقال:] رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا ´ µ Z الإسراء: ٢٥ فجاء بالنفوس بجمع الكثرة ووجه التناسق في هذا أن آية هود في جماعة نوح ﷺ من المؤمنين وهم قلة كما قال تعالى:] W X Y Z [ ] Z هود: ٤٠ .

بينما نجد الخطاب في الإسراء فلعموم الخلق من المكلفين وهم كثير ولا شك. لذا جاء بالجمع الذي يناسب العدد والمقام في كل تعبير.

٩- ومن أوجه التناسق أيضاً عند مقارنة موضع الإسراء وهود، أنه قال في هود:] [^ Z بذكر لفظ الجلالة.

بينما قال في الإسراء:] رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ Z بذكر الرب، ذلك لأن الكلام في هود في مقام العبادة فقد قال لهم نوح ﷺ:] w x y z { | Z فناسب ذكر لفظ الجلالة، فالله المعبود أعلم.

وإما في الإسراء فهو في مقام الإحسان إلى المربي وهما الوالدان فقد قال تعالى في هذا السياق:

[g h i j k l m n p q r s t u v w x y z { | } ~ قَوْلًا كَرِيمًا Z الإسراء: ٢٣ والوالدان ربيبا النعم على أبنائهم -بعد الله- وهما اللذان يربيانهم، والرب تعالى هو المربي المعتني بجميع شؤون خلقه ، فناسب ذكر الرب.

١٠- ومن التناسق فيها أنه ختم كلام نوح بقوله:] c d e f Z بتأكيد ذلك بإنَّ واللام، واللطيف أن يتفق ما قاله أول رسول مذكور في القرآن لقومه وهو سيدنا نوح ﷺ، مع ما أمر بقوله خاتم الرسل ﷺ لقومه مما يدل على

وحدة الرسالة، ووحدة موقف المجتمع البشري من الظلم في كل زمان من زمن أول نبي إلى حين نزول الرسالة الخاتمة.

فقد قال سيدنا نوح ﷺ:] F G H I J K L M N O P Q R Z

وأمر سيدنا محمدا ﷺأن يقول نحو هذا القول، قال تعالى:] n o p q r s t u v w x y z { | Z الأنعام: ٥٠ .

وقال نوح ﷺ:] - . / ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ Z هود: ٢٩

وقال ربنا لسيدنا محمدﷺ:] وَلَا تَطۡرُدِ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ مَا عَلَيۡكَ مِنۡ حِسَابِهِم مِّن شَيۡءٖ وَمَا مِنۡ حِسَابِكَ عَلَيۡهِم مِّن شَيۡءٖ فَتَطۡرُدَهُمۡ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ Z الأنعام: ٥٢ تعليماً لنبينا الكريم ﷺ ليتأسى بإخوته من الأنبياء.

ووُصف من فعل ذلك بالظلم في الحالين فقال نوح ﷺ:] c d e f Z.

وقال لنبينا محمد ﷺ:] فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ Z.

ممايدل على أن من صنع هذا الصنيع بمؤمن إرضاءً لكافر كان من الظالمين، كما أنه إن كان نبي من الأنبياء سيلحقه وصف الظلم بهذه الفعلة إن عملها –وحاشاهم- فكيف بمن هو دونهم.

قوله تعالى:] h i j k l m n o p q r s t Z هود: ٣٢

بعد أن رد نوح ﷺ الشبه التي ذكروها فيه، وفي أتباعه، ولم يبق لديهم ما يرجون به رد الحق الذي معه، أرادوا أن يقطع الجدال معهم، لأنه كلما طال وكثر أثبت ضعفهم وانهزامهم أمام الحق الذي جاء به، فضاقت عليهم أنفسهم.

فقالوا له هنا إنك قد جادلتنا فأكثرت جدالنا فأتنا بما ترهبنا به من العذاب الأليم إن كنت صادقا في دعواك، وما يقول هذه الكلمة إلا منكر مكذب بالعذاب مستبعداً نزوله، وإلا كيف يطلب العذاب ويستعجله ذو لب.(١)

وهذا الحال كما يصفه صاحب الظلال بأنه: ((العجز يلبس ثوب القدرة، والضعف يرتدي رداء القوة والخوف من غلبة الحق يأخذ شكل الاستهانة والتحدي.)) (٢)

ومن أوجه التناسق في نظم الآية الكريمة مايلي:

١- أنهم قالوا:] k Z ولم يقولوا (تجادلنا)، وقالوا:] l m Z ولم يقولوا (فكثر الجدال بيننا) بالمفاعلة، وفي ذلك دلالة على أنه هو الذي كان يتعرض لهم ليدعوهم إلى ربهم، وذلك شأن الدعاة إلى الله، أن يبادروا بتقديم النصح والتعليم، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لينقذوا العباد من غفلتهم.

فلم يكفّ نوح الطَيْهِ ولم يفتر ولم يثنه التكذيب أو السخرية كما قال تعالى على لسانه:] قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا © فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ ´ µ ¶ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّواْ وَٱسْتَكْبَرُواْ ٱسْتِكْبَارًا Z نوح: ٥ – ٧

٢- قالوا:] n o p Z بالفعل المضارع (تعدنا)، ولم يقولوا (فأتنا بما وعدتنا) بالفعل الماضي، للدلالة على عدم المبالاة بما ينذرهم وشدة تكذيبهم فهم طلبوا أن يأتيهم بما وعدهم ، فكان لهم ما أرادوا فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين.

٣- قالوا له:] q r s t Z هود: ٣٢ هذه الجملة مستأنفة وجواب الشرط محذوف دلَّ عليه ما قبله ، أي : إن كنت صادقًا فأتنا.(٣)وقولهم هذا تكذيب غير مباشر، وكأنهم يؤكدون كذبه عندهم، فلو كانوا به مصدقين ما

(١) ينظر تفسير الطبري ١٥/٣٠٤.

(٢) في ظلال القرآن ٤/١٨٧٥.

(٣)المجتبى من مشكل إعراب القرآن الكريم: ١/٢٩٢.

طلبوا العذاب وكيف لعاقل أن يطلبه، ثم إنهم لو كان لديهم أدنى احتمال لصدقه لما ملوا من جداله.

قوله تعالى:] z y x w v } | { ~ بِمُعْجِزِينَ Z هود: ٣٣

جاء بـــ(إنما) للدلالة على أن ذلك بيد الله حصراً لا يقدر على ذلك غيره.

وهنا يبين لهم نوح عليه السلام أنَّ أمر العذاب المعرَّضين له بتكذيبهم ليس له، وأن ما وعدوا به لا يستطيع أن يفعله، أو يأتي به هو، إنما أمره إلى الله فهو الذي يأتي به إن شاء.

ومن أجه التناسق في الآية الكريمة ما يلي:

١-أن نوحاً عليه السلام قال:] x y Z ولم يقل:(يأتي به) فيجعله عاماً ذلك لأنهم قالوا له:] n o p Z فهم أرادوا ذلك لأنفسهم وطلبوه، فخصهم كذلك بإتيانه قال لهم:] x y Z أي فيصيبكم أنتم ما طلبتم، تنكيلاً بهم.

٢-أنه قال أيضاً:] } | Z فجعل عليه السلام ذلك الإتيان للعذاب مرتبطاً بمشيئته جل وعلا، وذلك دأب، وأدب الأنبياء والعارفين بحق الخالق فليس لأحد أن يتألى على مالك الأمر سبحانه، وهو كذلك تأكيد لعدم علمه وعدم قدرته.

فلم يقل (إنه سيأتيكم) بصيغة الجزم، فيفهم السامع أن للمتكلم قدرة في هذا لأمر، وإنما أعاد ذلك إلى مشيئة الله، ونسب الإتيان به إلى الله.

٣-قوله:] { ~ بِمُعْجِزِينَ Z عجزهم يظهر من جهتين، فلا هم بدافعي العذاب، ولا هم قادرين على الهرب منه [١].

وقد أكد عدم إعجازهم بالباء الزائدة.

وجاء أيضاً باسم الفاعل] بِمُعْجِزِينَ Z ولم يقل (تعجزون) للدلالة على ذلك على جهة الدوام والثبوت. فهم لا يعجزونه أبداً على كل حال، في أي زمان، أو مكان، وغيرهما من المتعلقات بل إن ذلك على جهة الإطلاق والدوام، فهم لا يعجزون الله شيئاً وهو قادر عليهم من كل جهة.

(١) تفسير البيضاوي ٢٩٥.

٤- أن في الآية أكثر من تهديد ووعيد، وذلك متناسب في الرد على غلظتهم ونفورهم من نصحه، فقد قال:] Z w للدلالة على القصر، وأن الذين توعدون به أمر عظيم لا يستطيع أن يفعله غير الله.

وقال أيضاً:] x Z وذلك حصر بأن العذاب إنما يأتيهم هم وحدهم، ولم يقل (يأتي) على العموم فيصيبهم أو لا يصيبهم، أو يناله الجميع ، بل هو نازل ومسلط عليهم وحدهم.

وفي قوله:] w x y z Z قدم الجار والمجرور (به) والعائد إلى العذاب، قدمه على الفاعل وهو (الله)، ولم يقل (إنما يأتيكم الله به) وفي ذلك التقديم تهويل وتعظيم لما سيأتيهم، ثم إنه لو قدم الفاعل _لفظ الجلالة_ لأفاد معنى القصر أي:(ما يأتيكم الله إلا به) فيكون من باب قصر فعل الفاعل على شيء واحد وهو غير مراد ولا يصح.

ومن التهديد لهم أيضاً أنه أسند ذلك إلى لفظ الجلالة تصريحاً، وهو أشهر الأسماء وأعظمها مهابة، وفي ذلك من التهديد والتخويف ما فيه، إذ هو الاسم الجامع لكل الأوصاف.

جاء في روح المعاني: (([w x y z { | Z أي إن ذلك ليس إليّ ولا مما هو داخل تحت قدرتي، وإنما هو لله عز وجل، الذي كفرتم به وعصيتم أمره يأتيكم به عاجلاً أو آجلاً إن تعلقت به مشيئته التابعة للحكمة.

و فيه كما قيل ما لا يخفى من تهويل الموعد فكأنه قيل: الإتيان به خارج عن دائرة القوى البشرية وإنما يفعله الله تعالى.

وفي الإتيان بالاسم الجليل تأكيد لذلك التهويل))(١)

ومن دلائل التهديد أيضاً قوله لهم:] { ~ بِمُعۡجِزِينَ Z دلالة على ضعفهم وعجزهم على جهة الإطلاق والثبات والدوام كما أشرت.

قوله تعالى على لسان نوح ﷺ:] وَلَا يَنفَعُكُمۡ نُصۡحِيٓ إِنۡ أَرَدتُّ أَنۡ أَنصَحَ © إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغۡوِيَكُمۡۚ هُوَ رَبُّكُمۡ ´ µ Z هود: ٣٤

(١) روح المعاني: ١٢/٤٥.

لما أعلن المعاندون تذمرهم من حديث نوح ﷺلهم وقالو له:] k l m Z
هود: ٣٢ لزم أن يبين لهم ﷺأن حديثه لهم ليس جدلاً ممقوتاً، بل هو نصح المشفق، الحريص عليهم[(١)] فإن الإنسان قد ينصح شخصاً ما وهو غير حريص في نصحه وقد لا يكون مؤملاً لصلاحه ،لكنه ينصحه لأي سبب من الأسباب، وفي هذه الحال لا يبالغ في النصح ولا يهتم به، ولكنه إذا أراد النصح وكان حريصاً على ذلك، فلا شك أنه سيسعى في النصح بكل ما أوتي من سبل.

فقال لهم نوح ﷺ: إنه لا ينفعكم نصحي وإن أردت ذلك أي مع إرادتي لنصحكم ورغبتي فيه وشدة اهتمامي به إن كان الله يريد أن يغويكم.

وهذا بيان لعظيم قدرة الله، وحكمه، وقدره النافذ في خلقه، فهو الذي يهدي من يشاء ويضل من يشاء، وهو الذي يحكم ولا معقب لحكمه ، فإنه إن نصحهم بهذه الحال وهذا الاهتمام وكان الله يريد أن يغويهم لم ينفع نصحه لهم. فمجرد إرادة الله الإغواء تمنع من النفع.

ومن أجه التناسق في الآية الكريمة ما يلي:

١-أنها تأكيد لما سبق من قول نوح ﷺ:] L M N O P Q R Z ووجه تعلقها بها من جهة أن الداعية لو علم الغيب بغواية البعض لم يبذل لهم نصحاً ولما استفرغ جهده في دعوتهم، لكنه بعدم علمه بالغيب فإنه يبذل كل سبب لهدايتهم، مؤدياً ما كلف به من مهمة الإبلاغ، مع يقينه بأن الله إن أراد بهم الغي وحكم عليهم بذلك، فلن ينتفعوا بإرادته ونصحه.

٢-أنه لم يقل (لا ينفعكم نصحي.....إن كان الله أغواكم) فيجعل فعله بمقابل الإغواء، وإنما قال: (لا ينفعكم نصحي إن أردت..... إن كان الله يريد أن يغويكم) فجعل عدم الانتفاع مقابلاً إرادة الإغواء، فمجرد الإرادة تمنع من الانتفاع.

جاء في (روح المعاني): ((وإنما اقتصر في ذلك على مجرد إرادة الإغواء دون نفسه حيث لم يقل (إن كان الله يغويكم) مبالغة في بيان غلبة جنابه جل جلاله، حيث دل ذلك على أن

---

(١) ينظر نظم الدرر: ٣/٥٢٧.

نصحه المقارن للاهتمام به لا يجديهم نفعاً عند مجرد إرادة الله إغواءهم فكيف عند تحققه))[1].

٣-أن قول نوح عليه السلام هذا، مناسب للسياق الذي وردت فيه الآية، بينما قال في الأعراف:] _ ` a b c d e f gh i Z
الأعراف: ٦٢

فذكر أنه ينصح لهم، و لم يقل كما قال ههنا:] وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِيٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ © إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ Z

والفرق أن السياق في الأعراف كان في أول الدعوة، وقد بين فيه مهمته لقومه، وهي أنه رسول من رب العالمين يبلغهم رسالات ربه وينصح لهم.

وأما هنا في هود، فالسياق مختلف فإنه قال ما قال بعد ما تطاول الزمن، وكثر الجدال بينه وبين الملأ ، وبعدما تعنتوا، وملوا من نصحه ،وطلبوا منه أن يأتيهم بما يعدهم به.

فقال لهم:] وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِيٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ © إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ Z فقال لهم ذلك بعد أن لم يجد نفعاً من نصحه، مع حرصه على ذلك، وبعد طول زمن في عنادهم ومكابرتهم، فناسب أن يقول لهم (لا ينفعكم نصحي)، و لم يكن مناسباً أن يقول هذا لهم في بداية الدعوة وعند أول التبليغ.

فجاء كل تعبير مناسباً للسياق الذي ورد فيه ومراعياً لعمر الدعوة.

٤-أنه عليه السلام قال للملأ الذين كفروا:] هُوَ رَبُّكُمْ ´ µ Z، بينما قال قبل ذلك عن المؤمنين] إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ Z.

فقوله:] إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ Z مقابل لقوله:] ´ µ Z.

وقوله:] رَبِّهِمْ Z مقابل لقوله:] هُوَ رَبُّكُمْ Z

وفي ذلك تنبيه لهم إلى أنهم راجعون إلى الله، فأما المؤمنون فملاقوه، وأما المكذبون فهم محرومون من ذلك اللقاء.

كما أن قوله:] هُوَ رَبُّكُمْ Z يعني ليس لكم رب غيره.

---

(١) روح المعاني ١٢/٤٧.

وقوله:] ´ µ Z يعني أنكم ترجعون إليه حصراً لا إلى غيره.
وكأنه يقول لهم عليه السلام: كلا الفريقين سيرجعون إلى ربهم، غير أن الرجوعين مختلفين، فإن المؤمنين فيلاقونه وهم له مطيعون و لأمره مستجيبون.
وأما أنتم فترجعون إليه وأنتم كافرون به عاصون لأمره، فتحرمون لقاءه.
فقد قال في المؤمنين:] إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ Z ولاشك أن هذه بشارة ومكرمة تتشوف إليها النفوس.
و لم يقل في الكافرين كذلك وإنما قال:] ´ µ Z وفى هذا تخويف ظاهر، كما قال سبحانه:] إِنَّ إِلَيۡنَآ إِيَابَهُمۡ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾ Z الغاشية: ٢٦

قوله تعالى:] ﮋ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ إِنِ ٱفۡتَرَيۡتُهُۥ فَعَلَيَّ إِجۡرَامِي وَأَنَا۠ بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُجۡرِمُونَ ﴿٣٥﴾ Z هود: ٣٥
هذا من أساليب العرب في كل استفهام ابتدأته بعد كلام قد سبقه، تستفهم فيه بـــ(أم)[١]
كما قيل إن هذه الآية من كلام قوم نوح عليه السلام أي يقولون افترى الوحي على الله.
وقال آخرون: إن هذه الآية معترضة في قصة نوح عليه السلام،والقائلون هم مشركو مكة أي افترى محمد ﷺ خبر نوح عليه السلام،أو افترى القرآن[٢].
وقد يقال و لم جاءت هذه الآية معترضة في قصة نوح، وما علاقتها بها؟
والجواب: أن هناك مناسبة، وحاجة لوجودها هنا، وذلك أنه بعد أن ذكر الحجج التي قامت على قوم نوح عليه السلام ،من كونه لا يطلب أجراً، و لم يدع علم الغيب، ولا ملك خزائن الله و لم يدع أنه ملك، وغيرها، وثبت بذلك أن مخالفتهم له افتراء وجرماً ليس عليه برهان ناسب أن يتبع ذلك بما يشبهه مما نهجه المشركون مع رسول الله ﷺ من الجرم العظيم باتهامه بأن القرآن مفترى من عنده، فهي تلفت السياق لفتة مفاجئة، فتنتقل من سرد القصص لاستقبال مشركي قريش لتخبرهم أن حالهم مع رسول الله ﷺ مماثل لهذه القصة، ودعواهم

---

(١) انظر جامع البيان: ٩٧/٣.
(٢) انظر :جامع البيان ٣٠٥/١٥، تفسير الرازي ٣٤٣/٦ ، البحر المحيط ٢٢٠/٥.

أن محمداً يفتري هذه القصص، فهي تحقق مقصداً من مقاصد السورة بالرد على ادعائهم أن القرآن مفترى.

جاء في الظلال:((وهذا الاعتراض لا يخالف سياق القصة في القرآن، لأنها إنما جاءت لتأدية غرض من هذا في السياق.)) (١)

كما أن وجود هذه الآية هنا يحقق غاية من الغايات الأساسية للسورة ألا وهي تثبيت النبيﷺ، وتسليته، وكأنه ينبهه إلى أن مثل هذه الأقوال يجعلونها وسيلة لتركك بعض ما يوحى إليك فلا تفعل.

جاء في نظم الدرر((وما قبلها تعريض بنسبة نوح عليه السلام على الافتراء ، تلاه بما تلا به ذاك من النسبة إلى الافتراء وإشارة إلى أن هذه القصص كلها للتسلية في أمر النذارة، والتأسية فكأنه قيل : أيقولون لك مثل هذه الأقوال فقد قالوها لنوح كما ترى)) (٢)

كما أن معنى الآية يصلح في كل رسول كذبه قومه ورموه بالافتراء على الله.

وكذا الرد يصلح لكل من قال هذا القول.

فقوم نوح عليه السلام رموه بالافتراء على الله، والرد يصلح رداً عليهم.

وهناك قوم آخرون رموا رسلهم بالافتراء على الله، وهذا الرد يصلح رداً عليهم أيضاً.

ومشركو قريش رموا نبينا محمداً ﷺبافتراء القرآن على الله، وهذا الرد يصلح أن يكون رداً عليهم، بل هو المقدم إذ حديث السورة رداً على الأحياء منهم .

واختلف في معنى الآية:

فقيل إن معناها: إن افتريته فعليّ إثم ذلك، وأنا بريء مما ترتكبون من الآثام ،والكفر والتكذيب. فكل منا محاسب عما يعمل كما قال تعالى:] â بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعۡمَلُ وَأَنَا۠ ç

Z é è يونس: ٤١

وقيل إن معناها: إن افتريته فعليّ عقوبة افترائي.

ولكن الحقيقة أني بريء مما تنسبونه إليّ من الافتراء.

(١)في ظلال القرآن٤/١٨٧٦.

(٢)نظم الدرر في تناسب الآيات والسور:٣/٥٢٧.

وادعاؤكم أني افتريته هو إجرام. فمن ينسب الافتراء إلى شخص وهو بريئ من ذلك فقد أجرم في حقه. (١)

والمعنيان صحيحان يصلحان لكل من قال ذلك.

و في الآية الكريمة وجه من أوجه التناسق أيضاً وهو:

أنه قال:] إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَيَّ إِجْرَامِى وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ Z ولم يقل (وأنا بريء من إجرامكم) كما قال:] فَعَلَيَّ إِجْرَامِى Z ذلك لأنهم رموه بأمر واحد وهو الافتراء فقال:] فَعَلَيَّ إِجْرَامِى Z .

أما هم فإجرامهم متعدد، من الكفر، والتكذيب، والجدال، بالباطل، وغيرها من الآثام، كما أنه مستمر فلذا قال:] وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ Z أي بريء مما أنتم ملازمون له من الإجرام.

قوله تعالى:] وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ Z هود: ٣٦

بعد أن أغلق قوم نوحالطَّيِّلاِ باب الجدل بينهما متذمرين من نصحه لهم، وتحدوه أن يأتي بما يعدهم إن كان صادقاً، كشف الله لنبيه بالوحي أنه لن يؤمن من قومه إلا من قد آمن، فلن يدخل أحد في دينه بعد، فلا حاجة بعد ذلك لدعوتهم.

فلما أوحي إليه هذا، استجاز الدعاء عليهم، فقال الطَّيِّلاِ:] رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ Z نوح. (٢).

فهذا التعليل مهم لبيان أن زمن دعاء نوحالطَّيِّلاِ عليهم إنما كان بعد انكشاف مآل من تبقى منهم له، ويقينه ببقائهم على الكفر، ولم يكن أثناء دعوتهم، فإن الدعاء على المنصوح ليس من خلق الأنبياء ولا من منهج الدعاة إلى الله تعالى.

(١) ينظر: جامع البيان ١٥/٣٠٥ ، البحر المحيط ٥/٢٢٠.

(٢) ينظر: جامع البيان ١٥/٣٠٦ ، زاد المسير ٢/٣٧١.

ومن أوجه التناسق في الآية الكريمة ما يلي:

١- أنه قال ههنا سبحانه:] وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ Z ببناء الفعل للمجهول: (أوحي).

بينما قال في سورة المؤمنون:] فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ Z المؤمنون: ٢٧ بالبناء للمعلوم وسبب هذا الاختيار أن نوحاً عليه السلام طلب ربه في سورة المؤمنون أن ينصره فقال:] رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ Z المؤمنون: ٢٦ فاستجاب له فقال:] فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ Z فصرح بفاعل الاستجابة بضمير المتكلم جل وعز، ونون العظمة ،ولم يقل (فأوحي) بحذفه وهو الأنسب في مقام الدعاء أن يجيبه بنفسه.

أما هنا فقد أخبره ربه ابتداءً بهذا الأمر، ولم يكن بطلب منه، فصح أن يكون عن طريق ملك، فاستخدم (وأوحي).

٢- أنه قال:] لَن يُؤْمِنَ Z فنفى فعل الإيمان بحرف الاستقبال(١) (لن) للدلالة على أنه لا يؤمن له أحد من قومه في المستقبل أبداً، فإن الأمر قد انتهى ولا فائدة من دعوتهم.

٣- أنه اختار قوله:] مِن قَوْمِكَ Z ولم ينف حصول الإيمان بنوح وبرسالته عن جميع البشر، لأنه علم سبحانه أنه سيأتي من بعد قومه من يؤمن بنبوته ونحن منهم وهذه واحدة من فضائل الوحي فعالم الغيب والمستقبل هو الله وحده، ولا يطلع على ذلك الغيب إلا من أراد من خلقه ،كما قال سبحانه:] عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ Z الجن.

٤- أنه أتبع هذا الإخبار لنبيه نوح عليه السلام بقوله:] فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ Z أي فلا تستكن ولا تحزن لما كانوا يفعلونه من استهزاء وتكذيب وإيذاء.(٢)

(١)سميت حروف الاسْتِقْبَال أو التَّنْفِيس أو التوسيع بهذا الاسم لِأَنَّهَا تنقل الْفِعْل عَن الزَّمن الضّيق وَهُوَ الْحَال إِلَى الزَّمن الْوَاسِع وَهُوَ الِاسْتِقْبَال، وهي: سوف والسين وأن ولا ولن.ينظر: مغني اللبيب ١/٨٦٩،المفصل ١/٤٣٥.

(٢) انظر: جامع البيان١٥/٣٠٦، روح المعاني ١٢/٤٩، زاد المسير٢/٣٧١.

وفي هذا تطييب لنفس نوح عليه السلام إذ يتذكر في هذا الموقف الجهد العظيم الذي بذله لهؤلاء القوم، وإرادته النصح الخالص لهم، وما قابلوه به من غلظة وجحود وتكذيب.

٥- قال ههنا:] بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ Z بذكر الفعل(يفعلون).

وقال في سورة يوسف عليه السلام:] قَالَ إِنِّىٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ à Z

فقال:] à Z فذكر العمل، ذلك أنه يستعمل الفعل (فعل) مع الإهلاك و لم يستعمل الفعل (عمل). قال تعالى:] أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ Z الأعراف: ١٥٥

وقال:] ` a b c Z الأعراف: ١٧٣

و لم يرد في نحو هذا (عمل).

وفي هذا دلالة على قرب هلاك القوم ونزول العقاب بهم فهذا من التناسق العظيم والدقيق في الآيات.

فإن القرآن يستعمل (فَعَلَ) في عقوبات الأقوام وإهلاكهم و لم يستعمل (عَمَلَ).

قال تعالى:] أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ Z الفجر: ٦

وقال:] [^ _ ` a b c Z الفيل: ١

وقال:] H I J K L M N O P Q R S T U Z إبراهيم: ٤٥

وقال:] أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْآخِرِينَ ﴿١٧﴾ كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾ Z المرسلات.

فلم يستخدم (عمل).

فلما قضى ربنا إهلاك قوم نوح عليه السلام استعمل الفعل الذي يستعمله في الإهلاك فقال:] فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ Z

أي إن فعلهم يقتضي إهلاكهم كما قال:] أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ Z فإن فعل هؤلاء يقتضي إهلاكهم.

وليس الأمر في قصة يوسف عليه السلام كذلك فاستعمل فعلاً آخر يؤدي المعنى المقصود، والله أعلم.

قوله تعالى:] وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ à ۚ â مُّغۡرَقُونَ Z هود: ٣٧

معنى قوله:] وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا Z أي بمرأى منا تشملك رعايتنا وحفظنا، وبما علمناك من علمنا وجاءت بالجمع بنون العظمة للدلالة على تكثير الحفظ وديمومته كما قيل.(١)

وقيل المراد من أعيننا ملائكتنا الذين جعلناهم عيوناً على مواضع حفظك ومعونتك.

(ووحينا) أي تعليمنا لك كيف تصنعها(٢).

ومن أوجه التناسق في الآية الكريمة ما يلي:

١-أنه بدء بأمره بصناعة الفلك لأن فيه نجاته وأتباعه، وقدمه على بيان مصير الظالمين وهو الإغراق. وهذا هو الأغلب في القرآن في قصة نوح عليه السلام وغيرها، نجده يقدم نجاة المؤمنين على إهلاك الكافرين وذلك نحو قوله تعالى:] W X Y Z [\ ] ^ _ ` a b ا Z يونس: ٧٣

وقوله:] X Y Z [\ ] ^ ... l m n o Z هود: ٦٦ - ٦٧ وغيرها.

٢-أنه لما قدم ما فيه نجاتهم وهو الفلك، قدم أيضاً ما يدل على عنايته وحفظه لهم، وما يدفع الشر عن الفلك،وحفظها مما يمنعه من العمل في إتمامها وذلك قوله:] بِأَعۡيُنِنَا Z فقدم كل ما يتعلق بالنجاة والحفظ، من صنع الفلك وحفظ الله ورعايته.

وهذا يقتضي مراقبة ما يعمله ثم توجيهه إلى أن يستكمل صنعها، وهذا التناسق البديع يدل على علة تقديم قوله:] بِأَعۡيُنِنَا Z على قوله:] وَوَحۡيِنَا Z.

ثم إن تعليمه ووحيه تعالى إنما هو لغرض أن ينجيه فقدم ما يتعلق بالحفظ والنجاة، ليزيده طمأنينة.

جاء في تفسير الرازي(٣): ((إن إقدامه على عمل السفينة مشروط بأمرين:

(١) ينظر :زاد المسير ٢/٢٧٣، البحر المحيط ٥/٢٢٠.

(٢) ينظر تفسير الرازي ٦/٣٤٥، روح المعاني ١٢/٤٩.

(٣)سبقت ترجمته رحمه الله.

أحدهما أن لا يمنعه أعداؤه عن ذلك العمل.

والثاني أن يكون عالماً بأنه كيف ينبغي تأليف السفينة وتركيبها ودفع الشر عنه))[1]

٣- في قوله تعالى:] وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ à ۚ â مُّغْرَقُونَ Z

أي ولا تسألني في العفو عن هؤلاء الذين ظلموا أنفسهم من قومك ولا تراجعني فيهم تطلب إمهالهم وتأخير العذاب عنهم.[2]

وقوله:] وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ à ۚ Z ذكر هنا صفتهم ولم يقل (ولا تخاطبني فيهم) ذلك أنه ذكر الصفة التي تستدعي إهلاكهم وهي الظلم، صفة توجب عقوبتهم لا أن تستشفع فيهم.

فذكر صفتهم التي تستدعي عقوبتهم مناسب لبيان علة منعه من مراجعة ربه في إمهالهم.

جاء في (روح المعاني): (( ] وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ à ۚ Z أي لا تراجعني فيهم ولا تدعني باستدفاع العذاب عنهم. وفيه من المبالغة ما ليس فيما لو قيل: ولا تدعني فيهم))[3].

وقيل :أن المراد بالذين ظلموا امرأته وابنه كنعان.[4]

٤- أنه حكم سبحانه فقال :] â مُّغْرَقُونَ Z بالاسم ولم يقل(سأغرقهم) للدلالة على الثبوت فكأنهم أغرقوا وانتهى الأمر، وهو خطاب الملك القادر جل وعز.

قوله تعالى:] ! " # $ % & ' ( ) * , - . . / فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ : ; < = > ? Z

هود: ٣٨ - ٣٩

] ! " Z حكاية حال ماضية[5] لاستحضار صورته وهو يصنع الفلك فكأنك تشاهده وهو يعمل.

(١) التفسير الكبير ٦/٣٤٤- ٣٤٥.

(٢)ينظر: جامع البيان ١٥/٣٠٩، فتح القدير ٢/٤٧٤.

(٣) روح المعاني ١٢/٥٠.

(٤)التفسير الكبير ١٧/٣٤٥.

(٥) الكشاف ٢/٩٧، وانظر فتح القدير ٢/٤٧٤.

جاء في "في ظلال القرآن": ((والتعبير بالمضارع فعل الحاضر.. هو الذي يعطي المشهد حيويته وجدته، فنحن نراه ماثلاً لخيالنا من وراء هذا التعبير، يصنع الفلك، ونرى الجماعات من قومه المتكبرين يمرون به فيسخرون، يسخرون من الرجل الذي كان يقول لهم: إنه رسول ويدعوهم)) [١].

وقيل تقديره: وأخذ يصنع الفلك أو طفق يصنع الفلك أو أقبل يصنعها[٢] ونحوها من أفعال الشروع.

وعدم التقدير أولى لأن قولنا :(طفق يعمل) ونحوه يشير إلى بداية الشروع أي بدأ يعمل.

وأما قوله:] ! " Z فإنه وصف لاستمرار الحال والعمل وليس بدايته .

وهو تخييل وتوصيف لمشهد نوح عليه السلام وهو منهمك في العمل.

] # $ % & ' ( ) * , - . / فَإِنَّا نَسۡخَرُ مِنكُمۡ كَمَا تَسۡخَرُونَ Z

ومن أوجه التناسق في الآية الكريمة ما يلي:

١-أنه قال:] # $ % & Z و(كُلَّما) تدل على الاستمرار والتربص ، وعدم التغاضي، بل هم مترصدون له قاصدون إيذاءه والنيل منه، ولم يقل (وكلما مر به ملأ) وفي ذلك إشارة إلى أنه لا يصنع سفينته في طريق المارة بل هو متنح عنهم في مكان أخفض من الطريق الذي يستخدمه الناس، فلا يضر أحداً ولا يضيق على أحد ،وذلك من كمال خلقه وحسن صنيعه عليه السلام.

دل على ذلك قوله: (عليه). و(على) للاستعلاء.

ولم يقل (به) التي تفيد الإلصاق كما قال في سورة المطففين:] وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمۡ يَتَغَامَزُونَ Z المطففين: ٣٠ أي في الطريق الذي هم فيه أو المكان الذي هم فيه.

وجواب (كلما) يحتمل أن يكون] (* Z فيكون المعنى: كلما مر الملأ عليه سخروا، فالسخرية مستمرة عند كل مرور. [٣]

---

(١) في ظلال القرآن ١٨٧٧/٤.

(٢) انظر روح المعاني ٥٠/١٢، فتح القدير ٤٧٤/٢.

(٣) ينظر الكشاف: ٣٧٣/٢.

وعلى هذا تكون جملة] , - . Z استئنافية.
كما يحتمل أن يكون جواب (كلما): (قال......)
وعلى هذا تكون (سخروا) بدلاً من (مرّ) أو صفة لملأ.
فيكون المعنى: (كلما مر عليه ملأ سخروا منه) فيجيبهم] - . / ... Z الآية.
فهو ﷺ لا يترك ساخرًا إلا رد عليه، وكلما سخر أجابه نوح ﷺ بقوله:] - . / ... Z.
وعلى الاحتمال الأول يكون المعنى: كلما مر عليه ملأ من قومه سخروا ، ولا يدل ذلك على أنه يجيبهم في كل مرة بل قد يجيبهم أحياناً وقد يتركهم أحياناً، أو هو يجيبهم دائماً.
وأما على الاحتمال الثاني فإنه يدل على أنه كلما مر عليه ملأ ساخر رد عليه ولا يتركهم من دون أن يرد عليهم.
وأيضاً لا يدل ذلك حتماً على أن كل ملأ يمر عليه يسخر منه فقد يسخر منه ملأ وقد لا يسخر آخر.
وجاء في (روح المعاني): ((و(كل) منصوب على الظرفية و (ما) مصدرية وقتية أي كل وقت مرور، والعامل فيه جوابه وهو (سخروا)، وقوله سبحانه:] , - . / فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ Z استئناف بياني وكأن سائلاً سأل فقال: فما صنع نوح ﷺ عند بلوغهم منه هذا المبلغ؟
فقيل: قال] - . / Z لهذا العمل ومباشرة أسباب الخلاص من العذاب] فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ Z لما أنتم من الإعراض عن استدفاعه بالإيمان والطاعة...
هذا وجوز أن يكون عامل (كلما) (قال) وهو الجواب، وجملة (سخروا) صفة لملأ أو بدل اشتمال... ويلزم على هذا التجويز استمرار هذا القول منه عليه السلام وهو ظاهر.
وعلى الإعراب الأول قيل لا استمرار وإنما أجابهم في بعض المرات))[1].

(١) ينظر روح المعاني ٥١/١٢.

٢-أنه نوحاً عليه السلام قال:] - . / Z ولم يقل (إن سخرتم منا) بالإشارة إلى الماضي، وذلك للدلالة على استمرار السخرية، فهم دائمون مستمرون عليها.

وهو مناسب لقوله:] # $ % & Z بذكر (كلما) التي تفيد الاستمرار.

٣-أنه قال:] / Z ولم يقل (إن تسخروا مني) مع أنه قال:] (* Z إشارة إلى أنهم لم يكتفوا بالسخرية والنيل منه بل يسخرون من المؤمنين أيضاً.

فهم يسخرون منه إذا رأوه يصنع الفلك، ويسخرون من المؤمنين إذا رأوهم، ولذلك كان جواب الشرط بالجمع أيضا وهو قوله:] فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ Z ولم يقل (فإني أسخر منكم).

٤- أنه قال:] نَسْخَرُ مِنكُمْ Z ولم يقل (سنسخر منكم)أو (سوف نسخر منكم) وذلك أن الفعل (نسخر) يحتمل الحال والاستقبال، فقوله:] فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ Z يَحتمِل أنهم يسخرون من الكافرين في الحال لعدم معرفتهم بما سيحيق بهم وهم لاهون عابثون، غافلون، ساخرين من الآخرين، وهؤلاء يستحقون أن يُسخر منهم في هذه الحال.

كما يَحتمِل أنهم سيسخرون منهم في المستقبل أيضاً وذلك، عندما يحل عليهم العذاب فيأخذهم الطوفان فيغرقهم أجمعين.

ويسخرون منهم في الآخرة وهم في السعير كما قال تعالى:] فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ç è Z المطففين: ٣٤ .

فقوله تعالى:] فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ Z أفاد السخرية منهم في ثلاث مواطن في الحال، وفي الاستقبال عند الغرق وعند حلول العذاب المقيم وهو عذاب الآخرة.

وجاء في معنى السخرية أيضاً: إن تستجهلونا، فإنا نستجهلكم، وإن تسخروا منا، فإنا نستنصر الله عليكم.(١)

والسخرية والاستخفاف بأهل الحق والإيمان ديدن وسلاح أهل الكفر من الملأ والمترفين والمنافقين، وقد نهى الله المؤمنين عن الاستخفاف بالخلق ، وبين أنه مظنة الخطأ في تقدير

(١) ينظر زاد المسير٢/٣٧٢.

الأمور فقال:] يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ Z الحجرات: ١١

ومما نال أصحاب نبينا ﷺ سخرية المنافقين بمن تصدق منهم بجهده قال تعالى:] ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ ٱلۡمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهۡدَهُمۡ فَيَسۡخَرُونَ مِنۡهُمۡ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنۡهُمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ Z التوبة.

قوله تعالى على لسان نوح عليه السلام:] فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن يَأۡتِيهِ : ; > = >

Z ?

] فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن يَأۡتِيهِ Z يحتمل أن تكون (مَن) اسما موصولاً أي فسوف تعلمون الذي يأتيه العذاب الذي يذله ويفضحه.

كما يحتمل أن تكون (من) اسم استفهام مبتدأ وجملة (يأتيه) خبر والجملة مفعول (يعلم)[(١)]

وقوله:] : ; Z ذلك عذاب الدنيا وهو الغرق، ومعنى (يخزيه) يفضحه ويذله.[(٢)]

وقوله:] > = > ? Z يعني عذاب الآخرة كما قال تعالى:] مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمۡ أُغۡرِقُواْ فَأُدۡخِلُواْ نَارٗا Z نوح: ٢٥

ومعنى (يحل عليه) يجب عليه ويلزمه لزوما لا ينفك عنه، ومعنى (مقيم) عذابٌ دائم ثابت لا يزول عنهم ولا ينتقل أبدًا. [(٣)]

ومن أوجه التناسق في الآية الكريمة ما يلي:

١- وصفه العذاب بأنه يخزيهم، وفي هذا الوصف مجانسة لأفعالهم التي كانوا يقللون بها من شأن المؤمنين كبراً، وعلواً، ويسخرون منهم فأتى بالعذاب الذي يخزيهم ويذلهم، فيكشف العيب الذي تظهر فضيحته والعار به، ونظيره الذل والهوان. [(٤)]

---

(١) انظر البحر المحيط: ٥/٢٢٢.

(٢) انظر الوجيز: ١/٥٣٢.

(٣) انظر تفسير الطبري: ١٠/٢٩٣.

(٤) انظر نظم الدرر: ٣/٥٣٠.

٢- قوله أولاً:] مَن يَأْتِيهِ : Z ثم قال:] > = Z فذكر الإتيان أولاً، والإتيان لا يستلزم الدوام ،فقد يأتيهم ثم ينصرف عنهم، ولئلا يخطر ذلك في الذهن أتبعه بقوله:] > = > ? Z أي يجب عليهم وجوباً لا ينفك عنهم ولا يرحل أو يتحول أعاذنا الله من ذلك، ولقد أشار إلى هذا المعنى في أول السورة فقال:] U V W X Y Z [\ ] ^ ` a b c d e f g h i j k l Z هود: ٨،فجاء هنا بتأكيد وقوع ما توعد به هناك.

قوله تعالى:] A B C D E F G H I J K L M N O P Q R S T U W X Y Z [Z هود: ٤٠

من أوجه التناسق البديع في هذه الآية الكريمة ما يلي:

١-أنه قال:] A B C D Z فاختار:] C Z ولم يختر (أتى) ذلك أن (جاء) يستعمله القرآن، لما فيه مشقة وصعوبة أو لما هو أصعب مما يستعمل له (أتى)[(١)] ولما كان في هذا المجيء مشقة وهو العذاب استعمل (جاء).

ولذا نلاحظ حيث ورد (أمرنا) بمعنى العذاب والعقوبات استعمل له (جاء) وذلك نحو قوله:] i j k l m n o p Z هود: ٥٨

وقوله:] X Y Z [\ ] ^ _ Z هود: ٦٦

وقوله:] ! " # $ % & Z هود: ٨٢ وغيرها.

وأما قوله تعالى:] µ ¶ ﴿ٱلۡأَرۡضُ زُخۡرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتۡ وَظَنَّ أَهۡلُهَآ أَنَّهُمۡ قَٰدِرُونَ عَلَيۡهَآ أَتَىٰهَآ أَمۡرُنَا لَيۡلًا أَوۡ نَهَارٗا فَجَعَلۡنَٰهَا حَصِيدٗا كَأَن لَّمۡ تَغۡنَ بِٱلۡأَمۡسِ﴾ Z يونس: ٢٤

فإنه قال:] أَتَىٰهَآ أَمۡرُنَا Z وذلك لأن السياق ليس في بيان عقوبات الأقوام وإنما هو في الكلام على الحياة الدنيا وزوالها ولا تعلق لذلك بقوم من الأقوام.[(١)]

---

(١) انظر المفردات للراغب الأصبهاني (أتى) و(جاء).

٢-أنه قال:] E F Z : والتنور هنا تنور الخبز وجعل فوران الماء منه علامة على بداية الطوفان، وقيل غير ذلك(٢)

جاء في نظم الدرر:((الحقيقي الذي يخبز فيه، وهذا هو الظاهر فلا يعدل عنه إلا بدليل)) (٣)

وقيل هو مجاز عن شدة الأمر كما يقال (حمي الوطيس)، ويصلح أن يراد الأمرين.

وهذا متناسب لما سيستقبله المشهد العظيم لأمر الله، من فوران وتلاطم للماء، وكأن فوران التنور مشهد مصغر لما سيحل بكامل الأرض .

٣- أنه قال:] G H I Z فاختار: (قلنا) بإسناد القول إلى نفسه تعالى وهذا في نجاة المؤمنين.

أما في هلاك الكافرين فإنه قال:] وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ Z ببناء فعل القول للمجهول: (قيل).

وذلك مشعرٌ بالفرق بين رعايته للمؤمنين وتوجيهه سبحانه لنجاتهم في قوله: (قلنا)، وبين هلاك الكافرين وإبعادهم في قوله:] وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ Z.

٤-أنه قال:] H I Z فاختار (فيها) والحمل على السفن عادة ما يكون على ظهرها أي عليها، والسبب والله أعلم أنه لما أمره تعالى أن يجعل لها غطاء - كما قال بعض أهل التفسير - لئلا تمتلئ من شدة الأمطار ، كانت الظرفية فيها بخلاف غيرها من السفن واضحة(٤).

٥- أنه بدأ بذكر حمل الحيوانات في قوله:] G H I J K L M Z وهو المناسب لأن بها قوام حياة الإنسان، وسبب بقائه، ففيها مطعومه ومركوبه وغيرها من حوائجه.

---

(١) ينظر :لمسات بيانية للسامرائي، ص/٩٧.

(٢) تفسير الطبري١٥/ ٣١٨.

(٣) انظر نظم الدرر:٣/٥٣٠.

(٤) المصدر السابق.

ثم ذكر حمل الأهل بعد ذلك فقال (وأهلك) لأن الأقربين أولى بالمعروف كما قال تعالى:

] وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ Z الأنفال: ٧٥

ألا ترى كيف نادى نوحٌ عليه السلام ابنه ليركب معه و لم يناد غيره من الكافرين فقال:

] w x y Z هود: ٤٢

وكيف نادى نوح عليه السلام ربه فقال:] رَبِّ إِنَّ ٱبْنِي مِنْ أَهْلِي Z هود: ٤٥

ثم ذكر بعد الأهل من آمن.

٦- أنه استثنى من أهله (من سبق عليه القول) أي من حق عليه العذاب لعدم إيمانه.

فاستعمل (عليه) والقرآن يستعمل نحو هذا التعبير في العذاب مثل قوله:] فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ Z الإسراء: ١٦وقوله] P Q R Z القصص: ٦٣ .(١)

جاء في (روح المعاني) في قوله:] O P Q R S Z ((وجيء بـــ(على) لكون السابق ضاراً لهم. كما جيء باللام فيما هو نافع في قوله:] ~ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ Z الصافات: ١٧١] إِنَّ ´ µ ¶ ¸ ٱلْحُسْنَىٰٓ Z الأنبياء: ١٠١))(٢)

٧-أنه قال:] W X Y Z [Z هود: ٤٠ فوصف عددهم بالقلة، وقد ذكر بعض المفسرين أنهم سبعة، أو ثمانية، أو عشرة ، ومن أكثر في العدد قال ثمانون نفس، والله أعلم بعدهم، إذ لم يصح أثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ببيان عددهم لكنهم كانوا قليل ببيان القرآن ، وفي ذلك دلالة على عظيم صبر نوح عليه السلام، إذ بعد دعوة مدتها ألف سنة إلا خمسين عاماً ،لم يخرج إلا بقليل ، ولذا كوفئ من ربه بالبركة فيمن نجوا معه وجعل الله ذريته هم الباقين ، فقوبل هناك بالبركة والكثرة عوضاً عن القلة التي آمنت به هنا.

قوله تعالى:] ^ _ ` a b c d e f g h i Z هود: ٤١

وردت قراءتان متواترتان في (مجراها) وهما بفتح الميم وضمها، وهي موطن الإمالة الوحيد لحفص إذ يفتح الميم ويميل في الراء(١).

(١) انظر :على طريق التفسير البياني للسامرائي٢/١٧.

(٢) انظر :روح المعاني،٤/١٢٨.

وهي بالفتح مصدر، أو اسم مكان، أو زمان من (جرى) الثلاثي أي جرياها هي، كما قال تعالى:] k l m n o p Z هود: ٤٢

وبالضم مصدر، أو اسم مكان، أو زمان من (أجرى) الرباعي. نقول: أجرى الله الفلك في البحر، وأجرها الرياح. والمصدر الميمي (مُجرى) بضم الميم.

وأما (مُرساها) فهي بضم الميم في جميع القراءات المتواترة، وهي أيضا مصدر، واسم مكان ،واسم زمان من (أرسى) الرباعي، وليس من (رسا) الثلاثي.

يقال: (رست السفينة) إذا رست هي، والمصدر الميمي (مَرسى) بفتح الميم، وتقول: (أرسى الملاح السفينة) أو أرساها الله سبحانه، والمصدر الميمي (مُرسى) بضم الميم. (٢)

ومن أوجه التناسق في الآية الكريمة ما يلي:

١ - أن هذه العبارة جمعت عدة معانٍ كلها مرادة، ومنها:

بسم الله جرياها هي وإرساؤها من الله سبحانه فدلت على الفاعل.

وبسم الله إجراؤها وإرساؤها، فالله هو مُجريها ومرسيها. فيكون المعنى: إجراؤها وجرياها وإرساؤها كل ذلك حاصل وكائن بسم الله ربنا.

وبسم الله مكان جريها، وإجرائها، ومكان إرسائها أي في المكان الذي تجري فيه، وتُجرى فيه، وفي المكان الذي تُرسى فيه.

وبسم الله في الزمان الذي تجري فيه، وتُجرى فيه ،وفي الزمان الذي تُرسى فيه.

وعلى هذا يكون المعنى: بسم الله جرياها ، وإجراؤها، ومكان جريها، ومكان إجرائها وزمان جريها، وزمان إجرائها.

وبسم الله إرساؤها، ومكان إرسائها، وزمان إرسائها.

ولو غيرت أية لفظة في هذه الجملة لم تجمع هذه المعاني.

وهذا يدل على أن جرياها، ومكان الجريان وزمانه، وإجراءها ومكانه، وزمانه مقدر من الخالق العظيم، العليم الخبير، إرساءها ومكان إرسائها وزمانه كل ذلك مقدر.

فهي تجري، وتُجرى في المسار الذي قدره ربنا. وترسو في المكان الذي قدره ربنا لها.

---

(١) انظر :السبعة في القراءات،١/٣٣٣، التيسير١/٤٨.

(٢) انظر : الحجة في القراءات السبع،١/١٨٧

٢-أن في قوله تعالى:] a b c d Z احتمال أن يكون الكلام مبتدأ وخبرا، فقوله:] a b Z خبر مقدم، وقوله:] c d Z مبتدأ مؤخر، فيكون المعنى على ما ذكرت.

ويحتمل أن يكون المعنى: (اركبوا فيها بسم الله) أي مسمين الله حين جريها وحين إرسائها أي ذكرين الله في الجري والإرساء، و(مجراها ومرساها) مصدران أو ظرفان كما بينت.

ويحتمل أن يكون تقدير مجراها ومرساها على الحال فيكون المعنى: اركبوا فيها جارية ومجراة ومرساة بسم الله.

فجمع هذا التعبير بهذا النسق البديع معاني متعددة لا يجمعها تعبير آخر:

بسم الله جريها وإجراؤها وإرساؤها، أي يكون ذلك باسمه سبحانه.

بسم الله في مكان جريها وإجرائها وإرسائها.

بسم الله في زمان جريها وإجرائها وإرسائها.

اركبوا فيها مسمين الله في مكان جريها و إجرائها وإرسائها.

واركبوا فيها جارية ومجراة ومرساة بسم الله.

جاء في (الكشاف): ((يجوز أن يكون كلاما واحدا وكلامين.

فالكلام الواحد أن يتصل (بسم الله) بــ(اركبوا) حال من الواو بمعنى اركبوا فيها مسمين الله أو قائلين بسم الله وقت إجرائها ووقت إرسائها، إما لأن المجرى والمرسى للوقت، وإما لأنهما مصدران كالإجراء والإرساء حذف منهما الوقت المضاف كقولهم: خفوق النجم ومقدم الحاج.

ويجوز أن يكون مكانا الإجراء والإرساء وانتصابهما بما في بسم الله من معنى الفعل أو بما فيه من إرادة القول.

والكلامان: أن يكون] a b c d Z جملة من مبتدأ وخبر مقتضبة أي بسم الله إجراؤها وإرساؤها...

ويحتمل أن تكون غير مقتضبة بأن تكون في موضع الحال... وانتصاب هذه الحال عن ضمير الفلك كأن قيل: اركبوا فيها مجراة ومرساة بسم الله))[١].

٣-أنه قال:] f g Z بذكر الرب، والرب هو المربي والمعلم والموجه والمرشد والقائم على رعاية خلقه، وهو أنسب اسم ههنا لأنه يوجههم ويرشدهم إلى سبيل نجاتهم، وهم في خضم هذه الأمواج الهائلة.

٤-أنه قال:] f g h i Z فأكد ذلك بـــ(إنَّ) واللام، في حين قال على لسان سيدنا يوسف ﷺ:] " # $ & ' ( ) * + , - . / رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾ Z يوسف ، فأكده بـــ(إنَّ) وحدها.

وقال على لسان أبيه يعقوب ﷺ:] A B C D F G H I J Z يوسف: ٩٨ فأكده بـــ(إنه) وجاء بضمير الفصل(بالهاء) وتعريف الاسمين الجليلين الغفور الرحيم. وكل تعبير في مكانه هو الأنسب.

فإن سيدنا يوسف ﷺ لم يرتكب ذنباً، حتى أن همه بامرأة العزيز إنما كان مشروطاً بعدم رؤيته لبرهان ربه، وقد رأى برهان ربه، بل هو من جهة أخرى قد سجن ظلماً بضع سنين فلم يحتج إلى توكيد المغفرة.

ثم هو كذلك واحد، وأما قوم نوح ﷺ فجمع، فلما زاد العدد زاد افي التأكيد ليدل على سعة المغفرة.

وأما ما قاله سيدنا يعقوب ﷺ،فهو جواب عما اعترف به أبناؤه من الخطيئة، من إلقاء يوسف ﷺفي غيابة الجب، وما حصل لأبيهم من جراء ذلك، وقد طلبوا منه أن يستغفر لهم بقولهم:] يَتَأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ : ; < = > Z يوسف: ٩٧

فقال لهم أبوهم:] @ A B C D F G H I Z يوسف: ٩٨

فالله وحده هو الذي يغفر في نحو هذا، إذ أن في فعلهم ما يتعلق بحقوق الآخرين، وذلك ليس إليه. فأكد ذلك بـــ(إنَّ) وبضمير الفصل (الهاء) وجاء بتعريف الاسمين: الغفور الرحيم للدلالة على القصر.

---

(١) الكشاف ٢/٩٨.

قوله تعالى:] k l m n o p q r s t u v w x y z { | } ~ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ قَالَ ©عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ ´ µ ¶ ¸ مِنَ ٱلۡمُغۡرَقِينَ Z هود: ٤٢ - ٤٣

بعد أمر الله لنبيه ومن معه بركوب السفينة انتقل إلى مشهد الفلك وهي تجري في الماء، ولم يقل: (فركبوا فيها ثم جرت السفينة) فإن كل طمأنينة تشملهم إذ مجراها، ومرساها باسم الله، ولأنه لا يتعلق غرض بذكر ذلك وقوله:] k l m Z يدل على أنهم ركبوا وقد جرت بهم.

ومن أوجه التناسق في الآية الكريمة ما يلي:

١- أن في قوله:] l m Z حكاية للحال المستمرة، فكأنك تشاهدها وهي تجري وتنطلق بهم في خضم] o p Z أمواج هائلة تصعد وتترل بالسفينة في مشهد مهيب، وهو ما يتشوف إليه السامع لمعرفة الحال الذي كان عليه القوم.

٢- في قوله:] q r s Z وصف لفعل نوح الطَيْكِلاَ إذ رفع صوته منادياً ابنه ما يدل على أن ابنه في مكان بعيد لا يُسمعه إلا النداء، وهو أيضاً الفعل الأنسب حال الخطر، فناسب ذكر المناداة لبيان حال المنادي والمنادى.

ثم إنه بلا ريب ابنه على الحقيقة وقد بلي به نوح الطَيْكِلاَ،لحكمة بالغة، وقدر نافذ من رب العالمين، لا كما شكك في ذلك البعض فزلوا بذلك، ولقد قيل لسعيد بن جبير[1]: ((يقول نوح الطَيْكِلاَ :] إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي Z أَكَانَ مِنْ أَهْلِه؟ أَكَانَ ابْنَهُ؟ فَسَبَّحَ اللَّهَ طَوِيلًا ثُمَّ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ! يُحَدِّثُ اللَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ أَنَّهُ ابْنُهُ وَتَقُولُ إِنَّهُ لَيْسَ ابْنُهُ! نَعَمْ كَانَ ابْنَهُ، وَلَكِنْ كَانَ مُخَالِفًا فِي النِّيَّةِ وَالْعَمَلِ وَالدِّينِ، وَلِهَذَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى] # $ % & Z))[2]

(١) سعيد بن جبير الأسدي ، مولاهم الكوفي ، ثقة ثبت فقيه من الثالثة ، وروايته عن عائشة وأبي موسى ونحوهما مرسلة ، قتل بين يدي الحجاج سنة خمس وتسعين و لم يكمل الخمسين ع . تقريب التهذيب (١ /٢٣٤) .

(٢)تفسير القرطبي ٤٦/٩.

كما نلاحظ هنا أن نوحاً هو الذي نادى ابنه ليركب معه، وكان المظنون أن ينادي الابن أباه ليحمله فينجو مع الناجين، فكل الأمر دالٌ على أن الفلك هي سبيل النجاة الوحيد، ولكن هذا الابن رفض هذه الدعوة وآثر على رفقة هؤلاء الناجون ،أن يلجأ وحيداً إلى جبل ظانًّا أنه يعصمه من الماء.

٣- كان نداء نوح هو:] w x y z { | } Z هود: ٤٢

فقال: (يا بني) بنداء التحبيب وذلك بتصغير الابن وإضافته إلى ياء المتكلم، وهو نداء رحمة وشفقة ، فلم يقل له : (يا فلان) باسمه أو نحو ذلك وهو الانسب عله أن يميل ويقترب بهذه الشفقة فينجو، ولاريب أن من أساليب الدعوة إلى الله إظهار شفقة الداعية وحرصه على مصالح المدعوين، واختيار ألطف، وأحب أساليب النداء لهم، وهو ظاهر في خطاب الأنبياء عليهم السلام لأقوامهم كما في كتاب الله تعالى.

كما أنه قال:] x y z { | } Z هود: ٤٢ ولم يقل: (ولا تكن من الكافرين) فقط، ولم يدعه إلى الدخول في دينه في هذا الموقف وإنما دعاه للنجاة ونهاه عن أن يكون مع الكافرين فيغرق معهم.

دعاه إلى النجاة أولاً بمعيته لهم، ليعيش في مجتمع مؤمن غير الذي ألفه وغير الخلاّن الذين كان يعيش معهم فيميلون به إلى معتقداتهم الباطلة. والخليل من أعظم ما يؤثر في مسار حياة الإنسان كما قال تعالى:] s t u v w x y z { | } ~ إِذْ جَآءَنِي Z الفرقان: ٢٨ - ٢٩

فطمع في انتشال ولده ليعيش في مجتمع مؤمن مؤملاً أن يكون منهم فيما بعد وتلك الفطرة الطبيعية من الأب السوي تجاه أبنائه.

ثم قال تعالى حاكياً رد هذا الابن وجواب نوح له فقال:] قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ قَالَ © عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ ´ µ ¶ ¸ مِنَ ٱلۡمُغۡرَقِينَ Z هود: ٤٣

رفض الابن دعوة أبيه للركوب في معيته والنجاة في السفينة، وآثر أن ينجو بنفسه -كما ظن- وحيداً على أن يكون مع أهله، ومع الجماعة المؤمنة، وذلك عناد الكفر.

ولم يكرر نوح عليه السلام الدعوة له وإنما قال:] ©عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ Z فنفى العاصم من أمر الله على سبيل الاستغراق في مثل هذا اليوم.

ومن أوجه التناسق في الآية الكريمة ما يلي:

١- أنه خص ذكر اليوم بعدم العصمة، مع أنه لا عاصم من أمر الله على الإطلاق لا في هذا اليوم، ولا في غيره، ذلك أن هذا اليوم ليس كسائر الأيام، فإنه لا ينفع فيه اتخاذ الأسباب التي يتصور أنها تنقذ، أو تسلم الإنسان، فهو يوم تنعدم فيه القوة والحيلة.

كما أن الحقيقة أن البشر في سائر الأيام يتخذون الأسباب للنجاة، والسلامة ويفرون من قدر الله إلى قدر الله، فكل ما يفعلون خاضع لإرادة الله، وحكمه، وقدره.

قال جل وعز:] وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ Z الأنعام

وقال تعالى:] ! " # $ % & ') (' + , - . / لِفَضْلِهِۦ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَهُوَ : ; > Z يونس: ١٠٧.ولهاتين الآيتين نظائر.

فقد يمس الإنسان مرض وهو من أمر الله وقدره، فيطلب الدواء لرفع مرضه وهو من أمر الله وهو خالقه.

أما في هذا اليوم العصيب فلا سبب سينقذه، وليس له حيلة تنجيه، فقد حيل بين الناس وبين أسباب نجاتهم، ولا يعصم من أمر الله شيء إلا من أدركته رحمته وفضله.

٢- أنه قال أيضاً:] ©عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ Z ولم يقل: (من الماء) تأكيداً على أن هذا الماء ليس كسائر المياه التي تنجو منها بالالتجاء إلى جبل مرتفع، أو نحو ذلك ، فهو أمر الله الذي أنزله على الذين ظلموا ليغرقهم ولا يعصمهم شيء منه، وقد أخبر الله بذلك نوح عليه السلام في قوله تعالى:] â مُّغْرَقُونَ Z[1].

٣- أن قوله:] ©عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ Z يحتمل معاني منها أنه لا عاصم اليوم من أمر الله إلا الراحم وهو الله و(من رحم) يعني به الله.

---

(١) روح المعاني ٦٠/١٢.

كما يحتمل أن يكون المعنى أنه لا عاصم اليوم إلا من أدركته رحمة الله فهداه وآمن فإنه يعصمه، وأما الكفار فإنهم مغرقون في ذلك اليوم.

والمعنى: لا عاصم اليوم من أمر الله إلا المرحوم. وذكر المفسرون أموراً غير ذلك.[1]

وجاء في (حاشية ابن المنير[2]على الكشاف): ((والاحتمالات الممكنة أربعة: لا عاصم إلا راحم، ولا معصوم إلا مرحوم، ولا عاصم إلا مرحوم، ولا معصوم إلا راحم.فالأولان استثناء من الجنس والآخران من غير الجنس.

وزاد الزمخشري[3] خامسا وهو: لا عاصم إلا مرحوم على أنه من الجنس بتأويل حذف المضاف تقديره: لا مكان عاصم إلا مكان مرحوم)) [4].

٤- أنه قال:] ﴿مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ﴾ Z وفي هذا إشارة إلى غرقه وغرق الآخرين.

فإنه لو قال: (فغرق) لأفاد غرقه و لم يفد غرق الآخرين.

ولو قال: (غرق) أيضاً لدل على أنه غرق بنفسه ، أما قوله:] ﴿مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ﴾ Z فيدل على أن جهة ما أغرقته وأغرقت الآخرين ، وأن ذلك إنما حصل بإرادة، وبقوة، وقهر أدت إلى إغراقه وإغراق الآخرين. كما أن فيه إشارة إلى العقوبة التي توعدوا بها.

قوله تعالى:] ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ Z هود: ٤٤

كُتب في هذه الآية العظيمة البليغة الشيء الكثير وأفردت فيها رسائل، وهي تدل على جلالة قائلها -جل وعز- وقوته، وقدرته.

---

(١) ينظر زاد المسير ٢/٤٠٩.

(٢)أَحْمد بن مُحَمَّد بن مَنْصُور الجذامي الإسْكَنْدراني ابْن الْمُنير الْمُفَسّر الْعَلامَة نَاصِر الدّين أَبُو الْعَبَّاس، أحد الْأَئِمَّة المتبحرين فِي الْعُلُوم ، وَكَانَ الشَّيْخ عز الدّين بن عبد السَّلَام يَقُول إِن الديار المصرية تفتخر برجلَيْن فِي طرفها ابْن دَقِيق الْعِيد بقوص، وَابْن الْمُنير بالإسكندري، وَمن تصانيفه التَّفْسِير لِلْقُرْآنِ الْعَظِيم والانتصاف من الْكَشَّاف ولد فِي سنة عشْرين وسِتمائَة وَتُوفِّي سنة ثَلَاث وَثَمَانِينَ وستمِائَة بالاسكندرية. طباقات المفسرين للأدنه وي: ١/٢٥٢.

(٣) سبقت ترجمته رحمه الله.

(٤) حاشية ابن المنير على الكشاف ٢/٩٩.

ومن جميل ما قيل فيها:((أجمع المعاندون على أن طوق البشر قاصر عن الإتيان بمثل هذه الآية))[١]

وقيل فيها أيضاً:((لو فتش كلام العرب والعجم ما وجد فيه مثل هذه الآية على حسن نظمها، وبلاغة رصفها، واشتمال المعاني فيها))[٢]

وروي أن أعرابياً سمع هذه الآية فقال: ((هذا كلام القادرين))، ورام ابن المقفع[٣]أن يعارض القرآن فلما وصل إلى هذه الآية أمسك عن المعارضة وقال: ((هذا كلام لا يستطيع أحد من البشر أن يأتي بمثله))[٤]

وقال الإمام البقاعي[٥]:(نقل الأصبهاني عن صاحب المفتاح فيها كلاماً أغلى من الجوهر) [٦]

أما صاحب "بديع القرآن" فقال عنها:((ما رأيت، ولا رويت في الكلام المنثور، والشعر الموزون كآية من كتاب الله استخرجت منها أحداً وعشرين ضرباً من البديع، وعددها سبع عشرة لفظة.)) [٧]

وقيل فيها أيضاً:((قد أمر فيها، ونهى، وأخبر، ونادى، وسمى، وأهلك، وأبقى، وأسعد ،وأشقى، وقص من الأنباء ما لو شرح ما اندرج في هذه الجملة من بديع اللفظ، والبلاغة والإيجاز، والبيان لجفت الأقلام)) [٨].

ومما ورد من الأمور البيانية وأوجه التناسق البديع في هذه الآية ما يلي:

---

(١) الإتقان ٣/٢١٨.

(٢)الجامع لأحكام القرآن ٩/ ٤٠

(٣) عَبْدُ اللهِ بنُ المُقَفَّعِ، أَحَدُ البُلَغَاءِ وَالفُصَحَاءِ، وَرَأْسُ الكُتَّابِ، وَأُولِي الإِنشَاءِ، مِنْ نُظَرَاءِ عَبْدِ الحَمِيْدِ الكَاتِبِ وَكَانَ مِنْ مَجُوْسِ فَارِسٍ فَأَسلَمَ عَلَى يَدِ الأَمِيْرِ عِيْسَى عَمِّ السَّفَّاحِ، وَكَانَ ابْنُ المُقَفَّعِ يُتَّهَمُ بِالزَّنْدَقَةِ وَهُوَ الَّذِي عَرَّبَ كَلِيْلَةَ وَدِمْنَةَ. سير أعلام النبلاء:٦/٣٣٢، البداية والنهاية:١٠/١٠٢.

(٤) البحر المحيط ٦/٤٠٩

(٥) سبقت ترجمته رحمه الله.

(٦) ينظر: نظم الدرر٤/١٥٨، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح ٣/٥٥٨.

(٧)بديع القرآن: ابن أبي الإصبع المصري، تحقيق حنفي محمد شرف، نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٥٧م ،ص: ٤٣٠

(٨) الإتقان ٣/٢١٧.

١- أنه سبحانه بدأ بفعل القول (قيل)، والقول يقال لمن يسمع ويعقل.

ثم نادى، والمنادَى ينبغي أن يعلم أنه نودي لسماع شيء ما أو تبليغه بأمر، وذلك إذا لم يكن النداء مجازاً وإنما نودي لأمر ينبغي أن يسمعه أو يفعله.

ثم أمر على سبيل الحقيقة والاستعلاء وليس على سبيل المجاز، والمأمور ينبغي أن يكون عالماً بما أمر به وخاصة إذا كان الأمر طلب من المأمور أن يفعل ما أمره به.

وكل هذا يدل على أن الأرض والسماء سمعتا، وعقلتا، وأمتثلتا لما أمرتا به.

وكيف لا يكون ذلك منهما وهو فاطرهما، ومالكهما، والممسك بهما، وهو والمهيمن على كل شيء، وهو قيوم السموات والأرض.

جاء في (الكشاف): ((نداء الأرض والسماء بما ينادى به الحيوان والمميز على لفظ التخصيص والإقبال عليهما بالخطاب...

ثم أمرهما بما يؤمر به أهل التمييز والعقل من قوله (ابلعي ماءك وأقلعي) من الدلالة على الاقتدار العظيم وأن السماوات والأرض وهذه الأجرام العظام منقادة لتكوينه فيها ما يشاء، غير ممتنعة عليه كأنها عقلاء مميزون... ويفزعون من التوقف دون الامتثال له والترول على مشيئته من غير ريث)) (١).

وقد ورد في سورة فصلت خطاب العظمة والعزة منه -جل في علاه- للسماوات والأرض بعد خلقه لهما إذ قال:] ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ ´ µ ¶ ¸ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ Z فصلت.

وليس هذا نظير نداء، أو أمر لما لا يعقل، وإنما قيل تجوزا كقول الشاعر مخاطبا الليل:

ألا أيها الليل الطويل ألا انجل ... بصبح وما الإصباح منك بأمثل (٢)

وإنما القول، والنداء، والأمر في الآية كلهن على سبيل الحقيقة.

ولقد استجابت السماء والأرض للأمر، كل واحدة فيما يخصها، كما أمرهما مالكهما وما كان لهما أن تعصيان، فاستجابتا، وفعلتا كما يفعل العاقل عند تنفيذ ما أمر به.

---

(١) الكشاف ٢/٩٩.

(٢) من معلقة امرئي القيس ، انظر: جمهرة أشعار العرب ١/١٣٣

٢- أنه ومع أن النداء للأرض والسماء، وهما ما هما من الهول، والكبر، والعظمة، لم يذكر القائل، وإنما بنى فعل القول، وأظهر قوته، وسطوته تعالى، وإن لم يفصح عن ذاته فاستعمل (قيل) على سبيل التهوين فامتثلتا لأمره.[١]

٣- أنه ناداها بحرف النداء (يا) فقال (يا أرض) لدلالتها على بعد المنادَى، وهو اسلوب مظهر لمقام العظمة، و لم يرد في القرآن الكريم حرف نداء غيره.[٢]

وهذا النداء يدل على عظمة المنادي، إذ ناداها باسم الجنس] يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي Z .

وهو كما تقول لشخص – ولله المثل الأعلى- يا رجل افعل كذا، أو لا تفعل كذا.

٤- أنه تعالى جردها من كل وصف، أو إضافة، أو غير ذلك، مما قد يفيد تشريفها أو تكريمها، ومما يكون استعماله مظنة إرضائها، ليكون مدعاة امتثالها واستجابتها، فلم يقل مثلا: (يا أرضي) فيضيفها إلى نفسه فتشرف، أويا أرض الخير ويا سماء الخير والبركة، ولا يا أيتها الأرض المباركة، ولا أي وصف يشعر بالتكريم والتشريف، أو الاستمالة، إنه خطاب الملك القوي القادر.

كما إنه لم يقل (يا أيتها الأرض) فيتوصل إلى ندائها بـ(أيّ) لعلها كانت غافلة فتسمع آخر النداء إذ لا يمكن الغفلة عن أي أمر يصدر عن هذا المنادي.

٥- أن الآية مع عظم وهول ما جاء فيها فقد اتسمت بالإيجاز فقال (يا أرض) وهي أوجز من (يا أيتها الأرض).

ومن الإيجاز أيضاً قوله (ابلعي) فإنها أوجز من (ابتلعي).[٣]

٦- أنه قال (ابلعي) و لم يقل (ابتلعي) لأن ابتلع على وزن افتعل الذي يدل على التكلف والاجتهاد، وهو يحتاج إلى وقت أطول، وإنما قال (ابلعي) الذي هو أقصر بناءً وزماناً فتبلعه في أقصر وقت.

---

(١) ينظر بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح:٣/٥٥٨، التفسير البياني:٣/١٥٦.

(٢) ينظر بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح:٣/٥٦٠.

(٣) ينظر :روح المعاني ١٢/٦٥.

٧- أن في قوله (ماءك) أيضاً، بإضافة الماء إليها، يفيد أن الماء الذي يترل من السماء إنما هو للأرض، يترل إليها وينفذ في داخلها ويخرج منها على هيئة عيون وآبار فينتفع منه، فهو ماؤها سواء ما تفجر منها وما نزل إليها من السماء.

ثم إن ما يترل من السماء من ماء إنما هو ماء الأرض، لأن السحب إنما تتكون من البخار الذي يتصاعد من مياه الأرض بحارها، وأنهارها فهو على كل حال ماء الأرض.

جاء في بغية الإيضاح:((استعار لغَوْر الماء في الأرض البلع الذي هو إعمال الجاذبة في المطعوم بجامع الذهاب إلى مقر خفي، واستتبع ذلك تشبيه الماء بالغذاء على طريق الاستعارة بالكناية؛ لتقوي الأرض بالماء في الإنبات للزرع والأشجار، وجعل قرينة الاستعارة لفظ "ابلعي"؛ لكونه موضوعاً للاستعمال في الغذاء دون الماء....، ثم قال: "ماءك" بإضافة الماء إلى الأرض على سبيل المجاز؛ تشبيها لاتصال الماء بالأرض باتصال الملك بالمالك)) (١)

٨- أنه خص ذكر مفعول البلع وهو الماء فقال: ﴿ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ ﴾ لأن بلع الماء هو المقصود، و لم يحذف المفعول به فيقول (يا أرض ابلعي) وسكت، فيشمل كل ما عليها من أشجار وحيوان وغيرها.

جاء في (روح المعاني): ((وإنما لم يقل (ابلعي) بدون المفعول لئلا يستلزم تركه ما ليس بمراد من تعميم الابتلاع للجبال والتلال والبحار وساكنات الماء بأسرهن نظراً إلى مقام عظمة الآمر المهيب وكمال انقياد المأمور)) (٢)

٩- أن قوله: (ماءك) بالإفراد دون الجمع ((فيه من صورة الاستكثار المتأبي عنها مقام إظهار الكبرياء وهو الوجه في إفراد الأرض والسماء)) (٣)

١٠- مع أن هذا الماء هو أمر الله الذي لا عاصم منه في ذلك اليوم، إلا أنه لم يعبر عنه هنا بأمر الله، بل ذكره باسمه لأنه سبحانه هو الآمر هنا لهذا الجندي من جنوده

(١)بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح:٣/٥٥٩.

(٢) روح المعاني ١٢/٦٥-٦٦.

(٣) المصدر السابق ١٢/٦٥.

جاء في روح المعاني:((وعبر عنه بالماء بعد ما عبر عنه فيما سلف بأمر الله تعالى لأن المقام مقام النقص والتقليل لا مقام التفخيم والتهويل)) (١).

١١- أنه نادى السماء فقال لها (أقلعي) أي أمسكي وكفي، ولم يذكر عن ماذا تقلع لأنه معلوم وهو المطر وليس شيئا آخر، فلم يذكر متعلقاً لظهوره.

فذكر متعلق البلع في الأرض أنسب، وإطلاق الإمساك في السماء أنسب، وبه يتحقق الإيجاز، كما أن أقلعي متجانس في اللفظ مع ابلعي، وكل هذا من النسق البديع في الآية.

١٢- أنه استعار لحبس المطر الإقلاع فقال:(أقلعي) والإقلاع ترك الفاعل الفعل؛ للشبه بينهما في عدم ما كان كأن لم يكن، كما في الإقلاع من معنى التوقف حال الأمر دون تريث أو أناة.(٢)

١٣- ومن التناسق اللطيف كذلك أنه قدم أمر الأرض ببلع الماء، لأنه أهم لرسوِّ السفينة وهو غاية من عليها، فإنهم إن لم ترس سفينتهم فلن يخرجوا منها، كما إنه لو طال بهم الأمد عليها فقد يكون هلاكهم بها. وإن لم تبلع الأرض ماءها فلن ترسو السفينة، فقدم الأهم لسلامتهم، ثم إن الطوفان قد بدأ من الأرض من التنور فهي الأصل في هذا الأمر.

١٤- أنه قال] وَغِيضَ ٱلْمَآءُ Z أي ذهب وجف. وهذا أوضح شاهد على أن الأرض والسماء امتثلتا لأمر الآمر مباشرة وتم لنهايته بسرعة، وحصل المراد.

وهذا يدل على عظمة الآمر والأمر، فالخطب الجلل، يكون فيه أوامر وأمور صارمة.

وهكذا كانت الاستجابة على الفور فلم يقل: فبلعت الأرض ماءها وأمسكت السماء عن مطرها، فإن كل ذلك يدل عليه قوله:] وَغِيضَ ٱلْمَآءُ Z وهو من الإيجاز بمكان.

١٥- أنه بنى الفعل هنا للمجهول ولم يذكر الفاعل، تعظيماً للآمر، القائل، المنادي - عز وجل – وللإيجاز أيضاً.

ثم إنه لم يفصل فيقول مثلاً: (يا أرض ابلعي فبلعت)، (ويا سماء اقلعي فأقلعت) لأن مقام الكبرياء، وكمال الانقياد يغني عن ذكره.

---

(١)المصدر السابق ١٢/٦١.

(٢) ينظر بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح:٣/٥٥٩.

١٦- أنه قال بعد قوله:] وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ Z :] وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ Z أي الأمـــر الـــذي أراده سبحانه وحكم به بقوله:] A B C D Z وهو نجاة من نجا وإهلاك مـــن هلك. وبنى الفعل للمجهول تعظيماً لمن قضى الأمر. مع أن كل ذلك صدر عن آمر واحد وفاعل واحد.

١٧- أنه قال:] وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّ Z و لم يذكر الفاعل لأنه معلوم وهو السفينة.

و لم يبن الفعل لمجهول هنا كما سلف، وذلك لأن الجريان كان منـــسوباً إلى الـــسفينة وذلك قوله:] k l m n o p Z والحديث متصل عنها، فناسب أن يكون الاستواء منسوباً إليها أيضاً، ولو نسب الاستواء لهم لما كان لائقاً، إذ هـــي الـــتي استوت على الحقيقة، وهم الذين تحققت لهم النجاة باستوائها. جاء في (روح المعاني) : ((واختير (استوت) على (سُوّيت) أي أقرّت، مع كونه أنسب بأخواته المبنية للمفعول اعتباراً لكون الفعل المقابل للاستقرار أعني الجريان منسوباً إلى السفينة على صيغة المـــبني للفاعل أعني في قوله:] k l m Z مع أن (استوت) أخص من (سوّيت)))[١].

١٨- أن في قوله:] وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ Z دلالة على النجاة، والأمان، وهو متناسب مـــع الاستواء، الذي يدل على الاتزان والاستقرار، وكل ذلك ليترل ركاب الـــسفينة وهم آمنون.

١٩- ومن التناسق أنه قال:] وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ Z فبنى الفعل للمجهول في آخر المطاف عندما أغرقوا وهلكوا ،كما بناه أولاً عند حكمه بحلول الهلاك والعذاب علـــى الظالمين وذلك قوله:] â مُّغۡرَقُونَ Z هود: ٣٧.

٢٠- أن في بناء الفعل للمجهول وعدم ذكر فاعل معين، يجعل القول يشمل كل مـــن يمكن أن يصدر منه هذا الدعاء من الملائكة، أو أي عبد من عباد الله. جـــاء في البحر المحيط: ((والظاهر أن قوله:] وَقِيلَ بُعۡدٗاZ من قول الله تعالى كالأفعـــال

(١) روح المعاني ١٢/٦٦.

السابقة. وقيل: من قول نوح عليه السلام والمؤمنين، ويحتمل أن يكون من قول الملائكة))[1].

وجاء في (الكشاف): (( ] وَقِيلَ بُعۡدٗا Z... إذا أرادوا البعد البعيد من حيث الهلاك والموت ونحو ذلك... ومجيء إخباره على الفعل المبني للمفعول للدلالة على الجلال والكبرياء))[2]

٢١- أنه قال سبحانه:] لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ Z فوصفهم بالظلم هنا لأنه وصفهم بالظلم أولاً فقال:] وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ à â مُّغۡرَقُونَ Z هود: ٣٧. فاستحقوا بظلمهم الإغراق والابعاد. جاء في (فتح القدير): ((ووصفهم بالظلم للإشعار بأنه علة الهلاك وللإيماء إلى قوله:] وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ à â مُّغۡرَقُونَ Z))[3].

كما لم يقل (بُعدًا لهم) بل قال:] لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ Z فذكر الوصف الذي استحق به القوم العقوبة. وفي هذا تحذيرٌ ووعيد لكل ظالم.

٢٢- أنه جاء بـ:] بُعۡدٗا Z بالمصدر و لم يأت بالفعل، للدلالة على أن الحدث مطلق وغير مقيد بزمن، أو بفاعل، وللدلالة على الثبوت، فالدعاء بالبعد ملتصق بكل ظالم في كل زمان، ومن كل مبغض للظلم.

جاء في (روح المعاني): ((واختير المصدر أعني (بعداً) على (ليبعد القوم) طلباً لتأكيد معنى الفعل بالمصدر مع الاختصار في العبارة... مع فائدة أخرى هي الدلالة على استحقاق الهلاك بذكر اللام.

وإطلاق الظلم عن مقيداته في مقام المبالغة يفيد تناول كل نوع فيدخل فيه ظلمهم لأنفسهم لزيادة التنبيه على فظاعة سوء اختيارهم في التكذيب من حيث إن تكذيبهم للرسل ظلم على أنفسهم لأن ضرره يعود إليهم...

وأما من حيث النظر إلى ترتيب الجمل: فذلك أنه قدم النداء على الأمر...

---

(١) البحر المحيط ٥/٢٢٩.

(٢) الكشاف ٢/٩٩.

(٣) فتح القدير ٢/٤٧٧.

ثم قدم أمر الأرض على أمر السماء لكونها الأصل نظراً إلى كون ابتداء الطوفان منها حيث فار تنورها أولاً...

ثم جعل قوله سبحانه:] وَغِيضَ ٱلْمَآءُ Z تابعاً لأمر الأرض والسماء...

ثم إنه تعالى أتبع غيض الماء ما هو المقصود الأصلي من القصة وهو قوله جلت عظمته] وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ Z ثم أتبع ذكر المقصود حديث السفينة لتأخره عنه في الوجود)) (١).

وجاء في (الإتقان) عن هذا نسق هذه الآية الكريمة أن: ((جمله معطوف بعضها على بعض بواو النسق على الترتيب الذي تقتضيه البلاغة من الابتداء بالأهم الذي هو انحسار الماء عن الأرض المتوقف عليه غاية مطلوب أهل السفينة من الإطلاق من سجنها، ثم انقطاع مادة السماء المتوقف عليه تمام ذلك من دفع أذاه بعد الخروج ومنع اختلاف ما كان بالأرض، ثم الإخبار بذهاب الماء بعد انقطاع المادتين الذي هو متأخر عنه قطعا، ثم بقضاء الأمر الذي هو هلاك من قدر هلاكه، ونجاة من سبق نجاته وأخر عما قبله لأن علم ذلك لأهل السفينة بعد خروجهم منها وخروجهم موقوف على ما تقدم.

ثم أخبر باستواء السفينة واستقرارها المفيد ذهاب الخوف وحصول الأمن من الاضطراب، ثم ختم بالدعاء على الظالمين لإفادة أن الغرق وإن عم الأرض فلم يشمل إلا من استق العذاب لظلمه)) (٢).

ومما يحسن الالتفات له في الآية الكريمة جانب الإيجاز، مع جميل التناسق وبديعه، فقد جاءت في غاية الإيجاز، مع ما اشتملت عليه من جليل المعاني، ما يدل على هيبة الموقف وعظمة المالك العظيم، وقدرته جل وعلا ، فإنه لم يذكر إلا ما لا بد من ذكره.

ومن أوجه الإيجاز فيها:

١- أنه قال:] وَقِيلَ Z فبنى الفعل للمجهول وحذف الفاعل وذلك للتعظيم كما أسلفت.

٢- وقال:] يَٰٓأَرْضُ Z ولم يقل (يا أيتها الأرض). وذلك أوجز كما هو ظاهر.

(١) روح المعاني ١٢/٦٦-٦٧.

(٢) الإتقان ٣/٣٩٥.

٣- وقال:] ٱبۡلَعِي Z و لم يقل (ابتلعي)، وابلعي أوجز.

٤- وقال:] مَآءَكِ Z و لم يقل (مياهك).

٥- وقال:] وَيَٰسَمَآءُ Z و لم يقل (يا أيتها السماء).

٦- وقال:] أَقۡلِعِي Z و لم يذكر متعلقاً.

٧- وقال:] وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ Z فبنى الفعل للمجهول و لم يذكر الفاعل.

٨- وقال:] وَغِيضَ Z الثلاثي و لم يقل (غيّض) الرباعي، لكونه أخصر.

٩- وقال:] ٱلۡمَآءُ Z و لم يقل (ماء طوفان السماء) أو ما شابهه مما قد يمله السامع.

١٠- وقال:] وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ Z فبنى الفعل للمجهول و لم يذكر الفاعل وهو أبلغ.

١١- وقوله:] وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ Z معبر عن كل ما حدث بــ(الأمر) مع ما فيه من أحداث ومشاهد متعددة.

١٢- وقال:] وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّ Z فلم يذكر الفاعل وإنما ستره.

١٣- وقال:] وَقِيلَ بُعۡدٗا Z فبنى الفعل للمجهول و لم يذكر الفاعل.

١٤- وقال:] بُعۡدٗا Z فذكر المصدر و لم يذكر الفعل الذي يقتضي زمناً وفاعلاً، فهي بمنزلة "ليبعدوا بعدا". (١)

فكل لفظ في الآية الكريمة دال على مراد عظيم مع إيجازه وكمال بيانه للمراد.

ولقد أورد صاحب بغية الإيضاح تعليقاً لطيفاً على هذه الآية الكريمة فقال: ((وأما النظر فيها من جانب الفصاحة المعنوية فهي -كما ترى- نَظْم للمعاني لطيف، وتأدية لها ملخّصة مبينة، لا تعقيد يُعْثِر الفكر في طلب المراد، ولا التواء يُشيك الطريق إلى المرتاد، بل ألفاظها تُسابق معانيها، ومعانيها تُسابق ألفاظها.

وأما النظر فيها من جانب الفصاحة اللفظية؛ فألفاظها على ما ترى عربية مستعملة، جارية على قوانين اللغة، سليمة عن التنافر، بعيدة عن البشاعة، عذبة

(١) ينظر: روح المعاني: ٦٦/١٢، بغية الإيضاح:٥٦١/٣.

على العذَبات، سَلِسَة على الأسَلات، كل منها كالماء في السلاسة، وكالعسل في الحلاوة، وكالنسيم في الرقة، والله أعلم.)) [١]

(١) بغية الإيضاح:٣/٥٦١ ومابعدها.

قوله تعالى:] وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ ! " # $ % & (') (* + , - . / لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ : Z هود: ٤٥ - ٤٦

ذكر الله تعالى فيما سبق نداء نوح عليه السلام لابنه فقال:] q r s t u v w x y Z هود: ٤٢ فاستعمل فعل النداء وحده (نادى) ولم يستعمل معه فعل القول فلم يقل (ونادى نوح ابنه فقال يا بني) فهو خطاب الأب لابنه وهو مشفق عليه .

أما هنا فقال:] وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي Z فاستعمل فعل القول (فقال) إضافة إلى الفعل (نادى) ذلك أن هذا الموقف أهم من الأول فإنه حصل بعد غرق ابنه وذلك حين أدركته عاطفة الأب وتملكه الحزن لغرقه، وفيه ما فيه من الذل والتضرع المطلوب عند طلب الرب الجليل.

إضافة إلى ما سبق فقد جاء التناسق في الآية من أكثر من جهة ومن ذلك ما يلي:

١- أنه جمع لفظ القول مع ما فيه معنى القول وهو: (نادى) ولفظ القول هو:(فقال) كما أنه فصل بعد الإجمال، وكلاهما يفيد المبالغة والاهتمام.(١)

٢- أنه قال:] وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ Z فذكر لفظ الرب ولم يذكر غيره من أسماء الله الحسنى ذلك أنه لم يستعمل فعل المناداة في القرآن الكريم إلا مع الرب دون بقية أسمائه سواء كان النداء من العبد لربه، أو من الرب للعبد، ومثال الأول نحو قوله:] (* + , - Z مريم: ٣ وقوله:] وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ Z الأنبياء: ٨٣ وقوله:] وَزَكَرِيَّآ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ Z الأنبياء: ٨٩.

ومن عادة القرآن كذلك أنه إذا كانت المناداة من الله فإنه يسند الفعل إلى لفظ الرب فقط، وذلك نحو قوله:] وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا عَن تِلۡكُمَا ٱلشَّجَرَةِ Z الأعراف: ٢٢

وقوله:] l m n o p q r s Z الشعراء: ١٠

وقوله:] هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿١٥﴾ ! " # $ % & Z النازعات: ١٥ - ١٦

(١)معاني النحو٢/٧٥٧ ، حاشية الصبان ٢/١٩٥.

وهو المناسب فإن العبد إذا احتاج شيئاً طلبه من ربه فهو المربي، والقائم على أموره.
كما أن هذا الاختيار القرآني متزل على الدعاء أيضاً. فإنه لم يرد في القرآن إلا مع لفظ الرب وذلك نحو قوله:] رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا Z طه: ١١٤ وقوله: [s t u v w x y z { | Z الآية .الفرقان: ٧٤ وقوله:] رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّـٰلِحِينَ Z الشعراء: ٨٣.

ولم يرد الدعاء بغير لفظ الرب إلا في موطن واحد وهو قوله:] وَإِذْ قَالُواْ © إِن كَانَ هَـٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا ´ µ ¶ ¸ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ Z الأنفال: ٣٢

لأنه لا يناسب أن يطلب الرب العذاب فيقولون مثلاً: (ربنا أمطر علينا حجـــارة....) لأن الرب هو الذي يهدي وهو الذي يولي العناية بخلقه، وهو اللطيف الرحيم بهم، فالمناسب إذا جاؤا بلفظ الرب أن يطلبوا هدايته، وعنايته ولطفه، لا أن يطلبوا عذابه فيقال مثلاً :(ربنا إن كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا إليه واشرح صدورنا له) ونحوه، فلما كان الدعاء بطلب العذاب لم يصح أن يطلبوا ذلك من ربهم الذي هو متولي أمرهم والقائم بما يصلحهم ويدفع الشرور عنهم.

ومن طريف ما يروى في حسن الرد أن معاوية[١] رضي الله عنه قال لرجل من أهل اليمن: ما أجهـــل قومك حيث قالوا:] h i j k Z سبأ: ١٩، وحيث ملكوا أمرهم امرأة؟ ! فقـــال: أجهل من قومي قومك، حيث قالوا حين دعـــاهم الـــنبي ﷺ:] © إِن كَانَ هَـٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا ´ µ ¶ ¸ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ Z الأنفال: ٣٢ ، ألا قالوا: إن كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا له؟ ! فحاجه بذلك.[٢]

(١)سبقت ترجمته رضي الله عنه.

(٢)نقل هذه القصة عدد من المفسرين ومنهم الواحدي والزمخشري.

وجميع المفسرين على أن هذا من قول النضر بن الحارث قاتله الله، وروي في الصحيحين أن هذا من قول أبي جهل لعنه الله، وجاء في عمدة القاري الجمع بينهما وأن القول ليس لواحد بل هو لجمع من الملأ.(١)

و لم يرد الدعاء بلفظ (اللهم) وحده في غير هذا الموطن.

وأما ما ورد في المائدة بقولـه سـبحانه:] ! " # $ % & ' ( ) * + Z المائدة: ١١٤ فإنه جمع عليه السلام ذكر الرب مع قوله (اللهم) فقال:] % & Z .

وأما ما قال في أصحاب الجنة:] I J K L M N O Z يونس: ١٠.

فليس في قولهم هذا دعاء بشيء ولا طلب حاجة مما يستخدم في الحياة الدنيا وإنما هو حـال أهل الجنة باستدعائهم ما يشتهون، فإنهم إذا اشتهوا شيئاً دعوا بالتسبيح فتحقق لهم.(٢)

٣-أنه جاء بالفاء قبل فعل القول (قال) عند قوله:] وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ Z وهذه الفـاء أفادت الترتيب، وهي تفيد التفصيل بعد الإجمال كذلك، وذلك أن تذكر المعنى مجمـلاً أولاً ثم تفصله بعد، وهو مفيد هنا لوصف المشهد بترتيبه، وللإشارة إلى عجلة ولهف نوح بالنداء لربه، ثم بيان ما دعا به لما تقتضيه الحكمة والمصلحة. ومثاله قولـه تعـالى:] A B C D E F G H I J Z الأعراف: ٤ فذكر الإهلاك على العموم وفصله فيما بعد.

ونحوه أيضاً قوله:] وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى Z فإن قوله:] فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى Z تفصيل للنداء(٣).

وفي هذا وذاك بيان للحال الذي كان عليه نوح عليه السلام على أكمل وجه.

(١)ينظر: صحيح البخاري: كتاب بدء الوحي ، باب قوله تعالى: {وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا .....}،٦/٧٧،ومسلم:باب قوله تعالى: {وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا .....}،٨/١٢٩،عمدة القاري للعيني:١٨/٢٤٨،التفسير الوسيط للواحدي، ٢/٤٥٦.

(٢)ينظر تفسير الطبري ١٥/٣٠، نكت وتنبيهات في تفسير القرآن للبسيلي٢/٤٢٢.

(٣) ينظر: معاني النحو ٣/٢٢٥ .

٣- أنه قال:] رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى Z بحذف حرف النداء (يا) وذلك ليصل إلى مراده عليه السلام بأقصر سبيل، وهو مفيد لعدم ضياع الوقت إذ يكاد يغرق الابن أمامه والموج سيحول بينهما في أي لحظة، فهو نداء ملهوف لعله يجد سبيلاً فيدركه وينقذه قبل فوات الأوان ، مع ما في حذفه من الاستعطاف والانكسار المعلوم الذي يكون مظنة القبول.

ومن المكرر في القرآن أنه يحذف حرف النداء في كلمة (رب) -وذلك في الغالب- فقد ورد مثلاً على لسان يوسف عليه السلام:] رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ´ Z يوسف: ١٠١ ، وقال على لسان زكريا عليه السلام:] ' ( ) * + , - Z آل عمران: ٣٨

ولم يذكر حرف النداء في نداء الرب سبحانه ،على كثرة ما ورد إلا في موطنين وهما قوله:] وَقَالَ © يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا Z الفرقان: ٣٠ .

وقوله:] وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ Z الزخرف: ٨٨

وذلك أن حال الرسول ﷺ حال ضيق في صدره من قومه وكفرهم وقد أخبر عنه سبحانه بقوله:] C D E F G H I Z الحجر: ٩٧ فمد صوته بنداء ربه ونادى نداء الملح عله أن يخفف عنه ما يجده في نفسه من الضيق والكرب.

ومن ناحية أخرى فإن ذكر حرف النداء هو المناسب للسياق في الموطنين.

ففي آية الفرقان ناسب ذكر (يا) سياق ما ورد من عذاب أهل النار ومدهم الصوت بالندم وذلك قوله:] g h i j k l m n o p q r s t u v w x Z الفرقان: ٢٧ - ٢٨ فناسب مدهم الصوت بالندم في الآخرة مد صوت الرسول ﷺ بنداء ربه لما فعلوا به في الدنيا من ضيق وأذى. فالرسول ﷺ قال في الدنيا:] يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا Z.

وهم يقولون في الآخرة:] m n o p q r s t u v w x Z بذكر (يآ) المدية في الموطنين.

وكذا السياق في آية سورة الزخرف، فإن مد صوت الرسول ﷺ بالنداء متناسق مع مناداة أهل النار مالكاً في الآخرة، مستصرخين بياء النداء أن يقضي عليهم ربه، كما أخبر عنهم سبحانه قائلاً:] وَنَادَوْا۟ يَـٰمَـٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا : ; > = > Z الزخرف: ٧٧

وهذا مناسب أيضاً لإيذائهم رسولهم ﷺ في الدنيا، فإنه مد صوته منادياً ربه قائلاً:] يَـٰرَبِّ إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ Z الزخرف: ٨٨.

فقال له ربه:] فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَـٰمٌ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ Z الزخرف: ٨٩ .

فالرسول ﷺ نادى ربه في الدنيا قائلاً: يا رب إن هؤلاء لا يؤمنون، وهم في الآخرة ينادون مالكاً قائلين: يا مالك ليقض علينا ربك.

وهذا من ألطف، وأدق التناسق، والتناسب، في اللفظ والتعبير (١)

٤ - أنه قال :] رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ Z وفي العناية باختيار الألفاظ في الآية أدب جم، وتعظيم لقدر الخالق، وهو حال العارفين بالله، وبهذا الهدي لابد للخلق أن يقتدوا ،فإنه أشار إلى ما وعده به ربه -سبحانه- من نجاة أهله و لم يصرح بذلك تأدباً معه، مستفهماً علَّ شيئاً غاب عنه، أو جهله ،فإنه لم يقل مثلاً(قد وعدتني بنجاة أهلي فكيف تغرق ابني وهو منهم ؟).

ومن أدبه في الطلب عليه السلام قوله:] وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ Z ولم يقل (وما وعدتني به الحق) فأخرج وعده مخرج العموم، فكل ما يعد به الله تعالى هو الحق، فدخل فيه ما وعده بنجاة أهله (٢).

ومن كمال أدبه في الطلب عليه السلام أيضاً قوله:] وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ Z ولم يقل (إن وعدك حق) بل جعل وعده هو الحق حصراً فهو واقع حتماً لا يمكن أن يتخلف أو يتغير، وهو بهذه العبارة يستنجز ربه ما وعده.

---

(١)ينظر التفسير البياني ١٦٨/٣.

(٢) ينظر :روح المعاني ٦٨/١٢.

وقوله:] وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ Z أي كل وعد تعده فهو الحق الثابت الــذي لا شــك في إنجازه والوفاء به، وقد أخبر سبحانه عن نفسه بذلك فقال:] إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ Z آل عمران: ٩

٥ -أنه ختم الآية بقوله قوله:] وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ Z وهو أنسب خاتمة لما ساور نفــس نوح مما حصل معه، إذ وعده ربه بشيء-وهو نجاة أهله- ثم رأى تحتم مهلك ابنه، وعدم نجاته، فعجب مع يقينه بربه، فأحكم الحاكمين لا يعد وعداً فيخلفه، ولا يهلك مستحقاً للنجاة، ولا يغيب عن حكمته أي مصلحة، أو مفسدة محتملة، لا يقوم أي فعــل مــن أفعاله إلا بحكمة بالغة.

كما يجوز أن يكون ذلك من الحكم وهو القضاء.

فهذا الوصف الذي اختاره عليه السلام جمع عدة معانٍ: (أقضى القضاة) و(أحكــم القــضاة) و (أقضى الحكماء) و(أكثرهم حكمة) فجمع التعبير عدة معانٍ كلها مرادة ومناسبة للموقف.

جاء في (الكشاف): (( ] وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ Z أي أعلم الحكام وأعدلهم لأنــه لا فــضل لحاكم على غيره إلا بالعلم والعدل... ويجوز أن يكون من الحكمة حاكم بمعنى النسبة))[1].

قوله تعالى:] ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ : Z هود: ٤٦

هذا هو الجواب لنوح عليه السلام من ربه تعالى رداً على استفهامه ودعائه ، وجاء فيه بيان ما آل إليه حال هذا الابن ، أي فاعلم أنه على الحقيقة ليس من أهلك، ذلك أن الكفر قطع نــسبه بك، فصار غير مستحق لقرابتك، وبين له علة ذلك قــائلا:] ( ) * + , Z كمــا أخبره عن ابنه بالمصدر وذلك للمبالغة فإن الشخص إذا كان مكثراً من أمر ملازماً له مبالغاً فيه فإنه يوصف، و يخبر عنه به، ويصبح وصف ملتصق به، فيقال مثلاً: هو رجل قيــام أو كذب ونحوه.

(١) الكشاف ٢/١٠٠.

وكأنه يخبره بأن ابنه قد تحول إلى كتلة عمل غير صالحة ، فاسدة، كمن مرض مرضاً لا يرجى برؤه، وذلك لتطيب نفسه عن التطلع لتحوله ، فهو كما أخبره عن قومه أنه لن يؤمن منهم أحد بعد ذلك، أخبره عن قدر هذا الابن.

وجاء في تفسير الرازي(١): ((إن الرجل إذا كثر عمله وإحسانه يقال له: إنه علم وكرم وجود. فكذا ههنا لما كثر إقدام ابن نوح على الأعمال الباطلة حكم عليه بأنه في نفسه عمل باطل))(٢).

وقد تؤول الآية بأنه ليس من أهله الذين وعده الله بنجاتهم، فإن الموعودون بالنجاة منهم أهل الإيمان فقط، أما من كفر منهم فلم تنفعه قرابته، وابنه ممن سبق عليهم القول بالكفر والشقاء ،ولذا استثنى من أهله، كما أن قوله :]) (* + ، Z يحتمل معنى ما سبق، وهو أن سؤالك النجاة له وهو على هذه الحال عمل غير صالح من مثلك إذ كيف تشفع لمصر على الكفر، كما هو ظاهر.

ومن أوجه التناسق في الآية الكريمة ما يلي:

١- أنه قال:] - . / لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌ Z ويظهر في هذه الجملة وجه لطيف في التناسق، حيث حذف ياء المتكلم في الرسم وأشار إليها بالكسرة فلم يقل (تسألني) بل اكتفى بـ(تسألنِ).

وذلك أن نوحاً عليه السلام كما أشار إلى الطلب في نجاة ابنه ولم يصرح به أدباً منه، فقد نبهه ربه هنا بالإشارة بالكسرة إلى ياء المتكلم دون رسمها خطًّا تلطفاً معه.

وقد يقال: ولكنه قال في سورة الكهف في شأن موسى عليه السلام والرجل الصالح:

] قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعۡتَنِي فَلَا تَسۡـَٔلۡنِي © شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ أُحۡدِثَ لَكَ مِنۡهُ ذِكۡرٗا Z الكهف: ٧٠ فقال (فلا تسألني) برسم الياء، فما الفرق؟

والجواب: أن السؤالين مختلفين، فالسؤال الذي خوطب به نوح عليه السلام معناه الطلب أي لا تطلب مني ما ليس لك به علم.

---

(١)سبقت ترجمته رحمه الله.

(٢) تفسير الرازي ٦/٣٥٧، وانظر تفسير البيضاوي ٢٩٧.

أما السؤال الذي خوطب به موسى عليه السلام فمعناه الاستفهام أي لا تستفهم ولا تستفسر عن شيء حتى أبينه لك.

والاستفهام والسؤال يحتاج إلى إيضاح وشرح أكثر مما يحتاجه طلب الحاجة أو طلب شـــيء من الأشياء.

فطالب الحاجة إما أن يجاب بالإيجاب أو بالرفض.

وأما المستفهِم فلا بد أن يبين له الأمر حتى يعيه.

ثم إن السؤال الذي نهي عنه نوح عليه السلام إنما هو إشارة إلى طلب معين وهو نجاة ابنه.

وأما الذي نهي عنه موسى فإنه غير معين، وعلى الأرجح أن أسئلته ستتعدد بحسب الحوادث التي سيستقبلها.

فلما كان السؤال في قصة نوح عليه السلام لأمر واحد حذف الياء لقلة الأسئلة.

ولما كان السؤال في قصة موسى غير محدد ويحتمل التعدد ذكر الياء لأنه سيواجه المـــسؤول أكثر من مرة. فاختصر في السؤال الواحد بحذف الياء واكتفى بالكسر.

وأعطى اللفظ كله في احتمال التعدد.

وقد قيل إن الياء كسرتان فاكتفى بكسرة واحدة في الطلب الواحد.

وجاء بما هو أطول وأكثر في احتمال التعدد.

فناسب كل تعبير موضعه الذي ورد فيه بالزيادة أو الاقتصار. (١)

قال بن عطية رحمه الله:((السؤال الذي وقع النهي عليه، والاستعاذة، والاستغفار منه هو سؤال العزم الذي معه محاجة وطلبة ملحة فيما قد حجب وجه الحكمة فيه وأما السؤال في الأمور على جهة التعلم والاسترشاد فغير داخل في هذا.)) (٢)

قوله تعـــالى:] < = > ? @A B C D E F G I J K L
M N O Z هود: ٤٧

---

(١) ينظر : المحرر الوجيز: ٣/١٧٨، التفسير البياني: ٣/١٧١.

(٢) المحرر الوجيز: ٣/١٧٨.

هذا هو رد نبي الله نوحﷺ بعدما نهاه ربه عن سؤاله نجاة ذلك الابن الهالك، وإخباره له بأنه بكفره قد انسلخ من قرابته له، ردَّ رد العبد الصالح المنقاد لأمر ربه، الموقن بحكمته البالغة، المعترف بقصور علمه مع علم ربه، المنيب بالاستغفار وطلب الرحمة من الغفور الرحيم، العالم بأن مخالف أمر الله خاسر خسراناً مبيناً.

ومن أوجه التناسق في الآية الكريمة ما يلي:

١- أنه قال:] < ? @ A B C D E F G Z ولم يقل (إني أعوذ بك من ذلك) لئلا يفهم أن الاستعاذة من ذلك السؤال الذي سأله نوح ﷺ لربه حصراً، وإنما قال ما قال ليشمل كل سؤال في المستقبل مما ليس له به علم.

وقد عاد نبينا ﷺ رجلاً من المسلمين قد خفت فصار مثل الفرخ فقال له رسول الله ﷺ (هل كنت تدعو بشيء أو تسأله إياه قال نعم كنت أقول اللهم ما كنت معاقبي في الآخرة فعجله لي في الدنيا فقال رسول الله ﷺسبحان الله لا تطيقه أو لا تستطيعه ألا قلت اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار قال فدعا الله له فشفاه) (١) فهذا الحديث وأمثاله دال على أن العبد ينبغي له أن يتخير ألفاظ دعائه ويدعوا ربه بما علم خيره، وأفضله وأكمله ما جاء به القرآن، وما ثبت عن النبي ﷺ ويجتنب كل دعاء فيه تعد، أو اثم، أو قطيعة رحم، أو دعاء على النفس أو الأهل والولد وما شابهه، ويستعيذ بالله من أن يسأل الله ما ليس له به علم اقتداءً بنبي الله نوحﷺ.

٢- أنه قال:] ? @ A B Z ولم يقل (سأفعل ذلك)أو (معلوم لدي ذلك) وغيره، وهنا نرى أدباً آخر من نوح ﷺ مع ربه، فبعد أن أحسن التأدب في الطلب، فإنه يحسن الاعتذار هنا، ويلتجئ إلى ربه ويحترز به، ليقيه الزلل، والتعدي في الدعاء، ويصرفه عن نحو هذا السؤال الذي قد لا يكون جائزاً له، أو لائق به فيخسر .

فهو إعلان لضعفه وحاجته لله، وعدم الاعتداد بنفسه من غير إعانة الله له. وذلك في غاية الكمال وحسن الالتجاء إلى الله والأدب معه سبحانه . جاء في (روح المعاني): ((ولم يقل

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: باب كرهة الدعاء بتعجيل العقوبة برقم:٢٦٨٨، ٤/٢٠٦٨.

أعوذ بك منه أو من ذلك مبالغة في التوبة وإظهاراً للرغبة والنشاط فيها تبركاً بذكر ما لقنه الله تعالى.

وهو أبلغ من أن يقول (أتوب إليك أن أسألك) لما فيه من الدلالة على كون ذلك أمراً هائلاً محذوراً لا محيص منه إلا بالعوذ بالله تعالى، وأن قدرته عليه السلام قاصرة من النجاة من المكاره إلا بذلك)) [1].

٣- أنه قال:] I J K L M N O Z وعند سماع هذا يظن أنه وقع في معصية، فهو هنا عليه السلام يطلب المغفرة والرحمة. فهل يدل هذا على أنه وقع في معصية فعلاً ؟

والجواب: لا، لأن طلب المغفرة لا يدل على وقوع صاحبها في المعصية حتماً، بل قد يسأل المسلم المغفرة والتوبة وإن لم يكن قد أذنب ذنباً ظاهراً يعلمه.

فقد سأل الأنبياء عليهم السلام لأنفسهم المغفرة، في كل أحوالهم، فقال إبراهيم عليه السلام:

] رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ Z إبراهيم: ٤١ .

كما قال نوح عليه السلام :] رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ à تَبَارًا Z نوح: ٢٨.

وقال موسى عليه السلام :] M N O P Q R S U V W Z

الأعراف: ١٥١ وغير ذلك وغيره.

وأمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم أن يستغفر ولم يصدر منه ذنب فقال:] [\ ] ^ _

` a Z غافر: ٥٥

وقال:] O P Q R T U V W Z النصر: ١ - ٣

و المسلم يتوب إلى الله سواء أذنب أم لم يذنب.

وذلك لأن الله سبحانه يحب التوابين. قال تعالى:] إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ Z البقرة: ٢٢٢

وهوكذلك يستغفر ويتوب اعترافاً منه بالتقصير في جنب الله.

(١) روح المعاني ١٢/٧١.

وقد وصف الله المؤمنين بأنهم تائبون فقال:

[! " # $ % & '

( ) * + , - . وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ Z التوبة: ١١٢

والتوبة من الذنب أولى وأوجب.

وقد أمر الله المؤمنين جميعاً بالتوبة طائعهم ومذنبهم فقال:] وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ Z النور: ٣١

وقد أخبر الله أنه تاب على النبي ﷺ مع أنه لم يأت بذنب وأخبر أنه تاب على المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم فقال:] © تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي ´ µ Z التوبة: ١١٧.

ومما يتأسى به من حال نبينا ﷺ أنه كان يستغفر في المجلس الواحد مائة مرة يقول: "رب اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الرحيم". (١)

ولاريب أن مجلسه ﷺ مجلس علم وطاعة ومع هذا كان يطلب ربه المغفرة والتوبة.

وبهذا يتبين أن نوحاً عليه السلام طلب المغفرة والرحمة لا لذنب ظاهر وقع فيه، بل تسليماً منه لأمر الله، واعتذاراً منه لربه أن يكون سأله ما ليس له به علم، وهومن كمال أدبه وحسن عبوديته.

قوله تعالى:] Q R S T U V W X Y Z [ ] ^ _ ` a b c Z هود: ٤٨

إن قوله سبحانه:] R S T U Z

بعد قول نوح عليه السلام:] I J K L M N O Z

(١)الحديث إسناده صحيح، ورجاله رجال مسلم، وأخرجه ابن أبي شيبة ٢٩٧/١٠، وأحمد ٢١/٢، والبخاري في "الأدب المفرد" (٦١٨) ، والبغوي (١٢٨٩) ، وأبو داود (١٥١٦) في الصلاة: باب في الاستغفار، من طريق أبي أسامة، والترمذي (٣٤٣٤) في الدعوات، وابن ماجة (٣٨١٤) في الأدب، و أحمد ٦٧/٢، والنسائي في "عمل اليوم والليلة" (٤٥٩)، وأخرجه النسائي (٤٦٠) من طريق شعبه،وابن حبان(٩٢٧) باب ذكر وصف الاستغفار،٢٠٦/٣

فيه مناسبة لطيفة فإنه لما طلب المغفرة قيل له اهبط بسلام.

فحين بشره بالسلامة والأمان والبركات عليه دل على مغفرته له ورحمته إياه.

جاء في (البحر المحيط): (([S T U Z والباء للحال أي مصحوباً بسلامةٍ وأمـــنٍ وبركات وهي الخيرات النامية في كل الجهات. ويجوز أن يكون السلام بمعنى التـــسليم أي اهبط مسلّما عليك مكرما...

وبشر بالسلامة إيذاناً له بمغفرة ربه له ورحمته إياه وبإقامته في الأرض آمنـــا مـــن الآفـــات الدنيوية)) [١].

ومن التناسق والتناسب في الآية الكريمة ما يلي:

١- أنه استعمل هنا (قيل) ببناء الفعل للمجهول، وقال فيما قبلها:] ! " # $ % & Z بالبناء للمعلوم ، وذلك أنه في الآية السابقة أي قوله:] ! " # $ % & Zذكر حكماً شرعياً ،كما بين أهل العلم، والحكم الشرعي إنما هو لله وحده حصراً، ولا يجوز أن يكون ذلك لغيره.

وأما هذه الآية فإنها أمر بالهبوط من السفينة إلى الأرض وهو يصح من كل قائل، وهو مـــن الأمور التي قد يوكل الله بها ملائكته لنقل الأمر لا غير، وقد قيل إن القائل ههنا أي في قوله: [Q R S T Z هم الملائكة [٢].

والظاهر أن هذا القول صادرٌ عن الله سبحانه بقرينة قوله :] T U Z وقوله:] [^ Z ولذا فرق بين القولين.

ثم إنَّ استعمال (قالَ) يناسب القوة، والعلو، وظهور الهيمنة في الخطاب لمن أخطأ الفهم أو ما شابه، وهي تناسب (فلا تسألنِ)،وأما (قيل) على سبيل التضعيف فلا تناسب هذا الموقـــف، ولا تؤدي هذه المعاني.

لكنها أي (قيل) جاءت مناسبة لحديث الرحمة والبشارة بالهبوط، فهي تشير إلى أن الهبـــوط ليس أمراً يجب عليه تنفيذه كما في:(فلا تسألنِ)، وإنما هو إخبار بالبشرى وما سيحدث.

---

(١) البحر المحيط ٥/٢٣١.

(٢) انظر البحر المحيط ٥/٢٣١، روح المعاني ١٢/٧٢.

٢- أن في اختيار (قيل) دلالة على أن حصول الهبوط والسلام لنوح عليه السلام ومن معه وعودة الحياة للأمان والبركة والخير والسعة بعد الكارثة، والإغراق العام للأرض إنما هو أمر هين يسير لا يؤود العلي العظيم.

٣- أن مما يدعو إلى البناء للمعلوم في الآية السابقة أنه نادى ربه قائلا:] رَبِّ إِنَّ ٱبْنِي مِنْ أَهْلِي Z فكان من المناسب أن يجيبه ربه لا أن يبني للمجهول فيتوهم وجود واسطة.

كما أن ربه تعالى قال له:] - . / لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ Z فذكر نهيه المباشر سبحانه لنوح عليه السلام.

وقال أيضاً:] إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ : Z فذكر وعظه المباشر لنوح عليه السلام.

فناسب كل ذلك أن يقول (قال) لا (قيل)، أما هنا فلم يرد أي من هذه الأمور.

٤- أنه قال هنا:] T U Z فذكر أن السلام منه، في حين أنه قال في سورة الحجر مخاطباً أصحاب الجنة:] ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ Z الحجر: ٤٦ وقال:] è é ë يَوْمُ ٱلْخُلُودِ Z ق: ٣٤ ولم يقل (منا) وذلك لأنه القائل هناك معلوم من السياق وهو الله سبحانه.

ففي سياق آية الحجر كان الحوار بين الله سبحانه، وإبليس فإنه قال سبحانه:] j k l m n o p q r s t Z الحجر: ٤٢ ثم يستمر الكلام فيقول:] إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ © ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم ´ µ ¶ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾ Z الحجر: ٤٥ - ٤٧ فلا يحتاج إلى ذكر جهة السلام.

وورد نحو من ذلك في سورة (ق) أيضاً.

ثم إن السلام على أهل الجنة ليس من جهة واحدة، فإن الملائكة تحييهم إضافة إلى تحية رب العزة قائلاً:] سَلَٰمٌ قَوْلًا : ; > Z يس: ٥٨ والملائكة يحيونهم قائلين:] µ ¶ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ Z الزمر: ٧٣.] n o p q s t u Z الرعد: ٢٤

كما أن أصحاب الأعراف يحيونهم كما ورد في قوله تعالى:] U V W X Y Z |

\ [^ _ Z الأعراف: ٤٦

فلما بين جهة السلام في آية هود بقوله: (مِنَّا) علم من هو القائل وهو الله، ولو لم يقل (مِنَّا) لم يعلم القائل أهو الله أم الملائكة.

٥- أنه قدم السلام على البركات فقال:] T U V Z لأنه لا يطيب للإنسان شيء بدون السلامة والأمان، فهي أول الحاجات الدنيوية، والأخروية كذلك ،فقد يعيش الإنسان على القلة راضياً سعيداً، لكنه لا يهنأ بشيء بانعدام الأمان، ثم إن السلام مقارن للهبوط، فإذا هبط واستقر حلت البركات بعد ذلك، فكان لابد أن يقدم عليها.

٦- أنه ذكر جهة السلام فقال:] T U Z ولم يقل (وبركات منا) لأن جهتها معلومة فالقائل واحد فالذي قال:] T U Z هو الذي قال:] V W Z فالسلام والبركات منه يقيناً، فليس لتكرارها حاجة.

٧- أنه نكَّر الأمم هنا فقال:] W X Y Z [Z أي: على أمم تنشأ من معك في السفينة وهي من آمن من الأمم، فهم الذين يستحقون البركات، ولذا لم يقل (وعلى الأمم ممن معك) فتشمل جميع الأمم المتفرعة مؤمنة وكافرة.

٨- أنه استأنف الكلام على أمم أخرى فقال:] [^ _ ` a b c Z هود: ٤٨ فذكر أنه سيمتعهم في الدنيا، وهو الاستدراج لهم وتقديم طيباتهم لهم في الدنيا ،ثم يمسهم منه عذاب أليم وهو عذاب الآخرة.

والمعنى أنه ستنشأ أمم من الذين معك في السفينة، منها أمم مؤمنة وهؤلاء هم الذين قال فيهم:] V W X Y Z [Zهود: ٤٨، ومنها أمم كافرة وهي التي سيمتعها في الدنيا في يمسها العذاب الأليم في الآخرة، وفي هذا الاستئناف إجابة عن سؤال محتم عن مصير من لم يستحق البركات، هل سيكون الفناء والهلاك في الدنيا أم ماذا؟

ولو لم يبين هذا المصير لوقع أهل الإيمان في حيرة، إذ كيف ينعم ويمتع هؤلاء الكفار مع كفرهم ومخالفتهم لأمر الله؟.

جاء في (البحر المحيط): ((والذي ينبغي أن يفهم من الآية أن من معه ينشأ منهم مؤمنـــون وكافرون. ونبه على الإيمان بأن المتصفين به من الله عليهم سلام وبركة، وعلى الكفر بـــأن المتصفين به يمتعون في الدنيا ثم يعذبون في الآخرة)) [1].

٩- أنه قال في هذه الآية [R S T Z] بالإفراد، بينما قال في آية سابقة:

[_ ` a b c d Z] مخاطباً إياهم بالجمع.

فلِم لم يخاطب بالجمع في هذه الآية فيقول (اهبطوا) كما قال هناك (اركبوا)؟

و الجواب: أن المتكلم في الآية السابقة هو نوح عليه السلام كان يخاطب من آمن معه فلا بـــد أن يقول (اركبوا) فلا يصح من نوح الخطاب بالإفراد.

وأما ههنا فالمتكلم هو الله الجليل والمخاطب نوح عليه السلام وهو رسوله عليه السلام فلا يصلح أن ينادي الله المؤمنين في السفينة والخطاب موجه لفرد من عباده.

كما أنه لا يصح الخطاب بالجمع حتى لو قال (يا نـــوح اهبطـــوا) فيخاطـــب نوحـــاً عليه السلام ويأمر الجميع بالهبوط.

وأما قوله تعالى: [! " # $ % & ' ( ) Z الطلاق: ١

فإنه سبحانه نادى النبي صلى الله عليه وسلم وخاطب المؤمنين وهو إمامهم.

١٠- أنه قال: [V W X Y Z] [Z فلو خاطب بـــالجمع لقـــال (وبركات عليكم وعلى أمم ممن معكم) وهذا لا يـــصح إذ المعـــنى ســـيكون (وبركات عليكم وعلى أمم من الذين معكم) وهذا يقتضي أن في السفينة أُممـــاً مع المخاطبين من غير المؤمنين، وأن البركات إنما هي على الأمم التي هي مـــن الذين معهم وليس منهم، وهذا لا يصح قطعاً.

ثم هل يقال أن السلام والبركات تخص نوحاً عليه السلام والأمم التي ستأتي ولا تـــشمل الـــسلام والبركات من معه، لأنه لم يصرح بـــذكرهم في قولـــه: [Q R S T U V W X Y Z [Z.

---

(١) البحر المحيط ٥/٢٣١.

نقول كلا، فإن السلام والبركات شملت نوحاً عليه السلام ومن معه ومن سيأتي ممن معه، وذلك أن (مِن) يحتمل أن تكون بيانية فيكون من معه هم المعنيين وذلك، كما نقول: (وعد الله الكفار من المنافقين والمشركين نار جهنم) فبينت جنس الكفار بـ(مِن) وعليه فلا يصح أن تكون تبعيضية .

كما يحتمل أن تكون (مِن) ابتدائية فتشملهم وتشمل من بعدهم كما تقول (أكرمتهم من كبيرهم إلى صغيرهم) فيدخل الصغار مع الكبار بلا شك.

وعلى كلا التقديرين فإن السلام والبركات يشمل من معه. جاء في (الكشاف):

(([X Y Z] Z يحتمل أن تكون (مِن) للبيان فيراد الأمم الذين كانوا معه في السفينة لأنهم كانوا جماعات... وأن تكون لابتداء الغاية أي على أمم ناشئة ممن معك وهي الأمم إلى آخر الدهر)) (1).

قوله تعالى:] e f g h i j l m n o p q r s t v
x y z Z هود: ٤٩

ناسب ذكر هذه الآية بعد ذكر أحداث ومشاهد قصة نوح عليه السلام مع قومه للنسق العام للسورة وهو إظهار التحدي للمكذبين بالقرآن والمدعين أنه مفترى، والرد عليهم، فلقد تحداهم القرآن قبل هذه الآية في أوائل السورة نفسها بقوله:] ! " # % &
' ( ) * + , - . / ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمۡ
يَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ : ; < = > ? @ A C D E Z هود: ١٣ - ١٤

ولم يستجيبوا لهذا التحدي، وعجزوا أن يأتوا بما طلب، وانقطعوا فألزمهم الحجة، وكان برهاناً على أنه من عند الله وحده .

كما أن في هذه الآية دليل وبرهان من نوع آخر، فإنه بعد أن سرد أحداث قصة نوح عليه السلام مفصلة، أعلن للناس جميعاً أن هذه المعلومات إنما هي من أنباء الغيب على رسوله صلى الله عليه وسلم أوحاها إليه، وإنه لم يكن يعلمها هو ولا قومه من قبل هذا التتزيل.

---

(1) الكشاف ١٠٢/٢٠.

ولم ينكر ذلك أحد من قومه ولم يدَّع أحد أنه كان يعلمها أو أنه أخبر محمداً ﷺ بها فألزمهم حجة أخرى وكانت برهان صدق رسول الله ﷺ فمن يخاطب نفسه ويقول لها (ماكنت تعلمها)؟!.

وإذا تبين هذا قلنا فمن أعلمه بها إذن إلا ما كان من الوحي من عند علام الغيوب؟

لا يمكن أن يقال إنما علمه بشر أو علم ذلك من أي مصدر غير الوحي، فقد قال إنها من أنباء الغيب، أوحاها الله إليه.

فلو كان قومه أو أحد من قومه يعلمها لقام وقال: أنا أعلمها، ولو كان علّمه أحد لقال: أنا علمته إياها.

ومن التناسق البديع في الآية الكريمة ما يلي:

١- أنه قال:] e f g h Z ولم يقل (تلك من الأنباء نوحيها إليك) فتكون نبأ من الأنباء علمه الناس أو جهلوه ، وهو كثير في حياة الناس ،بل ذكر أنها من الغيب الذي لم يكن يعلمه هو ولا قومه، وهذه حجة عظيمة وتحد عام للكل.

٢- أنه قال:] i j Z أي نحن أخبرناك بها ولم تعلمها من طريق آخر.

و النبي الكريم ﷺ مقر ومؤمن بذلك، فلِم يقول له ذلك ؟!

إنه كما يقول العرب في أمثالهم: إياكِ أعني فاسمعي يا جارة[1]

فالكلام على سبيل التعريض، وهومن أساليب القرآن البليغة وذلك لإلجاء المكذبين إلى الفهم والتصديق، وهي حجة وبرهان آخر.

ومن أمثلته قوله تعالى:] { ~ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ © قَبْلِكَ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ´ µ ¶ Z يونس: ٩٤

فالخطاب للنبي ﷺ مع أن وقوع الشك منه مستبعد ، لكنه أراد كل من وقع في هذا الشك.

جاء في (روح المعاني): (( ] i Z والتعبير بصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية...

(١) وينسب هذا القول لابن عباس رضي الله عنه، ينظر: المواقف للإيجي ٣/٤٢٥.

والمقصود من ذكر كونها موحاة إلجاء قومه صلى الله تعالى عليه وسلم للتصديق بنبوته عليه الصلاة والسلام وتحذيرهم مما نزل بالمكذبين))[1].

٣- أنه قال:] l m n Z فجاء النفي بـ(ما) و لم يقل (لم تكن تعلمها) وذلك أن نفي الماضي بـ(ما) آكد[2] والأمر بحاجة إلى هذا التأكيد، فإن توكيد عدم علمه هو توكيد عدم علم غيره من باب الأولى، فهي إثبات ودليل قطع على أن القرآن ليس من عنده.

٤- أنه قال:] l m n o Z فأكد الفاعل المستتر بـ (أنت) ولم يقل (ما كنت تعلمها ولا قومك) مع أنه يصح أن يقال ذلك، لوجود الفاصل، وهو الضمير (ها)، ووجود فاصل آخر وهو (لا).

وفي القرآن نظير لكل منهما[3]، ولكنه جاء بـ(أنت) توكيداً لعدم العلم.

٥- أنه قال:] p q Z فجاء بـ(لا) النافية و لم يقل (ما كنت تعلمها وقومك) و(لا) هذه تفيد التوكيد وتفيد القطع بعدم علمه وعدم علمهم بها لا على سبيل الإفراد ولا على سبيل الاجتماع. فأنت لا تعلمها، وقومك لا يعلمونها.

ولو قال (ما كنت تعلمها وقومك) لاحتمل أن نفي العلم إنما هو عن المجموع وقد يعلمها أحد الطرفين.

٦- أنه قال:] r s t Z فجاء بـ(مِن) ليدل على أن علمهم بها إنما جاء الآن بعد الإيحاء إليه ، و لم يقل (قبل هذا) فيحتمل القبْلية القريبة والبعيدة ، وهذا من الدقة بمكان.

٧- أنه قال:] v x y z Z وفي الوصية للنبي ﷺ بالصبر مناسبة لموضوع السورة ومحافظة على غايتها فأمره بالصبر لينال أحسن الرتب، والعواقب، وذلك بعد أن ذكر قصة نوح عليه السلام وصبره على قومه ثم ما كان له من

---

(١) روح المعاني ١٢/٧٥.

(٢) انظر الإتقان ١/١٧٦ ، معاني النحو ٤/٥٩٦.

(٣) قال تعالى:] [^ _ ` a b c d e g h i j k l m Z الرعد: ٢٣ فعطف (من صلح) على الواو في (يدخلونها)، والفاعل الضمير (ها).

عاقبة محمودة، لتكون لهﷺ عبرة، وسلوة، وتثبيت ، ولئلا يضيق صدره بأذى قومه، والذي أشار إليه فيما تقدم من السورة بقوله:] µ ¶ ¸ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ وَضَآئِقُۢ بِهِۦ صَدۡرُكَ Z ،كل هذه دلالات على التناسق البديع في ذكر القصة والوصايا التي بعدها.

٨- أنه قال:] x y z Z ولم يقل (فاصبر إن العاقبة للصابرين) وذلك أن المتقين يشملون الصابرين، وزيادة ،فلما ذكر المتقين دخل فيهم الصابرون، ودل على ذلك قوله تعالى:] " # $ % & ' ( ) * + , - . / ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلۡقُرۡبَىٰ : ; < = > ? @ A B C D E F G H I J K L M N O P Q R S T U V W Z البقرة: ١٧٧

فذكر أن الصبر في البأساء، والضراء، وحين البأس، إنما هو وصف من أوصاف المتقين.

فناسب أن يقول:] v w x y z Z لأنه يدخل في ذلك الصابرون.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى أنه لم يرد مثل هذا التعبير في القرآن مع غير المتقين، فلم يرد مثلاً (إن العاقبة للصابرين) أو (للمؤمنين) أو ما شابه ذلك بل ربط العاقبة عموماً بالتقوى وأهلها، وهو تعبير جليل يدل على شرف التقوى وأهلها، جعلنا الله منهم.

وقد ورد نحو هذا التعبير في ثلاثة مواضع من القرآن الكريم وهي قوله:] © لِلۡمُتَّقِينَ Z الأعراف: ١٢٨ - القصص: ٨٣

وقوله:] x y z Z وهي آية هود التي معنا.

وورد تعبير قريب من هذا وهو قوله:] وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلتَّقۡوَىٰ Z طه: ١٣٢

ومن جهة أخرى أن الخلق قد يصبرون لتحقيق مرغوباتهم فيغنمون في حدود ما صبروا لأجله في الدنيا، وقد يكون سعيهم وصبرهم لباطل، لكن العاقبة الحميدة الشاملة لفلاح الدنيا والآخرة إنما هي لمن اتقى، وهي الحقيقة بالصبر لأجل ذلك وغيره مما أعده الله لأهلها.

١١- أنه قال:] x y z Z بالتوكيد بـأداته (إنَّ) وعند مقارنة هـذا المقطع بما يشبهه في القرآن نجده قد ورد لكن من غير توكيد وذلك في موضعين من القرآن وهما قوله تعـالى:] © لِلْمُتَّقِينَ Z في سـورة الأعـراف ١٢٨،وكذا في سورة والقصص ٨٣.

أما الموضع في سورة القصص فقال فيه سبحانه:] تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ Z القصص: ٨٣ .

والحديث في الآية كما هو ظاهر عن الدار الآخرة، ومعلوم أن العاقبة الحسنة في الدار الآخرة ليست للمتقين فقط بل لعموم أهل الإيمان وإن لم يبلغوا منزلة المتقين، وقد تكـون لعـصاة المسلمين ممن شملتهم رحمة الله نصيب في تلك العاقبة الحسنة، لذا لم يؤكد أن العاقبة للمتقين.

وأما آية الأعراف فهي قوله:] x y z { | { إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ © لِلْمُتَّقِينَ (١٢٨) قَالُوا أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنْ µ ¶ ´ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ (١٢٩) Z الأعراف: ١٢٨ - ١٢٩

والقائل فيها هو موسى عليه السلام يخاطب قومه من بني إسرائيل، والقرآن مخبر عن موسى عليه السلام.

وهنا إما أن يكون المقصود بالعاقبة وراثة الأرض المذكورة في الآية عنـد قولـه:] إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ Z فالمقام ليس مقام توكيد ،فإن موسى لا يملك أن يعدهم بـذلك وعـداً قاطعـاً ولـذا قـال:] عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ Z الأعراف: ١٢٩.لكنه موقن بأن العاقبة للمتقين فإن كانوا منهم كانوا أهلاً للميراث، والاستخلاف.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى أنه ليس استخلافاً على الدوام وإنما هو استخلاف زائل بزوال تلك الأمة، بخلاف أمة محمد صلى الله عليه وسلم الذين وعدوا بالاستخلاف في الأرض وعداً قاطعاً وعدهم به الله سبحانه وقد ورد ذلك في قوله:] < = > ? @ A

M L K J I H G F E D C B

N O P Q R S T U W X Y Z] [Z النور: ٥٥

فأكد العاقبة لأهل الإيمان من هذه الأمة بقوله:] x y z Z بتوكيدها لنبينا ﷺ، ولم يؤكدها موسى لقومه، وهو الموافق للمقدر، وهذا يدلنا على جميل ودقيق التناسق وحسن المناسبة في كل موضع.

وأما إذا كان المقصود بالعاقبة ،العاقبة الحسنة في الآخرة، فإن المتقين من أمة محمدﷺ أكثر من بني إسرائيل، ، إذ أن الإسلام باق إلى يوم القيامة، وأتباعه باقون حتى نهاية الدنيا فلا شك أن العاقبة في الآخرة في أتباع الرسول محمدﷺ أكثر وأتم وأوسع ولذا فهي آكد في حقهم، ولا يمنع هذا أن يتبع المتقون من كل أمة المتقون الأكثر من هذه الأمة.

فناسب التوكيد في خطاب الرسولﷺ دون الموطنين الآخرين.

المبحث الثالث : أوجه التناسق في قصة هود ﷺ مع قومه، ويشمل الآيات (٥٠-٦٠).

أتت هذه السورة الكريمة بعد ذلك على قصة هودﷺوالذي تسمت السورة باسمه.

ومن لطيف ما تجدر الإشارة إليه في جانب التناسق أن هذه القصة قد وردت في تسع سور، وهي الأعراف، وهود ،والشعراء، وفصلت ،والأحقاف، والذاريات، والقمر، والحاقة، والفجر.

ومع ورود قصة هود ﷺفي القرآن في تلك المواضع المتعددة ،إلا أننا نجدها غير متطابقة بل قد يذكر في موضع ما لا يذكره في المواضع الأخرى، وذلك بحسب السياق وبحسب ما يراد بيانه، وذلك من كمال بيان القرآن وجماله.

كما أنه قد يفصل في موضع، وفي موضع آخر يذكر جانباً آخر من جوانبها بإيجاز.

وكل ذلك في تناسق بديع وتناسب لطيف، من لدن ربنا العليم الحكيم الخبير.

وتفصيل ما ذكرت على ما سيأتي:

١- أن الذي ورد في سورة الأعراف- وهي أول سورة عرضت فيها هذه القصة- أن هوداً ﷺدعا قومه إلى عبادة الله وتوحيده وذلك قوله تعالى:] قَالَ يَـٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ´ µ ¶ ¸ إِلَـٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ Z الأعراف: ٦٥

فتصدى له الملأ الذين كفروا من قومه، ووصفوه بالسفه، واتهموه بالكذب قال تعالى:] قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي سَفَاهَةٖ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلۡكَـٰذِبِينَ Z الأعراف: ٦٦

وكان رده ﷺ بكل حلم، وعقل، وصبر على هذا الأذى لشخصه بأن نفى أن تكون به سفاهة وأكد لهم أنه رسول من رب العالمين وأنه لهم ناصح أمين:] قَالَ يَـٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي سَفَاهَةٞ وَلَـٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَـٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾ Z الأعراف.

وجاء ردهم رد المستخف المستهزئ الآمن، وزيادة على ذلك أظهروا له ﷺ التحدي بأن يعجل لهم بالعذاب فقالوا:] H I J K L M N O P | R S T U V W X Z الأعراف: ٧٠

فاشتد عليهم ﷺ قائلاً:] [\ ] ^ _ ` a | c d e f g h i j k l m n | p q r s t Z الأعراف: ٧١

ولم يظهر في حديثه ﷺ أي غضب لنفسه وما اتهم به في شخصه، حتى أنه علل قرب حلول العذاب بهم واستحقاقهم له بجرأتهم على الله، وبين لهم أن وقوع رجسه، وغضبه سبحانه عليهم لأجل أسماء الآلهة التي سموها هم وآباؤهم، والتي ما أنزل الله بها من سلطان.

ويظهر أن قوله:] p q r s t Z إنما هو جواب لتحديهم عندما قالوا:] R S T U V W X Z.

ثم انتقل القرآن مباشرة لبيان ما آل إليه الأمر، بنجاته ومن معه وإهلاك المكذبين وقطع دابرهم فقال سبحانه:] v w x y z { | } ~ بِـَٔايَٰتِنَاۖ وَمَا كَانُواْ مُؤۡمِنِينَ Z الأعراف: ٧٢

٢- وأما ما ورد عن قصة هود ﷺ في السورة التي معنا، فذكره بداية أنه دعاهم أيضاً إلى عبادة الله وتوحيده فقال:] | { ~ هُودٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ © غَيۡرُهُۥٓۖ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا مُفۡتَرُونَ Z هود: ٥٠ غير أن ما قاله هنا في سورة هود لا يطابق ما قاله في الأعراف، فإنه قال لهم في الأعراف] أَفَلَا تَتَّقُونَ Z.

وقال في هود:] إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا مُفۡتَرُونَ Z وقد بينت في بيان سبب التسمية أن هذه اللهجة من هود ﷺ قد تكون سبباً لاستحقاقه تسمية السورة باسمه لما يظهر فيها من العزة على الكافر، وعدم خشية اللوم، أو الكيد من قومه، وأما سبب اختلاف الرد بين السورتين ،ومناسبة كل خاتمة لموضعها أنهم قالوا في الأعراف:] H I J K L M N O P Z الأعراف: ٧٠ فقال لهم ﷺ:] c d e f g h i j k l m n Z الأعراف: ٧١ أي إنهم افتروا على الله بهذا القول ، فقال لهم في هود ﷺ:] إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا مُفۡتَرُونَ Z فكأن ما ذكره في هود ﷺ إنما هو تعقيب ورد على ما قالوه في الأعراف وتتمة لذلك الحوار، وهذا التناسق الدقيق في اختيار الألفاظ في المواطن المتباعدة يدل على أن ترتيب السور توقيفي رباني، فبين السورتين فاصل من ثلاث سور، ومع هذا فالحديث متناسق يذكر بما سبق ثم يستمر في بيان تتمته.

ثم إنه قال لهم ﷺ أنه لا يسألهم على دعوته أجراً، ووعدهم بالخير الكثير إنْ هم أطاعوه، وأن ربهم الله سيرسل السماء عليهم مدراراً ويزيدهم قوة على قوتهم.

و لم يقل أي من ذلك في الأعراف.

فكان جوابهم أنه لم يأتهم ببينة، وأنهم لا يتركون آلهتهم بسبب قوله .

كما أن المواجهة بينه وبين قومه لم تكن على نحو ما ورد في الأعراف بل كانت أشد، وذلك لأسباب ومنها أن ما ورد في الأعراف إنما هو قول الملأ الذين كفروا من قومه.

وأما المواجهة التي في هود فقد كانت مع عموم القوم، وعموم القوم ليسوا كالملأ الذين كفروا أي أشراف القوم من الكافرين، وقد يكون اختيار ألفاظ ألين حجة دامغة لهم فقد يحتجون عليه بغلظته عليهم وعدم إنزالهم مترلتهم ولذا كان التفاوت في الإجابة لكل فريق بما يليق به.

ثم إن كان الحديث تتمة لما في الأعراف كما أشرت فإنه عليه السلام قد ابتدأ معهم بالحلم ولين القول، والوصية بمراقبة الله وتقواه، فلما ظهر له صلفهم وتكبرهم كان لابد له من وصفهم بما هم عليه، وإظهار عزة المؤمن علهم أن يرتدعوا، فقد بدأوا هناك بوصفه بالسفه، ثم وصفوه هنا بالجنون تعريضاً فقالوا:] قَالُواْ يَـٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِيٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ â نَحْنُ à بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾ ! " # $ % &
' | Z هود: ٥٣ - ٥٤

أي أصابك سوء من بعض الآلهة إذ تقول ما تقول و لم يصرحوا بأنه أصابه جنون مع قصدهم ذلك .

ولذا كان جوابه لهم مناسباً لما قالوا فيه. فقد قال لهم:] * + , - . /
مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا : Z هود: ٥٤ - ٥٥

فتحداهم وتحدى آلهتهم التي زعموا أنها أصابته، بأن يكيدوه ولا يمهلوه، وفي قوله هذا كمال الثقة واليقين بالله وبما يعتقده من الحق.

و لم يرد نحو ذلك في الأعراف.

ولما كانت المواجهة في الأعراف للملأ وكانوا هم الذين تحدوه كانت العقوبة بقطع دابرهم فقال:] v w x y z { | } ~ بِـَٔايَـٰتِنَا وَمَا كَانُواْ مُؤْمِنِينَ Z الأعراف: ٧٢

ولم يقل مثل ذلك في سورة هود عليه السلام وإنما قال:] i j k l m n o
p q r s t u v Z هود: فذكر أن القوم حل بهم عذاب غليظ .
وذلك أنهم في الأعراف تحدوه، فنجاه وقطع دابرهم ،وأما في هود عليه السلام فهو الذي تحداهم أن يضروه وآلهتهم فنجاه الله، وعذبهم عذاباً غليظاً لإصرارهم على الكفر.
وقد ذكر في كل موطن جانباً لم يذكره في الآخر بنسق وألفاظ تناسب كل موطن.

٣- أما في سورة الشعراء فبدأ القصة بقوله تعالى:] q r s Z الشعراء: ١٢٣
وهذا ما تبدأ به جل القصص في هذه السورة.

فالبداية هنا متناسبة مع طريقة عرض القصص في السورة من ناحية، ومن ناحية التناسق والترابط بينها وبين ما سبق فكأنها استكمال لما ورد في الأعراف وهود، فبعد بيان تكذيب عاد لرسولهم عليه السلام في الأعراف وهود بدأ ربط ذلك بقوله في الشعراء:] q r s Z الشعراء: ١٢٣

فلم يذكر أنه دعاهم إلى عبادة الله وتوحيده كما ورد في الأعراف وهود، وإنما ذكر ما آل إليه ذلك فقال:] q r s t u v w x y z { | } ~ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ © مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ Z الشعراء: ١٢٣ – ١٢٧.

وهذه النصائح والمواعظ العظيمة قالتها عموم الرسل عليهم السلام لأقوامهم كما تكرر في هذه السورة، قالها نوح عليه السلام لقومه، وقالها هود عليه السلام وقالها صالح عليه السلام وقالها لوط عليه السلام وقالها شعيب عليه السلام، وتكرارها يدل على عظيم شأنها وأن بها فلاحهم ونجاحهم.

جاء في ظلال القرآن: ((ومما لا شك فيه أن وحدة موقف الرسل الكرام، ووحدة الحقيقة التي يواجهون بها الجاهلية على مدار الزمان ووحدة العبارات المحكية عنهم التي تتضمن هذه الحقيقة.. يحمل في طياته ما يحمل من قوة وإيقاع وإيحاء..))[1]

(١) ينظر الظلال: ٤/١٨٤٨.

ثم بكتهم بما يفعلون قائلاً:] µ ¶ ¸ ءَايَةً تَعۡبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمۡ تَخۡلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشۡتُم بَطَشۡتُمۡ جَبَّارِينَ Z الشعراء: ١٢٨ - ١٣٠

كما أنه ذكرهم بالنعم التي أمدهم بها رب العالمين.

ولم يرد مثل ذلك في قصة هود عليه السلام في المواضع الأخرى من القرآن الكريم.

وهذا متناسب مع عرض سائر القصص في السورة.

فرد عليه القوم قائلين:] قَالُواْ سَوَآءٌ à أَوَعَظۡتَ â لَمۡ تَكُن مِّنَ ٱلۡوَٰعِظِينَ ç ! " # $ % & ' ( ) * Z الشعراء: ١٣٦ - ١٣٨

فأهلكهم رب العزة وجعلهم آية فقال:] + , . / ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ : ; < = Z الشعراء: ١٣٩ - ١٤٠

وهذا التعقيب جرى بعد عموم القصص في الشعراء.

وهنا أيضاً نرى أنه ذكر جوانب من القصة لم يذكرها فيما سبق من القصص.

٤- وأما في سورة فصلت فقد ذكر استكبارهم واعتدادهم بقوتهم واغترارهم بها حتى قالوا:] b c d e Z فصلت: ١٥ ، ثم ذكر عقوبتهم وأنه أرسل عليهم ريحاً صرصراً أذاقتهم عذاب الخزي في الدنيا وأن عذاب الآخرة أخزى.

وهذا أول موضع يذكر فيه نوع العذاب الذي حل بهم وأنه كان بالريح.

ولم يذكر دعوة رسولهم عليه السلام لهم ولا موقفاً لهم بالتفصيل السابق وإنما اكتفى بإشارات لخص فيها قصتهم لأهل مكة ولكل معتبر، فهي تختلف عن كل ما مر من القصص وسبب ذلك أنها وعظ وزجر مقصده إيقاظ النفوس، وتخويفها بحلول العذاب لكل من كذب دونما تفصيل في القصص، فقد بدأها بتهديد شديد للقوم بقوله:] فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَقُلۡ : ; < = > ? @ Z فصلت: ١٣

ثم بين أن الأقوام تلقوا دعوة أنبيائهم عليهم السلام بالتكذيب، والصد، وتعجلوا العذاب.

ثم أعقب ذلك بقوله:] Z [\ ] ^ _ ` a b c d e g h i j k l m n o p r s t u v w

x y z { | } ~ ٱلۡخِزۡيِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَخۡزَىٰۖ ©

لَا يُنصَرُونَ ١٦ Z فصلت: ١٥ – ١٦ هذا العرض والبيان أشد وقعاً وأبلغ أثراً مع اختصاره وعدم عرضه للحوار الذي دار بين هود عليه السلام وقومه.

٥- وأما في سورة الأحقاف فإنه حدد مساكنهم، وهو أول موطن تذكر فيه المساكن وأنها بالأحقاف فقال:] " # $ % & ' ( ) Z الأحقاف: ٢١ والأحقاف في اليمن[1].

وقال لهم رسولهم عليه السلام منذراً ومحذراً:] أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ : Z الأحقاف: ٢١

وردوا عليه عليه السلام قائلين:] < = > ? @ A B C D E F G Z الأحقاف: ٢٢

ولما خوفهم بعذاب يوم عظيم، تحدوه قائلين:] A B C D E F G Z الأحقاف: ٢٢

ثم وصف مشهد استقبالهم لعارض العذاب وكيف أنهم ظنوه سحاباً ممطراً وقالوا:] [^ _ Z الأحقاف: ٢٤.

ثم ذكر مآلهم وأنه أرسل عليه ريحاً وصفها بقوله:] l m n o p q r s t u w x y z { Z الأحقاف: ٢٥.

وهذه أول مرة تذكر فيه مساكنهم المدمرة الخالية، كما أنه أول مرة ذكرت مكان تلك المساكن وهي في الجزيرة العربية.

٦- وأما في سور الذاريات، والقمر، والحاقة، والفجر، فلم يذكر دعوة، ولا موقفاً من رسولهم عليه السلام وإنما ذكر عاقبتهم، وهلاكهم.

وهو يذكر في كل موضع ما لم يذكره في الموضع الآخر من التفصيل وكيفية الاهلاك ، فيعرضها بطريقة وعظ وتذكير مختلفة.

---

(١) ينظر تفسير الطبري ،١٢/٥٠٧.

وكل منها مناسب لما ورد في موضعه.

وبهذا يتضح أن القصة ليست متماثلة في تفصيل أحداثها، بل هي في الغالب تراعي تسلسل الأحداث، وتعرضها بحسب ترتيب السور.

التناسق القرآني في تذكير القوم بالنعم في المواضع المختلفة.

عند التأمل والمقارنة نجد أن تذكير هوداً عليه السلام لقومه بالنعم فيما ورد في القرآن من مواطن ليس متماثلاً، فإنه قد يذكرهم في موضع على وجه الإجمال، وفي موضع آخر على وجه التفصيل. وقد لا يذكر ذلك في مواضع أخرى حيث لا يقتضي السياق ذكره.

وفي ما يلي تفصيل ذلك:

١- أنه في سورة الأعراف قال لهم عليه السلام:] < = > ? | A B

C D E Z الأعراف: ٦٩

فذكرهم ببسطة أجسامهم وقوتها، وذكرهم بألاء الله وفضله عليهم على العموم.

٢- أما في سورة هود عليه السلام فإنه دعاهم إلى الاستغفار والتوبة، ليمدهم ربهم ببركات السماء، ويزيدهم قوة إلى قوتهم، التي هي ظاهرة لديهم، فذكر أن لهم قوة على العموم و لم يخصصها كما سبق.

فلقد ذكر في آية الأعراف بسطة الجسم وقوته، وهنا ذكر القوة على العموم قال تعالى:

] وَيَٰقَوۡمِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا وَيَزِدۡكُمۡ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمۡ وَلَا تَتَوَلَّوۡاْ مُجۡرِمِينَ Z هود: ٥٢

٣- أنه ذكر عليه السلام في سورة الشعراء شيئاً من مظاهر قوتهم وعدَّد لهم آلاء الله عليهم، وكيف أنهم قابلوا هذه النعم فقال:] µ ¶ ¸ ءَايَةً تَعۡبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمۡ تَخۡلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشۡتُم بَطَشۡتُمۡ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾ وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِيٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعۡلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنۡعَٰمٖ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ Z الشعراء: ١٢٨ - ١٣٤

ففصل القرآن ما أجمله في الأعراف وهود من آلاء الله عليهم في أجسامهم، وأنهم إذا بطشوا كان بطشهم بطش الجبارين، وكأن الحديث استكمال لما سبق.

وفصل أيضاً فيما أنعم عليهم من الأنعام، والبنين، والجنات، والعيون.

فكأن ما ورد في الشعراء تفصيل لما أجمله في الموطنين السابقين وتتمة له.

٤- في سورة فصلت ذكر استكبارهم في الأرض بغير الحق، واعتدادهم بقوتهم واغترارهم بها والاستطالة على خلق الله. قال تعالى:] Z [\ ] ^ _ ` a b c d e g h i j k l m n o p Z فصلت: ١٥

٥- لم يذكر شيئاً عن ذلك في الأحقاف، ولا في الذاريات، ولا في القمر، ولا في الحاقة، بل سرد ذكرهم على سبيل العرض والإشارة مكتفياً بما فصل في السابق.

٦- كذلك في سورة الفجر، فإنه لم يذكرهم بالنعم، وإنما وصفهم أو وصف بلادهم بأنها ذات العماد ثم ذكر صب العذاب عليهم وعلى الأقوام الكافرة الأخرى.

وبما سبق يظهر لنا هذا التناسق الدقيق في عرض النعم التي من الله تعالى بها على القوم، وذلك من خلال عدم تكرار الوصف، مع مراعاة ترتيب السور، ومراعاة السياق الذي وردت فيه، وأسلوب السورة.

التناسق في بيان العاقبة والهلاك للقوم في المواطن المختلفة.

لم يكرر القرآن ذكر عاقبة عاد ولا كيفية هلاكهم في المواطن المختلفة في السور، وإنما يذكر في كل موضع جانباً من جوانب العقوبة التي حلت بهم، وذلك يجعل تأثير الموعظة أبلغ بأن يذكر بها بين الحين والآخر لكن بطريقة مختلفة.

فقد يذكر العقوبة على وجه العموم في موضع ويفصل في موضع آخر، و يذكر في كل موضع ما يناسب السياق وأسلوب السورة، وفيما يلي تفصيل ذلك:

١- قال في الأعراف:] v w x y z { | } ~ بِـَٔايَٰتِنَاۖ وَمَا كَانُواْ مُؤۡمِنِينَ Z الأعراف: ٧٢

فذكر نجاته والذين معه، وذكر أنه قطع دابر الذين كذبوا، غير أنه لم يذكر نوع العقوبة ولا كيف قطع دابرهم.

٢- وأما في سورة هود فلم يذكر نوع العقوبة، وإنما ذكر أنه نجى هوداً والذين آمنوا من عذاب غليظ.

كما لم يذكر نوع هذا العذاب، ولا قطعه دابر الذين كذبوا، وإنما أضاف أن القوم أتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة.

قال تعالى:] i j k l m n o p q r s t u v w x y { | } ~ رُسُلَهُۥ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَمۡرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٖ ﴿٥٩﴾ وَأُتۡبِعُواْ فِي ٱلدُّنۡيَا لَعۡنَةٗ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَآ إِنَّ عَادٗا كَفَرُواْ ¶ لِّعَادٖ قَوۡمِ هُودٖ © Z هود: ٥٨ - ٦٠

٣- وأما في الشعراء فقد قال:] , Z الشعراء: ١٣٩ ولم يذكر كيفية الإهلاك، كما أنه لم يذكر نجاته ونجاة من معه، ذلك أن هوداً عليه السلام خوفهم بالعذاب قائلاً:] إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ Z الشعراء: ١٣٥ فقالوا له:] ' ( ) Z الشعراء: ١٣٨ فأهلكهم.

٤- أن أول موطن يرد فيه ذكر نوع العقوبة كان في سورة فصلت، فقد ذكر أنه أرسل عليهم ريحاً صرصراً في أيام نحسات، ولم يذكر عدد الأيام ، ولا ما فعلته تلك الريح بهم أو بمساكنهم. قال تعالى:] v w x y z { | }

~ ٱلۡخِزۡيِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَخۡزَىٰۖ © لَا يُنصَرُونَ Z فصلت: ١٦، ولم يذكر نجاة هودالطَّيْكِلاَومن معه، وذلك أنه أنذر قريشاً أن تصيبهم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود، فذكر عذابهم، ولم يتعرض لذكر نجاة أحد.

٥- أنه في الأحقاف زاد في وصف الريح وأنها جاءت على هيئة عارض أي: سحاب ممطر واستبشروا بها، فإذا هي ريح مدمرة تدمر كل شيء، فلم يبق منهم إلا أطلال مساكنهم.

قال تعالى:] W X Y Z [\ ] ^ _ ` a b c d e f g h i j k l m n o p q r s t u v w x y z Z الأحقاف: ٢٤ – ٢٥.

وهذا هو الموطن الوحيد الذي ذكر فيه محل سكناهم وأنه بالأحقاف، وأن الريح أهلكتهم فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم.

وهي كذلك المرة الوحيدة التي ذكرت فيها المساكن وأنها بقيت بعدهم خاوية.

ولا شك أن بقاء أطلال القوم بعد أخذهم وإهلاكهم موعظة للمعتبرين، قال تعالى: [Q R S T U V W X Y Z Z الصافات ولم يذكر في موضع آخر محل سكناهم ولا مساكنهم.

وذكر المساكن مناسب ومتناسق مع ذكر موضع سكناهم وهي الأحقاف.

كما أنه لم يذكر نجاتهالطَّيْكِلاَ، ذلك أنه خوفهم بالعذاب قائلاً:] إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ : Z الأحقاف: ٢١ فقالوا غير مبالين:] A B C D E F G Z الأحقاف: ٢٢ فذكر هلاكهم على نحو ما ورد، إذ لم يك داع لبيان نجاته.

٦- أنه في الذاريات زاد في وصف الريح، وعتوها، وأنها عقيم لا تأتي بخير، وأنها لم تأتِ على شيء إلا دمرته تماما، قال تعالى:] i j k l m n o p q r s t u v w x y Z الذاريات: ٤١ – ٤٢.

٧- أنه في سورة القمر خصص البيان على فعل تلك الريح في الناس، وذلك بعد بيان صفة من صفاتها وهي أنها ذات صرير، وبعد بيان أن يومها يوم نحس عليهم فقال:

] { ~ عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ تَنزِعُ © كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ Z القمر: ١٩ – ٢١

وهذا أول موطن يذكر فيه ما فعلته الريح في الناس، وأنها تترعهم كأنهم أعجاز نخل منقعر، فخصص بعد العموم، ووصف الريح، واليوم، وحال الناس.

٨- أنه في سورة الحاقة زاد في وصف تلك الريح، فذكر أنها عاتية وذكر مدتها، وهذا هو الموطن الوحيد الذي ذكر فيه مدة الريح، وأنها سبع ليال وثمانية أيام حسوماً.

قال تعالى:] µ ¶ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ Z الحاقة: ٦ – ٨.

وفي هذه السورة وبهذه الألفاظ ينتهي حديث القرآن عن ما حصل لعاد فالخاتمة ههنا، والعاقل البصير هو المعتبر، و لم يذكر بعد ذلك شيئاً عن نهاية عاد وعاقبتها ،وإنما كانت إشارات إلى أمور أخر، فقد انتهى كل شيء بقوله:] فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ Z الحاقة: ٨، وإذ لم يترك لهم أثراً بعد إذ كانوا ما كانوا وهم الذين لم يخلق مثلهم في البلاد، فكيف بمن هو دونهم.

٩- أنه ختم الإشارة إلى قوم عاد في سورة الفجر فقد ذكر في هذه السورة اسم بلدهم على ما قيل ووصفها، وهو ما لم يرد في موطن آخر فقد بين أنها] ; < = > ? @ A B C D Z الفجر: ٧ – ٨.

وقيل: إن إرم هو اسم للقبيلة أو لمدينتهم التي يقطنونها فهي عاد وإرم(١).

وعلى كلا التفسيرين فقد اختص هذه السورة بذكر ما لم يذكره في أي موضع آخر من القرآن سواء كانت إرم اسماً لمدينتهم أم اسماً لقبيلتهم.

١٠- أنه ذكر في الأعراف النجاة، والإهلاك لهم.

وفي هود ذكر النجاة، و لم يذكر عقوبة، غير ما أتبعوا به في الدنيا ولآخرة وذلك قوله تعالى:] وَأُتْبِعُوا۟ فِي © ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ Z هود: ٦٠.

(١) فتح القدير ٤٢٣/٥، روح المعاني ١٢٣/٣٠.

وفي الشعراء، وفصلت، والأحقاف، والذاريات، والقمر، والحاقة، والفجر، ذكر العقوبة والإهلاك، ولم يذكر النجاة.

وكل ذلك متناسب مع السياق العام، والسابق، واللاحق في كل سورة، كما أنه متناسب مع مقاصد كل سورة من تلك السور، وما ورد فيها.

١١-من الملاحظ في قصة قوم عاد أن القرآن لم يذكر أن نبيهم هوداً عليه السلام دعا على قومه، أو دعا بالنجاة في كل ما ورد من القصة كما حصل مع نوح عليه السلام.

كما أنه لم يذكر أهله وكيف كانوا كما مر فصل في قصة نوح عليه السلام.

فاتضح من ذلك أن القصة لم تتكرر وأنه في كل موطن يذكر ما لا يذكره في موطن آخر.

ومن أوجه التناسق البديع في القصة أيضاً ما يلي:

١-أنه قال:] | { ~ هُودًاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ © غَيۡرُهُۥٓۖ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا مُفۡتَرُونَ Z هود: ٥٠

فناداهم عليه السلام بقوله: (يا قوم) وفي هذا النداء استعطاف لهم، ليسمعوا قوله، وليلينوا له، ثم إنه أضافهم إلى نفسه، ثم دعاهم إلى الله، إذ الإنسان مفطور على الانتماء والميل والقبول لمن له به قرابة.

٢-أنه قال:] مَا لَكُم مِّنۡ © غَيۡرُهُۥٓۖ Z فجاء بـــ(مِن) الاستغراقية، لنفي أن يكون ثمة إله غير الله على سبيل الاستغراق.

٣-أنه قال هنا:] إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا مُفۡتَرُونَ Z بينما قال في الأعراف] أَفَلَا تَتَّقُونَ Z الأعراف: ٦٥ وذلك أن القصة في الأعراف كانت أول دعوة لهم ورد ت في القرآن، فدعاهم فيها إلى عبادة الله، وأوصاهم بمراقبة الله وتقواه، فلم يناسب أن يقول:] إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا مُفۡتَرُونَ Z.

وأما القصة في سورة هود عليه السلام فكانت بعد ما ورد في الأعراف من استمساكهم بآلهتهم وردهم على نبيهم عليه السلام قائلين:] H I J K L M N O P Z

الأعراف: ٧٠ واشتداد نبيهم عليه السلام عليهم بقوله:] [\ ] ^ _ ` a

c d e f g h i j k l m n Z الأعراف: ٧١

أي إنهم افتروا على الله باتخاذهم الأوثان شركاء لله.

فناسب أن يقول في هودعليه السلام:] إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ Z فكأن هذا التعبير استكمال للمحاورة بينهما والرد عليهم.

كما أن التعبير في سورة هود عليه السلاممناسب أيضاً لما ورد في السورة من الكلام على آلهتهم التي افتروها على الله، فقد قالوا لنبيهمعليه السلام:] ! " # $ % & ' Zهود: ٥٤ فكان كل تعبير في مكانه أنسب.

٤ -أنه نفى في قوله:] إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ Z بـــ(إنْ) ولم ينفه بـــ(ما) ذلك لأن (إنْ) أقوى من (ما) في النفي وآكد(١).وذلك تأكيد على افتراءهم على الله سبحانه.

٥ -أن هوداًعليه السلام نفى عن نفسه ما قد يظن به أن له مطمع في شرف، أو مال، أو غيره وذلك في قوله:] يَٰقَوْمِ لَآ ´ µ ¶ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِيٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ Z هود: ٥١ فأخبرهم أنه لا يسألهم أجراً على ما يبذله من النصح لهم، وذلك أدعى إلى قبول النصيحة ، فإنه إذا كان القول مشوباً بمطمع كان أبعد عن القبول، وفي هذا مناسبة وتعليم للدعاة إلى الله أن يظهروا تجردهم لله في دعوتهم أمام من يدعونهم، فهو أدعى لقبول دعوتهم.

جاء في (روح المعاني) في هذه الآية: ((خاطب به كل رسول قومه إزاحة لما عسى أن يتوهموه، وتمحيضاً للنصيحة، فإنها ما دامت مشوبة بالمطامع بمعزل عن التأثير))(٢).

٦ - أن هوداًعليه السلامقال:] إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِيٓ Z هود: ٥١

فقال (فطرني) أي أوجدني من العدم، وهذا اختيار بديع إذ فيه تعريض بآلهتهم التي يعلمون أنها ليست هي التي أوجدتهم بل أوجدهم الله كما أخبر عن المشركين سبحانه بقوله:

] وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ Z الزخرف: ٨٧ .

ومعنى ذلك أن آلهتهم لا تستحق أن تعبد، بل المستحق للعبادة الله الذي فطرهم وفطر السماوات والأرض، وفي (البحر المحيط): ((ونبه بقوله:] ٱلَّذِى فَطَرَنِيٓ Z على الرد عليهم

(١) انظر معاني النحو ٤/٥٧٦.

(٢) روح المعاني ١٢/٨٠.

في عبادتهم الأصنام، واعتقادهم أنها تفعل ،وكونه تعالى هو الفاطر للموجودات يستحق إفراده بالعبادة))[١].

٧- أنه قوله ههنا:] إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِي فَطَرَنِيٓ Z بذكر الذي فطره.

مع أنه قال في قصة نوح عليه السلام في هذه السورة أيضاً:] ! " # $ % ' ( ) * + Z هود: ٢٩، فذكر اسمه العلم(الله) سبحانه.

ولهذا الاختيار مناسبة للسياق وهو: أنه لم يكن ذكر للآلهة وعبادها في قصة نوح عليه السلام في هذه السورة فجاء باسمه العلم، أما في هذه القصة فإنه قد جرى ذكر آلهتهم فناسب السياق ذكر الذي فطره تعريضاً بآلهتهم التي ليس لها منة عليهم، أو أثر، تستحق به عبادتهم لها، وفي هذا الاختيار دعوة لهم إلى عبادة الله وحده و إبطال لما يعبدون من دون الله.

٨- قوله:] أَفَلَا تَعۡقِلُونَ Z هود: ٥، من أليق وأنسب التعقيب والختام للآية، فإنه مناسب لقوله عليه السلام:] لَآ ´ µ ¶ ¸ Z فإن الذي لا يبتغي المصلحة الدنيوية بدعوته و لم يطلب أجرته من الخلق ناصح صادق ، يعقل هذا ويدركه كل من له أدنى لب أو عقل ولذا قال لمن اتهمه: أفلا تعقلون ؟ ومعناه : أليس الذي لا يبتغي مصلحة لنفسه ناصحاً صادقاً حريص عليكم لا على مصالحه؟

وهو مناسب كذلك لقوله عليه السلام:] إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِي فَطَرَنِيٓ Z ،وكأنه يستنكر عليهم بقوله: أفلا تعقلون أنه لا يستحق العبادة غير فاطر السماوات والأرض وفاطر الإنسان وأوجده من غير سابق؟

ألا تعقلون أن غير الفاطر لا يستحق أن يعبد؟ ، إنَّ الأمر مما لا ينبغي أن يخفى على عاقل ، جاء في (البحر المحيط): ((و] أَفَلَا تَعۡقِلُونَ Z توقيف على استحالة الألوهية لغير الفاطر، ويحتمل أن يكون] أَفَلَا تَعۡقِلُونَ Z راجعاً إلى أنه إذا لم أطلب عرَضاً منكم وإنما أريد نفعكم فيجب انقيادكم لما فيه نجاتكم كأنه قيل: أفلا تعقلون نصيحة من لا يطلب عليها أجرا إلا من الله تعالى وهو ثواب الآخرة؟ ولا شيء أنفى للتهمة من ذلك))[٢].

(١) البحر المحيط ٥/٢٣٢.

(٢) البحر المحيط ٥/٢٣٢.

قوله تعالى:] وَيَـٰقَوۡمِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا وَيَزِدۡكُمۡ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمۡ وَلَا تَتَوَلَّوۡاْ مُجۡرِمِينَ Z هود: ٥٢.

هذه الآية مناسبة لما قبلها وجاءت في ترتيب وسياق لطيف، فإنه نفى إرادة مصلحة نفسه في الآية السابقة، وأظهر لهم عليه السلام حرصه على مصلحتهم، فأخبرهم أنه لا يطلب أجراً لنفسه، ثم أتبع ذلك البيان، ببيان حرصٍ آخر منه عليهم، فدلهم ،وأهداهم علم ما به يستغنون ويرزقون، ويزدادوا قوة، وذلك بالاستغفار فإن هم استغفروا ربهم وتابوا إليه أرسل السماء عليهم مدراراً، وهم أصحاب زروع وثمار وبساتين ، وزادهم كذلك قوة إلى قوتهم وذلك دليل آخر على حرصه على مصالحهم فهو مريد بهم الخير ناظر إلى مصالحهم الدينية والدنيوية(١).

ومن أوجه التناسق في الآية الكريمة ما يلي:

١- قد بينت عند تفسير أول السورة أن سبب تقديم الاستغفار على التوبة أن الاستغفار إنما يكون من الذنوب التي فعلها العبد، وأما التوبة فتالية له ومن شروطها عدم العودة إلى ما أسلف من المعصية.

٢- أنه قدم هنا إرسال الغيث على زيادة القوة ذلك أن نزول الغيث، وسعة الرزق الحاصل بسببه، يعد من أسباب زيادة القوة.

قوله تعالى:] قَالُواْ يَـٰهُودُ مَا جِئۡتَنَا بِبَيِّنَةٖ وَمَا نَحۡنُ بِتَارِكِيٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوۡلِكَ â نَحۡنُ à بِمُؤۡمِنِينَ ﴿٥٣﴾ Z هود: ٥٣.

هذا هو رد القوم بعد ما بذل لهم هود عليه السلام النصح ودعاهم إلى تحكيم عقولهم فيما جاءهم به وأن ما دعاهم إليه فيه مصلحتهم هم لا مصلحته هو، فكأنه قيل: (ما قال له قومه بعد أن أمرهم ونهاهم؟). فقيل: لقد قالوا:] مَا جِئۡتَنَا بِبَيِّنَةٖ Z ومعناه : أنك لم تأتنا بحجة واضحة، ولعلك لو جئت ببينة لآمنا لك وصدقناك (٢)

(١) انظر البحر المحيط ٥/٢٣٣، الكشاف ٢/١٠٢، فتح القدير ٢/٤٨١.

(٢) ينظر:روح البيان ٤/٩١.

وينبغي أن يتنبه هنا إلى أن قولهم هذا لا ينفي أن يكون صادقاً، فقد يكون صادقاً غير أنه لم يأت بحجة مقنعة للقوم.

ثم ذهبوا إلى ما هو أبعد من ذلك فقالوا:] وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِيٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ Z مؤكدين أنهم لا يتركون آلهتهم كما أراد لهم بدعوته.

ثم ذهبوا إلى طلب أن ييأس منهم بتكذيبهم له فقالوا:] à نَحْنُ â بِمُؤْمِنِينَ Z أي لسنا مصدقين ذلك أصلاً.

وهذا من التناسق في البيان بذكر تدرجهم في التكذيب، والجرأة على هذا النبي الكريم عليه السلام ،فقد ذهبوا من السيئ إلى الأسوأ وذلك أنهم قالوا له أولاً:] مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ Z فلم ينفوا صدقه بداية ، ثم أظهروا تمسكهم بآلهتهم المزيفة، ثم أمعنوا في السوء إذ قالوا له صراحة:] à نَحْنُ â بِمُؤْمِنِينَ Z فنفوا أن يكون صادقاً.

ثم ذهبوا أبعد وأقبح من ذلك فقالوا:] ! " # $ % & ' Z أي أصابك بعض الآلهة بالجنون، وكأنهم لما قال لهم عليه السلام:] أَفَلَا تَعْقِلُونَ Z أرادوا أن يتهموه بعقله أيضاً ،وأن يرموه بأبعد مما رماهم به فاتهموه بالجنون، فلم يدعوا مجالاً للإيمان وآيسوه من ذلك، فكل حالة أسوأ من التي قبلها. جاء في (روح المعاني): ((لقد سلكوا طريق المخالفة والعناد إلى سبيل الترقي من السيئ إلى الأسوأ حيث أخبروه أولا عن عدم مجيئه بالبينة مع احتمال كون ما جاء به حجة في نفسه وإن لم تكن واضحة الدلالة عل المراد.

وثانيا عن ترك الامتثال لقوله عليه السلام بقولهم:] وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِيٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ Z مع إمكان تحقق ذلك بتصديقهم له في كلامه.

ثم نفوا عنه تصديقهم له عليه السلام بقولهم:] à نَحْنُ â بِمُؤْمِنِينَ Z مع كون كلامه عليه السلام مما يقبل التصديق. ثم نفوا عنه تلك المرتبة أيضا حيث قالوا ما قالوا))[١].

قوله تعالى على لسانهم:] ! " # $ % & ' (* + , - . / مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا : Z هود: ٥٤ – ٥٥

(١) روح المعاني ١٢/٨٢.

لما قالوا ما قالوا، وآيسوه من إيمانهم، وادعوا أن بعض آلهتهم اعتراه بسوء، جاءهم منه عليه السلام هذا الرد الباهر المفاجئ، إذ أعلن البراءة من آلهتهم بطريقة الإشهاد فأشهد الله وأشهدهم على ذلك فقال:] * + , - . / مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦ Z .

وإشهاد الخصم على أمر تحدٍ له، فتحداهم وتحدى آلهتهم جميعاً ،وليس بعضهم ولا بعض آلهتهم فقط أن يكيدوه ولا يمهلوه. وهو احتقار واستخفاف عظيم بهم جميعاً وبآلهتهم كلها، فهم وآلهتهم أضعف من أن يفعلوا له شيئا.

جاء في الظلال تعليقاً على هذا الرد من هود عليه السلام: ((إنها انتفاضة التبرؤ من القوم- وقد كان منهم وكان أخاهم- وانتفاضة الخوف من البقاء فيهم وقد اتخذوا غير طريق الله طريقاً. وانتفاضة المفاصلة بين حزبين لا يلتقيان على وشيجة وقد أنبتت بينهما وشيجة العقيدة.)) (١)

وفي تفسير:] مِّمَّا تُشْرِكُونَ Z معنيين محتملة:

فإما أن تكون (ما) اسماً موصولاً بمعنى (الذي) فهو يقول: أنا بريء من الذي تشركون به من دون الله.

وإما أن تكون (ما) مصدرية، فهو يقول: أنا بريء من إشراككم آلهة من دونه (٢).

والجمع بيننهما أولى فالمعنيين مرادين: البراءة من إشراكهم وهو فعلهم، والبراءة من الذي يشركونهم وهي آلهتهم نفسها.

ثم قال لهم عليه السلام:] < = > ? @ A C D E F G H I K L M N O Z هود: ٥٦ .

واختيار الألفاظ في هذا المقطع مترابط برباط يحير الخصوم ويجعلهم في ذهول، وحرج فإنه يعلن توكله على الله الذي هو الرب المستحق للعبودية، فمهما أنكروا، ومهما كذبوا فإن حقيقة ربوبيته قائمة.

(١) في ظلال القرآن٤/ ١٨٩٨.

(٢) البحر المحيط ٥/٢٣٢.

ثم أتبع ذلك الرد الباهر بتذكيرهم بحقيقة يروها فقال:] C D E F G H I Z
إن هذه الصورة المحسوسة للقهر والقدرة، تظهر عجز الإنسان أمام قدرة الخالق العظيم، فالآخذ بناصية كل دابة على هذه الأرض، بما فيها الدواب من البشر، لا يعجزه حماية عبده المتوكل عليه - هود الطَيْلاَ - من ثلة كافرة فمهما بلغت قوتهم وعددهم فهم لا شيء أمام مالك نواصي كل دابة، وإظهار هود الطَيْلاَ لصفات القهر والغلبة والهيمنة يتناسب مع الموقف، ويتناسب مع غلظة القوم وشدتهم، وصلابة أجسامهم وبنيتهم، ويناسب كذلك غلاظة حسهم ومشاعرهم ،وفظاظة معاملتهم لنبيهم.

والناصية: مقدم الرأس، أي أعلى الجبهة، وتطلق على الشعر النابت عليها.(١)

جاء في (البحر المحيط): ((ثم وصف قدرة الله تعالى وعظيم ملكه من كون كل دابة في قبضته وملكه وتحت قهره وسلطانه فأنتم من جملة المقهورين.

وقوله:] H I Z تمثيل إذ كان القادر المالك يقود المقدور عليه بناصيته كما يقاد الأسير والفرس بناصيته))(٢).

وكانت العرب تجز ناصية الأسير الممنون عليه علامة على أنه قدر عليه وتُمكن من ناصيته فصار ذليلاً مستسلماً لهم.

وكانوا كذلك إذا أرادوا وصف إنسان بالذلة والخضوع قالوا: ما ناصية فلان إلا بيد فلان، أي إنه مطيع له يصرفه كيف يشاء.(٣)

وقد جاء بـــ(مِن) الاستغراقية و لم يقيد ذلك الأخذ ،فكل دابة من إنسان أو غيره أياً كان ،وأينما كان ، وفي أي زمان كان، مأخوذ بناصيته من ربه المهيمن ،خاضع له، مقهور لسلطانه، ذليل لسطوته.

ثم ختمت الآية بما يناسب ما ذكر بقوله :] K L M N O Z وهذه الخاتمة مهمة للبيان والاحتراز من سوء الفهم، فمع هذا الاقتدار العظيم فإن ربي على صراط مستقيم ،لا

(١) روح المعاني ١٢/٨٣، تفسير الرازي ٦/٣٦٥.
٢) البحر المحيط ٥/٢٣٤.
(٣) المصدر السابق

يجور ولا يظلم، ينصر من توكل عليه واعتصم به، ويذل ويخزي من بغى واعتدى، فهو بالمرصاد لكل ظالم باغ، فسينصر هوداً عليه السلام ويحميه بالحق والعدل.

وهو كذلك يهدي إلى الصراط المستقيم ويدل عليه.

جاء في (الكشاف): ((يريد أنه على طريق الحق والعدل في ملكه، لا يفوته ظالم ولا يضيع عنده معتصم به))[1].

وجاء في (روح المعاني): ((وهو تمثيل استعارة لأنه تعالى مطلع على أمور العباد مجاز له بالثواب والعقاب، كاف لمن اعتصم به كمن وقف على الجادة فحفظها ودفع الضرر السابلة بها وهو كقوله سبحانه:] _ ` a Z الفجر))[2].

] Q R S T U V W X Z [\ ] ^ _ ` b c

d e f g Z هود: ٥٧

هذا هو دليل جواب الشرط ومعناه إن تتولوا لم يكن عليَّ ملامة على التفريط في الإبلاغ فقد أبلغتكم الرسالة ،وما على الرسول إلا البلاغ، فأبيتم إلا التكذيب للرسالة والعداوة لي، وهو إشعار لهم بأن ليس عليه كبيرُ همٍّ بإعراضهم لأنه أعذر إلى الله بالبلاغ وهم يتحملون عاقبة ذلك التولي.[3]

وهددهم بإهلاكهم واستبدالهم بغيرهم فقال:] Z [\ ] Z وقد سبق أن ذكرهم بأنهم استخلفوا من بعد قوم نوح ﷺ بعد إغراقهم فقال لهم:] وَاذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ : ; Z الأعراف: ٦٩ .

وقوله:] ^ _ ` Z أي ولا تقدرون له على ضرّ حال إهلاككم فهو القوي القاهر، أو لا يضره هلاككُم ، ولا تنقصون من ملكه شيء ، لأنه سواء عنده كُنتم أو لم تكونوا.

] b c d e f g Z هود: ٥٧ ((إن ربي على جميع خلقه ذو حفظ وعلم))[1].

---

(١) الكشاف ٢/١٠٣.

(٢) روح المعاني ١٢/٨٣.

(٣) ينظر تفسير الطبري١٥/٣٦٥، تفسير الألوسي ٦/٢٨٢.

ولقد قال ههنا:] b c d e f g Z

وقال في سورة سبأ:] وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ Z سبأ: ٢١

من دون التوكيد بإنَّ، ذلك أن المقام في سورة هود يستدعي التوكيد وذلك أن عاداً قالوا لنبيهم ﷺ] $ % & ' Z هود: ٥٤

فتحداهم وتحدى آلهتهم بقوله:] مِن دُونِهِۦ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا : ; < = > ? @ A CD E F G H I KL M N O Z هود: ٥٥ - ٥٦ .

ثم هددهم بالاستئصال بقوله:] Z [\ ] ^ _ ` Z

فناسب ذلك أن يقول:] b c d e f g Z بالتوكيد ، تأكيداً لثقته بالله وصحة اعتصامه به، فالذي هو حفيظ على كل شيء ، لن يعجزه حفظ فرد من خلقه اعتصم به وتوكل عليه.

وأما في سبأ فالمقام والسياق ليس مقام تحدٍ فقد قال:] | { ~ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَا © لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْأَخِرَةِ ´ µ ¶ ¸ شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ Z سبأ: ٢٠ - ٢١

فالمقام مقام إخبار عن أمة ماضية ليس لهم شأن مع رسولٍ ولا نحو ذلك ولذا فهو غير محتاج إلى التوكيد كما في هود.

وقد قدم هنا الجار والمجرور] عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ Z على عامله] حَفِيظٌ Z ليبين أنه لا يفوت حفظه شيء على الإطلاق سبحانه، في حين قال في سورة الشورى:] R S T U V W X Y Z الشورى: ٦ فـأخر الجار والمجرور (عليهم) عن الخبر (حفيظ) وذلك لأن المقام ليس مقام اختصاص فإن حفظه سبحانه لا يختص بهم بل هو سبحانه على كل شيء حفيظ عليهم وعلى غيرهم ،وليس حفيظا عليهم فقط فلا حاجة للتقديم.

(١) تفسير الطبري ١٥/٣٦٥.

فكان هذا التناسق، والترتيب، والتوكيد، والتقديم، والتأخير مناسب لكل مقام بحسب السياق الذي ورد فيه.

ثم أتبع ذلك البيان بالانتقال إلى نتيجة ذلك التحدي والوعيد بذكر عاقبة الفريقين

فقال:] i j k l m n o p q r s t u v Z

إنه قال ههنا] i j k l m n o p Z فذكر الذين آمنوا معه.

أما ما ورد في الأعراف عند سياق القصة فقال:] v w x y z }

| { ~ بِـَٔايَٰتِنَاۖ وَمَا كَانُواْ مُؤۡمِنِينَ Z الأعراف: ٧٢

فقال:] w x Z ولم يذكرهم بصفة الإيمان ذلك أنه قال في الأعراف:] }

| { ~ بِـَٔايَٰتِنَاۖ وَمَا كَانُواْ مُؤۡمِنِينَ Z فذكر أنه قطع دابر القوم لسببين وهما تكذيبهم وعدم إيمانهم، فدل ذلك على أنه أنجى من هم بخلاف تلك الصفتين، وهم أهل التصديق والإيمان.

لكنه لم يقل مثل ذلك في سورة هود فكان بحاجة إلى ذكر الذين آمنوا، وهذا التناسق هو الذي يناسب السياق.

ومثل ذلك ما جاء في قصة نوح ﷺ في الأعراف فإنه قال:] z { | } {

~ وَأَغۡرَقۡنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ Z الأعراف: ٦٤

فإنه لما ذكر أنه أغرق الذين كذبوا دل على نجاة المصدقين بالآيات وهم المؤمنون.

ثم كرر أمر النجاة للمؤمنين فقال:] i j k l m n o p q r

s t u v Z وقد قيل إن تكرير التنجية للتوكيد(١)، وكذا لإظهار عظيم منته وفضله على المؤمنين فإن نجاهم لم تكن من أمر هين، بل هي نجاة من عذاب غليظ.

وقيل إنه أراد أن يذكر التنجية من الهلاك أولاً، ثم ذكر صفة العذاب الذي نجاهم منه.

جاء في (الكشاف): ((وكانت التنجية من عذاب غليظ، وذلك أن الله عز وجل بعث عليهم السموم فكانت تدخل في أنوفهم وتخرج من أدبارهم فتقطعهم عضواً عضواً.

(١) انظر البحر المحيط ٥/٢٣٥.

وقيل: أراد بالثانية التنجية من عذاب الآخرة، ولا عذاب أغلظ منه وأشد)) [١].

واختيار أن التنجية الثانية للمؤمنين تكون في الآخرة مستنبطة من أن القرآن وصف عذاب الآخرة بأنه عذاب غليظ في عدة آيات و لم يرد هذا الوصف لعذاب آخر.

قال تعالى:] وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ Z إبراهيم: ١٧ وهو في الكلام على عذاب الآخرة.

وقال:] | { ~نَضۡطَرُّهُمۡ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ Z لقمان: ٢٤

وقال:] s t u v w x y z { Z فصلت: ٥٠

وذلك كله يقوي أن المقصود بالنجاة الثانية للمؤمنين من العذاب الغليظ إنما تكون في الآخرة، والله أعلم.

جاء في تفسير الخازن:((وقيل: المراد بالعذاب الغليظ هو عذاب الآخرة وهذا هو الصحيح ليحصل الفرق بين العذابين والمعنى أنه تعالى كما أنجاهم من عذاب الدنيا كذلك ينجيهم من عذاب الآخرة ووصف عذاب الآخرة بكونه غليظاً لأنه أعظم من عذاب الدنيا)) [٢]

ومن التناسق اللطيف في الآية التناظر في التعبير فكما كرر التنجية للمؤمنين كرر اللعنة علي الكافرين في الدنيا والآخرة فقال:] وَأُتۡبِعُواْ فِي © ٱلدُّنۡيَا لَعۡنَةً Z هود: ٦٠

وهو تناسق متساوٍ في العدد فإنه ذكر التنجية للمؤمنين مرتين وذكر اللعنة على الكافرين مرتين.

وهو مما يقوي أيضا أن التنجية الأولى من الهلاك في الدنيا وقطع الدابر، وأن التنجية الثانية من عذاب الآخرة ، الذي وصفه أنه غليظ ،وذلك أنه ذكر لعنتين :لعنة في الدنيا ولعنة في الآخرة، والله أعلم.

ومن التناسق والتناسب الدقيق أيضاً أنه قال ههنا:] l m Z بتضعيف عين الفعل، وقال في الأعراف في القصة نفسها:] z { | Z أي بدون تضعيف لفعل التنجية.

(١) الكشاف ٢/١٠٤.

(٢) تفسير الخازن ٣/٢٣٨.

والقرآن الكريم كثيراً ما يستعمل (نجّى) للتلبث والتمهل، ويستعمل (أنجى) للإسراع في النجاة، فإن (أنجى) أسرع من (نجّى) في التخليص من الشدة و الكرب (١).

فاستعمل في الأعراف (أنجى) واستعمل في هود (نجّى) ذلك أن القصة في هود كانت كأنها استكمال لما ورد في الأعراف.

فجاء بالفعل بالتضعيف ليشمل الزمانين .

كما أن التضعيف للتنجية أيضاً يدل على أن تلك التنجية كانت من عذاب في غاية الفظاعة وهو العذاب الغليظ. (٢)

ومن ناحية أخرى أن الحوار المذكور من القصة في سورة هود يدل على استغراقه زمناً أطول من الزمن الذي بذله في الأعراف فكان الجدال بينهما أطول والمحاورة أكثر.

فناسب أن يستعمل (نجّى) بالتضعيف للدلالة على استنقاذه من هذا الحال ،وأما في الأعراف فالجدال أقل وأهون فاستعمل (أنجى).

وقال:] q r Z ليدل على أنه ما كانت تلك النجاة في الدنيا ولا في الآخرة إلا برحمة منه سبحانه لا بعملهم وحده، فإن العمل لا ينجي وحده إن لم تشمل العبد رحمة الله. وإن استحقوا النجاة مكافأة لهم على إيمانهم فإن رحمته شملتهم سلفاً بأن هداهم للإيمان.

قوله تعالى:] x y { | } ~ رُسُلَهُۥ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَمۡرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٖ ٥٩ وَأُتۡبِعُواْ فِي ٱلدُّنۡيَا لَعۡنَةٗ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَآ إِنَّ عَادٗا كَفَرُواْ ´ ¶ ¸ لِّعَادٖ قَوۡمِ هُودٖ Z هود: ٥٩ – ٦٠

ختم سبحانه قصة القوم وحالهم مع نبي الله هود عليه السلام بهذه الخاتمة التي شحنت أسفاً، ووعظاً وعبرة، كما أنه لما أتم قصتهم على هذا الوجه البديع، والأسلوب المتناسق الدقيق، عطف سبحانه على ما سلف من قوله :] e f g h i j l m n o p q r s t Z الآية ،هود: ٤٩،] x y Z أي قصة القوم البعداء البغضاء، وفي هذه الجملة إشارة إلى قبورهم وآثارهم وكأنه ينبه للاعتبار بما آلو إليه من بعد وخزي بسبب

(١)ينظر بلاغة الكلمة في التعبير القرآني ٦٢_٧٠.

(٢)ينظر نظم الدرر ٣/٥٤٥.

جحودهم وعصيانهم [1].

ثم قال:] } | { ~ رُسُلَهُۥ Z هود: ٥٩ فبدأ ببيان ما أودى بهم إلى هذه النهاية وهو الجحود، والجحود: أن يقر المرء بقلبه أمراً ولا يعترف به بلسانه ،و يتفرع منه إنكار ما تعلم من الحق، وهو ككفر إبليس، وكفر اليهود، وكجحود قوم فرعون إذ قال تعالى فيهم:] ! " # $ % & Z النمل: ١٤ وقال سبحانه لنبينا ﷺ:] © لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ Z الأنعام: ٣٣ وسبب هذا الجحود سيطرة الهوى والشهوة والعصبية الجاهلية، وكذلك جحد قوم عاد بآيات ربهم مع استيقان نفوسهم أنها حق وذلك صلف وعناد[2]، ثم قال:] ~ رُسُلَهُۥ Z هود: ٥٩ وهو السبب الثاني لاستحقاهم العذاب، فإن الله قال:] r s t u v w x y Z النساء: ٦٤ كما أنه أطلق معصيتهم فهم عصوا عصياناً كاملاً، وردوا كل ما جاء به رسلهم.

وهي مرتبة أخرى بعد الجحود فالجحود وقع بقلوبهم وألسنتهم، والعصيان وقع بأفعالهم وألسنتهم كذلك، وكل ذلك منهم مكابرة، وعناداً، ومحاربة للحق.

ثم أتبع ذلك بذكر ثالث أسباب هلاكهم فقال:] وَٱتَّبَعُوٓاْ أَمۡرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٖ Z هود: ٥٩ وهو نقيض موقفهم من رسلهم ، فإنهم لم يكتفوا بعصيان الرسل بل كانوا منقادين للجبابرة، مناصرين لهم.

ومن أوجه التناسق والتناسب في الآية الكريمة ما يلي:

١- أنه رتب أسباب هلاكهم بحسب عظمها فبدأ بذكر جحودهم لآيات ربهم فقال:] } | { Z ثم معصيتهم رسله فقال:] ~ رُسُلَهُۥ Z ثم اتباعهم كل جبار فقال:] وَٱتَّبَعُوٓاْ أَمۡرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٖ Z وقد أثبت بذلك أنهم ضيعوا الحقوق الثلاثة حق الله وهو الاعتراف بفضله والاستجابة لأمره، وحق رسله وهو التصديق والطاعة، وحق النفس من الحرية بعدم الاستجابة والانسياق وراء

(١) ينظر: الكشاف ٢/١٠٤، نظم الدرر،٣/٥٤٦.

(٢) ينظر: تفسير البغوي،١/ ٨٦، زهرة التفاسير،١/٢٤٧٧.

كل جبار وظالم.

٢-أنه قال:] وَٱتَّبَعُوٓاْ Z بالتشديد، و لم يقل (تبعوا) وذلك للدلالة على مبالغتهم في اتباع الجبابرة.

٣-أنه قال] وَٱتَّبَعُوٓاْ أَمۡرَ كُلِّ جَبَّارٍ Z و لم يقل (اتبعوا أمر الجبارين) أو ما شابه ذلك، لأنه أراد استغراق الإتباع لكل جبار ،فلم يقتصر إتباعهم لفريق من الجبابرة، بل هم منساقون لأمر كل جبار.

٤-خص الجبابرة الذين اتبعوهم بصفة العناد فقال:] جَبَّارٍ عَنِيدٍ Z هود: ٥٩ دلالة على زيادة المكابرة، والإصرار على مخالفة أوامر الله.

كما أن وصف الجبار بالعنيد مناسب للجحد الذي وقع منهم والذي ذكرنا معناه حيث يأبى صاحبه أن يقر بلسانه ما أقر به قلبه بسبب العناد والاستكبار، فهم متشاكلون مع جبابرتهم في الجحود والعناد، والكِبْر.

لقد جاءت هذه الآية العظيمة الخاتمة لقصتهم مبينة مقدار عنادهم وعتوهم واستحقاقهم ما وقع عليهم من أكثر من جهة:

١- فقد قال إنهم جحدوا بآيات ربهم مع عملهم أنها حق.

٢- وقال:] | { Z هود: ٥٩ وهو من أسوأ الجحود إذ إنهم جحدوا بآيات ربهم الذي تفضل عليهم بالنعم وأحسن إليهم.

٣- وقال:] ~ رُسُلَهُۥ Z هود: ٥٩ أي عصوا رسل ربهم المتفضل عليهم ، وهم عصوهم مع علمهم أنهم رسل الله.

٤- وقال:] ~ رُسُلَهُۥ Z هود: ٥٩ و لم يقل (وعصوا رسوله) ليدل على أنهم عصوا كل ما جاء عن رسل الله و لم يتبعوا أحدًا منهم. وهذا يدل على المبالغة في المعصية ، لأنهم إذا عصوا

رسولهم فقد عصوا جميع رسل الله فإن الله قال على لسان المؤمنين:] z y x w v
} Zالبقرة: ٢٨٥ وعلى هذا يكون الجمع للدلالة على المبالغة في عصيانهم[١].

٥- وقال:] وَٱتَّبَعُوٓاْ Z هود: ٥٩ بالتشديد والتأكيد، و لم يقل (تبعوا) وذلك لبيان إفراطهم في اتباع الجبابرة وطاعة أوامرهم.

٦- وقال:]كُلِّ جَبَّارٍ Z هود: ٥٩ فلم يقتصروا على إتباع جبار واحد، بل ولا مجموعة من الجبابرة بل سعوا، واتبعوا كل جبار على سبيل العموم والاستغراق.

- وقال في وصف الجبار:] عَنِيدٍ Z هود: ٥٩ فجاء بصيغة المبالغة ليدل على المبالغة في عناده. وذلك يدل على زيادة عتوهم وظلمهم.

قوله تعالى:] وَأُتۡبِعُواْ فِي © ٱلدُّنۡيَا لَعۡنَةٗ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَآ إِنَّ عَادٗا كَفَرُواْ ´ ¶ لِّعَادٖ قَوۡمِ هُودٖ Z هود: ٦٠ اللعنة هي الطرد من رحمة الله.

وهؤلاء القوم قد أرسلت اللعنة عليهم فهي تطاردهم وتتبعهم حيثما كانوا في هذه الدنيا ويوم القيامة، فهي تلازمهم لا تبقي لهم أملاً في رحمة لا في الدنيا ولافي الآخرة، وهم مستحقون لذلك، فكما أنهم بالغوا في عنادهم ومعصيتهم وبالغوا في إتباع كل جبار عنيد وأصروا عليه أبداً، كان لهم هذا العقاب الأبدي الذي لا ينفك عنهم.

جاء في (روح المعاني):(( ] وَأُتۡبِعُواْ فِي © ٱلدُّنۡيَا لَعۡنَةٗ Z هود: ٦٠ أي إبعادًا عن الرحمة وعن كل خير أي جعلت اللعنة لازمة لهم. وعبر عن ذلك بالتبعية للمبالغة فكأنها لا تفارقهم وإن ذهبوا كل مذهب بل تدور معهم حسبما داروا، أو لوقوعه في صحبة أتباعهم ...] وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ Z هود: ٦٠ أي وأتبعوا يوم القيامة لعنة أيضاً وهي عذاب النار المخلد.

حذف ذلك لدلالة الأول عليه، وللإيذان بأن كلًّاً من اللعنين نوع برأسه لم يجتمعا في قرن واحد بأن يقال (وأتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة لعنة). ونظير هذا قوله تعالى:

(١) ينظر: تفسير الرازي،١٨/ ٣٦٦، اللباب،١٠/٥١٠.

[" #$ % & ' ( ) Z الأعراف: ١٥٦ .

وعبر بيوم القيامة بدل الآخرة هنا للتهويل الذي يقتضيه المقام))(١)

ومن أوجه التناسق في الآية الكريمة ما يلي:

١- أنه قال هنا:] وَأُتْبِعُواْ فِى © ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ Z هود: ٦٠

وقال في السورة نفسها في قصة فرعون:] وَأُتْبِعُواْ فِى © لَعْنَةً Z هود: ٩٩ فلم يأت بذكر (الدنيا) بعد كلمة (هذه) وذلك لأنه ذكر شيئًا من أمور الدنيا في قصة هودعليه السلام فقال:] يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا Z هود: ٥٢ ، ثم ذكر أن الله يستخلف قومًا غيرهم، وذلك إنما يكون في الدنيا، ولم يتعرض لمثل هذا في قصة فرعون.

وفي المقابل ذكر يوم القيامة وورد القوم للنار فيه في قصة فرعون، ولم يذكر شيئًا عن عقوبتهم في الدنيا فقال:] ! " # $ % & ' ( ) * Z هود: ٩٨ .

بخلاف حديثه عن قوم هودعليه السلام فإنه ذكر مجيء أمر الله عليهم في الدنيا وأنه نجى هوداًعليه السلام والذين آمنوا معه فقال:] i j k l m n o p q r s t u v Z هود: ٥٨ فناسب ذكر الدنيا.

ويؤكد ما سبق أنه في موطن آخر لما ذكر عقوبة فرعون وجنوده في الدنيا فقال:

[p q r s t v w x y z Z القصص: ٤٠ أتى بذكر الدنيا بعد كلمة (هذه) فقال:] وَأَتْبَعْنَـٰهُمْ © هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ Z القصص: ٤٢

فناسب ذكر الدنيا في قصة هودعليه السلام، وإضمارها في قصة فرعون ومن تبعه في سورة هود، وناسب ذكر الدنيا مع قصة فرعون وقومه في سورة القصص.

(١) روح المعاني ١٢/٨٧.

٢- أنه قال ههنا:] وَأُتۡبِعُواْ فِي © ٱلدُّنۡيَا لَعۡنَةً وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ Z ببناء الفعل (أتبعوا) للمجهول.

واختار في سورة القصص في قصة فرعون (وأتبعناهم) فقال:] وَأَتۡبَعۡنَٰهُمۡ ©هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا لَعۡنَةً Z القصص: ٤٢ ببناء الفعل للمعلوم وإسناده إلى ضمير الجماعة لإظهار عظمته، ذلك أن سياق القصة في سورة القصص قد سار في الإسناد إلى ضمير التعظيم، باستخدام نون العظمة فقد قال فيها: (فأخذناه) ، (فنبذناهم) ، (وجعلناهم) ،وغيرها، فأسند الإهلاك إلى ضمير التعظيم.

فناسب هنا بناء الفعل للمعلوم وإسناده إلى ضمير المتكلمين بقوله:] وَأَتۡبَعۡنَٰهُمۡ Z جرياً على نسق السورة.

وأما السياق في سورة هود فهو في الكلام على الغائب، فقد قال:] x y { | y x { ~ رُسُلَهُۥ Z هود: ٥٩ ولم يقل: جحدوا بآياتنا، ولا عصوا رسلنا.

كما أنه قال:] أَلَآ إِنَّ عَادٗا كَفَرُواْ ´ Z هود: ٦٠ ولم يقل (كفروا بنا) ولا (كفرونا).

فناسب ذلك قوله:] , - . / Z هود: ٩٩ بالبناء للمجهول.

٣- أنه كرر حرف التنبيه(١) (ألا) مرتين في الآية فقال:] أَلَآ إِنَّ عَادٗا كَفَرُواْ Z وقال:] ¶ ¸ لِّعَادٖ Z وكل ذلك تنبيهاً على سوء مآلهم، وزيادة في ذمهم، وتحذيراً من مسلكهم، فجمع بتكرار حرف واحد ثلاث معان(٢).

جاء في (البحر المحيط): ((ثم كرر التنبيه بقوله (ألا) في الدعاء عليهم تهويلاً لأمرهم وتفظيعاً له وبعثاً على الاعتبار والحذر من مثل حالهم)) (٣)

٤- أنه قال:] أَلَآ إِنَّ عَادٗا كَفَرُواْ ´ Z اختار (كفروا ربهم) ولم يقل (كفروا بربهم)

(١)حروف التنبيه «ها» و«ألا» و «أما» والفرق بين «أما» و «ألا» أن «أما» للحال أو للماضي و«ألا» للاستقبال.

(١)إعراب القرآن وبيانه ٣٨٩/٨.

(٢) البحر المحيط ٢٣٦/٥.

وهذا الاختيار يفيد معنيين: أولهما: كفران النعمة، وهو نقيض الشكر.
والآخر: جحودهم وهو نقيض الإيمان.
ولو قال (كفروا بربهم) لما أدى إلا معنىً واحداً وهو الكفر بالله تعالى.(١)

٥-أنه لما قال سبحانه:] ¶ ¸ لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ Z أكد بعطف البيان بقوله :] قَوْمِ هُودٍ Z وهو مفيدٌ للتأكيد وزيادة البيان، فلا مفر لهم من هذا البعد الذي استحقوه والتصق بهم، وقد قيل إن عاداً قبيلتين الأولى القديمة وهم قوم هودعليه السلام، والقصة فيهم والأخرى هي إرم، وقيل إن عادُ إرم هي عادٌ هذه وهم قوم هودعليه السلام وهي عاداً الأولى، فعلى كل الأحوال هم محددون أنهم عاد قوم هودعليه السلام.(٢)

٦- أنه كرر بعض الأمور في الآية مرتين فتوافقت في أعدادها وهي خمسة أمور، فكرر اللعنة مرتين فقال:] فِي © ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ Z ، وذكر الدنيا مرتين: مرة باسم الإشارة (هذه) ، ومرة بالاسم الصريح، وكرر اسم عاد مرتين، وكرر (ألا) مرتين، كما دل على عادٍ مرتين: مرة باسمهم ومرة بذكر أنهم قوم هودعليه السلام.

المبحث الرابع: قصة صالح عليه السلام مع قومه، ويشمل الآيات (٦١-٦٨).

وردت هذه القصة في عشر سورٍ من كتاب الله، ونرى أنه في كل سورة يعتني بجانب من جوانب القصة، ويذكر مالم يذكره في المواضع الأخرى مراعياً في كل سورة ما يقتضيه السياق وما يراد بيانه، وما يقصده من وراء ذكرها في ذلك الموضع، وكل ذلك في تناسق وتناسب لطيف.

وهذه السور هي: الأعراف، وهود، والحجر، والشعراء، والنمل، وفصلت، والذاريات، والقمر، والفجر، والشمس.

وشواهد ما سبق من هذا التناسب والتناسق فيما يلي:

---

(٣) ينظر: روح المعاني ١٢/٨٧.

(٤) ينظر: الكشاف ٢/١٠٤،فتح القدير ٥/٤٢٢.

أولاً: أنه بدء في عرض القصة في أول موضع وهو في سورة الأعراف بدعوة صالح عليه السلام قومه ثمود إلى عبادة الله وحده فقال لهم:] يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ Z الأعراف: ٧٣ وهو على نسق ما جاء في السورة على لسان أكثر الأنبياء عليهم السلام، فقد أورد ذلك على لسان نوح، وهود، وصالح، وشعيب عليهم السلام.

ثم ذكّرهم بنعم الله عليهم بأن بوأهم في الأرض يتخذون من سهولها قصوراً وينحتون من الجبال بيوتاً.

بينما نجده في المواطن الأخرى للقصة في غير هذه السورة لا يجمع كل هذه الأمور، وإنما يذكر جانبًا واحدًا من هذه النعم. فقد أشار بأنهم ينحتون من الجبال بيوتاً في سورتي الحجر والشعراء، ولم يذكر اتخاذ القصور من السهول.

ثانياً: أنه عرض في الأعراف الجدال بين الملأ الذين استكبروا من قومه وبين المستضعفين من المؤمنين، ولم يذكر أنهم واجهوا صالحًا عليه السلام وجادلوه فقال:] > = <

J I H G F E D C B A @ ?

Y X W V U T S R Q P O N L K

Z \ [Z الأعراف: ٧٥ – ٧٦ .

فكان البيان هنا لما دارمن الجدال بين المستكبرين من قومه، وبين أتباعه عليه السلام.

أما في سورة هود فعرض حديث صالح عليه السلام للقوم عموماً فأجابوه بما ذكر سبحانه:] قَالُواْ يَٰصَٰلِحُ قَدۡ à فِينَا â قَبۡلَ هَٰذَآۖ أَتَنۡهَىٰنَآ ç è é ê ë وَإِنَّنَا لَفِي î ï تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ مُرِيبٖ Z هود: ٦٢ فعرض الجدال الذي دار بينه وبين قومه مباشرة.

ثالثاً: أنه في الأعراف ذكر لهم المعجزة الدالة على صدق نبوته عليه السلام وهي الناقة، وأضافها إلى الله فقال (ناقة الله) لتعظم المعجزة في نفوسهم، ولأنها لا تعود لأحد من البشر وإنما هي لله، خلقها، وأخرجها من الصخرة ليقيم الحجة عليهم، كما حذرهم من التعرض لها بسوء كي لا يستحقوا بفعلتهم العذاب الأليم.

ثم بين جرمهم، واجتراءهم بعقر الناقة، وعتوهم عن أمر ربهم، ثم تحديهم لصالح عليه السلام بقولهم له:] e f g h i j k l Z الأعراف: ٧٧ ثم بين أنه عاقبهم بأخذهم بالرجفة.

أما في سورة هود فقد ذكر لهم كذلك الآية التي تدل على صدقه عليه السلام وهي الناقة، وحذرهم أيضاً من أن يمسوها بسوء، وكأنه تأكيد على بلوغ الإنذار لهم مرة بعد مرة.

ثم ذكر عقوبة الله لهم بعقرهم الناقة وهي أخذهم بالصيحة ، لا بالرجفة كما قال في الأعراف، فأصبحوا في ديارهم جاثمين.

وفي سورة الحجر أشار إلى زمن العذاب أو بدايته فقال:] j k l Z الحجر: ٨٣.

رابعاً: في سورة الحجر كانت المرة الوحيدة التي ذكر عنهم أنهم أصحاب الحجر، فذكر محل سكناهم وهو الحِجْر.

والحجر هو موطن ثمود قوم صالح عليه السلام ، ويقع بين الحجاز والشام(١).

ولم يذكر دعوته عليه السلام لهم إلى عبادة الله وإنما ذكر تكذيبهم المرسلين، فكأنها استكمال لما ورد في الأعراف وهود، فقد دعاهم نبيهم عليه السلام هناك إلى توحيد الله وعبادته والتصديق بنبوته وقبول الآية الدالة على صدقه.

أما هنا فأخبر عن تكذيبهم المرسلين وأعراضهم عن آيات الله، فجاءت الآيات بعرض شامل لما كانوا إليه.

كما أنه في الحجر لم يأت بذكر اسم صالح عليه السلام ولا اسم القوم فلم يذكر اسم ثمود ولا صالح عليه السلام كما لم يذكر الناقة، كما في الموضعين السابقين، بل اكتفى بذكر مكانهم. وذكر كما أشرت زمن عذابهم فقال:] j k l m Z، فاعتنى في سورة الحجر بالزمان والمكان.

وهذا ما جاء في شأنهم في سورة الحجر:

---

(١) انظر البحر المحيط ٥/٤٦٣، الكشاف ٢/١٩٤.

c b a ` _ ^] \ [Z Y X W [

r q p o n m l k j i h g f e d

s t Z الحجر: ٨٠ - ٨٤ قال في هذا الموطن(آيات) ولم يقل (آية) بالإفراد وهذا هو الموطن الوحيد الذي ذكرت فيه الآيات بالجمع في هذه القصة.

وأما في الأعراف وهود فإنه ذكرها بالإفراد.

وذلك أنه قال:] W X Y Z [Z فذكر المرسلين بالجمع، والمرسلون لهم آيات متعددة لا آية واحدة فناسب أن يذكرها بالجمع.

وقد يقال: ما ورد في سورة الشعراء قوله:] < ? @ Z الشعراء: ١٤١ بجمع (المرسلين) ثم قال بعدها (آية)، وذكر الناقة كذلك.

والجواب: أن السياق مختلف فإنه في سورة الحجر لم يذكر رسولاً معيناً وإنما ذكر الرسل على العموم، في حين أن الكلام في الشعراء على صالح ﷺ وحده فقد قال:] < ? @ A B C D E F G H Z الشعراء: ١٤١ - ١٤٢

فكان المناسب أن يذكر آية صالح ﷺ لأن الكلام عليه وحده.

وأما قوله:] < ? @ Z إنما هو للدلالة على أن تكذيبهم صالح ﷺ تكذيب لإخوته في الرسالة فهم أبناء علات[1]، كما في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:(أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِابْنِ مَرْيَمَ ، وَالأَنْبِيَاءُ أَوْلاَدُ عَلاَّتٍ ، لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ نَبِي) [2].

(١)أَوْلَاد علات أَي إخْوَة من أَب أمهاتهم شتى، أي أمهاتهم شتى ودينهم واحد، ينظر: فتح الباري،١/١٥٩.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، برقم: ٣٤٤٢، باب(واذكر في الكتاب مريم)،١٢/١٥٢.

خامساً: ما ورد عن هذه القصة في سورة الشعراء جاء على نسق عرض قصص عموم الرسل في نفس السورة فقد قال سبحانه:] < ? @ A B C D E F G H I J K L M N O P Q Z الشعراء: ١٤١ – ١٤٤.

وهو ما قاله عموم الرسل لأقوامهم في هذه السورة، فإنهم أمروهم بتقوى الله وطاعة رسوله الذي أرسله إليهم، ولم يذكر دعوتهم لهم إلى توحيد الله وعبادته ابتداءً، كما سبق في الأعراف وهود، فهي مرحلة بعد التبليغ بتوحيد الله وعبادته.

فبعد توحيد الله وعبادته، أمروهم بتقوى الله وطاعتهم لأن طاعة الرسل طاعة لله وبها نجاتهم.

وهو ما قاله صالح لقومه أيضاً.

ثم انتقل إلى تذكيرهم بنعم الله عليهم، فذكر لهم الأمن، وما أمدهم به من بساتين ومزارع، وأنواع الزروع فيها، وثمار النخيل الهضيم، والرفاهية في العيش بنحت بيوتهم في الجبال حاذقين بنحتها، وأشرين بطرين بفعلهم هذا(١).

قال:] ` a b c d e f g h i j k l m n o p q r s Z الشعراء: ١٤٦ – ١٤٩.

فذكر من النعم ما لم يذكره في المواضع الأخرى فيما سبق.

وبين بعد ذلك شيئاً من جدالهم وجرأتهم عليه بأن قالوا له:] إِنَّمَآ أَنتَ © ٱلۡمُسَحَّرِينَ Z الشعراء: ١٥٣ أي من الذين سحروا مرة بعد مرة فغلب عليه أثر السحر، أو بمعنى أنك بشر مثلنا وهذا مبلغك فكيف تقول ما تقول؟(٢).

ثم عرض لطلبهم منه آية تدل على صدقه، ورد صالح عليهم بأن آية صدقه الناقة، وأن الله قد جعل لها يوماً لتشرب فيه الماء، ولهم شرب يوم.

وهو أول موضع يذكر فيه أن الماء بين القوم والناقة لكل منهما يوم.

---

(١) ينظر: تفسير الطبري،١٩/٣٨٢.

(٢) ينظر: تفسير الطبري،١٩/٣٨٥،زاد المسير،٣/٣٤٦.

وقد ذكر في سورتي الأعراف وهود الأكل وقال لهم:] فَذَرُوهَا تَأۡكُلۡ فِيٓ أَرۡضِ ٱللَّهِۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ Z الأعراف: ٧٣ وهود: ٦٤ وذكر هنا الشرب، والقسمة فيه فقط.

كما أنه قد ذكر الشرب أيضاً في سورتي القمر، والشمس و لم يذكر الأكل.

ثم حذرهم من أن يمسوها بسوء وإلا أخذهم عذاب يوم عظيم.

ثم بين فعلهم بعد ذلك فقال:] فَعَقَرُوهَا فَأَصۡبَحُواْ نَٰدِمِينَ Z الشعراء: ١٥٧ و لم يحدد نوع العقوبة التي حلت بهم بعد ذلك، وإنما ذكر العذاب على العموم فقال:] P Q Z و لم يحدد أنها صيحة أو رجفة أو غيرهما.

وهذا ما ورد في هذه السورة الكريمة عن هذه القصة:

N M L K J I H G F E D C B A @ ? > [

ba ` _ ^] \ [Z Y W V U T S R Q P O

p o n m l k j i h g f e d c

يُفۡسِدُونَ فِي ~ } | { z y x w v u t s r q

ٱلۡأَرۡضِ وَلَا يُصۡلِحُونَ ﴿١٥٢﴾ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ © ٱلۡمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا فَأۡتِ بِـَٔايَةٍ ´ µ ¶ ﴿١٥٤﴾ قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٞ لَّهَا شِرۡبٞ وَلَكُمۡ شِرۡبُ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابُ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴿١٥٦﴾ فَعَقَرُوهَا فَأَصۡبَحُواْ نَٰدِمِينَ ﴿١٥٧﴾ فَأَخَذَهُمُ ٱلۡعَذَابُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ Z الشعراء: ١٤١ – ١٥٨

سادساً: ما ورد عن هذه القصة في سورة النمل بدأ ببيان أنه أرسل إلى ثمود أخاهم صالحاً عليه السلام وأنه دعاهم لعبادة الله فإذا هم فريقان متخاصمان.

و لم يذكر من هما الفريقان وما شأنهما، وما شابه ذلك، ولكن المقام يدل على أنهما فريق مؤمن وفريق كافر.

و لم يذكر أنهم طلبوا منه آية، كما سبق في الشعراء، وإنما ذكر وجود تسعة من الرهط يفسدون ولا يصلحون، وأنهم قد تواطؤا على قتله وأهله.

ولم يرد هذا البيان في موضع آخر من القرآن الكريم، وهو أنسب موطن لذكر ذلك فإنه كان نهاية الاختصام.

ثم ذكر عاقبة هذا المكر أن الله دمرهم وقومهم أجمعين، ولم يذكر كيف دمرهم ولا نوع العقوبة التي حلت بهم، ولا زمنها كما سبق.

وهذا ما ورد في هذه السورة الكريمة عن هذه القصة:

/ . - , + *) (' & % $ # " ! [

= < ; : يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ

Q P O N M L K J I H F E D C A @ ? >

` _ ^] \ [Z Y X W V U T S R

m l k j i h g f e d c b a

z y x w v u t s r q p o n

} | { إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ © وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ Z النمل: ٤٥ – ٥٣.

سابعاً: أما في سورة فصلت فإنه عرض القصة موجزة لأنه لم يرد عرض القصص وبيانه فيها، بل قصد الوعظ والتخويف، والترهيب لمن صد عن هداية الله، وعاند وكابر واستخف برسول الله ﷺ، فهدد كفار قريش بالآية التي نزلت عليهم كالصاعقة إذ قال:

] فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ : ; < = > ? Z فصلت: ١٣ ، ثم ذكر ما حصل لعاد باستكبارهم، ولم يذكر عن ثمود إلا أنه هداهم فاستحبوا العمى على الهدى فأخذتهم صاعقة العذاب الهون، وهو أول موطن يرد فيه ذكر الصاعقة في هذه القصة. ولم يذكر فيها أن صالحاً عليه السلام دعاهم إلى شيء، أو حذرهم من شيء أو بين لهم نعم الله عليهم كما سلف.

وهذا تمام ما ورد في هذه السورة الكريمة عن هذه القصة:

قال تعالى:] وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ´ µ ¶ ¸ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ Z فصلت: ١٧ - ١٨

ثامناً: ما ورد في سورة الذاريات جاء أيضاً على نمط ونسق جميع القصص فيها، فهو مختصر، يقرع النفوس بالموعظة، ويرهب من عاقبة الأمن من مكر الله، وأخذه لمن عتى وتجبر، وبيان أن الإمهال عاقبته إذهال، فقد ذكر فيها أنه قيل لثمود تمتعوا حتى حين، فعتوا عن أمر ربهم، فأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون، قد تملكهم الذهول، وانعدام الحيلة، وحلول الهزيمة عليهم، وهو مالم يذكر في غيرها من المواطن السابقة.

كما أنه لم يذكر من القائل ولا إلى أي شيء دعاهم، وغير ذلك مما بينه في الموضع الأخرى.

وهذا مجمل ما ورد في هذه السورة الكريمة عن هذه القصة:

] } | { ~ لَهُمْ تَمَتَّعُوا۟ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾ فَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ © ٱلصَّٰعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٤٤﴾ فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مِن قِيَامٍ وَمَا ´ µ Z الذاريات: ٤٣ - ٤٥

تاسعاً: ما ورد في سورة القمر عن ثمود جاء أيضاً على نمط ونسق جميع القصص في هذه السورة الكريمة، فإنه قال:] كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ Z القمر: ٢٣

وهو افتتاح جل القصص في هذه السورة، ثم ذكر أنهم استنكروا أن يتبعوا بشراً نبياً، ثم قالوا عن نبيهم كذاب أشر، ولم يذكر اسمه (عليه السلام)، ولم يرد مثل هذا البيان لما وصفوه به في موضع آخر من القرآن، فتوعدهم ربنا بقوله:] سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ Z القمر: ٢٦.

ثم ذكر أنه أرسل الناقة فتنة لهم، وقال لهم إن الماء قسمة بينهم كل شرب يحضره أصحابه، فنادوا صاحبهم فتناول الناقة بيده فعقرها[1]، ثم ذكر أنه أرسل عليهم صيحة واحدة فكانوا

(١) ينظر: تفسير الطبري،١٩/٣٨٥،زاد المسير،٣/٣٤٦.

كالهشيم المتبقي من الحظيرة التي تصنع للدواب[١]، ولم يرد مثل هذا في موضع آخر من القرآن.

قال تعالى:] كَذَّبَتۡ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرٗا مِّنَّا وَٰحِدٗا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذٗا لَّفِي ضَلَٰلٖ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾
أَءُلۡقِيَ ٱلذِّكۡرُ عَلَيۡهِ مِنۢ بَيۡنِنَا بَلۡ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٞ ﴿٢٥﴾ سَيَعۡلَمُونَ غَدٗا مَّنِ ٱلۡكَذَّابُ ٱلۡأَشِرُ ﴿٢٦﴾ إِنَّا مُرۡسِلُواْ
ٱلنَّاقَةِ à لَّهُمۡ â وَٱصۡطَبِرۡ ﴿٢٧﴾ ! " # $ %' ( ) (* + ,
فَكَيۡفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٠﴾ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ : ; > Z - . /
القمر: ٢٣ – ٣١.

وأما في سورة الفجر فلم يذكر عن ثمود إلا أنهم جابوا الصخر بالواد أي: قطعوه ونحتوه وجعلوه بيوتاً[٢].

كما إنه أول مرة يذكر الوادي الذي ينحتون فيه، كما لم يذكر عقوبة محددة لهم بل أشار بقوله:] Y Z [\ ] Z الفجر: ١٣ إلى صنوف من عذاب أنزلها بهم وهو مثل سائر في شدة العذاب[٣].

وأما في سورة الشمس فذكر أن ثمود كذبت بسبب طغيانها وذكر أن أشقى القوم انبعث، والظاهر أن انبعاثه لأجل عقر الناقة[٤]، كما لم يخف عاقبة صنيعه كما قال البعض[٥]، وأن رسولهم عليه السلام حذرهم فقال لهم:] V W X Z الشمس: ١٣ ونسبها لله تعظيماً لشأنها لئلا يتعرضوا لها، وكان ردهم أن كذبوه فعقروها.

(١) ينظر: تفسير الطبري،٢٢/٥٩٥، زاد المسير،٤/٢٠١.
(٢) ينظر: تفسير الطبري، ٢٤ /٤٠٨.
(٣) ينظر: تفسير الطبري، ٢٤ /٤١١.
(٤) ينظر زاد المسير ٤/٤٥١.
(٥) المصدر السابق.

ثم أنه ذكر العذاب بوصف لم يذكره في بقية المواضع فقال:] \ [^ _ ` Z الشمس: ١٤ أي أطبق عليهم العذاب مكرراً ذلك عليهم[1].

وهكذا نرى أن القصة ليست مكررة في تلك السور، وإنما يذكر في كل موضع ما يناسب السياق الذي وردت فيه. كما يذكر في كل موضع منها جانباً لم يذكر في المواضع الأخرى.

التناسق القرآني في دعوة صالح عليه السلام عليه السلام لقومه:

بين لنا القرآن الكريم أن أول ما دعا صالح عليه السلام قومه أن دعاهم إلى عبادة الله وتوحيده فقال تعالى:] وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ © قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ ´ ¶ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ Z الأعراف: ٧٣،ثم ذكر لهم البينة التي جاءتهم من ربهم ، وذكرهم بالنعم التي أنعم الله عليهم بها. وذلك في سورة الأعراف وهو أول موطن يصرح فيه بقصة صالح عليه السلام.

كما أنه في السورة التي بين أيدينا سورة هود ذكرهم بعد دعوتهم لعبادة الله وتوحيده بنعم الله عليهم بالإيجاد وإعمار الأرض، ثم أمرهم أن يستغفروا ربهم ثم يتوبوا إليه فقال:

(١) انظر البحر المحيط ١٠/٤٩٠.

] وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ Z هود: ٦١.

وأما في سورة الحجر فقد أشار القرآن مباشرة بأنهم كذبوا المرسلين بينما كان تكذيبهم لصالح عليه السلام ، وذلك أن تكذيب أحد المرسلين تكذيب لجميعهم(١)، وذكر إعراضهم عن آيات الله ولم يذكر مواجهة بين صالح عليه السلام وبين قومه، وإنما كانت الآيات إخباراً عن القوم وماحل بهم.

قال تعالى:] W X Y Z [\ ] ^ _ ` a b c d e f g h i j k l m n o p q r s Z الحجر: ٨٠ – ٨٤.

وفي الشعراء ذكر أمراً آخر طلبه نبيهم منهم إذ قال لهم:] فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ Z الشعراء: ١٤٤ وهو ما طلبه الرسل من أقوامهم في السورة.

ثم ذكرهم بالنعم، ونهاهم عن الفساد وحذرهم من الأمن من مكر الله، كما ذكر تحديهم له فقال تعالى:] قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ © ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ ´ µ ¶ ¸ Z الشعراء: ١٥٣ - ١٥٤ ولم يذكر أمر صالح عليه السلام لهم بعبادة الله وتوحيده، وكأنها متابعة لما في الأعراف وهود.

وأما في سورة النمل فإنه أشار بضمير المتكلم مستخدماً نون العظمة إلى إرسال الله تعالى صالحاً إلى ثمود بعبادة الله وحده فقال:] ! " # $ % & ' ( ) Z النمل: ٤٥

ثم ذكر اختصام الفريقان في هذا الأمر، وأنه دعاهم إلى الاستغفار لعل الله يرحمهم فقال لهم:] يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ ۖ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ : ; Z النمل: ٤٦

(١) ينظر: تفسير القرطبي ١٠/٤٥.

ثم ذكر جانباً مما لاقاه صالح (عليه السلام) من الأذى عند دعوته لهم، بتطير القوم به وبمن معه قال تعالى:] = < > ? @ A C D E F H I J K Z النمل: ٤٧

كما كشف عن رهط الفساد وما تعاهدوا عليه فقال:] M N O P Q R S T U V W X Y Z [\ ] ^ _ ` a b c d e Z النمل: ٤٨ - ٤٩

وختم ببيان مجازاة الله لهم على مكرهم بنبيهم، وتنجيته للمؤمنين.

وأما في سورة فصلت فإنه لم يذكر دعوة ولا مواجهة بين صالح (عليه السلام) وقومه بل كان إخباراً عن بلوغ الهداية إليهم، غير أنهم استحبوا العمى على الهدى، قال تعالى:] وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى ´ Z فصلت: ١٧ .

ونحو ذلك في الذاريات، فإنه لم يرد فيها إلا تهديدهم ووعيدهم، والإشارة إلى عتوهم عن أمر الله ، أي أنه بلغهم فعتوا عنه، فقيل لهم:] تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾ فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ © الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ Z الذاريات: ٤٣ - ٤٤

وفي سورة القمر ذكر تكذيبهم بالنذر، واستخفافهم بنبيهم (عليه السلام) فيما بينهم، ولم يذكر دعوة ولا مواجهة.

ولم يرد في سورة الفجر ذكر لدعوتهم ، بل كان إشارة فقط إلى جبروتهم ولهوهم بأنهم جابوا الصخر بالواد.

وأما في سورة الشمس فقد ذكر تكذيبهم بسبب طغيانهم، وما ذكر من دعوة صالح (عليه السلام) لهم كان طلبه منهم أن يتركوا ناقة الله وسقياها.

وهكذا نرى اختلاف عرض ما دعا صالح (عليه السلام) قومه إليه في المواطن المختلفة في القرآن لتُكَوِّن بمجملها رؤية واضحة عن كل ما جرى بين الطرفين.

التناسق القرآني في تذكير القوم بالنعم في السورالمختلفة:

نجد كذلك تذكير القوم بالنعم في هذه القصة لم يرد على نمط واحد في القرآن:

ففي سورة الأعراف بعد أن ذكرهم بأن الله جعلهم خلفاء من بعد قوم عاد، وهو تحذير لهم أن يسلكوا سبيلهم، ذكرهم بنعم الله عليهم بأن بوأهم في الأرض أي: مكنهم فيها، وهيأها لهم يتخذون من سهولها قصوراً، وينحتون الجبال بيوتا. ثم طلب منهم أن يذكروا نعم الله عليهم على العموم فقال لهم:] ! " # $ % & '

) (* + , - . / ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا فَٱذْكُرُوٓا۟

ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ : Z الأعراف: ٧٤

وأما في هود فقد ذكرهم بأنه الله تعالى أنشأهم من الأرض وجعلهم عمّاراً لها ،ليرغبهم في التوحيد والاقبال على الله تعالى وذلك قوله تعالى عن صالح عليه السلام :] قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ Z هود: ٦١

ونلاحظ أن هذه النعم التي ذكرهم بها في هود تختلف عما في الأعراف، فقد فصل في بيان تلك النعم في سورة الأعراف وأجملها في سورة هود.

وأما في الحجر فإنه ذكر أنهم كانوا ينحتون من الجبال بيوتاً آمنين، فذكر الأمن زيادة على اتخاذ البيوت. وهذه هي المرة الأولى التي يذكر فيها الأمن.

ومن أوجه التناسق الدقيق في تلك المواطن المختلفة الآتي:

أولا: أنه قال في الأعراف:] / ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا Z الأعراف: ٧٤ في حين قال في الحجر:] c d e f g h Z الحجر: ٨٢ بذكر (مِن) التبعيضية، بينما لم يذكر (مِن) في الأعراف كما سبق، ووجه ذلك والله أعلم أنه أراد التوسع في ذكر النعم في الأعراف، فقد ذكر ما لم يذكره في الحجر ولا في غيرها، فذكَّرهم بأن الله بوأهم في الأرض أي مكن لهم فيها وهيأها لهم ، ودلائل ذلك أنهم يتخذون من سهولها قصوراً، وهذا توسع في وصف الإعمار، فإنه لم يقل (تتخذون في سهولها قصوراً) ، أي تجعلون في السهول قصوراً، فإن هذا يمكن أن يقال في بضعة قصور يبنونها، بخلاف قولك (اتخذت من السهول قصوراً) أي جعلت وحولت السهول قصوراً.

ثم قال:] / ٱلۡجِبَالَ بُيُوتٗا Z أي كأنهم ينحتون كل الجبال ويحيلونها بيوتا، وهذا توسع في العمران فهو أوسع من قوله:] c d e f g Z بـــ(من) التي قد أفادت التبعيض.

ولذا ذكّرهم بعموم آلاء الله عليهم في الأعراف فقال:] فَٱذۡكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ Z الأعراف: ٧٤

ذلك أنه توسع في ذكر عمارة الأرض في هذا الموطن ما لم يتوسع في الحجر غير أنه زاد الأمن في الحجر.

ثانياً: أنه في الشعراء ذكّرهم نعمًا أخرى ، فذكر الأمن، وذكر الجنات، وعيون الماء والزروع ، والنخل هضيم الطلع ، والفراهة في السكن فقال:] ` a b c d e f g h i j k l m n o p q r s Z الشعراء: ١٤٦ - ١٤٩

فذكر نعماً منَّ الله بها عليهم لم يذكرها فيما سبق من مواطن.

و لم يذكر في السور بعد ذلك نعمًا عددها عليهم سوى أنه قال في الفجر:] F G H I J Z الفجر: ٩ أي قطعوه ونحتوه.

وهكذا نجد التناسب بين المواطن المختلفة في ذكر تلك النعم بما يوافق السياق، مراعياً عدم التكرار فيها.

التناسق في ذكر البينة على صدقه عليه السلام في المواطن المختلفة:

سأل القوم صالحاً عليه السلام آية تدل على صدقه، ولم يدعوا له الأمر في هذه البينة، بل تنطعوا في ذلك فطلبوا ناقة، وشرطوا فيها شروطاً ليعجزوه، قال ابن كثير رحمه الله: ((وكانوا هم الذين سألوا صالحاً عليه السلام أن يأتيهم بآية، واقترحوا عليه بأن تخرج لهم من صخرة صماء عينوها بأنفسهم... فطلبوا منه أن يخرج لهم منها ناقة عشراء تمخض، فأخذ عليهم صالح عليه السلام العهود والمواثيق لئن أجابهم الله إلى سؤالهم وأجابهم إلى طلبتهم ليؤمنن

بها وليتبعنه. فلما أعطوه على ذلك عهودهم ومواثيقهم قام صالح عليه السلام إلى صلاته ودعا الله عز وجل فتحركت تلك الصخرة ثم انصدعت عن ناقة جوفاء وبراء يتحرك جنينها بين جنبيها كما سألوا ... وأقامت الناقة وفصيلها بين أظهرهم تشرب من بئرها يوما وتدعه لهم يوما، وكانوا يشربون لبنها يوم شربها يحتلبونها فيملأون ما شاؤا من أوعيتهم وأوانيهم)) [1].

وعند المقارنة بين المواطن المختلفة في القرآن التي أشارت إلى تلك الآية نجد الآتي:

١- أنه سماها في الأعراف بينة، ولم يسمها بينة في غير هذا الموضع، ونسبها إلى الله ،وجعلها لهم آية فقال:] ¶ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً Z الأعراف: ٧٣

وطلب منهم أن يتركوها تأكل في أرض الله ولا يمسوها بسوء وإلا فهم مهددون بأخذهم بعذاب أليم.

وفي هذا الموطن كان إخبارهم عن مجيء هذه الآية ابتداء، ولم يذكر فيه أنهم طلبوا منه أن يأتي بآية دالة على صدقه، وتشددهم ونحوه، وكأنه تمهيد لتفصيل قادم.

٢- وأما في هود فقد نسبها إلى الله وسماها آية فقط، كما لم يذكر أيضاً أنهم طلبوا منه أن يأتيهم بها، وإنما جاء الذكر لقول صالح عليه السلام لهم:] هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً Z وطلب منهم أن يتركوها تأكل في أرض الله ولا يمسوها بسوء وإلا أخذهم عذاب قريب، فوصف العذاب في أول حوار بالأليم، ووصفه هنا بالقريب لئلا يستبعدوه، وكأن هذا الحوار تالٍ لما في الأعراف.

٣- وأما في سورة الحجر فقد ذكر عن أصحاب الحجر أنهم كذبوا المرسلين. وقال:] [^ Z الحجر: ٨١ قال آيات ولم يقل آية. ولم يذكر هذه الآيات مع أنه ذكر في بقية السور أنها آية فكيف يكون ذلك؟

(١) تفسير ابن كثير: ٢/٢٢٨.

الجواب: أن الناقة آية وفيها آيات جاء في "البحر المحيط" : ((كان في الناقة آيات خمس . خروجها من الصخرة، ودنو نتاجها عند خروجها ، وعظمها حتى لم تشبهها ناقة ، وكثرة لبنها حتى يكفيهم جميعاً . وقيل : كانت له آيات غير الناقة))[1] ويمكننا القول بأن هذا البيان مناسب لما تقدم في السورتين السابقتين من التفصيل بعد التمهيد.

٤- وأما في سورة الشعراء فقد ذكر أنهم طلبوا منه أن يأتيهم بآية وكان قولهم:] مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ ´ µ ¶ ¸ Z الشعراء: ١٥٤.

وهذا هو الموطن الوحيد الذي ذكر فيه أنهم طلبوا منه آية فقال لهم:] قَالَ هَـٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ Z الشعراء: ١٥٥

وهذا أول موضع يذكر فيه الشرب، وكان قد ذكر في مواضع سابقة الأكل.

كما طلب منهم أن لا يمسوها بسوء وإلا أخذهم عذاب يوم عظيم، وهو الموضع الوحيد الذي أضاف فيه العذاب إلى اليوم ووصفه بالعظم فقال:] وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ Z الشعراء: ١٥٦

ونخلص مما سبق: أن الحديث عن الناقة غير مكرور ففي سورة الشعراء ذكر أموراً لم يسبق ذكرها في السور التي قبلها، ومنها: أنهم طلبوا منه آية، ولم يذكر ذلك في المواضع الأخرى، وأنه ذكر شرب الناقة في حين أنه ذكر في السور السابقة الأكل فقط .

٥- لم يشر إلى الآية أو الناقة في سورة النمل ولا فصلت ولا الذاريات.

٦- ما ذكر في سورة القمر كان إرسال الناقة فتنة لهم، ولم يذكر أن تلك آية ، ولا أنهم طلبوا منه آية إنما كان ذلك من باب التوعد لهم فقال:] إِنَّا مُرْسِلُوا۟ ٱلنَّاقَةِ à لَّهُمْ â وَٱصْطَبِرْ Z القمر: ٢٧ ، وكأن الحديث موجه لصالح عليه السلام تسلية له ، وتطميناً.

(١) تفسير البحر المحيط: ٥/٤٥١.

كما ذكر الشرب ولم يذكر الأكل، والحديث لصالح العَلَيْهِ السلام أيضاً، قال تعالى:] ! " # $ %' ' ( ) (Z القمر: ٢٨

٧- لم يشر إلى هذه الآية أو الناقة في سورة الفجر.

٨- أما في سورة الشمس فذكر أن رسول الله العَلَيْهِ السلام طلب منهم أن يذروا ناقة الله وسقياها أي شربها ، وكأنه إيجاز وإجمال لما فصله في السور السابقة.

أوجه التناسق في وعيد القوم في المواطن المختلفة:

جمع وعيد صالح العَلَيْهِ السلام لقومه عدة أوصاف فجاء في الشعراء إضافة العذاب إلى اليوم ووصفه بالعظم فقال تعالى:] وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ Z الشعراء: ١٥٦ ،في حين كان وصف العذاب في المواضع الأخرى مختلف فقال:] فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ Z الأعراف: ٧٣وقال:] G H I Z هود: ٦٤

وبذا جمع وعيدهم بالعذاب أوصافاً ثلاثة: الألم، والقرب، وعظم اليوم، وناسب ذلك الوصف كل موطن ذكر فيه. فقوله سبحانه في الأعراف:] فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ Z الأعراف: ٧٣ لأنَّهَ في هذه السّورة بالغ في الوعظ، فبالغ في الوعيد، فقال:] عَذَابٌ أَلِيمٌ Z وفى هود لّما اتَّصل بقوله:] M N O P Q Z هود: ٦٥ وصفه بالقرب فقال:] G H I Z هود: ٦٤ لئلا يستبعدوه، وزاد في الشعراءِ ذكر اليوم لأَنَّ قبله:] قَالَ هَٰذِهِۦ

نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ Z الشعراء: ١٥٥ والتقدير: لها شرب يوم معلوم، فختم الآية بذكر اليوم، فقال:] عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ Z الشعراء: ١٥٦[1]

أوجه التناسق في بيان خاتمة القوم في المواطن المختلفة:

١- قال تعالى في سورة الأعراف:] n o p q r s Z الأعراف: ٧٨ فذكر أنهم أصابتهم الرجفة وهي الزلزلة الشديدة فأصبحوا في دراهم جاثمين.

٢- وقال في سورة هود :] l m n o p q r s t u v w x y z { | } ~ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ Z هود: ٦٧ - ٦٨ فذكر أنه أخذتهم الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين.

وجمع الديار في الصيحة وأفردها في الرجفة لأن الصيحة يبلغ مداها أبعد من مدى الرجفة، ولذا حيث ذكر الصيحة جمع فقال (الديار). وحيث ذكر (الرجفة) أفرد الدار[2].

و لأهل العلم كلام نفيس وعلل لطيفة في ذلك يحسن نقلها في هذا المقام، ومنها ما قاله الإمام الرازي:((وَالْفِعْلُ إِذَا تَقَدَّمَ الِاسْمَ الْمُؤَنَّثَ وَحَالَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْفَاعِلِ حَائِلٌ جَازَ التَّذْكِيرُ وَالتَّأْنِيثُ كَقَوْلِهِ: وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ))[3].

وجاء في ملاك التأويل:((فوجه اختيار لفظ الجمع في الآية من سورة هود مناسبة ما اقترن به من لفظ الصيحة وهي عبارة هنا عن العذاب مطلقاً دون تقييد بصفة وهو من الألفاظ الكلية فإن لم يكن عاماً فانتشار مواقعه من حيث الكلية حاصلة.

وأما الرجفة الزلزلة فلهذا اللفظ خصوص وهو جزئي ومن المعلوم بالضرورة انحصار الألفاظ في الضربين فإن اللغة لا تختلف في ذلك فالصيحة من حيث الكلية تطلق على ما

(١) ينظر بصائر ذوي التمييز للفيروزآبادي:١/١٤٩.

(٢) ينظر: البرهان للكرماني ٢٣٩.

(٣) مفاتيح الغيب:٣/٥٢٤.

كان من العذاب بالرجفة وغيرها وإذا عبرنا بالرجفة لم يتناول لفظها إلا ما كان عذابا بها فناسب عموم الصيحة جمع الديار مناسبة تركيب النظم وناسب خصوص الرجفة إفراد الدار))(١).

وجاء في "تفسير بن عرفة":((قلت: ونقل ابن عبد السلام إلى أنه أجاب بأن الرجفة عقوبة أرضية؛ فنسبت الديار إليها نسبة واحدة، والصيحة عقوبة سماوية فتخص كل دار على حدتها.

وأجاب صاحب درة التتريل بأن الآية التي جمعت فيها الديار، وذكر فيها نجاة النبي وقومه، ولا شك أنهم كانوا يجتمعون لأجله ليسمعوا قوله، ويختبروا أحواله، فلما ذهب المعنى الذي لأجله كانوا يجتمعون فرقوا في البلاد، فناسب جمع الديار، والآية التي أفردت فيها الرجفة لم يذكر فيها نجاة النبي ﷺ، وإذا لم يزل النبي بين أظهرهم لم يزالوا مجتمعين، فكأنهم في دار واحدة، وعذابهم في ذلك عذاب واحد)) (٢).

وجاء في "بصائر ذوي التمييز":((قوله: [n o p q r s Z الأعراف: ٧٨ على الواحدة وقال: [l m n o p q r s Z هود: ٦٧ . حيث ذكرَ الرّجفة وَهى الزلزلة وَحَّدَ الدّار، وحيث ذكر الصّيحة جَمَعَ؛ لأَنَّ الصّيحة كانت من السّماءِ، فبلوغها أَكثر وأَبلغ من الزلزلة، فاتَّصل كلٌّ واحد بما هو لائق به)) (٣).

٣- ذكر في سورة الحجر أنهم أخذتهم الصيحة فقال تعالى: [j k l Z الحجر: ٨٣. فحدد زمن هلاكهم وهو مع الصباح الباكر.

٤- و في الشعراء لم يذكر رجفةً ولا صيحة وإنما ذكر العذاب مطلقاً فقال: [فَأَخَذَهُمُ ٱلۡعَذَابُۚ Z الشعراء: ١٥٨

---

(١) ملاك التأويل لابن الزبير الغرناطي:٢٠١/١.
(٢) تفسير ابن عرفة:٢٣٣/٢.
(٣) بصائر ذوي التمييز:١٥٠/١.

٥- وأما في النمل فلم يذكر شيئاً مما سبق وإنما أتى بوصف آخر وهو تدمير القوم فقال:] o p q r s t u v w Z النمل: ٥١

جاء في تفسير "في ظلال القرآن":((ومن لمحة إلى لمحة إذا التدمير والهلاك، وإذا الدور الخاوية والبيوت الخالية. وقد كانوا منذ لحظة واحدة، في الآية السابقة من السورة، يدبرون ويمكرون، ويحسبون أنهم قادرون على تحقيق ما يمكرون! وهذه السرعة في عرض هذه الصفحة بعد هذه مقصودة في السياق. لتظهر المباغتة الحاسمة القاضية. مباغتة القدرة التي لا تغلب للمخدوعين بقوتهم ومباغتة التدبير الذي لا يخيب للماكرين المستعزين بمكرهم)) (١).

٦- وأخبر في فصلت بأنهم أخذتهم صاعقة العذاب الهون فقال سبحانه:] وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ´ ¶ µ ﺩ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ Z فصلت: ١٧. فأضاف إلى بيان الصاعقة أنها أتت لهم بعذاب وهذا العذاب فيه الإهانة لهم.

قَالَ الزَّجَّاجُ: ((عَذَابُ الْهُونِ أَيِ الْعَذَابُ الَّذِي يَقَعُ بِهِ الْهَوَانُ الشَّدِيدُ))(٢).

وقال الإمام البقاعي:((عذاب الهون: أي العذاب الجامع بين الإيلام العظيم والهوان الشديد والخزي المديد بالنزع وسكرات الموت وما بعده في البرزخ - إلى ما لا نهاية له)) (٣).

٧- وقال في الذاريات إنهم أخذتهم الصاعقة وهم ينظرون ، من دون إضافة إلى العذاب أو إلى غيره، ووصف عجزهم فقال تعالى:] فَعَتَوْاْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ © ٱلصَّٰعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٤٤﴾ فَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ مِن قِيَامٍ وَمَا ´ µ Z الذاريات: ٤٤ - ٤٥.

٨- وفي سورة القمر أخبر بأنه أرسل عليهم صيحة واحدة، فذكر أنها واحدة، وذكر كيف كانوا بعدها، قال تعالى:] إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَٰحِدَةً : ; < Z القمر: ٣١.

---

(١) في ظلال القرآن:٥/٢٦٤٦.

(٢) تفسير الرازي:١٣/٦٨.

(٣) نظم الدرر:٢/٦٧٥.

٩ - و في سورة الفجر جمع عذابهم مع عدة أقوام فقال فيهم:] Y Z [
\ [Z الفجر: ١٣.

١٠- وأما في سورة الشمس فلم يذكر شيئاً مما سبق وإنما جاء بوصف آخر لما حل بهم فقال تعالى:] Z [\ ] ^ _ ` Z الشمس: ١٤
أي أطبق عليهم العذاب مكرراً وإنه لم ينج منهم أحد فكانوا في العذاب سواء.

ونخلص مما سبق في عذاب قوم صالح الطَّيْلا بالتالي:

أنه ذكر الرجفة مرة واحدة وذلك في سورة الأعراف.

وذكر الصيحة ثلاث مرات، مرة في سورة هود ومرة في سورة الحجر ومرة في سورة القمر.

وذكر الصاعقة مرتين، مرة في فصلت ومرة في الذاريات.

ولا تناقض في ذلك أو اختلاف فإن الرجفة في الأرض والصيحة في السماء ومعها الصاعقة(١).

جاء في (روح المعاني): ((الصيحة أي صيحة جبريل أو صيحة من السماء فيها كل صاعقة وصوت مفزع... فأخذتهم الرجفة... ولعلها وقعت عقيب الصيحة)) (٢).

وأشدهن الرجفة لأنها زلزلة وهي تباشرهم أجمعين وتباشر مساكنهم. وذكرها في الأعراف لأنه ذكر استكبارهم ولأنهم عقروا الناقة وعتوا عن أمر ربهم وتحدوا نبيهم، قال تعالى:

[^ _ ` a b c d e f g h i j k l
Z الأعراف: ٧٧

(١) ينظر التفسير الكبير: ٣٠٨/١٤، نظم الدرر:٣٥٧/٣.

(٢) روح المعاني :٩٢/١٢.

وتليها الصيحة لأن الصيحة قد لا يسمعها الأصم أو من سد أذنيه، بخلاف الرجفة التي تعم الجميع وتدمر الديار.

وذكر الصيحة ههنا لأن مواقفهم أخف، ذلك أنه لم يذكر في هود غير العقر.

ففي الأعراف ذكر العقر والعتو عن أمر ربهم والتحدي، وليس في هود أو غيرها نحو ذلك.

ولم يذكر في الحجر غير الإعراض عن الآيات، فاقتصر في وصف ما حل بهم ببيان أنها صيحة صبحتهم.

أما في القمر فلم يذكر غير عقرهم للناقة، ثم ذكر الصيحة وفعلها بهم.

وكذلك في فصلت كان ما ذكره أن هداهم فاستحبوا العمى على الهدى فذكر صاعقة العذاب الهون.

وفي الذاريات قال:] فَعَتَوۡاْ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِمۡ Z الذاريات: ٤٤ ولم يذكر عقراً للناقة أو غيره.

فذكر في كل موضع جانبا من العقوبة يناسبه.

أوجه التناسق في وصف نجاة صالح عليه السلام ومن معه في المواطن المختلفة:

١- لم يذكر في الأعراف نجاة صالح عليه السلام والمؤمنين معه مباشرة وإنما قال:] n o p q r s t u v w x y z { | } ~ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ Z الأعراف: ٧٨ – ٧٩ لكن ظاهر الموقف والمشهد يدل على تولي صالح عنهم وخطابه لهم وهم هلكى، وهو ناج، كما خاطب النبي ﷺ قتلى بدر وهم في القليب.

٢- ذكر في هود أنه نجى صالحاً عليه السلام والذين آمنوا معه فقال سبحانه:] X Y Z [\ ] ^ _ ` a b c d f g h i j Z هود: ٦٦.

٣- لم يذكر نجاة في الحجر ولا في الشعراء.

٤- ذكر في النمل وفصلت أنه نجى الذين آمنوا وكانوا يتقون فقال تعالى:] وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ © وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ Z النمل: ٥٣] وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ Z فصلت: ١٨.

وعند التأمل نجد أنه سبحانه لم يذكر في تلك المواطن المختلفة أن صالحاً الطَيْئِلاً دعا ربه بطلب النجاة لا له ولا لمن آمن معه ، كما حصل مع بعض الأنبياء ،كما لم يرد أنه دعا على قومه.

ولم يكن هناك إشارة أو ذكر لأهله ولا بيان لموقفهم من دعوته كما في قصتي نوح ولوط عليهما السلام، وذلك نظير ما مر في قصة هودالطَيْئِلاً.

أوجه التناسق والتناسب في قصة صالح الطَيْئِلاً مع قومه في سورة هود:

قال الله تعالى:] وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًاۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾ قَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ قَدْ
à فِينَا â قَبْلَ هَٰذَآ أَتَنْهَىٰنَآ ç è é ê ë وَإِنَّنَا لَفِى î ï تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾
! " # $ % & ' ( ) * + , - . / ٱللَّهِ إِنْ
عَصَيْتُهُۥۖ فَمَا تَزِيدُونَنِى غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴿٦٣﴾ وَيَٰقَوْمِ : ; < = > ? @ A
B C D E F G H I J K L M N O P
Q S T U V W X Y Z [\ ] ^ _
` a b c d f g h i j k l m n o
p q r s t u v w x z { | } ~ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ
Z هود: ٦١ - ٦٨.

قوله سبحانه:] وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًاۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ Z

أي أرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحاً، فالآية معطوفة على قوله] m n o p q Z

من أوجه التناسق في الآية ما يلي:

أولاً: أنه قال:] هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا Z فقدم الإنشاء من الأرض على إعمارها لأنه أسبق، فإن الإنشاء قبل عمارتهم للأرض.

ثانياً: أنه قدم الاستغفار على التوبة فقال:] فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ Z وقد سبق بيان حكمة التقديم في أول السورة، وقلنا بأن تقديم الاستغفار على التوبة لأن الاستغفار إنما يكون من الذنوب التي فعلها العبد، وأما التوبة فتالية له، وتوسعنا في بيان هذا المعنى في ذلك المقام، فلا داع لتكراره هنا.

ثالثاً: في قوله سبحانه:] إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ Z قدم صفته سبحانه (قريب) على (مجيب) لأن الإجابة تستدعي السماع، والقريب أدعى إلى السمع من البعيد. وفي هذا حض على طلب الله عز وجل، فإن قربه وسماعه سبحانه لحاجات خلقه يرغبان العباد في طلبه، ثم يزيد هاتان الصفتان ترغيباً في طلب الله أيضاً العلم بأن مجيب، فقدم القريب لأنه يسمعك فيجيبك. ونظير هذا قوله جل وعلا:] وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ Z البقرة: ١٨٦ فقدم القرب على الإجابة.

قوله تعالى:] قَالُواْ يَٰصَٰلِحُ قَدْ à فِينَا â قَبْلَ هَٰذَآ أَتَنْهَىٰنَآ ç è é ê ë وَإِنَّنَا لَفِى î ï تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ Z هود: ٦٢

] قَدْ à فِينَا â Z أي: ((كانت تلوح فيك مخايل الخير وأمارات الرشد فكما نرجوك لننتفع بك وتكون مشاوراً في الأمور ومسترشداً في التدابير، فلما نطقت بهذا القول انقطع رجاؤنا عنك وعلمنا أن لا خير فيك.

وعن ابن عباس: فاضلاً خيراً نقدمك على جميعنا))(١).

(١) الكشاف ٢/١٠٥.

ومن أوجه التناسق في الآية الكريمة:

أولاً: أنه قدم الجار والمجرور (فينا) على (مرجواً) لتعلق الكلام بهم، فقدم ضميرهم في (فينا)، فإنهم قالوا:] أَتَنْهَىٰنَآ ç è é ê ë وَإِنَّنَا لَفِى Î ï تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ Z هود: ٦٢ فلما كان الكلام متعلق بهم قدم ما يتعلق بهم.

ثانياً: أنه قال هنا:] وَإِنَّنَا لَفِى Î ï تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ Z هود: ٦٢قال:(تدعونا) بينما قال في سورة إبراهيم (تدعوننا) وذلك أن الضمير المتصل بالفعل في (تدعونا) في سورة هود ضمير مفرد مستتر وهو ضمير عائد إلى صالح عليه السلام إذ قالوا ابتداءً (أتنهانا)، أما في سورة إبراهيم فالضمير المتصل بالفعل في (تدعوننا) عائد إلى جمع الرسل المقول لهم : [t u v w x y z { | } ~ مُرِيبٍ Z إبراهيم: ٩ فالنون الثانية ضمير المدعوّين، فجيء بـــ (إننا) على الأصل فجاء كل على ما يجب، والله أعلم بما أراد(١).قال ابن الزبير الغرناطي رحمه الله:((قوله:] وَإِنَّنَا لَفِى Î ï تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ Z هود: ٦٢وفى إبراهيم:] y z { | } ~ مُرِيبٍ Z إبراهيم: ٩ لأَنَّ فى هذه السّورة جاءَ على الأَصل (وتدعونا) خطاب مفرد، وفى إِبراهيم لمّا وقع بعده (تدعوننا) بنونين، لأَنه خطاب جمع، حذف النُّون استثقالاً للجمع بين النّونات، ولأَنَّ فى سورة إِبراهيم اقترن بضمير قد غَيّر ما قبله بحذف الحركة، وهو الضَّمير المرفوع فى قوله: (كفرنا) ، فغيّر ما قبله فى (إِنَّا) بحذف النُّون، وفى هود اقترن ضمير لم يغيّر ما قبله، وهو الضمير المنصوب، والضَّمير المجرور فى قوله:] فِينَا â قَبْلَ هَٰذَآ أَتَنْهَىٰنَآ ç è é ê ë Z هود: ٦٢ فصحّ كما صحّ))(٢).

ثالثاً: أنه قال:] وَإِنَّنَا لَفِى Î ï تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ Z ((الشك هو أن يبقى الإنسان متوقفا بين النفي والإثبات. والمريب هو الذي يظن به السوء. فقوله:] وَإِنَّنَا لَفِى Î Z يعني به أنه لم يترجح في اعتقادهم صحة قوله.

---

(١) ينظر: ملاك التأويل ٢/٢٥٩.

(٢) ينظر ملاك التأويل: ٢/٢٥١.

وقوله:] مُرِيبٍ Z يعني أنه ترجح في اعتقادهم فساد قوله. وهذا مبالغة في تزييف كلامه)) [١]. وثمة معنى آخر وهو أن ريبتهم في شكهم ولذا قدم الشك فيكون معنى مريب أنهم لا يعرفون شكهم[٢].

جاء في معترك الأقران:((أخبروه أَنهم في شك من أَقاويله، وأن ذلك الشك يرتابون به زائدًا إلى مرتبته من الشك، ولا فَرْق بين هذه الحال وحالة التصميم على الكفر)) [٣].

قوله تعالى:] ! " # $ % & ' ( ) * + , - .

/ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥ فَمَا تَزِيدُونَنِى غَيْرَ تَخْسِيرٍ Z هود: ٦٣ .

بعد أن واجه القوم صالحاً عليه السلام بشكهم فيما يدعوهم إليه حاورهم عليه السلام بأمر عقلي، وأقام عليهم الحجة الملزمة، فالأمر العقلي جاء في هذه الآية وأما الحجة فساقها في الآية التي تليها.

فالأمر العقلي قوله لهم: لو أن الله أرسلني بالبينة حقًّا، ولم أكن مدّعيا، فمن يعصمني من الله وينجيني منه إن عصيته وأطعتكم فيما تميلون إليه ؟

جاء في (الكشاف): ((قدروا أني على بينة من ربي وأني نبي على الحقيقة وانظروا إن تابعتكم وعصيت ربي فمن يمنعني من عذاب الله)) [٤].

و من أوجه التناسق في هذه الآية ما يلي:

١- أنه قال (يا قوم) وهو نداء فيه توقير لهم، وقد أضافهم إلى نفسه تألفاً، واستمالة لهم، ودعوة منه لأجل أن يستمعوا له، فالإنسان يميل بفطرته إلى الانتماء.

٢- أنه قال (أرأيتم)، ومعنى (أرأيتم) أي أخبروني، ((ومعنى هذا الفعل منقول من الرؤية إلى معنى الإخبار..... فأنت تستخبره عما سألته عنه))[١].

(١) تفسير الرازي: ٦/٣٦٨.

(٢) ينظر تفسير مقاتل: ٦/٣٦٨.

(٣) معترك الأقران: ٣/٢٩٢.

(٤)الكشاف : ٢/١٠٥.

وهو لا يطابق (أخبروني) في كل موطن، لكن يقال أن فيه معنى التعجيب.

جاء في "شرح الرضي على الكافية": ((كأنه قيل: أأبصرته وشاهدت حاله العجيبة، أو أعرفتها أخبرني عنها. فلا يستعمل إلا في الاستخبار عن حالة عجيبة))(٢).

فاستعماله هنا (أرأيتم) أنسب من (أخبروني) الذي قد لا يكون فيه معنى التعجيب، الذي يثير انتباههم وتفكيرهم علهم يهتدون

٣- أنه قال:] إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي Z فذكر أن البينة من ربه، فأعاد الضمير لنفسه، ولم يقل (من ربكم) لأن البينة جاءته هو، ولو كانت البينة جاءتهم هم لقال: (من ربكم) ذلك أنه حيث كان الكلام على المتكلم نفسه يقول إن البينة من ربي فيضيف الرب إلى ياء المتكلم.

٤- أنه قدم الجار والمجرور (منه) على (رحمة) فقال:] * + , Z في حين أخره عن الرحمة في قوله:] وَءَاتَىٰنِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ Z هود: ٢٨

وقد ذكرت فيما سبق علة ذلك عند تفسير تلك الآية، وهو أنه لما كان الكلام على الرحمة قدمها وذلك قوله:] فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ Z

ولما كان الكلام على الله تعالى في هذه الآية وذلك قوله:] - . / ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥ Z قدم الضمير العائد على الله في الجار والمجرور وهو (منه) على الرحمة.

قال الإمام ابن عاشور:((وَالْكَلَام فِي قَوْلِهِ:] # $ % & ') ((* + , Z هود: ٦٣ . كَالْكَلَامِ عَلَى نَظِيرِهَا فِي قِصَّةِ نُوحٍ.

وَإِنَّمَا يَتَّجِهُ هُنَا أَنْ يَسْأَلَ عَنْ مُوجِبِ تَقْدِيمِ مِنْهُ عَلَى رَحْمَةً هُنَا، وَتَأْخِيرِ] مِّنْ عِندِهِۦ Z هود: ٢٨ عَن] رَحْمَةً Z هود: ٢٨فِي قِصَّةِ نُوحٍ السَّابِقَةِ.

فَالْجَوَابُ: لِأَنَّ ذَلِكَ مَعَ مَا فِيهِ مِنَ التَّفَنُّنِ بِعَدَمِ الْتِزَامِ طَرِيقَةٍ وَاحِدَةٍ فِي إِعَادَةِ الْكَلَامِ الْمُتَمَاثِلِ، هُوَ أَيْضًا أَسْعَدُ بِالْبَيَانِ فِي وُضُوحِ الدَّلَالَةِ وَدَفْعِ اللَّبْسِ. فَلَمَّا كَانَ مَجْرُورُ (مِنْ)

(١) معاني النحو ٤٣٢/٢.

(٢) شرح الرضي على الكافية ٢١٢/٢.

الابْتِدَائِيَّةِ ظَرْفًا وَهُوَ (عِنْدَ) كَانَ صَرِيحًا فِي وَصْفِ الرَّحْمَةِ بِصِفَةٍ تَدُلُّ عَلَى الاعْتِنَاءِ الرَّبَّانِيِّ بِهَا وَبِمَنْ أُوتِيَهَا. وَلَمَّا كَانَ الْمَجْرُورُ هُنَا ضَمِيرَ الْجَلَالَةِ كَانَ الْأَحْسَنُ أَنْ يَقَعَ عَقِبَ فِعْلِ آتانِي لِيَكُونَ تَقْيِيدُ الْإِيتَاءِ بِأَنَّهُ من الله مشيراً إِلَى إِيتَاءٍ خَاصٍّ ذِي عِنَايَةٍ بِالْمُؤْتَى)) [1].

٥- أن قوله:] فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ Z . يدل على الزيادة في الخسران من عدة أوجه وهي:

استعماله:] تَزِيدُونَنِي Z وهي عبارة تأكيد بأنه إن أطاعهم يخسرونه أعماله ويحبطونها[2] ((وفي معني الكلام قولان: أحدهما: فما تزيدونني غيرَ بَصَارَةٍ في خسارتكم، قاله ابن عباس. وقال الفراء: المعنى: فما تزيدونني غير تخسيرٍ لكم، أي: كلما اعتذرتم عندي بعذر فهو يزيدكم تخسيراً)) [3].

ومنها أنه جاء بالنفي بـــ(ما) مع (غير) للتأكيد على أنهم لا يزيدونه شيئاً غير الزيادة في الخسران.

ومن الملاحظ أنه إذا استعمل القرآن الزيادة في الخسارة استعمل لفظ (الخسار) فقال:] { ~ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا Z الإسراء: ٨٢ وقال:] وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ : ; Z فاطر: ٣٩ وقال:] h i j k l m n o Z نوح: ٢١

إلا هذه الآية فإنه قال:] فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ Z فجاء باللفظ الدال على المبالغة والكثرة، فإن التخسير مصدر (خسّر) بالتضعيف وهو يفيد المبالغة والتكثير في الخسار، أي لا تزيدونني إلا مبالغة في الخسران[4].

وذلك أنه إذا كان نبياً حقاً وآتاه الله منه رحمة، ثم أجابهم فيما أرادوه منه من الكفر، وعصى ربه، كانت خسارته أعظم من سائر الكفار الذين لم يبلغهم ذلك الفضل وتلك

(١) التحرير والتنوير: ١١١/٢١.

(٢) ينظر الكشاف: ٣٨٥/٢.

(٣) زاد المسير: ٣٨٣/٢.

(٤) ينظر التفسير البياني: ٢٤٢/٣.

الرحمة، فناسب ذكر التخسير هنا وليس مجرد الخسار كما في سائر المواضع الأخرى، فإن من بلغه الهدى والخير والرحمة ثم أعرض وتنكب عن الهدى كان أشد خسارة، وأعظم استحقاقاً للعقاب ممن جهل، أو لم تتهيأ له تلك المنح.

قوله تعالى:] وَيَـٰقَوۡمِ : ; < = > ? @ A B C D E F G H I Z هود: ٦٤.

في هذه الآية ذكر لهم صالح عليه السلام الحجة الملزمة التي تكشف صدق دعواهم من زيفها، وهي الآية الدالة على صدقه، وهي الناقة التي أخرجها الله لهم من الصخرة كما طلبوا، وبما تعنتوا، وقد كانوا تعهدوا لنبيهم أنه إن فعل ذلك آمنوا له وصدقوه.

و من أوجه التناسق في الآية الكريمة ما يلي:

١- أنه نسب الناقة لله فقال: ((ناقة الله)) لأنها لا تعود لأحد إنما هي لله، ولتزداد عظمة وهيبة في نفوسهم فلا يتعرضوا لها بسوء.

٢- أنه قدم قوله (لكم) على (آية) ليفيد الاختصاص، فإن هذه الناقة والآية خاصة بهم دون غيرهم أرسلت إليهم هم كما طلبوا، فلا اعتذار لهم بعد ذلك بأنهم غير ملزمين بما جاء لغيرهم.

٣- أنه قال لهم:] ? @ A B C Z هود: ٦٤ فما طلبه منهم أن يتركوا ناقة الله تأكل في (أرض الله) لا في أرضهم ولا من زرعهم، فلا عذر لهم بأن يتذمروا منها، أو يعتدوا عليها، إذ لم يأتهم منها أي ضرر.

٤- أنه استعمل المس في قوله:] D E F Z وهو أدنى درجات التعرض الجسدي، مبالغة في تحذيرهم من التعرض لها.

((نهى عن المس الذي هو مقدمة الإصابة بالشر الشامل لأنواع الأذى، مبالغة في الزجر كقوله تعالى:] ! " # $ Z... أي لا تتعرضوا لها بشيء مما يسوؤها أصلا كالطرد والعقر وغير ذلك))(١).

٥- أنه نكر السوء أيضاً في قوله:] D E F Z ليشمل أي سوء مهما استصغروه، أو استهانوا به.

٦- أنه وصف العذاب بالقرب في قوله:] G H I Z ، وقال في الأعراف:] فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ Z فوصفه بأنه أليم، وذلك لأن صالحاً عليه السلام بالغ في وعظهم هناك، فالترهيب بألم العذاب أبلغ وعظاً، أما هنا فإنه قال لهم:] M N O P Q Z وهذا وعد يعد قريباً، فناسب ذكر القرب والله أعلم.

كما أنه إذا اعتبرنا من جهة أخرى أن ما في الأعراف أول تبليغ للقوم، فهو أول موضع ترد فيه هذه القصة في القرآن الكريم فلا يناسب ذكر التعجيل بالعقوبة.

في حين كان الكلام في هود بعد ذلك وقد بلغهم ونصح لهم فناسب ذكر قرب العذاب في هود لئلا يستبعدوا ذلك فيكونوا في مأمن منه.

وزاد في الشعراءِ ذكر اليوم، و وصفه بالعظيم للتهويل وذلك لأَنَّ قبله:] قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ Z الشعراء: ١٥٥ والتقدير: لها شرب يوم معلوم، فختم الآية بذكر اليوم، فقال:] عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ Z الشعراء: ١٥٦(٢).

قوله تعالى:] K L M N O P Q S T U V Z هود: ٦٥. العقر: قطع اللّحم بما يسيل الدّم ويستعمل في النحر أيضاً(٣).

(١) روح المعاني ٨/١٦٣.

(٢) ينظر بصائر ذوي التمييز للفيروزآبادي:١/١٤٩.

(٣) ينظر تفسير ابن فورك:٣/٢٢٨.

والعقر عند العرب: قطع عرقوب البعير، ثم جعل العقر نحراً، لأن ناحر البعير يعقره ثم ينحره[١].

وقال ابن إسحاق: ((كَمَنَ لها قدار في أصل شجرة على طريقها فرماها بسهم فانتظم به عضلة ساقها ، ثم شد عليها بالسيف فكشف عرقوبها فخرت ورغت رغاءة واحدة تحدر سقبها (من بطنها وانطلق سقبها)حتى أتى صخرة في رأس الجبل فرغا ثم لاذ بها ، فأتاهم صالح ، فلما رأى الناقة قد عقروها بكى ثم قال: انتهكتم حرمة الله فأبشروا بعذاب الله)) [٢].

وقد يقال وهل عقر الناقة يستحق حلول العذاب عليهم ؟!

والجواب: أن العقر وقع منهم بسبب تكذيب نبي الله، ومخالفتهم لما أمرهم به وارتكاب ما نهاهم عنه، والاستهانة بوعيد الله، ولذا قال في سورة الشمس:] Z] Z الشمس: ١٤ فكذّبوا صالحاً في خبره الذي أخبرهم به، من أن الله سيُحِلّ بهم نقمته إن هم عقروها[٣].

ومن أجه التناسق في الآية الكريمة ما يلي:

١- أنه قال: (فعقروها) و لم يقل (فنحروها) لئلا يظن أنهم استحقوا العذاب بسبب نحرها وقتلها تماماً، فإنما كان استحقاقهم للعذاب بعقرها ولو لم يذبحوها، فإنه نهاهم فقال لهم:] D E F Z ثم حذرهم فقال:] G H I Z هود: ٦٤ . فأي مس بالسوء لها مهما كان فهو موجب للعذاب، فكيف إن عظم كما كان منهم.

---

(١) ينظر زاد المسير:٢/١٣٥.

(٢) النكت والعيون:٥/٤١٦.

(٣) ينظر تفسير الطبري:٢٤/٤٦٠.

٢- أنه أسند العقر إليهم جميعاً فقال:] Z مع أن الحال أن العاقر واحداً وهو قدار، كما أخبر ربنا بقوله:] + , - . Z القمر: ٢٩ ،وذلك لأنهم تمالؤا على ذلك وتنادوا به ، ودفعوه إليه بدلالة قوله:] + , Z ولذا نسب العقر إلى الكل لاشتراكهم في هذا الجرم فاستحقوا العذاب جميعاً[١].

٣- أنه قال لهم:] M Z والمتاع مهما بلغ فإن يظل شيئاً يسيراً، كمتاع المسافر، وفي ذلك إشارة إلى أن ما سيحصلونه لحين حلول العذاب بهم شيء يسير، كما أنه لما كان التمتع لا يحصل إلا للحي عبر به هنا عن الحياة التي بقيت لهم[٢].

٤- أنه قال:] S T U V Z أي غير كذب في ذاته. وقيل : غير مكذوب فيه[٣]. ذلك أنهم قوم شكاكون، مرتابون، كذبوا بكل ما أتاهم به ،وقد قالوا له من قبل:] وَإِنَّنَا لَفِى î ï تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ Z هود: ٦٢ فناسب هنا أن يؤكد سلامة الخبر والمخبِر عن الكذب.

قوله تعالى:] X Y Z [\ ] ^ _ ` a b c d e f g h i j Z هود: ٦٦

من أوجه التناسق في الآية الكريمة ما يلي:

١- أنه استعمل هنا] فَلَمَّا Z كما استعملها في قصة قوم لوط عليه السلام (بالفاء) بينما استعمل] ولَمَّا Z (بالواو) في قصة هود وشعيب عليهما السلام، ذلك أن مجيء

(١) ينظر الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن:١٢/٣٠٢٨.

(٢) ينظر تفسير الطبري:١٨/٣٦٩.

(٣) ينظر الجامع لأحكام القرآن:٩/٦١.

العذاب وقع في قصتي صالح ولوط عليهما السلام عقب الوعيد، وهو قوله:] M N
O P Q Z هود: ٦٥ في قصة صالح عليه السلام، وقوله:] ê ë بِقَرِيبٍ Z هود:
٨١ في قصة لوط عليه السلام، بخلاف قصتي هود وشعيب عليهما السلام ، فإن هلاك قومهم تأخر عن وقت الوعيد[١].

٢- أنه قال ههنا:] [\ ] ^ _ ` a Z فذكر أن نجاتهم كانت برحمة منه تعالى و لم يقل مثل ذلك في موضعين آخرين من القرآن، فقد قال في سورة النمل:] وَأَنجَيۡنَا ٱلَّذِينَ © وَكَانُواْ يَتَّقُونَ Z النمل: ٥٣ وقال في فصلت:] وَنَجَّيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ Z فصلت: ١٨ و لم يقل (برحمة منا)، وذلك - والله أعلم – أنه ذكر صفتين في سورتي النمل وفصلت وهما: الإيمان والتقوى فقد قال فيهما:] ٱلَّذِينَ © وَكَانُواْ يَتَّقُونَ Z . و لم يذكر في سورة هود غير صفة واحدة وهي الإيمان، فاتسعت رحمته لتشمل من كان مؤمنا وإن لم يكن متقياً، فناسب ذكر الرحمة في هذا الموضع، وإن كانت النجاة في كل الأحوال لا تحصل إلا برحمته سبحانه[٢].

٣- أنه قال:] b c d Z والتقدير: ((ونجيناهم من خزي يومئذ)) [٣]. فالله نجى صالحاً عليه السلام والمؤمنين من العذاب ومن الخزي أيضاً، فقد عطف قوله:] b c d Z على (نجينا)، فأفاد أنه أصاب الذين ظلموا العذاب والخزي معاً، مع أنه لم يشر إلى الخزي عند ذكر عذاب القوم، وهو هنا أبلغ في المنة على المؤمنين، والخزي : ((العيب الذي تظهر فضيحته ويستحي من مثله)) [٤] .

٤- أنه ختم الآية بذكر صفتي القوة والعزة له سبحانه فقال:] f g h i

(١) ينظر غرائب التفسير وعجائب التأويل للكرماني: ٥١٨/١.
(٢) ينظر التفسير البياني: ٢٤٥/٣.
(٣) الكشاف ١٠٥/٢.
(٤) انظم الدرر ٥٥١/٣.

j Z وذلك مناسب ومتفق مع تنفيذه أمر العذاب بالعصاة المتجبرين الذين لم يأبهوا بما نهوا عنه، و لم يرتدعوا لترهيب.

كما هو مناسب لإعزازه المؤمنين، وإنجاز وعده لهم ، ونصرته لهم، وإعلاء شأنهم في نهاية المطاف. جاء في " البحر المحيط" :((ناسب مجيء الأمر وصفه تعالى بالقوي العزيز فإنهما من صفات الغلبة والقهر الانتقام)) [1].

٥- أنه قال:] f g Z فأضاف الرب إلى ضمير المخاطب وهو رسول الله ﷺ وفي هذا الاختيار اللطيف تسلية لقلب النبي ﷺ وربط عليه ، بأن يطمئن بتوكله على الله ولجوئه إليه أن العاقبة له ، وفيه تهديد لمخالفيه من الكفار ، بأن ربك القوي العزيز سيفعل بهم كما فعل بقوم صالح الطَيْئِلاْ لما مكروا به، وهو مثيل التحذير الذي صرح به في سورة فصلت فقال:] فَإِنْ أَعْرَضُواْ فَقُلْ : ;
< = > ? Z فصلت: ١٣

٦- أنه استعمل أل لتعريف الخبر فقال:] f g h i j Z هود: ٦٦ وذلك يفيد نوعاً من الحصر فلم يقل: (إن ربك قوي عزيز) ليدل على أنه لا قوي على الحقيقة غيره ، ولا عزيز على الحقيقة غيره ، فهو القوي العزيز على الإطلاق، وكل قوي أو عزيز بعد ذلك فقوته وعزته محدودة بحد، ومقيدة بظروف.

٧- أنه قال هنا:] f g h i j Z مؤكداً قوته وعزته تعالى بـــ(إنَّ) بينما قال في سورة الشورى:] Z [\ ] ^ _ a b c
Z الشورى: ١٩دون تأكيد، وذلك أن المقام في سورة هود مقام عقوبة وإنجاء لصالح الطَيْئِلاْ ومن آمن معه وذلك يستدعي تأكيد القوة والعزة، وأما السياق في الشورى فإنه في لطفه بعباده فلا يستدعي ذلك تأكيدهما.

٨- أنه قدم القوي على العزيز لأنه قوي فعز تبارك وتعالى، فإن العزة إنما تنبع من

(١) البحر المحيط:١٧٨/٦.

القوة، ولذلك حيث اجتمع هذان الوصفان في القرآن الكريم قدم القوي على العزيز، وذلك نحو قوله:] O P Q R Z الحج: ٤٠ وقوله:] ; < = > Z الحديد: ٢٥ وهو مثل تقديم العزيز على الحكيم دوماً في القرآن، فإنه عزّ فحكم تعالى(١).

قوله تعالى:] l m n o p q r s t u v w x z { | } ~ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ Z هود: ٦٧ - ٦٨

من أوجه التناسق والمناسبة في الآية ما يلي:

١- قوله تعالى هنا:] l m n o Z بتذكير المصدر (أخذ) وقال في موطن آخر:] وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ Z هود: ٩٤ بتأنيثها لأن المصادر تأنيثها ليس بالتأنيث اللازم، فيجوز تذكيرُ ما خرج منها على لفظ المؤنث وتأنيثه(٢)، وعلة ذلك إمَّا للفصْلِ(٣)، أوْ لكونِ التأنيثِ غيرَ حقيقيٍّ، أوِ أن الصيحةُ جاءت هنا بمعنى الصياحِ(٤).

٢- ذكر هنا كيف أن أخذ القوم كان بالصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين فقال:] l m n o p q r s Z

وقال في سورة الأعراف:] n o p q r s Z فجمع الديار في الصيحة وأفردها في الرجفة ،لأن الصيحة يبلغ مداها أبعد من مدى الرجفة، ولذا حيث ذكر الصيحة جمع فقال (الديار). وحيث ذكر (الرجفة) أفرد الدار(٥). وقد

(١) ينظر أسرار البيان في القرآن:١/٣٠.
(٢) ينظر تفسير الطبري:٧/١٤٦.
(٣)فُصِلَ بَيْنَ الْفِعْلِ وَالِاسْمِ الْمُؤَنَّث بِفَاصِلٍ، فَكَانَ الْفَاصِلُ كَالْعِوَضِ مِنْ تَاءِ التَّأْنِيثِ. ينظر تفسير الرازي:١٨/٣٧٠.
(٤) ينظر نكت وتنبيهات في تفسير القرآن المجيد:٢/٢٣٨.

(٥) ينظر: البرهان للكرماني ٢٣٩.

فصلت في بيان هذا المعنى عند مقارنة خاتمة القوم في المواطن المختلفة، ونقلت كلاماً نفيساً لأهل العلم فيه.

٣- أنه قال:] p Z والإنسان يؤمل دوماً في صباح يستبشر فيه بخير اليوم كله ،لكن هؤلاء المعذبين أصبحوا جاثمين هلكى وفي ذلك زيادة تحسير ،وأعظم عبرة لمن يبلغه خبرهم. جاء في "نظم الدرر":((وقال: أصبحوا ،زيادة في التخويف، والتأسيف، بما وقع لهم من التحسير ،لو أدركه أحد منهم ،لأن الإنسان يفرح إذا أصبح بقيامه من نومه مستريحاً قادراً على ما يريد من الحركات للاستمتاع بها بما يشتهي من التصرفات)) [1]. وهو كقوله تعالى :] فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ Z الصافات: ١٧٧

٤- أنه لما كنى عن الموت بالجثوم أتى بـــ(كأنْ) لبيان ذلك فقال:] s t u v w x Z قال الإمام البقاعي:((ولما كان الجثوم كناية عن الموت أوضحه بقوله:(كأن)أي: كأنهم لم يغنوا أي يقيموا أغنياء لاهين بالغناء)) [2]

جاء في "مفاتيح الغيب": ((وَالْجُثُومُ هُوَ السُّكُونُ يُقَالُ لِلطَّيْرِ إِذَا بَاتَتْ فِي أَوْكَارِهَا إِنَّهَا جَثَمَتْ، ثُمَّ إِنَّ الْعَرَبَ أَطْلَقُوا هَذَا اللَّفْظَ عَلَى مَا لَا يَتَحَرَّكُ مِنَ الْمَوْتِ فَوَصَفَ اللَّهُ تَعَالَى هَؤُلَاءِ الْمُهْلَكِينَ بِأَنَّهُمْ سَكَنُوا عِنْدَ الْهَلَاكِ، حَتَّى كَأَنَّهُمْ مَا كَانُوا أَحْيَاءً))[3]. وذلك قوله تعالى:] u v w x Z.

٥- أنه اعتنى بتوجيه أخذ العبرة والعظة، لتنبيه الغافل، والتحذير من الوقوع فيما وقعوا فيه، فقال:] z { | } ~ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ Z هود: ٦٨ فاستعمل(ألا) وكررها للتأكيد والاعتبار وهي :((ألف الاستفهام دخلت على (لا) فالألف تقتضي معنى ، و (لا) تنفي معنى ، فاقتضى الكلام بهما معنى

(١) نظم الدرر: ٥٥١/٣.

(٢) نظم الدرر :٥٥١/٣.

(٣) مفاتيح الغيب:٣٧٠/١٨

التنبيه مع نفي الغفلة.. وكان حقيقته - والله أعلم - أن (لا) دخلت على ما بعدها فنفته ، ثم دخلت عليها همزة الإنكار فنفتها ، ومن المعلوم أن نفي النفي إثبات فرجع المعنى كما كان على أتم وجوه التنبيه والتأكيد ، لأن إثبات المعنى بعد نفيه آكد من إثباته عرياً عن النفي))[١].

(١) نظم الدرر :٥٤٩/٣.

المبحث الخامس:أوجه التناسق في قصة إبراهيم عليه السلام مع قومه، ويشمل الآيات (٦٩-٧٦).

تمهيد:قصة إبراهيم عليه السلام مع قومه وردت في كتاب الله تعالى في خمس سور وهن: هود والحجر، والأنبياء، والذاريات، وأما خامستهن فهي العنكبوت لكن ما ورد فيها كان عبارة عن إشارة يسيرة لقصته عليه السلام وكان ذلك مدخلاً لعرض قصة لوط عليه السلام، وأما بقية المواطن في القرآن التي تحدثت عن خليل الله إبراهيم عليه السلام فكانت إشارات إلى جوانب محددة من مسيرة دعوته عليه السلام، أو لبيان شرف مكانته وعظيم شأنه عند الله تعالى، وغيره، ومثال ذلك ما ورد من حواره ودعوته لأبيه في سورة مريم، وما ورد من الجدال بينه وبين القوم في سورة الأنعام، وإظهار حجته عليهم، وإثبات وحدانية الله عز وجل.

وهذه القصة كمثيلاتها من القصص القرآني العظيم، لا تجدها مكرورة، بل تختلف من موطن لآخر، وفي كل موطن يعرض جانباً منها بما يناسب السياق، وبما يحقق المقصد المراد من ذكر القصة.

وبمقارنة تلك المواطن يظهر لنا هذا التنوع فيما جاء بيانه عن تلك القصة، ليكون في مجمله تكاملاً وبياناً لعدة جوانب مرادة.

و شواهد ما ذكرت من هذا التنوع والتناسب والتناسق فيما يأتي:

١- أنه ذكر بداية في سورتي هود و العنكبوت أن إبراهيم عليه السلام قد جاءته رسل ربه، فقال في هود:] وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ © Z هود: ٦٩ ، وقال في العنكبوت:] ! " # $ % Z العنكبوت: ٣١ . وأما في سورتي الحجر والذاريات فقد ذكر أنهم كانوا أضيافه، فقال في الحجر:] وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ Z الحجر: ٥١ ، وقال في الذاريات:] © أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ Z الذاريات: ٢٤ أما في الأنبياء فكان المدخل مختلف فقد افتتح القصة بما وهب لإبراهيم عليه السلام من رشد، ثم أتبع ذلك بذكر حسن جداله وحواره للقوم إذ أظهر لهم تعجبه من عكوفهم على تلك التماثيل فقال:

{ z y x w v u t s r q p o n m [

| { ~ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ Z الأنبياء: ٥١-٥٢، واتجه بالقصة لبيان هذا الجانب من حواره لأبيه وقومه، وما وصل إليه الأمر من سلامته من النار التي أوقدوها لحرقه، وتنجيته ولوط عليهما السلام إلى الأرض المباركة فقال:

] ¶ ¸ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ Z الأنبياء: ٧١.ثم بين هبته له بإسحاق ويعقوب عليهما السلام، دون الإشارة إلى إرسال الملائكة له بهذه البشارة كما في سورتي هود والعنكبوت فقال:] وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾ ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / عَٰبِدِينَ Z الأنبياء: ٧٢ - ٧٣.

٢- أنه ذكر في هود والذاريات، تحية الملائكة ورد التحية عليهم، فقال في هود:] قَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ ۖ Z هود: ٦٩ ، وقال في الذاريات:] إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ ´ µ ¶ ¸ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ Z الذاريات:٢٥ .

وذكر في الحجر تحيتهم ولم يذكر رد التحية عليهم فقال:] ! " # $ % & ' ( ) Z الحجر: ٥٢ .

ولم يشر إلى التحية في العنكبوت وإنما كان دخولاً مباشراً إلى قصة لوط عليه السلام بعد أن جاءت إبراهيم البشرى.

٣- نجد ذكر تقديم الطعام لضيفه في هود والذاريات فقال في هود:] فَمَا لَبِثَ أَن ´ µ ¶ Z هود: ٦٩. وقال في الذاريات:] فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ Z الذاريات:٢٦ . ولم يشر إلى ذلك في الحجر ولا في غيرها، وأتى في كل موطن منهما بوصف للعجل مختلف، فهو حنيذ وسمين كما هو ظاهر.

٤- أنه ذكر في الذاريات أنه عليه السلامدعاهم إلى الأكل قائلاً:] أَلَا تَأْكُلُونَ Z و لم يذكر ذلك في سورة هود، غير أنه لما رآهم لا يمدون أيديهم إلى الطعام نكرهم وأوجس منهم خيفة، قال تعالى:] فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً Z هود: ٧٠.

٥- أنه أشار في سورة هود أن امرأته كانت قائمة وأنها ضحكت بعد ذكر الرسل أنهم أرسلوا إلى قوم لوط، قال تعالى:] وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ Z هود: ٧١.و لم يذكر ذلك في أي موضع آخر.

٦- نجد أيضاً أنه ذكر في سورة هود البشارة بالولد لامرأته، في حين أن البشارة كانت لإبراهيم عليه السلام في الحجر والذاريات.

٧- في هود بشروها بالولد وبولد الولد، بإسحاق ومن ورائه يعقوب قال تعالى:] وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ Z هود: ٧١. ، في حين كانت البشرى في الحجر والذاريات بالغلام فقط دون ذكر للحفيد.

٨- ذكرت البشارة اسمي الولد وولد الولد في هود، و لم يذكر ذلك في الحجر ولا في الذاريات وإنما ذكر البشرى بغلام عليم، ففي هود ذكر اسم العلم، وفي الحجر والذاريات ذكر صفته.

٩- أنه ذكر في سورة هود تعجب امرأة سيدنا إبراهيم عليه السلام ومحاورتها للملائكة وأنها تبسطت في ذكر العجب فقال:] ! " # $ % & ' ( ) * + , - Z هود: ٧٢.

و لم يأت في الحجر لذكر زوجه. وأما في الذاريات فوصف إقبالها متعجبة وله صرة وأنها صكّت وجهها فقال:] فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ Z الذاريات:٢٩

١٠- أن ما ذكره في الحجر من محاورة وتعجب كان عن إبراهيم عليه السلام لما بشرته الملائكة ، وكان عجبه أن بشروه بالغلام بعد أن مسه الكبر فقال تعالى:] + , -

. / بِغُلَٰمٍ عَلِيمٖ ﴿٥٣﴾ قَالَ أَبَشَّرۡتُمُونِي عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِيَ ٱلۡكِبَرُ فَبِمَ : ; >

= > ? @ A B Z الحجر: ٥٣ – ٥٥ .

١١- أنه ذكر رد الملائكة على زوج إبراهيم عليه السلام عند تعجبها ودعاءهم لأهل ذلك البيت في هود فقال:] / أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ : > = > Z هود: ٧٣.ولم يرد مثل ذلك في الذاريات وإنما قالوا لها:] كَذَٰلِكِ â رَبُّكِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ç è Z.

١٢- نجد في الحجر والذاريات سؤال إبراهيم عليه السلام للملائكة عن سبب مجيئهم قائلاً:] # $ % & Z الحجر :٥٧، الذاريات: ٣١ ، فبينوا له سبب ذلك.

في حين ذكروا ذلك ابتداء من غير أن يسألهم في هود فقال:] قَالُواْ لَا تَخَفۡ إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمِ لُوطٖ Z هود: ٧٠. وكذلك في العنكبوت فقال تعالى:] ! " # $ % & ' ( ) * + - . / ظَٰلِمِينَ Z العنكبوت: ٣١ .

ومن خلال ما سبق نرى أن القصة ليست متطابقة، وإنما متكاملة، بين في كل موطن جوانب منها بما يتوافق مع السياق، ويحقق مقاصد عرض القصة في ذلك الموطن.

وهذا ما ورد في تلك السور الكريمة عن هذه القصة:

أولاً: ما ورد في سورة هود.

قوله تعالى:] وَلَقَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُنَآ إِبۡرَٰهِيمَ © قَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞۖ فَمَا لَبِثَ أَن µ
¶ فَلَمَّا رَءَآ أَيۡدِيَهُمۡ لَا تَصِلُ إِلَيۡهِ نَكِرَهُمۡ وَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةٗۚ قَالُواْ لَا تَخَفۡ إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمِ لُوطٖ ﴿٧٠﴾ وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ فَضَحِكَتۡ فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ ﴿٧١﴾ ! " # $ % & ' (* + , - . / أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ : > = > ? @ A B C D E F

Z Y X W U T S R Q P O N M L K J I H G

[|] ^ _ ` a Z هود: ٦٩ – ٧٦.

ثانياً: ما ورد عن قصة إبراهيم عليه السلام في سورة الحجر.

قوله تعالى:] وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٥١﴾ ! " # $ % & ' ( ) (

* + , - . / بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِيَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ

H G F E D C B A @ ? > = < ; :

W V U T S R Q P O N M L K J I

X Z الحجر: ٥١ – ٥٨ .

ثالثاً: ما ورد عن قصة إبراهيم عليه السلام في سورة الأنبياء.

قوله تعالى:] m n o p q r s t u v w x y z {

| { ~ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ © قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ

وَءَابَآؤُكُمْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ ´ µ ¶ ¸ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ

وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟

مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ ! " # $ % & ' ( ) * + , -

. / لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ : ; < = >

M L K J I H G F E D C B A @ ?

Z Y X W V U T S R Q P O N

h g f e d c b a ` _ ^] \ [

{ y x w v u t s r q p o n m l k j i

| { ~ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ © بَرْدًا وَسَلَٰمًا

عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ´ µ ¶ ۥ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي
بَٰرَكۡنَا فِيهَا لِلۡعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ نَافِلَةٗۖ وَكُلّٗا جَعَلۡنَا صَٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾
! " # $ % & ' ( ) * + ,
. / عَٰبِدِينَ Z الأنبياء: ٥١ - ٧٣.

رابعاً: ما ورد عن قصة إبراهيم عليه السلام في سورة الذاريات.

قوله تعالى:] © أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذۡ دَخَلُواْ عَلَيۡهِ ´ µ ۥ سَلَٰمٞ
قَوۡمٞ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجۡلٖ سَمِينٖ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيۡهِمۡ قَالَ أَلَا تَأۡكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوۡجَسَ
مِنۡهُمۡ خِيفَةٗۖ قَالُواْ لَا تَخَفۡۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٖ ﴿٢٨﴾ فَأَقۡبَلَتِ ٱمۡرَأَتُهُۥ فِي صَرَّةٖ فَصَكَّتۡ وَجۡهَهَا وَقَالَتۡ عَجُوزٌ
عَقِيمٞ ﴿٢٩﴾ à كَذَٰلِكِ â رَبُّكِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ç è é " # $ % & '
( ) * + , - Z الذاريات: ٢٤ – ٣٢ .

خامساً: ما ورد عن قصة إبراهيم عليه السلام في سورة العنكبوت.

قوله تعالى:] ! " # $ % & ' ( ) * + , -
ظَٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطٗاۚ قَالُواْ نَحۡنُ أَعۡلَمُ : ; = . /
> ? @ A B C Z العنكبوت: ٣١ – ٣٢ .

أوجه التناسق في قصة إبراهيم الطَّيْلاً مع قومه في سورة هود:

قال الله تعالى:] وَلَقَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُنَآ إِبۡرَٰهِيمَ © قَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞۖ فَمَا لَبِثَ أَن ´ µ
¶ فَلَمَّا رَءَآ أَيۡدِيَهُمۡ لَا تَصِلُ إِلَيۡهِ نَكِرَهُمۡ وَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةٗۚ قَالُواْ لَا تَخَفۡ إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ
قَوۡمِ لُوطٖ ﴿٧٠﴾ وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ فَضَحِكَتۡ فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ ﴿٧١﴾ ! "
$ % & ' ( ) * + , - . / أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ رَحۡمَتُ
ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ : ; < = > ? @ A B C D E F
G H I J K L M N O P Q R S T U W X Y Z
[ ] ^ _ ` a Z هود: ٦٩ – ٧٦.

أولاً: اختلف المدخل لقصة إبراهيم الطَّيْلاً في هذه السورة عن الأسلوب الذي سارت عليه قصص الأنبياء الآخرين فيها، فقد قال في ابتداء تلك القصص:] m n o p q Z [| } ~ هُودٗاۚ Z] وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحٗاۚ Z] وَإِلَىٰ : ; < Z بينما قال ههنا:] وَلَقَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُنَآ إِبۡرَٰهِيمَ © Z وذلك أن الغرض من ذكر هذه القصة مختلف عن غرض ذكر تلك القصص، فإن قصص بقية الرسل إنما جاءت لبيان إرسال الله لهم إلى أقوامهم ،وإنذارهم، وذكر عاقبتهم، والاعتبار بما ورد فيها، بينما الأمر مختلف في قصة إبراهيم الطَّيْلاً ، إذ الغرض من هذه القصة إنما هو ذكر المجيء بالبشرى لإبراهيم، وأن تكون القصة مدخلاً إلى قصة لوط الطَّيْلاً، وفي هذا الاختيار عناية بالسياق والمقصد، يحسن الالتفات له .

جاء في "البحر المحيط": ((وإنما أدرج شيئا من أخبار إبراهيم الطَّيْلاً بين قصة صالح ولوط عليهما السلام لأن له مدخلا في قصة لوط. وكان إبراهيم ابن خالة لوط، والرسل هنا الملائكة بشرت إبراهيم بثلاث بشائر: بالولد وبالخلة وبإنجاء لوط ومن آمن معه))(١).

(١) البحر المحيط ٥/٢٤١.

وجاء في "روح المعاني": (( ] وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ Z: وإنما أسند إليهم المجيء دون الإرسال لأنهم لم يكونوا مرسلين إليه عليه السلام بل إلى قوم لوط عليه السلام لقوله تعالى:] إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ Z وإنما أتوه ليبلغوه البشرى. قيل ولما كان المقصود في السورة الكريمة ذكر صنيع الأمم السافلة مع الرسل المرسلة إليهم ولحوق العذاب بهم و لم يكن جميع قوم إبراهيم عليه السلام من لحق بهم العذاب بل إنما لحق بقوم لوط منهم خاصة غير الأسلوب المطرد فيما سبق من قوله تعالى] | { ~ هُودًا Z] وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا Z ثم رجع إليه حيث قيل] وَإِلَىٰ : ; > Z))(1).

ثانياً: أن مجيء الملائكة إبراهيم عليه السلام بالبشرى في قوله تعالى:] وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ © Z له تعلق بما ورد في أول السورة، لما في ذلك من التنبيه لمن تعنت بطلب إنزال الملائكة على النبي ﷺ في قولهم :] لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌ Z هود: ١٢ ،على أن ذلك ليس عزيزاً عليه تعالى، مع مناسبة أمر هذا الولد لأمر الناقة في تكوين كل منهما بخارق للعادة ففي ذلك إشارة إلى تمام القدرة وكمال العلم(2).

وقد تكرر ورود البشرى في قصة إبراهيم عليه السلام في هذه السورة أكثر من ورودها في المواطن الأخرى، وذلك مناسب أيضاً لمقام التسلية والتثبيت والفأل الحسن لنبينا ﷺ ،الذي هو من أهم مقاصد السورة الكريمة، فقد جاء ذكر البشرى في القصة على قصرها ثلاث مرات، فأخبرنا سبحانه أن إبراهيم عليه السلام جاءته الرسل بالبشرى، ثم أخبرنا ببشارته لامرأته، ثم عاد لذكر مجيء البشرى مرة أخرى بقوله:] @ A B C D E F Z هود: ٧٤.

كما يضاف لما سبق، أن تلك البشرى قد أتت على أتم وأكمل وأجل الأوصاف، فمرة جاءت بها الرسل وذلك قوله:] وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ © Z.

---

(١) روح المعاني ١٢/٩٣.

(٢) ينظر: نظم الدرر، ١٢/٩٣.

ومرة جاءته مجيئاً كما قال:] @ A B C D E F Z وكأنها جاءته بذاتها تسعى إليه.

ومرة أضافها لنفسه وذلك قوله:] فَبَشَّرْنَٰهَا Z وهو أجل وأشرف من مجيئ غيره بها.

ثالثاً: أن تحية الملائكة في قوله تعالى:] قَالُوا۟ سَلَٰمًا Z كانت بالجملة الفعلية أي نسلم سلاماً ولذا نصب السلام، أما تحية إبراهيم عليه السلام فجاءت بالجملة الاسمية لذا رفع السلام:] قَالُوا۟ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ Z أي سلامٌ عليكم. وهي أوسع من الفعلية وفي ذلك دلالة على أنه عليه السلام رد التحية بخير منها.

جاء في "معاني القرآن":(( ] قَالُوا۟ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ Z يريد سلموا عليه فرد عليهم، فيقول القائل: ألا كان السلام رفعًا كله أو نصبًا كله ؟

قلت: السلام على معنيين: إذا أردت به الكلام نصبته، وإذا أضمرت معه «عليكم» رفعته))[1].

رابعاً: قوله تعالى:] فَمَا لَبِثَ أَن ´ µ ¶ Z هذا التعبير يحتمل عدة معان كلها مرادة والله أعلم. فهو يحتمل أن يكون المعنى: فما لبث مجيئه أي ما أبطأ مجيئه.

ويحتمل أيضاً أن يكون ما أبطأ إبراهيم عليه السلام في المجيء، ولا أبطأ عن المجيء.

فالفاعل هنا ضمير مستتر يعود على إبراهيم عليه السلام والمصدر المؤول منصوب بنزع الخافض وهو على تقدير (في) المجيء أو (عن) المجيء. كما يحتمل أن يكون المصدر المؤول فاعلاً أي فما تأخر مجيئه[2].

وعدم ذكر حرف الجر (في) أو (عن) يفيد التوسع في المعنى ليشمل أكثر من دلالة، والله أعلم.

---

(١) معاني القرآن للفراء: ١/٤٠.

(٢) ينظر: روح المعاني: ١٢/٩٤.

كما أن قوله هنا:] فَمَا لَبِثَ أَن ´ µ ¶ Z أدل على السرعة من قوله في الذاريات:] فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجۡلٖ سَمِينٖ Z .

وبجمع الآيتين نجد صفتين من صفات كمال كرمه وحسن ضيافته عليه السلام.

فقوله:] فَمَا لَبِثَ أَن ´ Z تفيد أن من الكرم ألا يبطئ المضيف عن ضيفه.

و قوله في الذاريات:] فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ فَجَآءَ Z. تفيد أن من الكرم عدم إشعار الضيف بالتكلف والجهد في ضيافته، وإخفاء ذلك عن نظره، وعدم الانشغال بها عن مؤانسته.

خامساً: في قوله:] فَمَا لَبِثَ أَن ´ µ ¶ Z بيان لكرم إبراهيم عليه السلام، فإنه لم يبطئ، وقدم العجل الذي هو ولد البقرة وصغيرها، كما هو مشهور، وحنذه، والحنيذ: المشوي بالرضف وهي الحجارة في أخدود(١).

والمعنى: أنه جاء بعجل صغير مما طاب لحمه، مشوي، حار، سمين، يقطر ودكه.

ففي الحنيذ الذي قدمه عدة صفات وهي:

١- أنه من أطيب اللحم وهو صغير السن ٢- أنه سمين ٣- أنه مشوي ٤- أنه حار يسيل دسمه، ويضاف لما سبق أنه جاء به إلي مكانهم وقربه إليهم، و لم يأخذهم لمكان آخر وهذا غاية الإكرام منه عليه السلام.

سادساً: أنه عدى الرؤية إلى الأيدي في قوله تعالى:] فَلَمَّا رَءَآ أَيۡدِيَهُمۡ لَا تَصِلُ إِلَيۡهِ نَكِرَهُمۡ وَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةٗۚ قَالُواْ لَا تَخَفۡ إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمِ لُوطٖ Z هود: ٧٠ .

والمراد أنه لما رآهم لا يمدون أيديهم إلى الطعام أي لا يأكلون نكرهم. فلم يقل (فلما رآهم لا يمدون أيديهم) بل قال:] فَلَمَّا رَءَآ أَيۡدِيَهُمۡ لَا تَصِلُ إِلَيۡهِ Z وفي ذلك إشارة إلى أدب الضيافة، وكمال خليل الله إبراهيم عليه السلام في هذا، فإنه لا يحسن بالمضيف أن يحدد النظر

(١) ينظر: الكشاف ١٠٦/٢، روح المعاني ٩٤/١٢، لسان العرب (حنذ).

إلى الضيوف وهم يطعمون طعامه، وإنما يسارقهم النظر فينظر أيأكلون أم لا، ليقوم بحسن إكرامهم. وهو ما قام به إبراهيم ﷺ.

جاء في "روح المعاني": (( ] فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ Z كناية عن أنهم لا يمدون إليه أيديهم، ويلزمه أنهم لا يأكلون... ففيه دليل على أن من أدب الضيافة النظر إلى الضيف هل يأكل أو لا، لكن ذكروا أنه ينبغي أن يكون بتلفت ومسارقة لا بتحديد النظر لأن ذلك مما يجعل الضيف مقصرا في الأكل. أي لما شاهد منهم ذلك نكرهم))[(١)].

سابعاً: أنه قال:] نَكِرَهُمْ Z هود: ٧٠. ولم يقل (أنكرهم) أي في ذواتهم واستوحش منهم، أو (أنكر فعلهم)، وذلك ليجمع المعنيين معاً، فإنه لما رآهم لا يأكلون استوحش منهم وداخلته الريبة في أمرهم أيضاً[(٢)].

ثامناً: في قوله:] وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً Z دليل حصول الخوف من الأنبياء في بعض الأمور البشرية التي يجوز فيها الخوف من غير الله[(٣)]، وسبب ذلك الخوف أنه ((كان عادتهم أنه إذا مس من يطرقهم طعامه أمنوه وإلا خافوه))[(٤)].
و(الخيفة) الخوف، وهي من أسماء الهيئة والمعنى أنه شعر بحالة من الخوف[(٥)].

وجاء في "روح المعاني": ((ولعل اختيارها بالذكر للمبالغة حيث تفرس لذلك مع جهالته لهم من قبل وعدم معرفته من أي الناس يكونون كما ينبئ عنه في الذاريات من قوله سبحانه:] قَوْمٌ مُّنكَرُونَ Z أنهم ملائكة))[(٦)].

تاسعاً: أنه لما أتبع وصف حاله ﷺ بقولهم:] لَا تَخَفْ Z دون إفصاحه لهم بخوفه، بيان بأن هذه الحالة من الخوف ظهرت عليه، فأمنوه بقولهم] لَا تَخَفْ Z وأخبروه بما

(١) روح المعاني: ١٢/٩٤- ٩٥.
(٢) ينظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان ، ٤/٣٦.
(٣) ينظر: حجج القرآن:١/٦٣.
(٤) الكشاف: ٢/١٠٦، وانظر البحر المحيط: ٥/٢٤٢.
(٥) ينظر: المفردات (خوف).
(٦) روح المعاني ١٢/٩٥.

أرسلوا لأجله أي إلى قوم لوط، وذلك قوله تعالى:] فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ Z هود: ٧٠ . جاء في "الكشاف": (( ] وَأَوْجَسَ Z أضمر. وإنما قالوا لا تخف لأنهم رأوا أثر الخوف والتغير في وجهه أو عرفوه بتعريف الله . أو علموا أن علمه بأنهم ملائكة موجب للخوف ، لأنهم كانوا لا يترلون إلا بعذاب)) (١).

وجاءت دواعي زوال خوفه عليه السلام بأمور أربعة مرتبة ترتيباً متناسقاً:

الأول: قولهم له:] لَا تَخَفْ Z .

الثاني: أنهم أخبروه بأنهم إنما أرسلوا إلى قوم لوط عليه السلام، وليسوا مرسلين إليه، فعلام التوجس والخوف؟.

الثالث: أنهم أتوه بالبشارة بالولد.

الرابع: دعائهم بالرحمة والبركات لأهل ذلك البيت.

عاشراً: أن في قوله:] وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ Z هود: ٧١ دلالة على حصول الطمأنينة وزوال الخوف والتوجس عن إبراهيم عليه السلام بقول الملائكة، فإن زوجه لما سمعت بتأمين زوجها وأنهم أرسلوا إلى قوم لوط ضحكت سروراً بهذا الخبر، ولم يكن لها الضحك في حال خوف زوجها وتوجسه .

الحادي عشر: أن لقوله تعالى:] فَضَحِكَتْ Z هود: ٧١ ثلاث معانٍ عند المفسرين، أحدها: أن معنى الضحك ها هنا: التعجب. والثاني: ((أن معنى (ضحكت) حاضت، قاله مجاهد وعكرمة. قال ابن قتيبة: وهذا من قولهم: ضحكت الأرنب: إذا حاضت فعلى هذا: يكون حيضها حينئذ تأكيدا للبشارة بالولد. لأن من لا تحيض لا تحمل)) (٢).

والثالث: أنه الضحك المعروف، وذكروا له أسباباً، وهو قول الأكثرين.

---

(١) الكشاف ٢/٣٨٧.

(٢) زاد المسير: ٢/٣٨٦.

وعلى الأخذ بقبول صحة أنه أراد بالضحك معنى الحيض، فإنه استعاض عنه بلفظ الضحك الذي يناسب سياق البشرى، وحضور الملائكة المكرمين.

الثاني عشر: أنه أسند البشارة إليه سبحانه فقال:] فَبَشَّرْنَـٰهَا Z وفي ذلك زيادة في إكرامها. جاء في "البحر المحيط": ((فبشرناها على لسان رسلنا.. قال ابن عطية: أضاف فعل الملائكة إلى ضمير اسم الله تعالى إذ كان ذلك بأمره ووحيه))[1].

وحيث أسند البشارة إلى نفسه تعالى هنا صرح بإسمي إسحاق ويعقوب عليهما السلام، كما تضمنت بشارتها هذه البشارة بطول العمر حتى ترى ولد ولدها. جاء في "روح المعاني": ((كأنهم بشروها حتى ترى ولد ولدها أو بأن لولدها ولد))[2].

في حين أنه لما أسند البشارة إلى الملائكة الكرام، اقتصر على ذكر الغلام، وذلك في سورتي الحجر والذاريات فقال في الحجر:] + , - . / بِغُلَـٰمٍ عَلِيمٍ Z الحجر: ٥٣ ،وقال في الذاريات:] فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا۟ لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَـٰمٍ عَلِيمٍ Z الذاريات: ٢٨ ومن لطيف التناسق وحسن الترتيب أن جاءت البشرى بعد التأمين من الخوف في جميع المواضع ليكون لها قبولاً، ولتتم الفرحة بها، وإلا فكيف لخائف مضطرب أن يستبشر ببشرى.

الثالث عشر: من أوجه التناسق والتناسب في قوله تعالى:] ! " # $ % & ') (* + , - Z هود: ٧٢ ما يأتي:

١- أن امرأة إبراهيم ﷺ سارة عبرت عن تعجبها الشديد حين بشرت بالولد وولد الولد، وهي عجوز عقيم، وزوجها شيخ كبير فقالت:] ! " # ... Z.

(١) البحر المحيط ٢٤٣/٥.

(٢) روح المعاني ٩٩/١٢.

وهي كلمة تقولها العرب عند التعجب من الشيء، أو الاستنكار له، فيقولون عند التعجب: "ويلُ أمِّه رجلا ما أرْجَله" وهو من أنسب ما يعبر به عن شدة تعجبها، وقد قيل أنها كانت ابنة بضع وتسعين سنة، وكان إبراهيم عليه السلام ابن مائة سنة(١).

((وقد كثرت هذه الكلمة على أفواه النساء إذا طرأ عليهن ما يتعجب منه... وقيل إن الألف بدل من ياء المتكلم...وقيل أنه ألف الندبة ولذا يلحقونها بالهاء فيقولون: يا ويلتاه))(٢).

٢- أن سارة قالت :] & ' (Z فعبرت عن الزوج بالبعل، وهو القائم بأمر زوجه. جاء في روح المعاني: ((وأصل البعل القائم بالأمر فأطلق على الزوج لأنه يقوم بأمر الزوجة))(٣).وذلك لاستبعاد حصول الولد حتى من غيره، فهو ليس أي زوج يستعاض عنه بغيره ، وذلك لأنه قائم بحقها.

٣- أنها أكدت عجبها بإن واللام فقالت:] * + , - Z ولم تقل:] . / عَجِيبٌ Z ق: ٢ كما في سورة ق، وفي هذا دلالة على شدة تعجبها.

الرابع عشر: في قوله تعالى:] / أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ : ; > = < Z هود: ٧٣. من أوجه التناسق والتناسب ما يلي:

١- أن الملائكة الكرام ردوا على عجبها بلطف فقالوا:] أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ Z، فلم يوبخوها على ذلك ولم ينهروها، وذلك أن عجبها لا كعجب الكفار من بعث الرسل كما في سورة ق، أو عجبهم من دعوتهم إلى توحيد الله كما قال في سورة ص:] E F G H I J K L M Z ص: ٥ فمنبع عجبهم الكفر والعناد والجحود، أما عجب سارة فهو عجب المؤمن المستعظم لأمر الله،

(١) ينظر: تفسير الطبري: ٣٩٢/١٥.
(٢) روح المعاني ٩٩/١٢.
(٣) روح المعاني ١٠٠/١٢.

مع يقينها بأن الله على ذلك قادر وأنه تعالى يفعل ما يشاء.

٢- أن قول الملائكة عليهم السلام:] رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ : Z متعلق بتعجبها بشكل لطيف، فإن رحمة الله وسعت كل شيء، وبركاته ليس لها حد، فمن كانت هذه صفة رحمته وبركته، فلا عجب أن يمنح من يشاء ما يشاء، فهو جواب لها على ذلك التعجب.

قال الإمام ابن عاشور رحمه الله: ((وَجُمْلَة رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ تَعْلِيلٌ لِإِنْكَارِ تَعَجُّبِهَا، لِأَنَّ الْإِنْكَارَ فِي قُوَّةِ النَّفْيِ، فَصَارَ الْمَعْنَى: لَا عَجَبَ مِنْ أَمْرِ اللَّه لِأَنَّ إِعْطَاءَكِ الْوَلَدَ رَحْمَةٌ مِنَ اللَّهِ وَبَرَكَةٌ، فَلَا عَجَبَ فِي تَعَلُّقِ قُدْرَةِ اللَّه بِهَا وَأَنْتُمْ أَهْلٌ لِتِلْكَ الرَّحْمَةِ وَالْبَرَكَةِ فَلَا عَجَبَ فِي وُقُوعِهَا عِنْدَكُمْ))[(١)].

٣- أن في قول الملائكة عليهم السلام:] رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ : Z جمع بين الدعاء والإخبار وهما مرادان معا.

فإنهم لو قالوا (إن رحمة الله وبركاته عليكم) لكان خبراً محضاً.

كما أن قولهم هذا إتمام للتحية الكاملة التي جاء بها الإسلام العظيم، والتي لا أفضل ولا أكمل منها وهي: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

فقد بدؤا لقاءهم بإبراهيم عليه السلام بقولهم (سلاماً)، وأتموها بمقالهم هنا.

وقد ثبت في الصحيحين قول بعض الصحابة رضي الله عنهم: (قَدْ عَلِمْنَا السَّلَامَ عَلَيْكَ، فَكَيْفَ الصَّلَاةُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: قُولُوا: اللَّهُمَّ صلِّ عَلَى مُحَمَّد، وَعَلَى آلِ مُحَمَّد، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَآلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ و آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ)[(٢)].

ورحمة الله شاملة لخيري الدنيا والآخرة، والبركات من الرحمة وهي أخص منها.

---

(١) التحرير والتنوير:١٢/١٢٢.

(٢)أخرجه البخاري برقم (٤٧٩٧) باب الصلاة على النبي،٢١/١٦٥، و مسلم برقم (٤٠٦) باب الصلاة على النبي ﷺ بعد التشهد،١٦/٢من حديث كعب بن عجرةرضي الله عنه.

والبركات: الخيرات التامة المتكاثرة.

جاء في (روح المعاني): (([رَحۡمَتُ ٱللَّهِ Z المستتبعة كل خير ... و] وَبَرَكَٰتُهُۥ Z أي خيراته التامة المتكاثرة التي من جملتها هبة الأولاد وقيل: الرحمة النبوة ... وقيل:تحيته))(١)

٤- أن قوله :] أَهۡلَ : Z يحتمل أن يكون نصباً على المدح، وأن يكون نداء. ((تقديره: يا أهل البيت، أو يكون منصوباً على التعظيم والتخصيص)) (٢).

وهو هنا متناسب مع البشرى، بأن يعظم ويمدح المبشَّر بها بأنه مستحق لنيلها.

٥- أنه ختم الآية بقوله:] > = < Z وفي الإتيان بهاتين الصفتين الكريمتين مناسبة تامة لما سلف من البشارة وإنزال الرحمة والبركات عليهم، فهو يؤكد عليهم بأن الله محمود في تفضله عليهم بما تفضل به من النعم وعلى سائر خلقه وهو (مجيد): ذو مجد ومَدْح وثَناء كريم. والحميد الذي يستحق الحمد على جهة الثبوت، والمجيد الرفيع الكثير الخير والإحسان(٣).

الخامس عشر: في قوله تعالى:] @ A B C D E F G H I J K L M N O P Z هود: ٧٤-٧٥. من أوجه التناسق والتناسب ما يلي:

١- أنه قدم ذهاب الروع على مجيء البشرى فقال:] @ A B C D E F Z هود: ٧٤ لأنه أولى بالنسبة إلى الخائف، فإن الخائف لا يمكن له أن يسعد بالبشرى حتى يأمن ويزول سبب خوفه.

٢- أن في ذكر ذهاب الروع وهو الفزع عن إبراهيم عليه السلام في قوله:] @ A B C D Z وزوال خوفه وتوجسه، وبشارته بعد ذلك، تطمين لقلب نبينا صلى الله عليه وسلم بأن ما يتعرض إليه من أذى وخوف في هذه المرحلة فإن الله قادر على إذهابه كما أذهبه عن خليله إبراهيم عليه السلام وليس ذلك عليه بعزيز.

(١) روح المعاني ١٢/١٠٠ -١٠١.

(٢) إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب:٢/٤٣.

(٣) ينظر: تفسير الطبري ١٥/٤٠٠، روح المعاني ١٢/١٠١.

٣- في قوله تعالى:] G H I J Z قال (يجادلنا) ولم يقل (جادل الملائكة) ونحوه، مع أنه عليه السلام إنما جادل رسل الله وهم الملائكة في أمر قوم لوط وشأنهم[١]. وذلك أنه لما كان هذا الأمر أمر الله وهو الذي أرسلهم به كان كأنه يجادل الله سبحانه في الأمر الذي أرسل به الملائكة لأخذ قوم لوط بالعذاب ((ففيه مجاز في الإسناد، وكانت مجادلته عليه السلام ما قصه الله سبحانه في سورة العنكبوت إذ قال:] ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / ظَٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا Z العنكبوت: ٣١، ٣٢ فقوله عليه السلام:] إِنَّ فِيهَا لُوطًا Z مجادلة ، وعدّ ذلك مجادلة لأن مآله على ما قيل: كيف تهلك قرية فيها من هو مؤمن غير مستحق للعذاب؟))[٢].

٤- أنه أتبع الآية الكريمة بقوله تعالى:] L M N O P Z هود: ٧٥ . وفي هذا تعليل كريم من الرب الكريم لمجادلة ابراهيم عليه السلام ،وحماية لجنابه من أن يظن به سوء أدب، أو جرأة في غير موضعها.

والحليم: الذي لا يعجل في الانتقام ممن أساء إليه.

والأواه :كثير الحزن، وقيل الرحيم الرقيق المتضرع، والكثير التأوه من الذنوب والتأسف على الناس.

والمنيب الراجع إلى الله تعالى[٣].

---

(١) ينظر: تفسير الرازي ٣٧٦/٦، روح المعاني ١٠٢/١٢.

(٢)ينظر: زاد المسير٣٠٦/٢ ، روح المعاني ١٠٤/١٢.

(٣) انظر روح المعاني ١٠٤/١٢.

جاء في "روح المعاني": ((والمقصود من وصفه عليه السلام بهذه الصفات المنبئة عن الشفقة ورقة القلب بيان ما حمله على ما صدر عنه من المجادلة. وحمل الحلم على عدم العجلة والتأني في الشيء مطلقا.

وجعل المقصود من الوصف بتلك الصفات بيان ما حمله على المجادلة وإيقاعها بعد أن تحقق ذهاب الروع ومجيء البشرى لا يخفى حاله)) [١].

وجاء في "الكشاف":((وهذه الصفات دالة على رقة القلب والرأفة والرحمة فيه.

إن ذلك مما حمله على المجادلة فيهم رجاء أن يرفع عنهم العذاب ويمهلوا لعلهم يحدثون التوبة والإنابة كما حمله على الاستغفار لأبيه)) [٢].

٥- أنه قدم الحليم في قوله:] L M N O P Z هود: ٧٥ . على غيرها من صفاته عليه السلام لأنه سيد الأخلاق كما قيل، ولأن المقام مقام غضب وعقوبة وانتقام، والحلم يقتضي عدم التعجيل بالعقوبة والانتقام.

ثم أتى بصفة الأواه لمناسبتها التأسف على ما صدر من قوم لوط، والتأوه أيضاً من ذنوبهم التي أفضت إلى غضب الله عليهم والانتقام منهم.

و أما المنيب فهو الراجع إلى الله، وهذا أمر يتعلق بالفرد ذاته. فقدم ما يتعلق بالآخرين وهو الحلم، والتأوه على حالهم لأن المقام يقتضي ذلك .

السادس عشر: في قوله تعالى:] R S T U W X Y Z [ ] ^ _ ` a Z هود: ٧٦ من أوجه التناسق والتناسب ما يلي:

١- أنه نادى إبراهيم عليه السلام بالنداء المباشر فقال:] R Z وهو في الحقيقة نداء على تقدير القول أي: قلنا أو قالت الملائكة[٣].

(١) روح المعاني ١٢/١٠٤.

(٢) الكشاف ٢/١٠٧.

(٣) روح المعاني ١٢/١٠٤.

و جعل التعبير على التقدير أبلغ فكأننا نسمع النداء يصدر إلى إبراهيم عليه السلام ويصله أمره تعالى بالكف عن الجدال مباشرة.

كما أن هذا النداء مناسب لـــ (يجادلنا) ، فكأن الجدال في هذ الأمر انتقل من الملائكة إلى الله سبحانه فهو المجادل لإبراهيم عليه السلام.

أما تقدير (قالت الملائكة) فهو مناسب لقولهم:] إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمِ لُوطٖ Z ،وكأن حديثهم تتابع فنادوه، ونصحوه أن يعرض عن هذا الجدال.

ولذا جاء التعبير على التقدير ليحتمل الأمرين المناسبين للسياق.

٢- أنه قال:] S T U Z فأمره بالكف والانصراف عن الجدال في هذا الأمر، و لم يقل (كفّ عن هذا) فالإعراض أبعد في الكف والترك، وهو يفيد توجيه إبراهيم لإهمال القوم وأنهم لا يستحقون منه كل هذا.

٣- أنه أدخل (إنَّ) المؤكدة على هاء الضمير فقال:] W X Y Z [ ] Z وهو مفيد لتفخيم الأمر وتعظيمه بما يناسب المقام.

جاء في "فتح القدير":(( ] W X Y Z [ ] Z الضمير للشأن ومعنى مجيء أمر الله مجيء عذابه الذى قدره عليهم وسبق به قضاؤه)) (١).

٤- أنه أتى بـــ(قد) قبل الفعل في قوله تعال:] X Y Z والتي تدل على التحقيق والتوقع والتقريب إذا أتت قبل الفعل الماضي(٢)، ليفيد أن مجيء الأمر قد تحقق وقرب وقوع العذاب بقوم لوط، وأن الأمر قد قضي وحكم فيه، فلا محل لجدال أو شفاعة، فهو غير مردود ((بجدال ولا دعاء ولا بغيرهما)) (٣).

٥- أنه استعمل الفعل (جاء) و لم يأت بالفعل (أتى) وذلك للدلالة على شدة الأمر وصعوبته، وهو المناسب للمقام، فإن الفعل (جاء) يستعمل في القرآن لما هو

(١) فتح القدير ٥١٢/٢.
(٢) ينظر: دليل السالك إلى ألفية ابن مالك: ٣٧٣/١.
(٣) روح المعاني :١٠٤/١٢.

أشد وأكثر مهابة كما في قوله تعالى:] A B C D Z هود: ٤٠ وقوله تعالى:] | { ~ ٱلۡكُبۡرَىٰ Z النازعات: ٣٤ وغيرهما ،أما (أتى) فيدل على المجيء بسهولة وأمد أطول كقوله تعالى:] ~ فِرۡعَوۡنُ فَجَمَعَ كَيۡدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ Z طه: ٦٠ وكقوله تعالى:] A B C D E F Z الشعراء: ٨٩ [1].

٦- أنه قال:] W X Y Z [ا Z فاستعمل (أمر) والأمر يدل على الشأن، فالذي يأمر عادة أعلى شأناً من المأمور، وعلى هذا فليس له أن يخالف ما أمر به.قال الإمام الطبري:((يقول: قد جاء أمر ربك بعذابهم. وحقَّ عليهم كلمة العذاب، ومضى فيهم بهلاكهم القضاء)) [2].

٧- أنه قال:]] ا Z فأضافه إلى (الرب) ليدل على رعايته، فالرب هو المعلم والمربي والموجه والمرشد، وهو المعتني بمصالح من يربيهم، فهو الذي يعلم متى يعاقب ومتى يكافئ ليصلح حال المتربي.

كما أضافه إلى ضمير الخطاب، فهو ربك يا إبراهيم الذي رباك وأحسن إليك وعلمك وأرشدك فلا يحسن بك أن تجادله فهو أعلم منك بحال أولائك القوم.

٨- أنه عاد للتأكيد بـ(إنَّ) فقال:] [Z وأدخلها على ضمير القوم قوم لوط عليه السلام ،وكل ذلك ليدل على أن القوم مقصودون بحكم الله، وهو نافذ فيهم لامحالة، فلا مناص لهم عنه، ولن تنفعهم شفاعة ولا جدال.

٩- أنه جاء باسم الفاعل (آتيهم)، وباسم المفعول (غير مردود) في قوله تعالى:]] ^ _ ` a Z وذلك للدلالة أيضاً على ثبوت الأمر واستقراره.

١٠- أنه وصف العذاب ونفى رده بالاسم الدال على الثبوت وهو (غير) فقال:] ` a Z والنفي بهذه الصيغة أقوى وأثبت مما لو قال (ليس

(١) ينظر: مفردات الراغب (جاء) و(أتى).

(٢) تفسير الطبري:١٥/٤٠٧

مردوداً) فينفيه بالجملة الفعلية الدالة على الحدوث.

١١- وقال:] a Z وهو اسم المفعول الدال على الثبوت ولم يقل (لا يرد) بالفعل، وهو المناسب لمقام الجزم والتأكيد.

المبحث السادس: قصة لوط عليه السلام مع قومه، ويشمل الآيات (٧٧-٨٣).

تمهيد: قال الله تعالى:] c d e f g h i j k l m n
o p q r s t u v w x y { | } ~
هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَاتَّقُواْ اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي © ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧٨﴾ قَالُواْ لَقَدْ عَلِمْتَ ´ µ
¶ ¸ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾ قَالُواْ
يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيْكَ ۖ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا
ٱمْرَأَتَكَ إِنَّهُۥ â مَآ أَصَابَهُمْ ۚ إِنَّ ç è ê ë بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾ ! " #
$ % & ' ( ) * + , - . / رَبِّكَ ۖ وَمَا
هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ Z هود: ٧٧ - ٨٣

وردت قصة هذا النبي الكريم عليه السلام مع قومه في عشر سور من كتاب الله تعالى وهن: الأعراف وهود والحجر والأنبياء والشعراء والنمل والعنكبوت والصافات والذاريات والقمر.

وهي كسائر القصص القرآني العظيم، يأتي في كل موضع بجوانب وأحداث من القصة، فما يذكره في موضع لا يذكره في المواضع الأخرى إلا بحسب الحاجة ،مراعياً في كل موضع الغرض الذي سيقت القصة لأجله، و السياق الذي وردت فيه.

وسأبين بإيجاز ما ورد في كل موطن من تلك السور الكريمة عن هذه القصة، ليظهر لنا التكامل في عرضها في كتاب الله تعالى، وتحقيق مقاصد إيرادها في تلك المواطن المختلفة:

أولاً: ما ورد في سورة الأعراف قوله تعالى:] وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ © ٱلْفَٰحِشَةَ مَا
سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ ´ µ ¶ ¸ مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ
أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾ ! " # $ % & ' ( ) *
, - . / فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَمْطَرْنَا
عَلَيْهِم : ; < = > ? @ Z الأعراف: ٨٠ – ٨٤

فبين أن لوطًا عليه السلام أنكر على قومه سوء فعلهم في أنهم كانوا يأتون الفاحشة ما سبقهم بها من أحد من العلمين، وأخبرهم أنهم مسرفون في معصية الله.

فكان جواب القوم المطالبة بإخراجه من القرية بدعوى أنهم أناس يتطهرون.

فأنجاه الله وأهله إلا امرأته كانت من الباقين، كما ذكر أنه أمطر عليهم مطرًا، و لم يذكر صفة هذا المطر، وماهيته، كما في سور أخرى.

ثانياً: وأما ما ورد في سورة هود التي بين أيدينا فإنه قدم لها بقصة إبراهيم عليه السلام فذكر مجيء رسل الله على إبراهيم، وأنه عليه السلام جادلهم في عدم إنزال العذاب بالقوم لحلمه وتأسفه على حالهم ، ثم بين أن الملائكة قدموا على لوط عليه السلام على هيئة ضيوف، وأنه لما علم بحقيقتهم ضاق بهم ، وأن قومه جاؤا يهرعون إليه. وكيف أن لوط عليه السلام حاول كفهم عن ذلك ، حتى عرض عليهم بناته فأبوا، وعندها أخبرته الملائكة عليهم السلام أنهم رسل ربه أرسلوا بالعذاب على الكافرين، ووجهوه بأن يسري بأهله ليلاً. وأن الصبح موعد هلاك القوم، ثم انتقل لوصف عقوبتهم وذلك أنه جعل عاليها سافلها وأمطر عليها حجارة من سجيل، وأن تلك الحجارة قد سومت وأعدت لهم. كل هذا التفصيل لم يرد في الأعراف، فما كان هناك إنما هو إجمال وبيان عام. لأنه أول موضع تذكر فيه القصة، ثم جاء التفصيل في هود بعد ذلك الإجمال وهو المناسب.

ثالثاً: ما ورد عن القصة في سورة الحجر شبيه بما ورد في هود في بعض الجوانب فإنه قدم لها بقصة إبراهيم عليه السلام فذكر مجيء رسل الله على إبراهيم، وإخبارهم له بأنهم مرسلون إلى قوم لوط عليه السلام ووصفوهم بالإجرام فقال تعالى:] M N O P Q R S T U V W X Y Z [\ ] ^ _ ` a b c e f g Z الحجر: ٥٧ – ٦٠ و لم يذكر جدال إبراهيم عليه السلام لهم بل انتقل لبيان الحوار الذي دار بين لوط عليه السلام وبين الملائكة وكيف أن فعله طابق فعل إبراهيم عليه السلام في إنكارهم، فأخبروه بما جاؤا به، ووجهوه بأن يسري بأهله ليلاً وأن يتبع أدبارهم، وأن لا يلتفت منهم أحد، ثم أكدوا له فناء القوم عن دابرهم ،وحددوا له زمن العذاب وهو أنه مصبحهم.

ثم ذكر مجيء أهل القرية إليه مستبشرين ومحاولته منعهم من مما يريدون، وكيف أنه عرض عليهم بناته. ثم ذكر عقوبتهم وسماها الصيحة، وأنه جعل عاليها سافلها وأمطر عليهم حجارة من سجيل.

وهذا ما ورد عن هذه القصة في هذه السورة الكريمة، قال تعالى:] i j k l
m n o p q r s t u v w x y z {
| { ~ لَصَٰدِقُونَ ﴿٦٤﴾ فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ بِقِطۡعٖ مِّنَ ٱلَّيۡلِ وَٱتَّبِعۡ أَدۡبَٰرَهُمۡ © يَلۡتَفِتۡ مِنكُمۡ أَحَدٞ
وَٱمۡضُواْ حَيۡثُ تُؤۡمَرُونَ ﴿٦٥﴾ وَقَضَيۡنَآ إِلَيۡهِ ´ µ ¶ ¸ هَٰٓؤُلَآءِ مَقۡطُوعٞ مُّصۡبِحِينَ ﴿٦٦﴾ وَجَآءَ
أَهۡلُ ٱلۡمَدِينَةِ يَسۡتَبۡشِرُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيۡفِي فَلَا تَفۡضَحُونِ ﴿٦٨﴾ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخۡزُونِ ﴿٦٩﴾ قَالُوٓاْ
أَوَلَمۡ نَنۡهَكَ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٧٠﴾ ! " # $ % & ' ( ) * + ,
- . / مُشۡرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٍ : ;
< = > ? @ A B C D E F G H I Z الحجر: ٦١ – ٧٧

رابعاً: وأما ما ورد في سورة الأنبياء فقد اعتنى فيه ببيان رعاية الله لنبيه لوط عليه السلام بأن آتاه حكمًا وعلمًا، ونجّاه من القرية التي كانت تعمل الخبائث، وأنه شمله برحمته ووصفه بانه من الصالحين ، ولم يأت إلى ذكر شيء من مجيء الملائكة ولا جدال القوم، ومصيرهم مما سبق التفصيل فيه.

وجاء هذا العرض على نسق ذكر جل الأنبياء في السورة الكريمة، من إظهار كريم عناية الله بهم، وبيان شرفهم، وصلاحهم، وتشابه صفاتهم، وكل ذلك في عبارات موجزة، ليصل إلى أن الأمة الموحدة أتباع الأنبياء أمة واحدة.

قال تعالى:] وَلُوطًا ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗا وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلَّتِي : ; > : <
? @ A B C D E F H I J Z الأنبياء: ٧٤ – ٧٥.

خامساً: ما ورد في سورة الشعراء قد جاء أيضاً على نسق ما عرضت به عموم قصص رسل الله فيها، فقد بدأت القصة ببيان تكذيب قوم لوط المرسلين. قال تعالى:] ! " #

$ %& ' ( ) (* + , - . / رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾

وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ : ; = < > ? @ A B Z الشعراء: ١٦٠ – ١٦٤.

ثم ذكر أن لوطاً بكّتهم على معصيتهم، وشنيع فعلهم، ومخالفتهم فطرة الله بإتيان الذكران وترك ما أحل الله لهم، وبين كيف أنهم هددوه إن لم ينته بإخراجه.

فطلب ربه أن ينجيه وأهله، فنجاه وأهله إلا عجوزاً في الغابرين، ولم يشر أنها امرأته، كما في مواضع أخرى، ثم بين أنه دمرهم، وأمطر عليهم مطراً، ولم يذكر أيضاً صفة هذا المطر، وماهيته، كما في سور أخرى.

كما لم يأت على ذكر أضيافه الملائكة، وحديثه معهم، وتوجيههم له بطريقة النجاة مما ذكر في مواطن أخرى. قال الله تعالى:] ! " # $ %& ' ( ) (* + , - .

/ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ : ; = < > ? @ A B

C D E F G H I J K L M N O Q R S T U V

W X Y Z [\ ] ^ _ ` a b c d e f g h i

j k l m n o p q r s t u v w x y z | }

~ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم © ﴿١٧٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ Z الشعراء: ١٦٠ - ١٧٥

سادساً: ما ورد في سورة النمل عن لوط عليه السلام وقومه لم يقدم له بقصة إبراهيم عليه السلام ولا ذكر مجيء الملائكة كما سبق في بعض المواطن، بل ساق لنا مباشرة وعظه للقوم، وتبكيته لهم على سوء فعلهم من إتيان الفاحشة، وبين جواب القوم وأنهم طلبوا إخراجه من القرية، فأنجاه الله وأهله إلا امرأته وأمطر عليهم مطرا ولم يذكر ما هذا المطر، قال تعالى:] وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ ´ µ ¶ ¸ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾ " # $ % & ' ( ) (* + ,

- . / أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ :

; < = ? @ A Z النمل: ٥٤ – ٥٨. وهذا العرض الذي في هذه السورة الكريمة شبيه بما ورد في سورة الأعراف.

سابعاً: وأما عرض القصة في سورة العنكبوت فقد جاء على نسق مختلف عن كل ما سبق، فقد قدم بذكر وعظ لوط ﴿عليه السلام﴾ للقوم وتبكيته لهم على الفاحشة، كما ذكر من سوء أفعالهم ما لم يذكره في المواضع الأخرى، من قطعهم السبيل وأنهم يأتون في ناديهم المنكر، وأتبع ذلك بذكر تحديهم له بأن يأتيهم بعذاب الله إن كان من الصادقين.

ثم ذكر مجيء ضيف إبراهيم ﴿عليه السلام﴾ بالبشرى، وجداله لهم، وانتقالهم إلى لوط ﴿عليه السلام﴾ وما حدث بينه وبينهم ، وهو ما قدم ذكره في سورتي هود والحجر.

ثم ختم القصة بإخبار الملائكة لوطاً ﴿عليه السلام﴾ بأنهم منزلون على القوم رجزاً من السماء، وهو وصف جديد للمطر والحجارة غير الذي ذكر سابقاً، وختم القصة بأنه ترك ديارهم آية بينة لمن يعقل.

وفي هذا يقول تعالى:] x y z { | } ~ مَا
سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَئِنَّكُمْ © ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ
ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ ۖ فَمَا ´ µ ¶ ¸ أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا
بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ
﴿٣٠﴾ ! " # $ % & ' ( ) * + ، - .
/ ظَٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا ۚ قَالُوا۟ نَحْنُ أَعْلَمُ : ; ، = < > ?
@ A B C D E F G H I J K L M
N O P Q R S U V W X Y Z [\ ]
^ _ ` a b c d e f g h i j k
l m n o p q Z العنكبوت: ٢٨ - ٣٥

ثامناً: ما ورد في سورة الصافات جاء لقصد الاعتبار عند المرور بأطلال القوم وآثارهم، لذا لم يذكر فيه إلا نجاة لوط ﴿عليه السلام﴾ وأهله إلا عجوزاً في الغابرين ، وأنه دمر الآخرين، فلم يأت على ذكر الملائكة ولا جدال لوط ﴿عليه السلام﴾ للقوم، ولا ذكر فواحشهم، ولا أن العجوز زوجه، ولا نوع العذاب وزمنه، لم يفصل في شيء مما بينه سابقاً .

قال تعالى:] > ? @ A B C D E F G H I J K

L M N O P Q R S T U V X Y Z الصافات: ١٣٣ - ١٣٨

تاسعاً: ما ورد في سورة الذاريات يتشابه في أجزاء منه مع ما ورد في سورتي الحجر وهود، فقد قدم للقصة بذكر خبر إبراهيم عليه السلام مع الملائكة المكرمين إذ كانوا أضيافه، ثم انتقل إلى قصة قوم لوط عليه السلام بسؤال إبراهيم عليه السلام للملائكة الكرام عن مهمتهم فأجابوه أنهم أرسلوا إلى قوم مجرمين ليرسلوا عليهم حجارة من طين معلّمة بعلامة من عند الله (١).

ثم ذكر إخراج المؤمنين وأن الملائكة لم يجدوا فيها غير بيت واحد لهم، وهو بيت لوط عليه السلام وهو ما لم يذكر في موضع آخر.

ثم ذكر أنه ترك فيها آية بينة للذين يخافون العذاب الأليم.

قال تعالى:] © أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ ´ µ ء سَلَٰمٌ
قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾
فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ
وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ à كَذَٰلِكِ â رَبُّكِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ç è é " #
$ % & ' ( ) * + , - . / عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾
مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾ : ; < = > ? @ A B C D E F
G H I J K L M N O Z الذاريات: ٢٤ - ٣٧

عاشراً: ما ورد عن القصة في سورة القمر جاء على نسق القصص المذكورة في السورة، وعلى أسلوب القرآن المكي في قصر الآيات، والعناية بقرع النفوس، ووعظها بالزواجر، فقد ذكر تكذيب قوم لوط عليه السلام بالنذر وهو ما ابتداء به عموم القصص في هذه السورة.

ثم ذكر أنه أرسل عليهم حاصباً و لم يذكر ذلك في موضع آخر.

---

(١) تفسير الطبري: ٤٣٨/١٥.

وبين أن الناجين آل لوط و لم يستثن امرأته فقد استثناها في مواطن أخرى.

وعبر عن زمن نجاتهم بالسحر بينما ذكر فيما سبق قطع من الليل.

وذكر أيضا أنهم راودوه عن ضيفه و لم يصرح بذلك في موضع آخر، كما ذكر أنه طمس أعين القوم، و لم يذكر ذلك في موضع آخر.

ثم ذكر أنهم صبحهم العذاب و لم يذكر نوع ذلك العذاب، لكنه ذكر أنه مستقر.

قال تعالى: [F G H I J K L M N O P Q S T U V
W X Z [\ ] ^ _ ` a b c d e f g
h i j k l m n o p q r s t u v
w x y z { | } ~ مُّدَّكِرٍ Z القمر: ٣٣ – ٤٠ .

وهكذا نرى أوجهاً من المشابهة والاختلاف في عرض هذه القصة من سورة إلى أخرى ،وبياناً لجوانب منها في كل موطن بما يتناسب مع السياق الذي وردت فيه، ويحقق غاية ذكرها.

أوجه التناسق في قصة لوط ﷺ مع قومه في سورة هود:

قال تعالى:] c d e f g h i j k l m n o Z

هود: ٧٧ هذه الآية الكريمة أظهرت مدى الكرب الذي بلغه لوط ﷺ بمجيء الملائكة إليه، فبدأت ببيان أن المساءة لحقت به، ثم ذكرت ما هو أشد من ذلك وهو أنه ضاق بهم ذرعًا، ثم ذكرت أن هذا الكرب بلغ به مداه حتى صرح به فقال هذا يوم عصيب.

ومن أوجه التناسق في الآية الكريمة ما يلي:

١- أنه قال ههنا:] c d Z بينما قال في سورة العنكبوت عند نفس القصة: [E F G H I Z العنكبوت: ٣٣ بزيادة (أنْ)، وذلك لأن (لَمَّا) يقتضي جواباً فإذا اتصل به (أنْ) دل على أن الجواب وقع في الحال من غير تراخ، والجواب هنا قولهم له مباشرةً:] P Q R S U V W X Y Z [\ Z العنكبوت: ٣٣ ومثله قوله تعالى في سورة يوسف:] ! " # $ % & ' ( ) + , - . / أَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ Z يوسف: ٩٦ أما هنا في هود فإن الحديث قد اتصل به كلام بعد كلام، إلى أن قالوا:] يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيۡكَۖ فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ بِقِطۡعٖ مِّنَ ٱلَّيۡلِ وَلَا يَلۡتَفِتۡ مِنكُمۡ أَحَدٌ إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمۡۚ إِنَّ â ç è ê ë بِقَرِيبٖ Z هود: ٨١

فلما طال الفاصل لم يحسن دخول (أنْ) والله أعلم[1].

٢-أنه قال:] g h Z ومعنى سيء بهم: أي ساء ظنه بقومه، أو ساءَه مَجيئ الملائكة ،وذلك أنه لم يكن يعلم أنهم رسلُ الله حال ما ساءه مجيئهم، وعلم من قومه ما هم عليه من إتيانهم الفاحشة، وخاف عليهم ، وعبر عن ذلك بـــ(سيء): أي لحقته المساءة، ولم يقل(ساءَه مَجيئهم) لئلا ينسب إلى هذا النبي الكريم ﷺ الاستياء من الضيف، أو من الملائكة، فإن المقام مقام إكرام ولاشك أن الاستياء

(١) ينظر: أسرار التكرار في القرآن للكرماني، ١/١٦٤، ملاك التأويل،٢/٢٦١.

من الضيف ليس من دلائل الكرم(١).

كما أن التعبير بـــ(سيء بهم) يفيد المعنيين المقررين عند المفسرين(٢). فإنه ساء ظنه بقومه لما علم من انتكاس فطرهم، كما لحقته المساءة بمَجيئ الملائكة لأنه خاف عليهم من أولئك القوم.

جاء في "نظم الدرر"((استضافوه فلم يجد بداً من قبولهم على ما أوصى الله بالضيف مطابقاً لعوائد أهل المكارم، فقبلهم وأزمع المقاتلة عنهم لما رأى من حسن أشكالهم ورونق جمالهم مع ما يعلم من قبح أفعال قومه وخبث سرائرهم.... والتعبير عن هذا المعنى بالمبني للمفعول أحضر وأوقع في النفس وأرشق)) (٣).

٣- أنه قال:] i j k Z أي ضاق صدره بمجيئهم، يقال: ضاق بأمره ذرعاً، إذا لم يجد من المكروه سبيلا. ونسب إلى الذرع على عادة العرب في وصف القادر على الشيء المتبسّط فيه بالتذرع وطول اليد والباع والذّراع، وهو تقريب مناسب لوصف الحال الذي بلغه لوط عليه السلام(٤).

والأصل: فضاق ذرعه بهم، لكنه استعاض عن ذلك بأن حول الفاعل إلى تمييز بقصد المبالغة فقال:] i j k Z (٥).

جاء في الكشاف:((وقد جعلت العرب ضيق الذراع والذرع : عبارة عن فقد الطاقة ، كما قالوا : رحب الذراع بكذا ، إذا كان مطيقاً له ، والأصل فيه أنّ الرجل إذا طالت ذراعه نال ما لا يناله القصير الذراع ، فضرب ذلك مثلاً في العجز)) (٦).

٤- أنه قال:] l m n o Z وهذه هي المرحلة الأعلى في بلوغ الضيق به عليه السلام ، فإنه بدأ بذكر ما لحقه من مساءة، ثم أنه لم يجد من المكروه سبيل، حتى

(١) تفسير الطبري:١٥/٤٣٨.

(٢) ينظر زاد المسير:٢/٣٨٩.

(٣) نظم الدرر:٣/٥٥٧.

(٤) ينظر: التبيان في تفسير غريب القرآن، لابن الهائم:١/١٩١.

(٥) هذا مثال للأسماء التي تنتصب بالتمييز والعامل فيها فعل أو معنى فعل، والمفعول هو فاعل في المعنى. ينظر: الأصول في النحو، لابن السراج:١/٢٢٢.

(٦) الكشاف:٣/٤٥٧.

بلغ به البوح بالشكاية وعدم القدرة على كتمها، وكأنه بدأ من الأدنى للأعلى.

والعصيب: الشديد ((وأصله من العصب بمعنى الشد كأنه لشدة شره عصب بعضه ببعض، وقال أبو عبيدة: سمي بذلك لأنه يعصب الناس بالشر))(١)

لقد وصف ههنا اليوم نفسه بأنه (عصيب) فقال:] n o Z . ولم يقل (شيء عصيب) أو (أمر عصيب) فجعل الشدة لليوم كله، الزمن الذي هو فيه وما يستقبله منه.

قوله تعالى:] q r s t u v w x y { | } ~ هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي © أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ Z هود: ٧٨ .

ناسب ذكر اليوم العصيب في الآية السابقة، ذكر مجيئ القوم يهرعون إليه مريدين معصية الله، فإن هذا ما كان يخشاه عليه السلام، وهو الذي جعل يومه عصيباً.

ومن أوجه التناسق في الآية الكريمة ما يلي:

١- أنه قال:] q r Z كل القوم، وفي هذا دلالة على تفشي وشيوع هذه الفاحشة فيهم حتى عمتهم جميعاً فلم يقل (رهط من قومه)، أو نفر، أو جماعة منهم، وشاهد هذا قوله في سورة الحجر:] وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ Z الحجر: ٦٧. فالقوم كلهم جاؤا يهرعون إليه، كل أهل المدينة. ولا شك أنه حتى وإن تخلف عن المجيء أحد منهم فإنه موافق لهم على سوء مرادهم وفعلهم، ودليل ذلك حلول العذاب بهم جميعاً واستحقاقهم له، ولذا فإنه لم يستثن أحدًا منهم.

٢-أنه قال:] s t Z أي ((في غاية الإسراع فعل الطامع الخائف فوت ما يطلبه))(٢). وهو مفيد لبيان معنى آخر، وهو أنهم من قبح صنيعهم فإنهم يستحثون بعضهم البعض على هذا الفعل(٣).

٣-في قوله تعالى:] u v w x y Z كشف لسوء حال القوم وأنهم

(١) روح المعاني ١٢/١٠٥.

(٢) نظم الدرر،٣/٥٥٨.

(٣)بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز،٥/٣٢٠.

مستمرون على عمل السيئات وأن هذا الفعل صار((ديدنهم وعادتهم أصروا على ذلك ومرنوا عليه))[1]

فلم يقل (عملوا السيئات) فيفيد مضي عملهم وانقطاعه، بل عبر عن فعلهم بقوله:] x y Z فدل أن هذه هي عادتهم.

٤- أن في قوله تعالى على لسان لوط عليه السلام:] | { ~ هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخۡزُونِ فِي © أَلَيۡسَ مِنكُمۡ رَجُلٞ رَّشِيدٞ Z هود: ٧٨ .

بيان لإعذار لوط عليه السلام وأنه قام بالنذارة حق القيام، كما حاول دفع القوم وردهم عن جرمهم بكل ما أوتي، وشواهد ذلك فيما يلي:

أولاً: أنه ناداهم بما يستعطف به قلوبهم، وبإضافتهم لنفسه، تلطفاً معهم فقال:] | Z .

ثانياً: أنه عرض عليهم ما هو أطهر لهم وهن بناته وقال:] هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمۡۖ Z .

ثالثاً : أنه دعاهم إلى تقوى الله وهي رأس الفلاح والصلاح فقال:] فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ Z .

رابعاً: أنه نهرهم عن أن يفضحوه في ضيفه، الفضيحة التي فيها الذل والهوان والعار والخزي[2]، فذكرهم بمراعاة حق الضيف، الذي يعد لإكرامه شأن عند العرب خاصة فقال:] وَلَا تُخۡزُونِ فِي © Z.

خامساً: أنه عليه السلام حضهم على العودة لرشدهم، مستثيراً ذوي الألباب، علَّ رجلاً يظهر منهم فينبههم ويوقظهم مما هم فيه من غواية بقوله:] أَلَيۡسَ مِنكُمۡ رَجُلٞ رَّشِيدٞ Z ((يهتدي إلى الحق ويرعوي عن القبيح))[3].

قوله تعالى:] قَالُواْ لَقَدۡ عَلِمۡتَ ´ µ ¶ ¸ مِنۡ حَقّٖ وَإِنَّكَ لَتَعۡلَمُ مَا نُرِيدُ Z هود: ٧٩

كان هذا هو جواب القوم عن كل ما ذكرهم ووعظهم به عليه السلام.

---

(١) البحر المحيط،٥/٢٤٩.

(٢) ينظر:نظم الدرر،٣/٥٥٨.

(٣) تفسير البيضاوي٣٠٣.

وألفاظ الآية الكريمة تدل على إصرار القوم وغوايتهم، فقد أتوا بكل مؤكد يؤكد على إصرارهم وعزمهم على ما يريدون.

فقالوا] لَقَدۡ Z فأكدوا ذلك بالقسم، وهو مثل :] L M N O Z آل عمران: ١٥٢ ، أي: أقسم بالله لقد صدقكم الله وعده[١]

وقالوا] عَلِمۡتَ Z فكاشفوه بأنهم غير خجلين من علمه بمرادهم، والعلم ينفي الشك والظن، فهو متيقن بين.

وقالوا] ´ µ ¶ ¸ Z فنفوا بـــ(ما) النافية للدلالة على ثبوت هذا الأمر ودوامه.

وقالوا] مِنۡ حَقٍّ Z فجاؤا بـــ(مِنْ) الدالة على الاستغراق والتوكيد، وكأنهم يقولون (مالنا في بناتك ولا أي مأرب).

كما أتوا بـــ (إنَّ) المؤكدة واللام فقالوا] وَإِنَّكَ لَتَعۡلَمُ مَا نُرِيدُ Z مؤكدين علمه بما يريدون، هكذا! بكل صلف و صفاقة! فلم يمنعهم أدب ولا حياء من مواجهة هذا النبي الكريم عليه السلام بهذا الأمر، فقد بلغوا من الفسق والفجور ما أدى بهم إلى هذه الجرأة.

قوله تعالى:] قَالَ لَوۡ أَنَّ لِي بِكُمۡ قُوَّةً أَوۡ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكۡنٖ شَدِيدٖ Z هود: ٨٠ .

جاءت هذه الآية الكريمة معبرة عن الأسى والكرب الذي بلغه لوط عليه السلام.

ومعنى قوله:] لَوۡ أَنَّ لِي بِكُمۡ Z أي لو أن لي طاقة أو أنصاراً ينصروني عليكم وأعواناً تعينني فأمنعكم.

وقوله:] أَوۡ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكۡنٖ شَدِيدٖ Z أرد العشيرة التي يأوي إليها الفرد عند الحاجة[٢].

وقد قال ذلك عليه السلام على سبيل التفجع والتمني[٣].

وثبت في الصحيحين أن النبي ﷺ قال:(يرحم الله أخي لوطًا كان يأوي إلى ركن شديد)[١].

(١) ينظر: النحو الوافي،٥٠٢/٢.

(٢) ينظر: تفسير الطبري:٤١٨/١٥.

(٣) ينظر: البحر المحيط ١٨٦/٦، التحرير والتنوير:١٣٠/١٢.

جاء في " التفسير الكبير": ((واعلم أن قوله:] لَوۡ أَنَّ لِي بِكُمۡ قُوَّةً أَوۡ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكۡنٖ شَدِيدٖ Z هود: ٨٠ لا بد من حمل كل واحد من هذين الكلامين على فائدة مستقلة، وفيه وجوه:

الأول: المراد بقوله:] لَوۡ أَنَّ لِي بِكُمۡ قُوَّةً Z لكونه بنفسه قادرا على الدفع، وكونه متمكنا إما بنفسه وإما بمعاونة غيره على قهرهم وتأديبهم.

والمراد بقوله:] أَوۡ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكۡنٖ شَدِيدٖ Z هو أن لا يكون له قدرة على الدفع لكنه يقدر على التحصن بحصن ليأمن من شرهم بواسطته.

الثالث: أنه لما شاهد سفاهة القوم وإقدامهم على سوء الأدب تمنى حصول قوة قوية على الدفع، ثم استدرك على نفسه وقال: بل الأولى أن آوي إلى ركن شديد، وهو الاعتصام بعناية الله تعالى))(٢).

ومن أوجه التناسق و المناسبة في الآية الكريمة ما يلي:

١- أن (لو) في قوله عليه السلام] لَوۡ أَنَّ لِي بِكُمۡ قُوَّةً أَوۡ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكۡنٖ شَدِيدٖ Z يحتمل أن تكون الشرطية، وهي متضمنة للتمني كما أشرت، و حذف جوابها ليذهب الفكر كل مذهب فيما سيدفعهم به، وما سيفعله بهم جزاء جرمهم.

قال الإمام الرازي: ((وحذف الجواب لأن الوهم يذهب إلى أنواع كثيرة من المنع والدفع)) (٣).

وجاء في "الكشاف": ((جواب (لو) محذوف......يعني لو أن لي بكم قوة لفعلت وصنعت)) (٤).

٢-أن اختيار (لو) هنا أبلغ من (ليت) لو أتى بها، فلو قال (ليت لي بكم قوة) لأفاد التمني فقط، فجاء بـــ(لو) ليشمل معنى التمني ومعنى الشرط، إضافة إلى أن حذف الجواب أفاد العموم.

---

(١) أخرجه البخاري برقم: ٤٦٩٤،كتاب بدء الوحي، ٩٧/٦، ومسلم برقم : ٤٦٩٤ باب زيادة طمأنينة القلب ،٩٢/١.

(٢) تفسير الرازي ٣٨٠/٦.

(٣) تفسير الرازي ٣٨٠/٦.

(٤) الكشاف ١٠٨/٢.

٣- أن تمنيه عليه السلام جاء مرتباً ترتيباً متوافقاً مع ما يقتضيه كل مقام، فإن العبد إذا كان له قوة في ذاته لدفع ما يحتاج دفعه، لم يحتج إلى البحث عن ركن يحميه من عشيرة أوصديق ،وما شابههما.

قوله تعالى:] قَالُواْ يَـٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيْكَ ۖ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ ۖ إِنَّهُۥ â مَآ أَصَابَهُمْ ۚ إِنَّ ç è ê ë بِقَرِيبٍ Z هود: ٨١ .

لما سمعت الملائكة عليهم السلام قول لوط عليه السلام وحسرته، أرادوا أن يطمئنوه، ويزيلوا عنه ما أصابه من كرب، فأتوا بكل ما يحقق ذلك.

وشواهد ذلك فيما يأتي:

١- أنهم نادوه عليه السلام باسمه ليعلم أنهم يعرفونه من قبل وليسوا غرباء فيطمئن إليهم.

٢- أنهم أمَّنوه بقولهم:] إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ Z فعلم أنهم ملائكة، فلا سبيل لتعدي القوم عليهم.

٣- أن في قولهم:] رَبِّكَ Z زيادة أمان له، فقد أضافوا الرب إلى ضمير المخاطب، فالرب القائم على أمور عبده، المعتني برعايته وحفظه هو الذي أرسلهم إليه.

٤- أنهم قالوا له:] لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيْكَ Z وفي هذا تأمين لجنابه أن يمسه القوم بأي سوء.

فقد جاؤا بـــ(لن) النافية، الدالة على الاستقبال تأكيداً على حصول السلامة له حالاً ومستقبلاً.

٥- أنهم قالوا:] لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيْكَ Z وفي نفى الوصول إليه استبعاد مساسه بأي أذى.

٦- أنهم وجهوه بما يضمن به نجاته وسلامته فقالوا له:] فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ Z والقِطْع من الليل: الجزء، والبقية الباقية منه[1] وهو المشهور بالسحر، وقد أبان ذلك في سورة القمر فقال:] O P Q S T Z القمر: ٣٤. فحددوا له

(١) ينظر: تفسير السمرقندي،٢/١٦٤،التفسير القرآني للقرآن ٧/٢٥٠.

الزمان.

٧- أنهم وجهوه ومن معه بعدم الالتفات وهو النظر ورآءه فقالوا:] وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ Z هود: ٨١. وفي هذا تأكيد لعدم حصول الأذى لهم من القوم من خلفهم على غرة، فإن الفار رغبة في النجاة والسلامة لا يأمن أن يتبعه عدوه فيباغته(١).

كما أن من أوجه التناسق و المناسبة في الآية الكريمة ما يلي:

١- في قوله:] إِنَّهُۥ â مَآ أَصَابَهُمْ Z قدم الخبر وهو (مصيبها) المتعلق بامرأة لوط عليه السلام وأخر المبتدأ وهو(ما أصابهم) فأصل الجملة (ما أصابهم مصيبها) وفائدة ذلك الاهتمام بذكر عاقبتها وأنها حالة بها لا محالة.

٢- أنه جاء بالاسم الموصول (ما) الدال على العموم والإبهام فقال:] مَآ أَصَابَهُمْ Z للدلالة على عظم ما سيصيبهم جزاء عظيم جرمهم.

٣- أنه قال:] â Z ولم يقل (يصيبها) للدلالة على تحقق الأمر.

٤- وقال:] أَصَابَهُمْ Z بالفعل الماضي ولم يقل (يصيبهم) وذلك للدلالة على تحقق الوقوع.

وقد أشار إلى هذه المعاني والفوائد الإمام الألوسي فقال: ((و] مَآ أَصَابَهُمْ Z مبتدأ، و] â Z خبره والجملة خبر إن... والمراد من (ما) العذاب، ومن] أَصَابَهُمْ Z يصيبهم، والتعبير به دونه للإيذان بتحقيق الوقوع. وفي الإبهام، واسمية الجملة، والتأكيد، ما لا يخفى))(٢).

٥- في قوله:] إِنَّ ç è ê ë بِقَرِيبٍ Z قدم الموعد أي: موعد هلاك القوم(٣)، قدمه على الصبح للاهتمام فالقوم مقصودون به، وهو مطلوب لوط عليه السلام.

(١) ينظر: تفسير مجاهد، ٤١٧/١.
(٢) روح المعاني ١١٢/١٢.
(٣) البحر المحيط ٢٤٩/٥.

٦- أنه قال:] ê ë بِقَرِيبٍ Z وقد ورد أن جبريل عليه السلام قال للوط عليه السلام:] إِنَّ ç è Z ثم يهلكون، فقال له لوط عليه السلام: عجل علي بهلاكهم الآن فرد عليه جبريل:] ê ë بِقَرِيبٍ Z ؟[١] . فجاء هذا الجواب مشعراً باستطالة لوط عليه السلام للزمن لحين حلول العذاب دون الحاجة لذكر ما دار بينه وبين جبريل عليه السلام .

قوله تعالى:] ! " # $ % & ' ( ) * + , Z هود: ٨٢

من أوجه التناسق و المناسبة في الآية الكريمة ما يلي:

١- أنه استعمل هنا] فَلَمَّا Z كما استعملها في قصة قوم صالح عليه السلام (بالفاء) بينما استعمل] ولَمَّا Z (بالواو) في قصة هود وشعيب عليهما السلام، ذلك أن مجيء العذاب وقع في قصتي صالح ولوط عليهما السلام عقب الوعيد، وهو قوله:] M N O P Q Z هود: ٦٥ في قصة صالح عليه السلام، وقوله:] ê ë بِقَرِيبٍ Z هود: ٨١ في قصة لوط عليه السلام، بخلاف قصتي هود وشعيب عليهما السلام ، فإن هلاك قومهم تأخر عن وقت الوعيد[٢].

٢- أنه قال:] ! " # Z و(الأمر) يحتمل أن يكون مفرد الأوامر أي الأمر بالعذاب.

كما يحتمل أن يكون مفرد الأمور فيكون بمعنى الشأن وهو العذاب نفسه كما في قوله تعالى:] ! " # $ % & ' (Z التوبة: ٤٨.

(١) ينظر تفسير مقاتل: ٢/٢٩٣.

(٢) ينظر غرائب التفسير وعجائب التأويل للكرماني:١/٥١٨.

جاء في "روح المعاني": (([! " # Z أي عذابنا، أو الأمر به. فالأمر على الأول واحد الأمور، وعلى الثاني واحد الأوامر))[1]. والجمع بين المعنيين مناسب للمقام فهو أمر من الله وهو عذاب الله.

كما أسند الأمر إلى ضمير التعظيم، باستخدام نون العظمة، ليفيد التهويل لما سيحل بهم فهو ليس أي أمر، وإنما هو أمر الله.

٣-أنه قال:] ') (* + , Z و (السجيل) الحجر والطين المختلط بعضه ببعض، وقيل ماء وطين ،كما يحتمل معنى الصلب الشديد كما هو معهود في الحجارة[2].

فذكر هنا وفي سورة الحجر أن الحجارة (من سجيل) وقال في الذاريات:] / عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ Z الذاريات: ٣٣ فلم يشر إلى أنها صلبة كما سبق.

و التعبير بشدة الحجارة وصلابتها مناسب في هذا المقام، فإنه ذكر من معاصيهم وموقفهم في هود والحجر ما لم يذكره في الذاريات فجاء بما يدل على شدة هذه الحجارة وصلابتها في السورتين دون الذاريات.

٤- أنه قال هنا في وصف المطر:] , Z أي: يتبع بعضه بعضًا[3].

ولم يذكر ذلك في الحجر، وذلك لأنه قال في هود:] . / رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ Z هود: ٨٣ ولم يقل مثل ذلك في الحجر بل قال سجيل وتوقف.

وذلك والله أعلم أنه لما زاد في وصف الحجارة في هود فقال:] . / رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ Z زاد في وصف المطر فقال: (منضود).

قوله تعالى:] . / رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ Z هود: ٨٣

(١) روح المعاني ١٢/١١٢.

(٢) ينظر: مفردات الراغب مادة (السجيل)، القاموس المحيط مادة (السجل).تفسير الطبري ١٥/٤٣٤،البحر المحيط ٥/٢٤٩،

(٣) ينظر: تفسير الطبري ١٥/٤٣٧.

معنى مسومة أي عليها سيما وهي العلامة، يعلم من شاهدها أنها ليست من حجارة الأرض قيل: كانت معلمة بمثل الخواتيم(١).

وفي ذلك تنكيل بهم جزاء معصيتهم وجرمهم، فإن حجارة عذابهم موسومة معدة لهم.

ومن أجه التناسق والمناسبة في الآية ما يلي:

١- أنه أتبع قوله:] . / رَبِّكَ Z بقوله:] وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ Z لئلا يظن أي ظالم أنه إنما سومت لأولئك القوم وأعدت لهم وحدهم، فيكون بذلك في مأمن. جاء في "روح المعاني"((أي الحجارة الموصوفة بما ذكر.

(من الظالمين) من كل ظالم (ببعيد) فإنهم بسبب ظلمهم مستحقون لها. وفيه وعيد لأهل الظلم كافة)) (٢).

٢- أنه قال:] وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ Z ولم يقل (وليست من الظالمين بعيداً) فنفى الجملة الاسمية بـــ(ما) وزاد الباء في الخبر لتوكيد عدم بعدها عنهم.

٣-أنه اختار (ببعيد) ولم يقل (ببعيدة) لأنه لا يريد البعد في المكان بل أراد البعد في الوقوع.

٤-أنه قدم الجار والمجرور (من الظالمين) على متعلقه (بعيد) وذلك لأن الكلام على الظالمين وهم مدار الحديث، والعقوبة إنما كانت لهم.

ويلاحظ في هذه القصة أن القرآن الكريم لم يذكر فيها أن لوطاً عليه السلام دعا قومه إلى عبادة الله وتوحيده وذلك في جميع المواطن ، لا كما ذكر عن بقية أنبياء الله عليهم السلام، وإنما ذكر أنه عليه السلام أمرهم بتقوى الله، كما ارتبطت هذه الموعظة منه بمنعهم مما أرادوه من الفاحشة والتعرض لأضيافه، وبهذا يظهر لنا أن الاهتمام في قصة لوط عليه السلام إنما كان على ذكر الفاحشة التي فشت في القوم، والتي ما سبقهم بها من أحد من العالمين، وهي إتيان الذكور شهوة من دون النساء، وكانت هي السبب الرئيس لعقوبتهم واستئصالهم. وفي ذلك إشارة

(١) ينظر:غريب القرآن لابن قتيبة ٢٠٨/١،البحر المحيط ٢٥٠/٥، روح المعاني ١١٣/١٢.

(٢) روح المعاني ١١٤/١٢.

– والله اعلم – أن الله تعالى قد يهلك الأمم بفسقهم ومعصيتهم، إن فشت فيهم تلك المعصية وعظمت، ودليل ذلك قوله سبحانه:] ^ _ ` a b c d e f g h i Z العنكبوت: ٣٤. ولا يعني هذا أنه لم يدعهم إلى توحيد الله تعالى فإنه قال تعالى:] ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / Z الأنبياء: ٢٥.

المبحث السابع: التناسق في قصة شعيب عليه السلام مع قومه، ويشمل الآيات (٨٤-٩٥).

تمهيد: وردت قصة شعيب عليه السلام مع قومه في ثلاث سور من كتاب الله تعالى وهن: الأعراف وهود، والعنكبوت .

وكما ذكرت في سائر القصص القرآني، نجده يأتي في كل موضع بجوانب وأحداث من القصة، وما يذكره في موضع لا يذكره في المواضع الأخرى إلا بحسب الحاجة، مراعياً في كل موضع الغرض الذي سيقت القصة لأجله، و السياق الذي وردت فيه.

وسأقارن ما ورد في تلك السور الكريمة عن هذه القصة، ليظهر لنا التكامل في عرضها في كتاب الله تعالى، وتحقيق مقاصد إيرادها في تلك المواطن المختلفة:

قال تعالى:] B C D E G H I J K L M N O
Q R S T U W X Y Z [\
] ^ _ ` a b c e f g h i
j k l m n o p q r s t u v w
x y { | } ~ فَكَثَّرَكُمۡۖ وَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ
عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٨٦﴾ وَإِن © طَآئِفَةٞ مِّنكُمۡ ءَامَنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٞ لَّمۡ
يُؤۡمِنُواْ ´ µ ¶ بَيۡنَنَاۚ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴿٨٧﴾ ! " # $ % &
' ( ) * + , - . / لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۚ قَالَ أَوَلَوۡ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾
قَدِ : ; < = > ? @ A B C D E F H I J K L M N O
P Q R T U V W X Z [\ ] ^ _ ` a b c d e
f g h i j k l m n o p q r s t u
v w x y z { | } ~ كَأَن لَّمۡ يَغۡنَوۡاْ فِيهَاۚ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ
شُعَيۡبٗا كَانُواْ © ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٩٢﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰقَوۡمِ لَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ ´ µ
¶ فَكَيۡفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوۡمٖ كَٰفِرِينَ Z الأعراف: ٨٥ – ٩٣.

أما ما ورد في الأعراف فبدأها بقوله تعالى:] B C D E G H I J K L M N O Z فبدأ بدعوة القوم إلى توحيد الله، وهي بداية كل المواطن التي ذكرت قصته عليه السلام.

ثم ذكر لهم البينة، وهو الموطن الوحيد الذي أشار فيه إليها فقال:] Q R S T U Z.

وقد يقال لم ذكر البينة و لم يسمها كما سمى صالح عليه السلام الناقة لقومه؟

ويجاب عن هذا بأن نبينا ﷺ أيضاً كانت له معجزات كثر، و لم ينص عليها القرآن، كما أنه لا شك أن تلك البينة لقوم شعيب معلومة لديهم، وإلا لم يقل لهم ما قال، وقد كان كما يقال خطيب الأنبياء .

جاء في "الكشاف":((فإن قلت: ما كانت معجزته عليه السلام ؟ قلت: قد وقع العلم بأنه كانت له معجزة، لقوله:] Q R S T U Z ولأنّه لا بدّ لمدعي النبوّة من معجزة تشهد له وتصدقه ، وإلاّ لم تصحّ دعواه ، وكان متنبئاً لا نبياً غير أنّ معجزته لم تذكر في القرآن كما لم تذكر أكثر معجزات نبينا ﷺ فيه. ومن معجزات شعيب عليه السلام: ما روي من محاربة عصى موسى عليه السلام التنين حين دفع إليه غنمه . و ولادة الغنم الدرع خاصة حين وعده أن تكون له الدرع من أولادها، ووقوع عصى آدم عليه السلام على يده....وغير ذلك من الآيات ؛ لأنّ هذه كلها كانت قبل أن يستنبأ موسى عليه السلام، فكانت معجزات لشعيب))[(١)].

ثم انتقل إلى وعظهم لإصلاح سلوكهم فأمرهم بالوفاء في الكيل والميزان وترك البخس للناس ونهاهم عن الفساد، والصد عن سبيل الله فقال:] W X Y Z [\ ] ^ _ ` a b c e f g h

(١) الكشاف ٢/١٢٠.

u t s r q p o n m l k j i

Z y x w v الأعراف: ٨٥ -٨٦.

بينما كرر النصح لهم في شأن تطفيف الميزان في سورة هود في آيتين متتاليتين وبألفاظ مختلفة فقال:] H I J K M N O P Q R S

T U V W X Y Z [Z هود: ٨٤-٨٥.

وأتبع ذلك بالإشارة إلى أن ما أبقاه الله لهم بعد أن يوفُّوا النَّاس حقوقهم في الكيل والميزان بالقسط من الحلال، هو خير لهم فقال:] g h i j k l m o p

q r Z هود: ٨٦

و لم يشر إلى هذه البقية وبركتها في موطن آخر غير هود.

ثم إنه في الأعراف ذكرهم بنعمة الله وفضله عليهم بأن كثرهم بعد أن كانوا قلة فقال:

] { | } ~ فَكَثَّرَكُمْ Z الأعراف:٨٦.

وتكثيرهم يحتمل معان وهي: أنه جعلهم أغنياء بعد أن كانوا فقراء، أو أن يكون كثّر عددَهم بعد أن كانوا قلة، كما يحتمل أنهم كانوا غير ذوي مقدرة وأقدار، فجعل لهم مكانة وشرف بتكثير عددهم(١).

و لم يشر إلى هذا الأمر في غير هذا الموطن.

ثم وعظهم بالنظر في عاقبة المفسدين وماحل بهم فقال:] وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ Z الأعراف: ٨٦. فحذر من عاقبة المفسدين عموماً في هذه السورة، وصرح بهم في سورة هود فقال:] ! " # $ % & ' ( ) * + , - . /

قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ Z هود: ٨٩

ثم إن شعيباً ﷺ دعائهم إلى القضاء والمحاكمة وأن يكون الله هو الحاكم بينه وبين المكذبين به فقال:] وَإِن © طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا

(١) ينظر: الكشاف ٢/١٢١، زاد المسير٢/١٣٨.

µ ¶ ¸ بَيْنَنَاۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ Z الأعراف: ٨٧ ،ولم يعرض عليهم هذه المحاكمة في موطن آخر.

أما جواب القوم عن ما سبق من نصح وتذكير من هذا النبي الكريم عليه السلام فكان التهديد بالطرد من القرية، قال تعالى:] " # $ % & ' ( ) * + , - . / لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ Z الأعراف: ٨٨ بينما جاء جواب القوم في هود أنهم استخفوا ببيانه مع فصاحته، وأخبروه بأنهم ممتنعون عن رجمه بسبب جماعته. قال تعالى:

[D E F G H I J K L M N P Q R T U

V W Z هود: ٩١.

ولم يشر إلى الرهط في غير هذه السورة، وهكذا نرى أن كل موطن بين جانباً من رد القوم على شعيب عليه السلام.

ويمكننا القول بعد ذلك بأن كل رد ردٍّ به القوم على شعيب عليه السلام يصور الحال الذي بلغ بهم، ففي الأعراف ذكر أنه عرض عليهم المحاكمة، فضاق بهم الأمر، فهددوه بالإخراج من القرية.

أما في هود فقد فصل لهم في النصح والوعظ، وأفصح و أبان عليه السلام، فأرادوا أن يقللوا من شأنه فأجابوه بما أجابوا.

ثم إننا نجد أيضاً اختلاف رد شعيب عليه السلام على تهديدات القوم من موضع لآخر بما يناسب مقالهم، فهنا في الأعراف قال الله عنه:] قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾ قَدِ : ; < = >

? @ A B C D E F H I J K L M N O P Q R T U V

W X Z [\ ^ _ ` a b c d e f Z الأعراف: ٨٨-٨٩

ورده هذا عليه السلام هو المناسب لمقالهم وقرارهم الظالم:] ( ) * + , -

. / لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا Z الأعراف: ٨٨.

فأي قانون هذا وأي حكم جائر؟! أن يكرهوه على اتباع ملتهم، أو يخرجوه ومن معه.

ولما تضمنه تهديدهم وحكمهم من تعسف وجور، ختم رده باللجوء إلى الله، وأعلن توكله عليه ،وطلبه الفتح بينه وبين هؤلاء القوم.

أما رده عليه السلام في سورة هود فجاء مناسباً لما اجترؤا به عليه، فإنهم لما قالوا مقولتهم: [P Q R T U V W Z هود: ٩١. رد عليهم بقوله: [Y Z [\ ] ^ _ ` a b d e f g h i j k l m n o q r s t u v w x y { | } ~ Z هود: ٩٢ – ٩٣ وهو أنسب جواب وأبلغه، فقد نبههم إلى عظيم غفلتهم عن قوة الله وقدرته، عن طريق الاستفهام والتقريع لهم فقال: ((أعزّزتم قومكم، فكانوا أعزّ عليكم من الله، واستخففتم بربكم، فجعلتموه خلف ظهوركم، لا تأتمرون لأمره ولا تخافون عقابه، ولا تعظِّمونه حق عظَمته؟))(١).

وكان هذا هو ختام الجدال والحوار بين الطرفين في هذه السورة.

ثم إنه ذكر في الأعراف موقفاً آخر لقومه وهو أنهم بدأوا يحذرون الناس من اتّباعه فقال تعالى: [h i j k l m n o p q r s Z الأعراف: ٩٠.

و لم يشر إلى مثل هذا الفعل منهم في غير هذه السورة.

أما خاتمة القوم وماحل بهم فالذي جاء في الأعراف أن الرجفة أخذتهم فأصبحوا في دارهم جاثمين، وأما في هود فذكر أنهم قد أخذتهم الصيحة، وقد سبق البيان أنه حيث يذكر الرجفة فإنه يفرد الدار، وحيث يذكر الصيحة فإنه يأتي بها بالجمع.

كما أنه لم يشر في الأعراف إلى نجاة شعيب والذين آمنوا كما في هود فإنه قدم ذكر النجاة على هلاك قومه، قال تعالى: [u v w x y z { | } ~ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَاۚ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيْبًا كَانُواْ © ٱلْخَٰسِرِينَ Z الأعراف: ٩١ – ٩٢.

---

(١) تفسير الطبري: ١٥/٤٥٩.

ثم إنه في الأعراف ختم القصة بذكر تولي شعيب عنهم وإلقائه اللوم عليهم فقال:] فَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰقَوۡمِ لَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ ´ µ ¶ فَكَيۡفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوۡمٍ كَٰفِرِينَ Z الأعراف: ٩٣.

ولم يذكر مثل هذا الموقف في أي موطن من المواطن الأخرى.

أما ما ورد في سورة العنكبوت فجاء ملخصاً في آيتين وهما قوله تعالى:] s t u v w x y z { | } ~ تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ﴿٣٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ فَأَصۡبَحُواْ © دَارِهِمۡ جَٰثِمِينَ Z العنكبوت: ٣٦ – ٣٧.

في هاتين الآيتين لخص القرآن دعوة شعيب ﷺ لقومه بقوله:] x y z { | } ~ تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ Z العنكبوت: ٣٦.وهو ما فصله في الموطنين الآخرين.

فبدأ بما يتعلق بإصلاح معتقدهم وذلك قوله:] y z { | } Z.

ثم انتقل إلى إصلاح سلوكهم في الأرض عموماً وهو قوله:] ~ تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ Z.

وهو متضمن الوفاء في الكيل، وترك البخس للناس ، الأمر الذي فصل فيه في مواطن أخرى.

ثم ذكر القرآن موقف القوم وعاقبتهم بعبارة مختصرة وافية، وذلك قوله:] فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ فَأَصۡبَحُواْ © دَارِهِمۡ جَٰثِمِينَ Z العنكبوت: ٣٧.

وهذا ما ورد في عن هذه القصة في سورة هود قال تعالى:] وَإِلَىٰ : ; < > ? @ A B C D E F H I J K M N O P Q R S T U V W X Y Z [ ] ^ _ ` a b c d e f g h i j k l m o p q r s t u v w x y z { | } ~ نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ © ﴿٨٧﴾ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن ´ µ ¶ حَسَنٗاۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾

! " # $ % & ' ( ) * + , - . / قَوۡمَ صَٰلِحٖۚ وَمَا قَوۡمُ

لُوطٖ مِّنكُم بِبَعِيدٖ ﴿٨٩﴾ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ : ; < = ? @ A B C D

E F G H I J K L M N P Q R T U V

W X Y Z [\ ] ^ _ ` a b d e f

g h i j k l m n o q r s t

u v w x y { | } ~ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا شُعَيۡبٗا

وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ © مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ ´ µ ¶

¸ فِيهَآۗ أَلَا بُعۡدٗا لِّمَدۡيَنَ كَمَا بَعِدَتۡ ثَمُودُ Z هود: ٨٤ - ٩٥

أوجه التناسق في قصة شعيب عليه السلام مع قومه في سورة هود:

قال تعالى:] وَإِلَى : ; < : > ? @ A B C D E F H I
J K M N O P Q R S T U V
W X Y Z [ ] ^ _ ` a b c
d e f g h i j k l m o p q r Z هود: ٨٤ - ٨٦

من أوجه المناسبة والتناسق في الآيات الكريمة ما يلي:

١- قال تعالى:] وَإِلَى : ; > Z نسبه إليهم عليه السلام فقال(أخاهم) بينما لم ينسبه إلى أصحاب الأيكة في أي موضع، ومثال ذلك ما ورد في سورة الشعراء فقال تعالى:] كَذَّبَ أَصْحَٰبُ ´ µ ¶ ¸ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ Z الشعراء: ١٧٦ - ١٧٧ وقد ذكر بعض أهل التفسير أن شعيباً عليه السلام بعث إلى أمتين مدين وأصحاب الأيكة، أما مدين فقومه، ولذا حيث يذكرهم يقول أخاهم، وأما أصحاب الأيكة فآخرون[١].

وقيل بل تعليل ذلك: أنه لما عرّفهم بالنسب وهو أخوهم في ذلك النسب ذكره، ولما عرّفهم بالأيكة التي أصابهم فيها العذاب لم يقل أخاهم؛ حيث أخرجه عنهم[٢].

٢- في قوله تعالى على لسان شعيب عليه السلام:] H I J K Z نهاهم عن النقص في المكيال والميزان، ثم أمرهم بالإيفاء فيهما مرة أخرى فقال:] X Y Z [Zومعلوم أن عدم النقص يعني الإيفاء فلم كرر معنى واحداً ؟!

ويجاب على هذا باحتمالات:

أولها: أنه كرر لتعظيم الأمر في النفوس فيكون ذلك كالتوكيد وذلك نحو قولك: (امش لا تقف) و(استيقظ ولا تنم) وهو مناسب لتهويل شناعة النقص غي المكيال والميزان .

(١) ينظر: تفسير الطبري١٩/٣٩٣، تفسير ابن أبي حاتم ٧/٢٢٧١،الهداية إلى بلوغ النهاية ٩/٥٦٢٨.

(٢) ينظر: البرهان في علوم القرآن للزركشي ١/١٥٦، الموسوعة القرآنية المتخصصة ١/٦١٠.

جاء في "تفسير الخازن":((إن القوم لما كانوا مصرين على ذلك العمل القبيح وهو تطفيف الكيل والوزن ومنع الناس حقوقهم احتيج في المنع إلى المبالغة في التأكيد والتكرير يفيد شدة الاهتمام والعناية بالتأكيد فلهذا كرر ذلك ليقوي الزجر والمنع))(١).

ثانيها: أنه أمر بالشيء ونهي عن ضده ، كما تقول: (لا تقطع قرابتك وصلهم) وهو تأكيد أيضاً، قال الإمام الرازي :(([H I J K Z نَهْيٌ عَنِ التَّنْقِيصِ وَقَوْلُهُ: [X Y Z Zأَمْرٌ بِإِيفَاءِ الْعَدْلِ، وَالنَّهْيُ عَنْ ضِدِّ الشَّيْءِ مُغَايِرٌ لِلْأَمْرِ بِهِ))(٢).

الثالث: أنه بدأ بنهيهم عن النقص في المكيال والميزان فهو أسبق من الإيفاء. فالإيفاء ناتج عن عدم النقص فإنه لا بد أن يكون حجم المكيال وما يتعلق بالميزان سالماً من النقص حتى يكون الإيفاء بالقسط، وبهذا لا يكون الكلام مكرراً وإنما هو تقديم السبب على المسبب.

الرابع: أنه قدم التخلية على التحلية، فإنهم لا يمكن لهم أن يتحلوا بالوفاء حتى يتخلوا عن قبح التطفيف والنقص.

جاء في (الكشاف): ((فإن قلت: النهي عن النقصان أمر بالإيفاء فما فائدة قوله (أوفوا)؟ قلت: نهوا أولاً عن القبيح الذي كانوا عليه من نقص المكيال والميزان لأن في التصريح بالقبيح نعياً على المنهي وتعبيراً له، ثم ورد الأمر بالإيفاء الذي هو أحسن في العقول مصرحاً بلفظه لزيادة ترغيب فيه وبعث عليه))(٣).

٣-أنه قيد الوفاء بـــ(القسط) وهو العدل فقال: [X Y Z

[Z وذلك ليكون في الأمر إنصاف فيأخذ كل ذي حق حقه من دون بخس، وقال (بالقسط) و لم يقل (بالعدل) لأن من معاني القسط الحصة والنصيب فهي هنا أقرب للدلالة على المراد. و نجد القرآن الكريم لم يذكر مع الوزن غير

---

(١) لباب التأويل في معاني التتريل للخازن:٢٤٨/٣.

(٢) التفسير الكبير:٣٨٥/١٨.

(٣) الكشاف ١٠٩/٢.

القسط[١].

٤- أنه قال:] M N O Z ولم يقل (وعندكم خير) فجعل خيرهم ظاهراً للعيان، وكأنهم متلبسين بهذا الخير، مغطياً لهم، وليس أمراً مستوراً. والخير يشمل كل نعمة، وسعة، وفضل، وكرامة من الله بها عليهم، فهو يشمل مطلق الخير[٢].

وتذكيرهم بهذا الخير متناسب ومتعلق بنهيهم عن نقص المكيال والميزان، فهم في سعة تغنيهم عن التطفيف[٣].

٥- أنه لما قال:] P Q R S T U Z وصف اليوم بالإحاطة و لم يصف العذاب بالمحيط وهو أبلغ وأعم، فإنه لو قال (أخاف عليكم عذاباً محيطاً) لاحتمل أن يكون ذلك في بعض اليوم أو في زمن محدود من ساعاته.

جاء في (الكشاف): ((فإن قلت: وصف العذاب بالإحاطة أبلغ أم وصف اليوم بها؟ قلت: بل وصف اليوم لأن اليوم زمان يشتمل على الحوادث فإذا أحاط بعذابه فقد اجتمع للمعذب ما اشتمل عليه منه))[٤].

٦- أن شعيباً عليه السلام قال:] [^ _ ` Z والبَخْسُ: النقص والقلَّة[٥].

وقد جاء ذلك بعد قوله:] X Y Z [Z وذلك من بلاغته عليه السلام وحسن وعظه، فإنه عمم بعد أن خصص فبعد أن نبههم إلى خطر التطفيف ،نهاهم عن البخس ،فهو أعم من عدم إيفاء المكيال والميزان، فقد يكون البخس في غير ما يكال وما يوزن ،فهو عام في كل ما يشترى أو يباع، أو يثمن، أو ينقص منه عموماً.

(١) ينظر: غريب القرآن للأصفهاني ٤٠٣/١، الموسوعة القرآنية ٤٥٣/٨.

(٢) ينظر: البحر المحيط ١٥٧/٢.

(٣) ينظر: تفسير الجلالين ٢٩٧/١، نظم الدرر ٣٥١/٩.

(٤) الكشاف: ١٠٩/٢، وانظر: البحر المحيط ٢٥٢/٥.

(٥) ينظر: زاد المسير ١٣٧/٢،.

قال تعالى في كتابة الدين:] ; < = > ? @ A B C D E Z البقرة: ٢٨٢.

وقال في قصة يوسف عليه السلام:] w x y z { Z يوسف: ٢٠.

وقال في توفية الأعمال:] M N O P Q R S T Z هود: ١٥.

جاء في "فتح البيان في مقاصد القرآن": ((البخس النقص وهو يكون بالتعييب للسلعة أو التزهيد فيها أو المخادعة لصاحبها والاحتيال عليه، وكل ذلك من أكل أموال الناس بالباطل، وظاهر الآية أنهم كانوا يبخسون في كل الأشياء)) (١).

وجاء في "روح المعاني": (([ ] ^ _ ` Z يحتمل أن يكون تعميما بعد تخصيص فإنه يشتمل الجودة والرداءة، وغير المكيل والموزون أيضا. فهو تذييل وتتميم لما تقدم)) (٢).

٧- أن شعيباً عليه السلام قال لهم:] a b c d e Z وهو أعم من البخس في الحقوق أيضاً، فإنه يشمل جميع ما يتعلق العباد، وما يضر بمصالحهم الدينية أو الدنيوية، ويشمل أي عدوان وتجاوز، فأي عدوان على خلق الله هو إفساد في الأرض.

وذكر الإمام الرازي في تفسيره ثلاث معان محتملة فقال: (([a b c d e Z معناه لا تسعوا في إفساد مصالح الغير، فإن ذلك في الحقيقة سعي منكم في إفساد مصالح أنفسكم.

والثاني: أن يكون المراد من قوله:] a b c d e Z مصالح دنياكم وآخرتكم.

والثالث: ولا تعثوا في الأرض مفسدين مصالح الأديان)) (٣).

---

(١)فتح البيان في مقاصد القرآن ٤/٤٠٦.

(٢) روح المعاني ١٢/١١٦.

(٣) تفسير الرازي ٦/٣٨٦.

وجاء في "روح المعاني": ((العثي يعم تنقيص الحقوق وغيره لأنه عبارة عن مطلق الفساد))[١].

فتدرج من الخصوص إلى العموم، ومن الفعل القبيح إلى ما هو أشد قبحاً، ومن الكبيرة إلى ما هو أكبر منها وأفظع.

فنهاهم عن النقص في المكيال والميزان والتطفيف، ثم أمرهم بالوفاء، ثم انتقل إلى نهيهم عن البخس وهو أعم وأسوأ من التطفيف لأنه يتعدى المكيال والميزان إلى غيرهما.

ثم انتقل إلى ما هو أعم وأشنع فنهاهم عن العثي في الأرض فساداً.

٨- أن شعيباًالطَّيْكِلا أتبع ما سبق بتنبيه القوم إلى أمر متعلق بإصلاحهم فقال:] g h

i j k l m Z

أي ما أبقاه الله لهم بعد أن يوفُّوا النَّاس حقوقهم في الكيل والميزان بالقسط من الحلال، هو خير لهم. فكأنه يقول لهم: ((خير لكم من بقيتكم من الحرام الذي يبقى لكم من ظلمكم الناس ببخسهم إياهم في الكيل والوزن))[٢].

كما أنه اضاف البقية إلى الله من جهة أنها رزقه الطيب المبارك[٣].

قوله تعالى:] t u v w x y z { | } ~ نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَـٰٓؤُا۟ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ © Z هود: ٨٧

كان هذا هو جواب القوم عن وعظ شعيب الطَّيْكِلا ،وتذكيره لهم ،فقابلوا ما دعاهم إليه من إصلاح معتقدهم، وإصلاح سلوكهم ومعاملتهم للخلق، باستنكار هذين الأمرين.

فإنه قال لهم:] ? @ A B C D E F Z

فقالوا له:] v w x y z { | Z

وقال لهم:] H I J K Z [W X Y

Z [ ] ^ _ ` Z

---

(١) روح المعاني ١٢/١١٦.

(٢) تفسير الطبري:١٥/٤٤٩.

(٣) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان١/٣٨٨.

فقالوا له:] نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ Z مستنكرين متعجبين، أي أصلاتك تأمرك أن نترك فعل ما نشاء في أموالنا؟! وجاء في "تفسير ابن أبي حاتم":((كَانَ يَنْهَاهُمْ عَنْ حَذَفَ الدَّرَاهِمِ، وَحَذَفُ الدَّرَاهِمِ مِنَ الْفَسَادِ فِي الأَرْضِ)) (١).

وقولهم:] v w x y z { | } ~ نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ Z هود: ٨٧ قالوا ذلك على سبيل الاستهزاء و الاستخفاف به عليه السلام وبصلاته ، وإلا فإن طالب الحق يعلم أن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر.

جاء في "تفسير الطبري":((قال سفيان:] t u v w Z هود: ٨٧ . قال: فقال سفيان: إي والله، تأمره وتنهاه)) (٢).

وجاء في "غرائب القرآن"((يروى أن شعيباً عليه السلام كان كثير الصلاة فكان قومه إذا رأوه يصلي تغمزوا وتضاحكوا فقصدوا بقولهم :] v w Z هود: ٨٧ . السخرية والهزء فكأن الصلاة التي يداوم عليها ليلاً ونهاراً هي من باب الجنون والوساوس)) (٣).

وقولهم:] إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ © Z

يحتمل معنيين أولهما: أن ذلك على الحقيقة فهو اعتراف منهم بحلمه ورجاحة عقله، ويهذا يكون قولهم شبيه بمقالة قوم صالح:] قَالُواْ يَٰصَٰلِحُ قَدۡ à فِينَا â قَبۡلَ هَٰذَآۖ Z هود: ٦٢

ودليل ذلك تعريف الوصفين بـــ(أل) للدلالة على أنه معروف بتحليه بهما(٤).

والثاني: أنهم قالوا ذلك له على سبيل السخرية والتهكم به عليه السلام.

ولذا أكد بـــ (إنَّ) واللام، وعرف الوصفين، ليدل على قصر الحلم والرشد عليه دون غيره، وكل ذلك زيادة في الاستهزاء ورغبة في إيقاع الأذى به.

جاء في الكشاف: ((وأرادوا بقولهم:] إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ © Z نسبته إلى غاية السفه والغيّ ، فعكسوا ليتهكموا به ، كما يتهكم بالشحيح الذي لا يبضّ حجره ،

---

(١)تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم،٦/٢٠٧٢.

(٢) تفسير الطبري:٢٠/٤١.

(٣) غرائب القرآن ورغائب الفرقان،٤/٤٥.

(٤) ينظر: غرائب التفسير وعجائب التأويل، ١/٥١٩.

فيقال له : لو أبصرك حاتم لسجد لك . وقيل : معناه إنك للمتواصف بالحلم والرشد في قومك ، يعنون أنّ ما تأمر به لا يطابق حالك وما شهرت به)) (١) .

قوله تعالى:] قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن ´ µ ¶ ¸ حَسَنٗاۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ Z هود: ٨٨ وهذا من أحسن الردود لو كان القوم يعقلون، أو يهتدون فإن شعيباً عليه السلام أثبت لقومه في هذه الآية بكل برهان، صحة دعوته، وسلامتها من كل موانع القبول.

وبيان ذلك فيما يأتي:

١- أنه استهل خطابهم بـــ] يَٰقَوۡمِ Z ليتودد إليهم، ثم بدأ بذكر البينة الشاهدة على صدقه ،وأنها من ربه لا من عند نفسه وذلك قوله:] أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن ´ Z وقد بينت ما في هذا القول من تكامل، وتناسب، وتناسق بديع في قصة نوح عليه السلام.

٢- أنه أشار لهم إلى استغنائه عنهم فلم يطلبهم على دعوته مالاً، وذلك قوله:] µ ¶ ¸ حَسَنٗا Z ،واختياره لهذه الجملة عوضاً عما قاله بعض إخوانه الأنبياء كقول نوح عليه السلام لقومه:] ! " # $ %') ((* + Z هود: ٢٩ وقول هود عليه السلام لقومه:] يَٰقَوۡمِ لَآ ´ µ ¶ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِي فَطَرَنِيٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ Z هود: ٥١ متناسب مع نهيهم عن التطفيف ، ووصيتهم بالرضى ببقية الله من المال الحلال، وهو الرزق المبارك الحسن.

٣- أنه نبههم إلى حرصه على عدم مخالفة قوله فعله فقال:] وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُ Z فإنه لا ينهاهم عن أمر مما نهاهم عنه ثم يأتيه، وهو تأكيد منه أيضاً على أنه مكتفٍ بالرزق الحسن عن التطفيف والبخس والعثي الذي

(١) الكشاف: ٢/٣٩٦.

وقعوا فيه، وهذه من أعظم مقومات نجاح دعوة الداعية، وهو أن يكون قدوة في أفعاله، فلا يخالف قوله فعله.

جاء في "الكشاف":((قوله تعالى:] وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُ Z يعني أن أسبقكم إلى شهواتكم التي نهيتكم عنها لأستبد بها دونكم)) (١).

٤- أن شعيباً عليه السلام بين لهم أن مراده الإصلاح وأنه باذل طاقته في ذلك فقال:] إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ Z لئلا يظن أن له مأرباً ومطمعاً دنيوياً.

وقد أكد ذلك بالنفي والإثبات بـ(أن) و(إلا) للدلالة على قصر غايته على ذلك، وليس له مقصد آخر.

كما أنه نفى بـ(إن) ولم ينف بـ(ما) لأن (إن) أقوى من (ما) في النفي وآكد(٢).

٥- أنه ختم بيانه ذلك بإعلان تعلقه بالله وطلبه توفيقه وتوكله عليه فقال:] وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ Z وهو دأب وديدن المصلحين، من أولياء الله. وهو بهذا يؤكد لقومه أن ليس له مطمع فيما يملكون، وليس يرى لنفسه مزية عليهم ، وإنما يريد الإصلاح، باذلاً جهده فيه، طالباً توفيق ربه وعونه.

وقدم الجار والمجرور (عليه) على قوله (توكلت) للدلالة على الحصر فلا يتوكل إلا عليه.

وكذا فعل في:] وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ Z ليفيد أنه لا ينيب إلا الله تعالى حصراً.

قوله تعالى:] ! " # $ % & ' ( ) * + , - . /
قَوۡمَ صَٰلِحٍۚ وَمَا قَوۡمُ لُوطٖ مِّنكُم بِبَعِيدٖ Z هود: ٨٩

وقوله هذا عليه السلام أعظم دليل عل تجرده من حظوظ النفس فهو يقول لهم : ((لا يحملنكم عداوتي وبغضي، وفراق الدين الذي أنا عليه، على الإصرار على ما أنتم عليه من الكفر بالله، وعبادة الأوثان، وبخس الناس في المكيال والميزان، وترك الإنابة والتوبة، فيصيبكم

(١) الكشاف ٢/١١١، وانظر البحر المحيط ٥/٢٥٤.

(٢) انظر معاني النحو ٤/٥٧٦.

(مثلُ ما أصاب قوم نوح) ، من الغرق (أو قوم هود) ، من العذاب (أو قوم صالح) ، من الرّجفة (وما قوم لوط) الذين ائتفكت بهم الأرض (منكم ببعيد)، هلاكهم)) [1].

ومما في الآية من تناسق أنه قال:] وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ Z ولم يقل (ببعيدين) لأنه أراد ((ما إهلاكهم ببعيد أو ما هم بشيء بعيد أو بزمان أو مكان بعيد)) [2].

ثم إنه عليه السلام دعاهم إلى الاستغفار والتوبة وذكرهم برحمة الله وأنه يود ويحب من أناب إليه قال تعالى:] وَٱسْتَغْفِرُواْ : ; < = ? @ A B Z هود: ٩٠

ومن أوجه التناسق في الآية الكريمة ما يلي:

١- أنه قدم الوصية بالاستغفار على التوبة وهو المناسب كما بينت في أول السورة.

٢- أنه أضاف الرب إلى ضميرهم فقال:] وَٱسْتَغْفِرُواْ : Z ، ثم أضافه إلى ضميره فقال:] ? @ Z وفي هذا تحبيب وترغيب لهم للاستجابة إليه، إذ ربه وربهم واحد، وهو الرحيم الودود.

قوله تعالى:] D E F G H I J K L M N P Q R T U V W Z هود: ٩١ سبق وأن أشرت أن شعيباً عليه السلام لما فصل لهم في النصح والوعظ هنا، وأفصح و أبان، وألجمهم الحجج والبرهان، أرادوا أن يقللوا من شأنه فأجابوا بهذا الجواب، ليظهروا له أن بيانه أتى على عكس مراده فقالوا:] F G H I J Z.

ومن التناسق في الآية الكريمة أيضاً أن في قولهم:] P Q R Z دلالة أنه عزيز عند رهطه، فهم حاموه وناصروه، ولو لم يكن كذلك لما اعتبروا للرهط اعتباراً.

ودليل ذلك قولهم بعدها:] T U V W Z هود: ٩١

---

(١) تفسير الطبري:١٥/٤٥٥.

(٢) الكشاف ٢/١١٢، وانظر البحر المحيط ٥/٢٥٥.

فقدم الجار والمجرور ليبين انتفاء عزته عليهم بصورة خاصة، فقد يكون عزيزاً على غيرهم ممن آمن به، و عند رهطه. ولو قال (وما أنت بعزيز علينا) لنفى عزته عندهم و لم يثبتها عند غيرهم.

قوله تعالى:] Y Z [\ ] ^ _ ` a b d e f g h Z هود: ٩٢

من أوجه التناسق والتناسب في الآية الكريمة ما يلي:

١- أنه قال:] \ ] ^ _ Z ولم يقل (أعز عليكم مني) دلالة على تجرده لله ،ولأن الله هو الذي أرسله فعزته من عزة مرسله.

ثم إن إجلال الله توحيده وتعظيمه هو غايته، وهو بقوله هذا يخوفهم بالله وقدرته عليهم، ويبين أن اعتزازه بالله أعظم من اعتزازه بقومه.

٢- أنه استعمل أسلوب الاستعارة لتشنيع إعراضهم فقال:] ` a b Z لأن اللّه سبحانه لا يجوز عليه أن يجعل ظهرياً على الحقيقة. فالمراد أنكم جعلتم أمر اللّه سبحانه وراء ظهوركم، غير مبالين بالله.

وهو كقول القائل (جعلت حاجتي وراء ظهرك) يريد عدم عنايته بحاجته[1].

٣- أنه أضاف الرب إلى نفسه فقال:] d e f g h Z ولم يقل (ربكم) لأنه لا يناسب نسبتهم إليه هنا مع اتخاذهم إياه ظهرياً .

٤- أنه قدم الجار والمجرور (بما تعملون) على خبر إنَّ (محيط) وذلك لأن الكلام على عملهم، وفي هذا ترهيب لهم مما يعملون.

قوله تعالى:] j k l m n o q r s t u v w x y { | } ~ Z هود: ٩٣ هذه الآية تهديد للقوم وتحذير بقرب حلول العذاب بهم، وذلك جزاء ما بلغ بهم الحال من الكفر والعناد حتى

(١) ينظر: تلخيص البيان في مجازات القرآن للشريف الرضى ٢/١٦٥.

اتخذوا أوامر الله وراءهم ظهرياً، وضعف تعظيمه في نفوسهم، حتى رعوا رهط شعيب أكثر من رعايتهم لله .

من أوجه التناسق والتناسب في الآية الكريمة ما يلي:

١- أنه قال:] k l m Z وهو تهديد بصيغة الأمر أي داوموا على ما أنتم عليه من الكفر فسوف تعلمون عاقبتكم وترون جزاء إصراركم، وهو مناسب لاستخفاف القوم وقولهم:]F G H I J Z [1].

٢- أنه قال:] n o Z أي مداوم مستمر في عملي غير مقصر أو متوقف عن ما كلفت به.

وجعل عمله مطلقاً و لم يقيده بأمر، أو أمور، فلم يقل(على مكانتي) كما قال(على مكانتكم)أي ناحيتكم، ليجعلهم في حيره ووجل مما يمكن أن يعمله.

جاء في "روح المعاني": ((وقوله تعالى:] n o Z وعيد لهم. وإطلاقه لزيادة الوعيد لأنه لو قيل : (على مكانتي) لتراءى أنه عليه السلام على حالة واحدة لا تتغير ولا تزداد، فلما أطلق أشعر بأن له عليه السلام كل زمان مكانة أخرى، وأنه لا يزال يزداد قوة بنصر الله تعالى وتأييده، ويؤيد ذلك قوله تعالى :] q r Z))[2].

٣- أنه قال ههنا:] q r s t u v Z

وقال في قصة نوح في هذه السورة] فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ : ; Z بإدخال الفاء على (سوف) وذلك لغرض التأكيد.

فقد يفيد إدخال الفاء التوكيد في مواضع[3].

ويؤكد ذلك أنه قال في قصة نوح عليه السلام:] فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ : ; < = > ? Z هود: ٣٩

---

(١) ينظر: إيجاز البيان عن معاني القرآن١/٤٢٣.

(٢) روح المعاني٢٤/٦.

(٣) ينظر: معاني النحو ج ٤/٤٨٧.

وقال في قصة شعيب عليه السلام:] j k l m n o q r s t u v w x y Z.

فزاد في قصة نوح:] < = > ? Z ولم يقل مثل ذلك في قصة شعيب.

كما أن الله تعالى قال لنوح عليه السلام:] أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ Z. ولم يقل مثل ذلك في قصة شعيب.

وأخبر نوحاً أيضاً بتعجيل عقوبة القوم وطلب منه أن يصنع الفلك.] وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ à â مُّغْرَقُونَ Z هود: ٣٧ .

ولم يذكر أنه أخبر شعيباً بنهاية قومه. فلذا قال نوح (فسوف) وقال شعيب (سوف) والله أعلم.

قوله تعالى:] وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ © مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ Z هود: ٩٤

من أوجه التناسق والتناسب في الآية الكريمة ما يلي:

١- أنه قال ههنا:] وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا Z فأدخل الواو على (لما).

بينما قال في قصة صالح عليه السلام:] X Y Z [\ ] ^ _ ` a Z فأدخل الفاء على (لما).

وذلك أن مجيء العذاب في قصة صالح أقرب، فقد توعدهم أن العذاب سيأتيهم بعد زمن محدد فقال:] M N O P Q S T U V Z هود: ٦٥

فلما كان العذاب لقوم صالح عليه السلام أقرب من قوم شعيب عليه السلام استعمل مع (لما) الفاء الدالة على التعقيب.

٢- في قوله:] أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ Z دعا عليهم بالبعد الذي هو كبعد ثمود لأن هلاك مدين كان بصنف هلاك ثمود، جاء في "روح المعاني": ((وإنما شبه هلاكهم بهلاكهم لأن عذاب كل كان بالصيحة)) (١).

(١) روح المعاني ١٢/١٢٩.

المبحث الثامن: قصة موسى عليه السلام مع قومه، ويشمل الآيات (٩٦-٩٩).

موسى بن عمران عليه السلام هو بطل القصص القرآني كما قيل، فهو أكثر الأنبياء ذكراً في كتاب الله تعالى، نوع وتوسع القرآن في ذكر مواقفه، ونجد كل موقف متعلق بالموضع الذي ذكر فيه، وما سأعتني بذكره هنا مقارنة الآيات التي تحدثت عن قصة نبي الله موسى عليه السلام مع فرعون من حيث وصف العاقبة التي حصلت لفرعون وقومه في الآخرة من سورة غافر، وذلك لتعلقها بموضوع آيات سورة هود التي بين أيدينا، فإن ما ذكره في هذه السورة الكريمة بعد إيجاز دعوة موسى عليه السلام، واتباع الملأ لفرعون، هو عاقبة أمر القوم في الآخرة.

ففي سورة غافر وبعد قصة المؤمن قال سبحانه:] b c d e f ¦
h i j k l m n o p q r ¦ t u v
w x y z { Z غافر: ٤٥ - ٤٦

و ما ذكره هنا من سوء العذاب عرفه بعرضهم على النار غدواً وعشياً، والغدو والعشي إنما يكون في الدنيا وهو عذاب البرزخ(١).

قال الإمام الطبري رحمه الله: ((إنهم لما هلكوا وغرقهم الله، جعلت أرواحهم في أجواف طير سود، فهي تعرض على النار كلّ يوم مرتين] q r Z إلى أن تقوم الساعة))(٢).

ثم بين أنه يوم تقوم الساعة يؤمر بهم إلى أشد العذاب و لم يُفَصِّل فيه، لكنه في سورة هود أشار إلى شيء من شدة عذابهم فقال عن فرعون:] ! " # $ Z هود:–٩٨. وقال:] % & Z هود:– ٩٨. ولا شك أن هذا الخزي لهم من أشد العذاب فكما أنهم اتَّبعوا أمر فرعون غير الرشيد في الدنيا، فإنهم يجازون بخزي اتباعه ليوردهم النار يوم القيامة.

(١) ينظر: الإنصاف للباقلاني ١/١٥.

(٢) تفسير الطبري ٢١/٣٩٥.

ومن شدة عذابهم أيضاً: اتباع اللعنة عليهم في الدنيا بلعنهم في الآخرة وهو قوله:
] , - . / وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ Z هود: ٩٩. ((يقول: بئس العَوْن المُعان، اللعنةُ المزيدة فيها أخرى مثلها)) (١).

وهذا ما ورد في سورة هود عليه السلام عن دعوة سيدنا موسى عليه السلام وعاقبة فرعون وأتباعه، قال تعالى:] وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا وَسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱتَّبَعُوٓاْ أَمْرَ فِرْعَوْنَ ۖ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾ ! " # $ % & ') (* + , - . / وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ Z هود: ٩٦ – ٩٩.

ومن أوجه التناسق في الآيات الكريمة ما يلي:

١- أنه قال تعالى:] m n Z فأضاف نون العظمة للرسالة ، أي بما لنا من العظمة] أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ Z وهو كما أشرت في قصة نوح عليه السلام تقرير لمضمون هذا المثل، وتثبيتاً، وتسلية، وتأييداً، وتعزية، لهذا النبي الكريم ﷺ، لئلا يضيق صدره بشيء مما أمر بإبلاغه، وبياناً له ولغيره بأنه لم يأت ببدع من الرسل، بل هو على سنن دعوة الحق التي سار عليها سلفه من الأنبياء عليهم السلام (٢).

٢- أنه قال:] بِـَٔايَـٰتِنَا Z فأضافها لنفسه تعالى مع أنها الآيات الدالة على نبوة نبيه موسى عليه السلام من قلب العصا حية، وإدخال يده في جيبه لتخرج بيضاء ونحوهما.
وذلك أن المعجزة عون من عند الله لنبيه ليصدقوه، فتكذيبهم بها جحود بآيات الله، وهي كقوله لنبينا ﷺ،] © لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَـٰكِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ Z الأنعام: ٣٣ وقيل بل الآيات التوراة ولذا نسبها لنفسه سبحانه(٣)

٣- أنه قال:] وَسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ Z قيل في معنى السلطان المبين (العصا) لأنها أشهر الآيات وكانت بيده يستخدمها متى شاء ،وقد جعل الله له فيها عدة آيات كتحولها حية وبلعها حبال السحرة، وفلق البحر بها.

(١) تفسير الطبري ٤٦٨/١٥.
(٢) ينظر نظم الدرر٥١٨/٣، في ظلال القرآن١٨٤١/٤.
(٣) ينظر التفسير الكبير:٣٩٣/١٨.

وقيل بل هي الحجج التي حاجّ بها فرعون وملأه[1].

وعلى هذا فقولهم كما ذكر القرآن في سورة غافر فقال:] وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ ´ µ ¶ ¸ فَقَالُواْ سَٰحِرٌ كَذَّابٌ Z غافر: ٢٣ - ٢٤ رد لكل ما جاء به عليه السلام ، فقالوا عن ما جاءهم به من معجزات أنه ساحر، وعن ما جاء به حجج حين جادلهم أنه كذاب.

وهي سلطان قاهر.

٤- أنه في قوله تعالى:] وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ Z قد وصف السلطان -الذي قيل أنه سلطان العلم والعلماء - وصفه بأنه (مبين) أي ظاهر الدلالة ليس فيه غموض ولا شبهة. ولهذا الوصف فائدة جليلة فبما أن حجته كانت بينة ظاهرة، فلا اعتذار لهم بادعاء عدم العلم بها أو عدم عقلها يوما ما[2].

٥- أنه قال:] فَٱتَّبَعُوٓاْ أَمْرَ فِرْعَوْنَ Z فاختار(فاتبعوا) و لم يقل (فتبعوا) وذلك للمبالغة في اتباعهم لأمر فرعون في كل شيء فهم متبعوه في أي جهة أخذهم، فاستعمال (اتبع) يفيد المبالغة ذلك أن (افتعل) يفيد المبالغة والاجتهاد والتكثير[3].

٦- أنه نفى الجملة الأسمية بـــ(ما) فقال:] وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ Z كما أكد الخبر بالباء، وذلك للتأكيد والمبالغة في نفي الرشد عن أمر فرعون.

٧- أن قوله:] ! " Z يفيد أنه حامل لوائهم يوم القيامة ، فإنه يعقد لكل صاحب خصلة لواء في ذلك اليوم فيتبعه من كان يفعل فعله في الدنيا ، ففرعون يتقدمهم إلى النار وهم يتبعونه[4].

((وكما كان قدوة في الضلال متبعاً ،كذلك يتقدمهم إلى النار وهم يتبعونه))[5].

---

(١) ينظر: التفسير الكبير١٨/٣٩٣، روح المعاني١٢/١٣٥.

(٢) ينظر: التفسير الكبير١٨/٣٩٣.

(٣) ينظر: مفتاح العلوم للسكاكي١/٤٧، نظم الدرر ٣/٥٧٣.

(٤) ينظر: معترك الأقران ٣/٣٨٧، الكشاف٢/١١٤.

(٥) البحر المحيط٥/٢٥٩.

٨-أنه قال:] % & Z بالماضي و لم يقل (فيوردهم) مع أن هذا الأمر سيكون مستقبلاً وذلك للدلالة على ثبوت الأمر وأنه كائن لا محالة فهو بمترلة الذي حصل وتحقق. جاء في "الكشاف": ((فإن قلت: هلا قيل يقدم قومه فيوردهم و لم جيء بلفظ الماضي؟ قلت: لأن الماضي يدل على أمر موجود مقطوع به فكأنه قيل: يقدمهم فيوردهم النار لا محالة))[١].

٩-أن في قوله:] % & Z زيادة تنكيل بهم وتحسير ففرعون هو الذي أوردهم النار، فلم ينسب ورودهم إليها لنفسه تعالى، كأن يقول (فأوردناهم) و لم يقل كذلك (فوردوا النار) ، بل جعل فرعون هو الذي يتقدمهم حتى أوردهم النار.

١٠- أنه قال:]) (* Z فاختار الورد ((لأن الورد إنما يراد لتسكين العطش وتبريد الأكباد))[٢] فدل على أن القوم عطاش بحاجة للورود على الماء فكانت النار موردهم التي أوردهم فرعون، فبئس ما وردوا.

١١- أنه قال ههنا:] , - . / وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ Z. بينما قال في قصة عاد:] وَأُتۡبِعُواْ فِي © ٱلدُّنۡيَا لَعۡنَةٗ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ Zهود: ٦٠ فذكر (الدنيا) بعد (هذه). وذلك لأنه ذكر شيئًا من أمور الدنيا في قصة هود فقال:] يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا Z هود: ٥٢ ، ثم ذكر أن الله يستخلف قومًا غيرهم، وذلك إنما يكون في الدنيا، و لم يتعرض لمثل هذا في قصة فرعون.

وفي المقابل ذكر يوم القيامة وورد القوم النار في قصة فرعون، و لم يذكر شيئًا عن عقوبتهم في الدنيا فقال:] ! " # $ % & ' ( ) * Z هود: ٩٨ .

(١) الكشاف٢/١١٤.

(٢) المصدر السابق.

بخلاف حديثه عن قوم هودعليه السلام فإنه ذكر مجيء أمر الله عليهم في الدنيا وأنه نجى هوداًعليه السلام والذين آمنوا معه فقال:] i j k l m n o p q r s t u v Z هود: ٥٨ فناسب ذكر الدنيا والله أعلم.

١٢- أنه قال هنا:] , - . / وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ Z فأسند الفعل (أُتبعوا) للمجهول. أما في سورة القصص فقال:] وَأَتْبَعْنَٰهُم © هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً Z القصص: ٤٢. فأسند الفعل إلى نفسه سبحانه وذلك متناسق مع إسناد العقوبات في السورة كلها لنفسه سبحانه فإنه قال فيها:] p q r s t Z القصص: ٤٠ وقال سبحانه:] | } ~ إِلَى ٱلنَّارِ Z القصص: ٤١ ثم قال سبحانه:] وَأَتْبَعْنَٰهُم © هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً Z القصص: ٤٢، أما في هود فالبناء للمجهول أنسب ليفيد إهمالهم وقلتهم.

١٣- أنه قال:] بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ Z والرفد هو العطاء والعون[1].

واختار (الرفد) على (العطاء) لأن الرفد أوسع في المعنى فهو يفيد العطاء والعون معاً. وملأ فرعون إنما اتبعوه ليعطيهم ويعينهم ، فكان لهم الإغراق في الدنيا والنار في الآخرة، مع لعنة هنا وهناك ،فبئس العون والعطاء.

جاء في "الكشاف": (( ] بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ Z رفدهم أي بئس العون المعان وذلك أن اللعنة في الدنيا رفد للعذاب ومدد له، وقد رفدت باللعنة في الآخرة. وقيل: بئس العطاء المعطى))[2].

---

(١) ينظر: تفسير الطبري ١٥/٤٦٨-٤٦٩.

(٢) الكشاف: ٢/١١٤.

المبحث التاسع: التناسق في خاتمة السورة، وارتباطها بالسياق، ويشمل الآيات(١٠٠-١٢٣).

ذكرت في مباحث سابقة، وعند الحديث عن مقاصد السورة الكريمة، وأهدافها، ومحور السورة، وموضوعها الكلي، ومناسبة فاتحة السورة لخاتمتها، ومناسبة هذه الخاتمة لمفتتح سورة يوسف، ذكرت جوانب من ارتباط آيات هذه الخاتمة بكل ما سبق فلا أعيد الكلام فيه.

وسأجتهد فيما يلي في بيان جوانب أخرى لم أشر إليها سابقاً والتي هي في ثنايا الآيات الكريمة:

قوله تعالى:] ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ : ; > : > ? @ Z هود: ١٠٠.

في هذه الآية الكريمة من جوانب التناسق والتناسب ما يلي:

١- أنه بعد ما تم بيانه من قصص الغيب لأنبياء الله عليهم السلام، وذكر ما فيها من الآيات والعبر ، مع ما اشتملت عليه من صنوف البلاغة وأوجه الفصاحة، وما ظهر فيها من بديع التناسب والتناسق ،ودقيق التعبير ،حسن أن يشار إليها بأداة توحي ببعد المرتبة، وعلو الأمر في قوله :] ذَٰلِكَ Z أي النبأ العظيم والخطب الجسيم(١).

٢- أن قال:] مِنۡ أَنۢبَآءِ Z والنبأ هو الخبر العظيم، ومنه النبي، وفي هذا الاختيار دلالة عظيم شأن ما قص الله تعالى على نبيه عليه السلام، فوجب الالتفات لما فيه من مواعظ وعبر.

٣- أنه أشار هنا بالتعبير بالمضارع فقال :] ; > Z ولم يقل (قصصناه عليك)، وقال في آخر السورة أيضاً:] ? @ A Z هود: ١٢٠ وهو مثل قوله في سورة طه:] ! " # Z طه: ٩٩ وفي هذا التعبير دلالة استمرار الفعل تطميناً للنبي ﷺ بدوام هذا الأمر، تسليةً له، و تثبيتاً لفؤاده .

٤- أنه شبه ما بقي من القرى بالزرع القائم على ساقه، وما عفا وبطل بالحصيد فقال:] > ? @ Z والعرب تستعمل مثل هذا التشبيه، كما قال الشاعر:

---

(١) ينظر: نظم الدرر٣/٥٧٤.

وَالنَّاسُ فِي قَسْمِ الْمَنِيَّةِ بَيْنَهُمْ ... كَالزَّرْعِ مِنْهُ قَائِمٌ وَحَصِيدُ

والحصد يحتاج لحاصد فإنه قال:(حصيد) أي حصده حاصد، بمعنى أن هناك من حصد تلك القرى كما يحصد الزرع، وهو الله تعالى بقدرته، وفي هذا تحذير لمن تعالى بأن الله يحـــصده كما يحصد الزرع فيجزه من الأرض[1].

قوله تعالى:] B C D E F H I J K L M N O P Q R S T U V X Y Z [Z هود: ١٠١

من أوجه التناسق والتناسب في هذه الآية الكريمة ما يلي:

١- أنه قال:] B C Z والظلم منتفٍ عن الخالق الحكيم في كل حال وحـــين، فإنه لا يظلم أحداً مثقال ذرة، وقد أكد هذا الأمر هنا لئلا يقصر فهم الغافلين عنه بعد سماع ماحل بالقوم من العذاب.

وعدم ظلمهم من الله شامل ماحل بهم من عذاب فهو باستحقاق، وأنه ما نقصهم من نعيم الدنيا وما رزق فيها خلقه شيئاً[2].

٢- أن في قوله تعالى:] B C D E F Z هـــود: ١٠١ جـــواب لمـــا تتشوف إليه النفس من معرفة المتسبب بما وقع للقوم بعد نفي الظلم عـــن رب العالمين، فإنه لم يكتف بنفي الظلم عن نفسه، لأن النفس تسأل فإن لم يظلمهم الله فمن ظلمهم؟

جاء في "البحر المحيط":(( ] a Z هُنَا وَقَعَتْ أَحْسَنَ مَوْقِعٍ، لِأَنَّهُ تَقَدَّمَ قَبْلَهَا نَفْيٌ وَجَاءَ بَعْدَهَا إِيجَابٌ...... وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا تَقَرَّرَ أَنَّهُ قَدْ وَقَعَ مِنْهُمْ ظُلْمٌ، فَلَمَّـــا نُفِـــيَ ذَلِكَ الظُّلْمُ أَنْ يَصِلَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بَقِيَتِ النَّفْسُ مُتَشَوِّفَةً وَمُتَطَلِّعَةً إِلَى ذِكْرِ مَنْ وَقَعَ بِهِ الظُّلْمُ، فَاسْتُدْرِكَ بِأَنَّ ذَلِكَ الظُّلْمَ الْحَاصِلَ مِنْهُمْ إِنَّمَا كَانَ وَاقِعًا بِهِمْ))[3].

---

(١) ينظر: البحر المحيط ٦/٢٠٧، الكشاف ٢/٤٠٢، روح المعاني: ١٢/١٣٨.

(٢) ينظر: التفسير الكبير ١٨/٣٩٦.

(٣) البحر المحيط ١/٣٤٨.

٣- أنه قال سبحانه:] H I J K Z ولم يقل (فلم تغن) ذلك أن النفي بـــ(ما) آكد وأعم، فإنها ما أغنت عنهم عند نزول العذاب، وما أغنت عنهم مـــن قبل.

وشاهد ما سبق أنه قال في الذي أوتي كتابه بشماله:] مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡ Z الحاقة: ٢٨ فنفـــى بـــ(ما).

في حين قال في قصة حنين:] u v x y z { | } ~ Z التوبة: ٢٥.

فنفى عدم الإغناء بـــ(لم) ذلك لأنه عدم إغناء موقوت بالمعركة، ثم إن هؤلاء مسلمون وقد انتصروا فيما بعد.

فنفى عدم الإغناء الشديد البالغ بـــ(ما)، والذي هو دونه نفاه بـــ(لم) [١].

٤- أنه استعمل (التي) في قوله:] K L M Z ولم يقل (الـــلاتي) وذلـــك للدلالة على الكثرة. فآلهتهم على كثرتها لم تغن عنهم شيئاً. كما أن الآية شملـــت أمم متعددة ولكل منها آلهة، فاختار (التي) لتدل على الكثرة أيضاً.

جاء في "روح المعاني": ((قيل إن (التي) في جمع غير عالم أكثر من (اللاتي))) [٢].

٥- في قوله:] K L M Z قال: (يدعون) بالمضارع ((وذلك لحكاية الحال الماضية أو للدلالة على استمرار عبادتهم لها))[٣].

٦- أنه قال:] Q R Z فنفي أي شيء من الإغناء كما يحتمل أن يكون المراد نفي أي شيء من الأشياء على الإطلاق. فجاء بـــ(مِن) الدالة على الاســـتغراق، أي لم تغن عنهم أي شيء.

٧- أنه قال:] X Y Z [Z فنفى بـــ(ما) ولم ينف بـــ(لم)، فلم يقل (ولم

(١) ينظر: معاني النحو ٥٧٠/٤.
(٢) روح المعاني ١٣٨/١٢.
(٣) المصدر السابق: ١٣٩/١٢.

يزيدوهم) وذلك للتأكيد كما سبق[1].

٨- في قوله تعالى:] X Y Z [Z التتبيب هو الخسران المفضي إلى الهلاك، ومنه:] X Y Z [\ Z المسد: ١

فأصل التتبيب التخسير، إلا أنه أشد منه، فإنه تخسير وزيادة عليه الهلاك والقطع [2].

فلم يقل هنا (وما زادوهم غير تخسير) كما قال على لسان صالح ﷺ في قوله تعالى:] ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥ فَمَا تَزِيدُونَنِى غَيْرَ تَخْسِيرٍ Z هود: ٦٣

وذلك لأن المعصية التي ذكرت ههنا أكبر من التي خشيها نبي الله صالح ﷺ، لما قال:] - . / ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥ Z فذكر عموم المعصية، وهي بلا شك دون ما اقترفته الأمم الهالكة من عبادة غير الله، والاسراف في الفساد.

فناسب ذكر التتبيب هنا مناسبة عظم جرمهم، وكان كل تعبير في موضعه أنسب.

قوله تعالى:] [ ] ^ _ ` a b c d e f g h i Z هود: ١٠٢

من أوجه التناسق والتناسب في هذه الآية الكريمة ما يلي:

١- أنه قال:]] ^ _ Z فجاء بالواو فقال:] [Z ليدل على أنه يفعل مثل ذلك أيضا مع القرى الظالمة. ولو قال(كذلك أخذ ربك) من دون واو لانصرف الذهن إلى ما مضى من الأحداث فقط دون ما يقع فيما بعد.

٢- أنه استعمل (الأخذ) لتعلقه بالإهلاك وبالمؤاخذة أيضاً والله أعلم، فإنهم أخذوا هنا على المعنى المجازي الذي يأتي بمعنى الهلاك والدمار، وذلك مؤاخذة لهم على ظلمهم.

---

(١) ينظر: روح المعاني ١٢/١٣٩.

(٢) ينظر: تفسير الرازي ٣٢/٣٤٩، القاموس المحيط مادة (تب).

فتخصيص لفظ الأخذ الذي يفيد المؤاخذة، منبه على معنى المجازاة والمقابلة لِمَا أَخذوه من النِّعَم، و لم يقابلوه بالشكر[١].

٣- أنه قال:] ^ _ Z فأضاف الأخذ إلى ربه تبارك وتعالى، ليفيد مؤازرته ونصرته لنبينا ﷺ، وتعزيزاً لمقصد السورة، فالذي أخذ القرى الهالكة الظالمة، ربك المعتني بك وهو إذن قادر أن يأخذ أهل قريتك إذا ظلموا ليعزك وينصرك.

جاء في "نظم الدرر": ((ولعله عبر هنا باسم الرب مضيفاً له على المنبأ بهذه الأنباء ..... إشارة إلى أنه سبحانه يربيك أحسن تربية في إظهارك على الدين كله ، وانقياد العظماء لأمرك ، وذل الأعزة لسطوتك، وخفض الرؤوس لعلو شانك ، فلا تتكلف أنت شيئاً)) [٢].

٤- أنه استعمل (إذا) فقال:] ` a b Z ولم يقل (إنْ أخذ القرى) ليدل على أن ذلك واقع إذا وجد الظلم. فإن (إذا) يؤتى بها في الأمور الكثيرة الوقوع أو المقطوع بحصولها، بخلاف (إنْ) فإنه قد يؤتى بها في المشكوك بوقوعه أو النادر[٣].

٥- أن في قوله:] c d Z تأكيد على أن الله لا يأخذ القرى إلا وهي ظالمة أي إذا كانت صفة الظلم ثابتة فيها.

٦- أنه جمع لأخذه تعالى للظالمين صفتين وهما: الألم والشدة، فقال:] f g h i Z واجتماع هاتين الصفتين يبين عظيم أخذه سبحانه وقوة سطوته، وهول ما توعد به الظالمين ،وفي الحديث:(إِنَّ اللَّهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ قَالَ ثُمَّ قَرَأَ ﷺ:] [^ _ ` a b c d f g h i Z هود: ١٠٢)[٤].

(١) ينظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز٢/٥٧، خصائص التعبير القرآني ٢/ ٣٥٠ .

(٢) نظم الدرر: ٣/٥٧٤.

(٣) ينظر: روح المعاني٦/٣٣٢، معاني النحو ٤/ ٤٤٨.

(٤) أخرجه البخاري برقم: ٤٦٨٦، باب بدء الوحي، ٦/٣٣٢، ومسلم برقم: ٢٥٨٣، باب تحريم الظلم، ٤/١٩٧٩.

قوله تعالى:] k l m n o p q r t u v w x y z

{ Z هود: ١٠٣

من أوجه التناسق والتناسب في هذه الآية الكريمة ما يلي:

١- أنه استعمل اسم الإشارة (ذلك) لتهويل الأمر، أي ذلك النبأ العظيم، والقصص والوعظ الذي جاء فيما سبق آية عظيمة لأهل الإيمان لا يصح منهم الغفلة عنها[1].

٢- أن في قوله:] k l m n o p q r Z (الآية) هنا أفادت معنيين محتملين أولهما: العبرة والعظة، ففي أخذ الظالم آية زاجرة، تزجر المؤمن عن أن يعصي الله ويخالفه فيما أمره ونهاه، حتى لا يتعرض لأخذ الله.

وثانيهما: أن الله موفٍ وعده لعباده بالجزاء على الأعمال، كما وفى لأنبيائه فنصرهم على الظالمين.

والمعنيين متناسبين مع سياق الوعظ، ومقصد التثبيت للنبي ﷺ وأتباعه[2].

جاء في "نظم الدرر":((وإنما كان آية له لأنه إذا نظر إلى إهلاكه للظالمين إهلاكاً عاماً بسبب ظلمهم وإنجائه للمؤمنين ، علم أنه قادر على ما يريد ، وأنه لا بد أن يجازي كلاًّ بما فعل ، فإذا رأى أن ظلمه كثيرين يموتون بغير انتقام ، علم أنه لا بد من يوم يجازيهم فيه ، وهو اليوم الذي أخبرت به عنه رسله))[3].

٣- أنه قال:] v w x y z { Z فجاء باسم المفعول (مجموع) والمعنى (سيجمعون له) وهذا الاستعمال مفيد للتأكيد بحصوله وأنه كائن لا محالة.

جاء في "الكشاف": ((فإن قلت: لأي فائدة أو أثر اسم المفعول على فعله؟

(١) ينظر: نظم الدرر ٣/٥٧٦.

(٢) ينظر: تفسير الطبري ١٥/٤٧٦.

(٣) نظم الدرر ٣/٥٧٦.

قلت: لما في اسم المفعول من دلالة على ثبات معنى الجمع لليوم، وأنه يوم لا بد من أن يكون ميعاداً مضروباً لجميع الناس، وأنه الموصوف بذلك صفة لازمة وهو أثبت أيضاً لإسناد الجمع إلى الناس وإنهم لا ينفكون منه)) [1].

٤- أنه قال:] v w x Z ولم يقل (مجموع فيه الناس) للدلالة على عظم ذلك اليوم، فإن الناس يجمعون له ولأجله، فالجمع إنما يكون لأجل ذلك اليوم، فهو الغرض من جمعهم ، ولو قال (فيه) لكان المعنى أنهم مجموعون فيه لأي أمر.

وهو كقوله تعالى:] يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ Z التغابن: ٩

٥- أنه قال:] y z { Z فأتى باسم المفعول أيضاً، وذلك مفيد للتهويل وجعل المهابة له، فهو ليس كأي يوم، وهو كما يقال (فلان له مجلس مشهود) ،فهو يوم مشهود فيه، أي يشهد فيه الخلائق الموقف لا يغيب عنه أحد، وقد كثر شاهدوه.

جاء في "الكشاف": ((فإن قلت: فما منعك أن تجعل اليوم مشهوداً في نفسه دون أن تجعله مشهوداً فيه..... ؟

قلت: الغرض وصف ذلك اليوم بالهول والعظم وتميزه من بين الأيام، فإن جعلته مشهوداً في نفسه فسائر الأيام كذلك مشهودات كلها، ولكن يجعل مشهوداً فيه حتى يحصل التميز كما تميز يوم الجمعة عن أيام الأسبوع بكونه مشهوداً فيه دونها ، ولم يجز أن يكون مشهوداً في نفسه ؛ لأنّ سائر أيام الأسبوع مثله يشهدها كل من يشهده)) [2].

قوله تعالى:] { ~ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ Z .

من التناسق في الآية الكريمة ما يلي:

١- كأن الآية جواب لسؤال صادر، ولم يؤخر ذلك اليوم؟

---

(١) الكشاف ٢/٤٠٣.

(٢) المصدر السابق.

فيأتي الجواب عليه هنا أن هذا التأخير إنما هو إنفاذ لقضاء سابق قد حكم فيه العليم الخبير، أن يكون بأجل محدود، معلوم، لا يتقدم عنه ولا يتأخر[1].

جاء في الكشاف:((الأجل يطلق على مدة التأجيل كلها وعلى منتهاها، فيقولون: انتهى الأجل وبلغ الأجل آخره)) [2].

٢- أنه قال:] لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ Z . و هو رد على السؤال المقدر أيضاً بأن هذا التأجيل معدود، وكل ما هو معدود فإن له نهاية، وكل ما له نهاية يعد قريباً.

جاء في " التفسير الكبير" : ((وَالْمَعْنَى أَنَّ تَأْخِيرَ الْآخِرَةِ وَإِفْنَاءَ الدُّنْيَا موقوف على أجل معدود وكل ماله عَدَدٌ فَهُوَ مُتَنَاهٍ وَكُلُّ مَا كَانَ مُتَنَاهِيًا فَإِنَّهُ لَا بُدَّ وَأَنْ يَفْنَى، فَيَلْزَمُ أَنْ يُقَالَ إِنَّ تَأْخِيرَ الْآخِرَةِ سَيَنْتَهِي إِلَى وَقْتٍ لَا بُدَّ وَأَنْ يُقِيمَ اللَّهُ الْقِيَامَةَ فِيهِ، وَأَنْ تَخْرَبَ الدُّنْيَا فِيهِ، وَكُلُّ مَا هُوَ آتٍ قريب.)) [3].

وجاء في تفسير "النيسابوري": ((وفيه فائدتان : إحداهما أن وقت القيامة متعين لا يتقدم ولا يتأخر ، والثانية أن ذلك الأجل متناهٍ وكل متناهٍ فإنه يفنى لا محالة وكل آتٍ قريب)) [4].

قوله تعالى:] يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ © بِإِذْنِهِۦۚ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ Z هود: ١٠٥

من التناسق في الآية الكريمة ما يلي:

١- أنها جاءت كجواب لسؤال مقدر متحتم بعد سماع ما سبق وكأن قائلاً يقول : ((يا ليت شعري ماذا يكون حال الناس إذا أتى ذلك الأجل وفيها الجبابرة والرؤساء وذوو العظمة الكبراء؟))[5].

---

(١) ينظر: البحر المحيط ٦/٢٠٩.

(٢) الكشاف ٢/٤٠٤.

(٣) روح المعاني ١٢/١٤٥.

(٤) غرائب القرآن ورغائب الفرقان ٤/٥١.

(٥) نظم الدرر ٣/٥٧٩.

فأجيب عليه بقوله تعالى:] يَوۡمَ يَأۡتِ لَا تَكَلَّمُ نَفۡسٌ © بِإِذۡنِهِۦۚ فَمِنۡهُمۡ شَقِيّٞ وَسَعِيدٞ Z هود: ١٠٥. وذلك أبلغ وعظاً، وأعظم أثراً [١].

٢- أنه حذف الياء من (يأت) في قوله تعالى:] يَوۡمَ يَأۡتِ لَا تَكَلَّمُ نَفۡسٌ © بِإِذۡنِهِۦۚ Z هود: ١٠٥ والأصل: (يأتي)، وهما قراءتان[٢].

في حين ذكر الياء في مواطن أخرى كقوله تعالى في سورة النحل] " # $ % & ' ( ) Z النحل: ١١١ ، وقوله في الدخان:] c d e f g h Z الدخان: ١٠ وقوله تعالى في سورة الأنعام:] ! " # $ % & ' ( ) * + , - . يَوۡمَ يَأۡتِي بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفۡسًا إِيمَٰنُهَا لَمۡ : ; < = > ? @ A B D E F G Z الأنعام: ١٥٨ .

وقال في الأعراف:] , - . / يَوۡمَ يَأۡتِي تَأۡوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبۡلُ قَدۡ : ; < = > ? @ A B C D E F G H I J L M N O P Q R S Z الأعراف: ٥٣[٣].

((فحذف الياء من (يأت) واجتزأ بالكسرة في آية هود دون الآيتين الأخريين ولهذا الحذف سببه.

فقد ذكر الله في عدة مواطن من هود تعجل الذين كفروا للعذاب، كما تردد الوعد بقرب نزوله، فقد قال:] U V W X Y Z [\ ] ^ Z هود: ٨ وقال قوم نوح عليه السلام:] h i j k l m n o p q r s t Z هود: ٣٢ .

---

(١) ينظر: نظم الدرر ٥٧٩/٣.

(٢) ينظر: تفسير الطبري ٤٧٩/١٥.

(٣) ينظر: الإيضاح في القراءات ١٥٢/١، الكشاف ٤٠٤/٢.

وقال صالح ؈ لقومه:] وَيَٰقَوۡمِ : ; < = > ? @ A
B C D E F G H I J K L M N O
P Q S T U V Z هود: ٦٤ - ٦٥ .

وقال في قوم لوط ؈:] إِنَّ ç è ê ë بِقَرِيبٍ Z هود: ٨١ وقال في موطن آخر:] وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ Z هود: ٨٣. فأنت ترى أنه تردد ذكر استعجال العذاب من ناحية، ومن ناحية أخرى أنه تردد الوعد بقرب حلوله، فكان من المناسب الحذف من فعل الإتيان إشعارًا بقرب حلوله. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى أنه ذكر في سورة هود عقاب الأمم السابقة وهلاكهم، ثم ذكر أن يوم القيامة آت وأنه سيحل فيه عقاب الكافرين كما حل عقاب الأمم السابقة، وإنْ هو إلا أجل معدود فيحل، فحذف الياء من فعل الإتيان للدلالة على سرعة الإتيان.
وليس الأمر كذلك في الآيات الأخرى))(١).

٣- أنه حذف التاء من (تكلم) في قوله تعالى:] يَوۡمَ يَأۡتِ لَا تَكَلَّمُ نَفۡسٌ © بِإِذۡنِهِۦ Z هود: ١٠٥ والأصل: (تتكلم). وفي هذا الحذف إشارة لعدم الكلام في ذلك الموقف واقتصاره على ما يأذن به الله تعالى.

جاء في " التعبير القرآني":((إنه لما منع الكلام في آية هود إلا بإذنه حذف من الكلام فحذف الياء من (يأتي) وحذف التاء من فعل التكلم فقال (تكلم) لم يقل (تتكلم) إشعارًا بقلة الكلام في ذلك الوقت، وهكذا مما يدعو إلى العجب))(٢).

وجاء في "نظم الدرر"((وكأن ذلك إشارة إلى أن شدة هوله تمنع أهل الموقف الكلام أصلاً))(٣).

٤- أنه قال (فمنهم) التي تفيد التبعيض ثم ذكر الشقي والسعيد فقال:] فَمِنۡهُمۡ شَقِيٌّ

(١) التعبير القرآني: ٨٨ وما بعدها.
(٢) المصدر السابق.
(٣) نظم الدرر ٣/٥٧٩.

وَسَعِيدٌ Z هود: ١٠٥ وذلك جواب لما أشكل على البعض، في من بقي من أصناف لم تذكر في الآية الكريمة، كالأطفال ، وأصحاب الأعراف[١].

جاء في" فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن":((قوله تعالى:] فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ Z إن قلتَ: (مِنْ) للتبعيض، ومعلومٌ أن الناس كلهم، إما شقى أو سعيد، فما معنى التبعيض؟!

قلتُ: التبعيضُ صحيح لأنَ أهلَ القيامة ثلاثةُ أقسام:

أ - قسم شقى، وهم أهلُ النَار.

ب - وقسمٌ سعيدٌ، وهم أهلُ الجنَة.

ج - وقسمٌ لا شقي ولا سعيدٌ، وهم أهل لأعراف، وإن كان مصيرُهم إلى الجنة، كما قاله قتادة وغيره)) [٢].

٥- أنه قدم (الشقي) على (السعيد) في الآية فقال:] فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ Z هود: ١٠٥ لأنه سبق الكلام على الأشقياء من الأمم المعذبة، ولأن المقام مقام تخويف وإنذار لهم، جاء في "البحر المحيط" :((والبداءة بالسابق فصيحة))[٣] .

قوله تعالى:] فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا ´ µ ¶ ¸ زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ Z هود: ١٠٦.

من أوجه التناسق والتناسب في الآية الكريمة ما يلي:

١- أنه بدأ أيضاً بذكر الأشقياء، فقال:] فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا Z هود: ١٠٦. وهو من أساليب البلاغة على طريقة اللف والنشر فما تقدم ذكره والاهتمام به، رعاية للسياق ومقصد الآيات، قدمه مرة بعد مرة.

(١) ينظر: التفسير الكبير ١٨/٣٩٨.

(٢) فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن: ١/٢٧٠.

(٣) البحر المحيط ٦/٣٧٤، وانظر نظم الدرر،٨/٤٠٥.

جاء في "نظم الدرر":((بدأ تعالى بالأشقياء ترتيباً للنشر على ترتيب اللف فقال :] فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ Z هود: ١٠٦))[١].

٢- أنه قال في الأشقياء:] فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ Z فأسند الشقاء إليهم ولم يقل (فأما الذين أُشْقوا) ليدل على أن شقاءهم كان بإرادتهم، وبأفعالهم، فهم الذين أشقوا أنفسهم.

بينما قال في السعداء في الآية التي تليها:] وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ Z بالبناء للمجهول ليدل على أن الله هو الذي جاد وتفضل عليهم فأسعدهم.

جاء في "روح المعاني": ((وما ألطف الإشارة في شقوا وسُعدوا على قراءة البناء للفاعل في الأول والبناء للمفعول في الثاني. فمن وجد ذلك فليحمد الله تعالى، ومن لم يجد فلا يلومن إلا نفسه))[٢].

٣- أنه قدم الجار والمجرور (لهم) على (فيها) فقال] ¶ ¸ Z ولم يقل (فيها لهم) لأن الكلام على الذين شقوا لا على النار فقدم ضمير هم على ضمير النار.

٤- أنه ذكر في هذه الآية أن للأشقياء في النار زفيراً وشهيقاً، في حين لم يذكر الشهيق في سورة الأنبياء وكان ما ذكره، أن لهم فيها زفيراً وأنهم فيها لا يسمعون.

وذلك في قوله تعالى:] ^ _ ` a b c d e f g h i j k l m n o p q r s t u v w x y z { | } ~ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ۖ وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ © لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ Z الأنبياء: ٩٧ - ١٠٠

ونجد سبب ذلك أنَّ وصف صنوف العذاب في آيات الأنبياء أشد من أكثر من جهة:

---

(١) نظم الدرر ٣/٥٧٩.

(٢) روح المعاني ١٢/١٥٢.

أ- أنه ذكر الكفرة عموماً ومعبوديهم من دون الله فقال:] r s t u v w Z ولم يقل ذلك في هود بل جاء بوصف ما في الآخرة للوعظ والتذكير.

ب- أنه في سورة الأنبياء ذكرهم وآلهتهم، وجمعهم معاً في العذاب، وهو أشد تبكيتاً وإهانة لهم ولآلهتهم التي يعبدونها فاقتضى ذلك زيادة تعذيبهم، ولم يذكر ذلك في سياق آيات هود.

ت- أنه قال عنهم في سورة الأنبياء] r s t u v w x y Z والحصب إنما يكون في القاع فهو ما تسعر النار به، دلالة على شدة العذاب.

ث- أنه قال في الأنبياء:] لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ Z ولم يذكر الشهيق. فإن الإنسان يحتاج الشهيق ليزفر، وإن لم يستطع أن يأخذ الشهيق ضاق صدره.

فدل على ضيق صدروهم، فهم يطلبون الشهيق ولكن لا يمكنون منه وذلك من أشد العذاب.

ج- أنه أضاف إلى زفيرهم في النار أنهم لا يسمعون فكان عذابا آخر.

ح- أنه أتبع آية هود بقوله:] خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ Z فذكر استثناءً يبقي أملاً، وهو مشيئته سبحانه وإرادته.

ولم يقل مثل ذلك في آيات الأنبياء، ولم يستثن وإنما أكد خلودهم وآلهتهم فقال:] وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ Z . فكان كل تعبير في مكانه هو المناسب والله أعلم[1].

قوله تعالى:] خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ Z هود: ١٠٧

من أوجه التناسق والتناسب في الآية الكريمة ما يلي:

---

(١) ينظر التفسير البياني:٣/٣٢٠.

١ -أنه قال:] خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ Z هذا التعبير الموافق لعادة العرب هو المناسب لتحقيق غاية الآية والله أعلم، ((وذلك أن العرب إذا أرادت أن تصف الشيء بالدوام أبدًا قالت: هذا دائم دوام السموات والأرض))[1]. وهذا الفهم ينهي خلافاً عريضاً أشكل على البعض، ليس هذا مقام بحثه.

وفصل البعض فقال أراد بالسموات والأرض: أرض الآخرة وسماؤها. وأما هذه الأرض والسماوات فستبدل كما قال تعالى:] q r s t u v Z إبراهيم: ٤٨[2].

٢- في قوله:] إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ Z هذا الاستثناء يحتمل أموراً مقبولة لا إشكال فيها ومنها:

أ- أنه أراد به حالهم في البرزخ وفي يوم الحساب قبل أن يقضي الله بين الخلائق.

ب-أنه استثناء من أنواع العذاب المذكورة فيصيرون إلى عذاب آخر.

ج- أنه أراد ما شاء ربك من إخراج المذنبين من المسلمين إلى الجنة، بعد أن أدخلوا النار مدة من المدد على ما شاء ربك، ثم يصيرون إلى الجنة. والله أعلم[3].

٣- أنه قال هنا:] إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ Z فأسند المشيئة إلى الرب سبحانه مضافاً إلى ضمير المخاطب فقال(ربك).

بينما قال في سورة الأنعام:] p q r s t u v w x z { | } Z الأنعام: ١٢٨ .

فقال:] u v w x Z فأسند المشيئة إلى لفظ الجلالة (الله).

وذلك أن الكلام في سورة الأنعام إنما هو خطاب من الله للكافرين من معشر الجن والإنس فقد قال:] X Y Z [\ ] ^ _ ` b c d

---

(١) تفسير الطبري ١٥/٤٨١.

(٢) ينظر: التفسير الكبير ١٨/٤٠١.

(٣) ينظر: تأويل مشكل القرآن، لأبي محمد الدينوري، ١/٥٣.

v u t s r q p n m l k j i h g f e

. Z x w

فلا يصح أن يقول لهم: (إلا ما شاء ربك)

لكنه لما انتهى من خطابهم التفت إلى الرسول ﷺ فقال له:] z { | } Z .

وهذا هو المناسب للمقامين في مراعاة للسياق، وتحقيقاً لغاية إظهار العناية بالنبي ﷺ بنسبته للربوبية.

قوله تعالى:] وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ à Z هود: ١٠٨.

من أوجه التناسق والتناسب في الآية الكريمة:

١- أنه أخبرنا سبحانه بالذي شاءه لأهل الجنة وهو العطاء غير المجذوذ فقال:] إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ à Z وذلك لبشارة أهل الإيمان، ولم يخبر بما شاءه للذين شقوا، إلا ما سبق الإشارة إليه بأن لهم فيها زفير وشهيق، ليذهب بهم الخوف كل مذهب مما أخفى لهم من صنوف العذاب[1].

٢- أنه لم يقيد العطاء بشيء وإنما أطلقه فقال(عطاءً) فهو شامل لكل ما يحقق النعيم والسعادة لأهل الجنة.

٣- أنه قال عن هذا العطاء ههنا:] غَيْرَ à Z أي غير مقطوع، فإن العطاء قد يكون كثيراً لكنه مقطوع، والإنسان يخاف من مثل هذا، فضمن لهم دوامه.

قوله تعالى:] ! " # $ % & ' (* + , - . / قَبْلُ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ Z هود: ١٠٩ جاءت هذه الآية الكريمة بعد هذا الاستطراد الطويل في عرض مصائر الأقوام الكافرة في الدنيا، وما توعدهم به من عذاب الآخرة، وما قصده من

(١) ينظر: تفسير الطبري: ١٢/٥٨٣.

هذا الاستطراد هو زيادة البيان والتأكيد على بطلان معبودات قومك، كبطلان معبودات من أهلك سبحانه من الأمم السالفة، وفي هذا استمرار في تحقيق مقصد السورة من تثبيت النبيﷺ وأتباعه والتسرية عنه.

ومن أوجه التناسق والتناسب في الآية الكريمة أيضاً:

١- أنه حذف نون (تكن)، فقال:] فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ © Z أي لا يك في نفسك أي شيء ولو يسير من شك أو ريبة، وهو من التناسق اللطيف في التركيب.

٢- قد بينت عند الآية السابعة عشر، التأويل الصحيح لأهل العلم في المراد من المرية في حق النبي ﷺ ، وما يليق بمقامه، فلا أعيد الكلام فيه.

٣- أن قوله:] % & ' Z يحتمل معنيين: وكل معنى مفيد في مراد الآية.

الأول: أن تكون (ما) اسما موصولاً أي مما يعبده هؤلاء من الآلهة، فـ(ما) ههنا تعني آلهتهم نفسها.

والآخر: أن تكون (ما) مصدرية فيكون المعنى: فلا تك في شك من عبادة هؤلاء.

فعبادهم باطلة، وهو على اعتبار أهم يعبدون الإله الحق وهو الله لكنهم على باطل وضلال، شأن أهل الكتاب والمبتدعين ونحو ذلك، فليست بنافعتهم تلك العبادة.

فقد يكون المعبود باطل، ويشمل كل ماعدا الله سبحانه، وقد تكون العبادة باطلة وإن صرفت لله.

وأما هؤلاء فمعبوداهم وعبادهم باطلتان فجاء بما يجمع هذين المعنيين، ولو أتى بتعبير آخر لربما اقتصر على أحدهما(١).

٤- أنه قال:] + , - . / قَبْلُ Z فأتى بـ] - Z بصيغة المضارع مع أن أباءهم قد فنوا، فالأصل أن يقال (كما عبد آباؤهم) إلا أنه عدل إلى صيغة المضارع للدلالة على أن ذلك كان ديدهم، وكأهم قد ورَّثوه لهم ، فأثرهم بعبادة غير الله باق فيمن بعدهم، كأن لم ينقطعوا عنه وكأن الأصل في هذا المعنى أن يقال (إلا كما كان يعبد آباؤهم)،ثم جاء بقوله تعالى] / قَبْلُ Z

(١) ينظر: الكشاف ٢/١١٧، روح المعاني ١٢/١٤٨.

ليدل على المضي.

جاء في "روح المعاني": ((ومعنى] , - Z كما كان عبد فحذف لدلالة (قبل) عليه. وكأن اختيار هذا للإشارة إلى أن ذلك كان عادة مستمرة لهم))[١].

٥- أنه أسند الإيفاء إليه سبحانه بضمير التعظيم فقال(وإنا) في قوله تعالى:] وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ Z ولو قال (سيوفون) لم يدل على أن الذي يفعل ذلك هو الله، والإسناد بهذه الصيغة مؤكد لهذا الوفاء، فليس أي أحد هو الموَفِّي ولكنه (الله).

٦- أنه قال:] لَمُوَفُّوهُمْ Z والتوفية والإيفاء إعطاء الشيء وافياً أي تاماً.

والتام لا يكون منقوصاً فكيف يقول:] غَيْرَ مَنقُوصٍ Z؟

يجاب عن هذا أن هذا من باب التوكيد[٢].

٧- أنه قال:] نَصِيبَهُمْ Z أي حظهم من الخير والشر عموماً، وهو ما كتب لهم، ولفظ النصيب هنا واسع، يحتمل معان عدة مناسبة للسياق، قد لا يحتملها لفظ آخر.

فتأمل قول الإمام الألوسي: (( ] نَصِيبَهُمْ Z: حظهم من العذاب كما وفينا آباءهم حظوظهم أو من الرزق فيكون عذرا لتأخر العذاب عنهم مع قيام ما يوجبه وفي هذا من الإشارة إلى مزيد فضل الله تعالى وكرمه ما لا يخفى حيث لم يقطع رزقهم)) [٣].

٨- أنه اختار الوفاء والنصيب وهما مطلوبان عادة، يطلبهما ويستبشر بهما كل إنسان، وإنما اختارهما على سبيل التهكم.

(١) روح المعاني ١٢/١٤٨.

(٢) ينظر: أنموذج جليل في أسئلة وأجوبة عن غرائب آي التزيل، للرازي، ١/٢١٢.

(٣) روح المعاني ١٢/١٤٨.

جاء في "روح المعاني": ((وفي التعبير - بالنصيب - على الأول تهكم لأنه ما يطلب ويراد والعذاب بمعزل عن ذلك)) (١).

قوله تعالى:] وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا : ; < = ? @ A B C D E G H I J K Z هود: ١١٠

جاءت هذه الآية الكريمة ضمن ما ورد في هذه السورة الجليلة، لتحقيق مقصد تسلية الله تعالى لنبيه ﷺ في تكذيب مشركي قومه إياه فيما أتاهم به من عند ربه، فهو ينبهه ﷺ إلى فعل بني إسرائيل بأخيه موسى عليه السلام فيما أتاهم به من عند الله. لئلا يحزن بتكذيب هؤلاء المشركين له، فيمضي لما أمره به ربُّه من تبليغ رسالته، فإن الذي يفعله هؤلاء من ردِّ ما جاءهم به هو فعل ضُربائهم من الأمم قبلهم وسنَّةٌ من سُنتهم.

فإن قوم موسى عليه السلام قد اختلفوا على ما جاءهم به، بين مكذب به ومصدق، ولولا أن الله سبحانه جعل لكل شيء أجلاً لقضي بينهم في هذا الاختلاف(٢).

جاء في "التحرير والتنوير":(( ] وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا : ; < = Z اعْتِرَاض لتثبيت النبي ﷺ وَتَسْلِيَته بِأَنَّ أَهْلَ الْكِتَاب وَهُمْ أَحْسَنُ حَالًا مِنْ أَهْلِ الشِّرْك قَدْ أُوتُوا الْكِتَابَ فَاخْتَلَفُوا فِيهِ، وَهُمْ أَهْلُ مِلَّة وَاحِدَة فَلَا تَأْسَ مِنِ اخْتِلَاف قَوْمِكَ عَلَيْكَ)) (٣).

ومن أوجه التناسق والتناسب في الآية الكريمة أيضاً:

١- أنه قال ههنا:] ? @ A B C D E Z.

وقال في الشورى:] وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِيَ © Z الشورى: ١٤ بزيادة] إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى Z .

وسبب ذلك أنه ذكر في آية هود ملة واحدة وهي ملة موسى عليه السلام.

(١) المصدر السابق.

(٢) ينظر: تفسير الطبري: ١٥/٤٩٣.

(٣) التحرير والتنوير: ١٢/١٦٩.

وأما في آية الشورى فذكر مللاً متعددة فقال تعالى:] J K L M N O P Q
R S T U V W X Y Z \ ] ^ _ ` a c
d e f g h j k l m n o p q r s t
u v w x y z { | } ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِىَ
وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَفِى شَكٍّ ´ µ ¶ © فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ وَٱسْتَقِمْ
كَمَآ أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ
ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ
â Z الشورى: ١٣ - ١٥

فقد قال:] ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ â Z الشورى: ١٥، وذلك في يوم القيامة.

فناسب أن يقول:] إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى Z الشورى: ١٤ههنا دون آية هود التي ليس فيها ذلك.

٢- أنه قال:] G H I J K Z هود: ١١٠ ولم يقل (إنهم كانوا في شك مريب) لتعلق فعلهم بفعل مشركي مكة واختلافهم عل النبي ﷺ، ففيه دلالة على أن الاختلاف والشك لا يزالان قائمين على قوم نبينا ﷺ، وأن الكل سيوفيه ربنا عمله، والله أعلم.

قوله تعالى:] M N O P Q R T U V W Z هود: ١١١

من أوجه التناسق والتناسب في الآية الكريمة ما يلي:

١- أنه قال:] M N Z تأكيداً على استمرار الأقوام على الاختلاف على أنبيائهم فقوم موسى وقومك وغيرهم ممن اختلفوا على أنبيائهم سيوفيهم ربك أعمالهم.

٢- أنه قال] P Z فأتى بالمضارع، وأكده بإنَّ، وبلام القسم، وبتشديد الفعل، وكل ذلك تأكيداً على حصول ذلك حتماً، فهو وعد مؤكد من ربك.

وقد أكد فعل التوفية هنا كما أكد شكهم بإنَّ واللام فقال:] G H I J K Z هود: ١١٠ فكما كان شكهم مؤكداً، جعل توفية أعمالهم مؤكدة، وهو من التناسق بمكان.

٣- أنه قدم] U V Z على] W Z لأن الكلام على الأعمال فإنه تعالى قال:] M N O P Q R Z هود: ١١١ فناسب تقديم العمل.

٤- أن في اختيار] W Z مناسبة دقيقة إذ أنه ذكر أنهم في شك، والشك أمر قلبي خفي لا يكتشفه بفعل الانسان إلا أهل الخبرة، ومن معاني الخبير: الذي يعرف بواطن الأمور ويكشف حقيقتها(١)، فالله مطلع بعلمه على ما تخفيه نفوسهم من شك.

قوله تعالى:] Y Z [\ ] ^ _ ` a b c d e Z هود: ١١٢

تناولت جوانب مما يتعلق بهذه الآية الجليلة الكريمة في عدة فصول من هذه الدراسة ومنها: فضائل السورة، وتاريخ نزولها، والجو العام الذي نزلت فيه، وكذا عند بيان مقاصدها ،وعند بيان أوجه مناسبة فاتحة السورة لخاتمتها أيضاً، وذلك لعظيم شأنها وما جاء فيها من وصية لرسول الله ﷺ بالاستقامة كما أمر ربه، وألا يطغى هو ومن تاب معه، حتى قيل أنها الآية التي شاب منها شعره ﷺ في هذه السورة والله أعلم(٢)،وعن ابن عباس رضي الله عنه: ((ما نزلت على رسول الله ﷺ آية كانت عليه أشد ولا أشق من هذه الآية)) (٣).

وقد عُرفت الاستقامة التي أمر بها نبينا ﷺ ومن تاب مع بتعريفات عدة ومن أشملها أنها:((لزوم المنهج المستقيم وهو التوسط بين الإفراط والتفريط، وهي كلمة جامعة لكل ما يتعلق بالعلم والعمل وسائر الأخلاق))(٤).

ومن أوجه التناسق والتناسب في الآية الكريمة ما يأتي:

(١) ينظر: المفردات في غريب القرآن مادة (خبر). لسان العرب مادة (خبر). القاموس الفقهي ١/١١٢.

(٢) الأثر في شعب الإيمان ٥/٤٤٧، وقد ذكرتها في مبحث فضائل السورة الكريمة.

(٣)غرائب التفسير وعجائب التأويل للكرماني ١/٥٢٢.

(٤) روح المعاني ١٢/١٦٠.

١- أنه قال سبحانه:] Y Z [Z فحدد الاستقامة وقيدها بما أُمر به ﷺ دلالة على أن الاستقامة الحقة إنما تكون باتباع أوامر الله والتسليم والانقياد لها.

قال الإمام الرازي رحمه الله:((اعلم أن هذه الآية أصل عظيم في الشريعة، وذلك لأن القرآن لما ورد بالأمر بأعمال الوضوء مرتبة في اللفظ وجب اعتبار الترتيب فيها لقوله :] Y Z [Z ولما ورد الأمر في الزكاة بأداء الإبل من الإبل، والبقر من البقر، وجب اعتبارها، وكذا القول في كل ما ورد أمر الله تعالى به))(١).

٢- أنه قال هنا:] Y Z [\ ] ^ Z هود: ١١٢

وقال في الشورى:] ﻹ فَٱدۡعُۚ وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ Z الشورى: ١٥ ولم يقل:] \ [^ Z، كما لم يقل في آية هود] ﻹ فَٱدۡعُ Z.

وسبب ذلك أنه ذكر في الشورى ما كان من تفرق في أهل الأديان و كان قد نهاهم عنه، فقال سبحانه:] J K L M N O P Q R S T U V W X Y Z [\ ] ^ _ ` a c d e f g h Z الشورى: ١٣.

ثم قال:] t u v w x y z { | } Z الشورى: ١٤ فقال للنبي ﷺ:] ﻹ فَٱدۡعُ Z الشورى: ١٥ أي ادع إلى عدم التفرق.

جاء في (روح المعاني): ((فلذلك أي إذا كان الأمر كما ذكر فلأجل ذلك التفرق.. (فادع) إلى الائتلاف والاتفاق على الملة الحنيفية القديمة))(٢).

وقال أيضا:] c d e f g h Z الشورى: ١٣ فأوصاه بأن لا يمنعه هذا الاعراض منهم، من أن يدعوهم لما أمر به، وإن كان كبر عليهم ذلك.

---

(١)مفاتيح الغيب ٤٨١/٨.

(٢) روح المعاني ٣٨/٢٥.

و لم يتقدم مثل ذلك في هود .

وأما في سورة هود فالأمر مختلف فإن الخطاب للنبي ﷺ ولمن معه وهو أمر بالاستقامة لذا قيل له:] \ [^ Z هود: ١١٢ ثم خاطبهم بالجمع فقال:] _ ` b c d e Z هود: ١١٢ وكذا في الآية التي تليها قال لهم:] g h i j k l m n o p q r s t u v w Z هود: ١١٣

وأما في آية الشورى فالخطاب خاص برسول الله ﷺ لذا لم يصح ذكر من معه.

فقد قيل له ﷺ :] فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ۖ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ ۖ Z الشورى: ١٥ . فناسب كل خطاب موضعه الذي جاء فيه، مراعاة للسياق ،والمقصد المراد التوجيه إليه.

٣- أنه قال:] \ [^ Z ولم يقل (ومن آمن معك) على غرار ذكر الأنبياء ثم ذكر أتباعهم من المؤمنين في القرآن.

ومناسبة ذلك أن السياق بدء بالوصية بالاستقامة، والاستقامة عادة ما تكون بعد توبة وإقلاع عن معصية، فالعازم على الاستقامة عليه أن يتوب ويقلع عما يخالفها، لذا ناسب ذكر التائبين في السياق والله أعلم.

٤- أنه قال:] _ ` Z هود: ١١٢ أي لا تتجاوزا الحد الذي أمرتم به، وإطلاق الطغيان هنا دون تحديد الأمر الذي لا يطغون فيه، يجعل المعنى يحتمل عدة أموراً مناسبة للسياق ومنها:

أ- أن لا يطغوا في القرآن، فيحلّوا ويحرّموا ما لم يأمرهم الله به.

ب- أن لا يعصوا ربهم ولا يخالفوه.

ت- أن لا يخلطوا التوحيد بشك[1].

وكل ما سبق دليل استقامة، لذا ناسب هنا أن يقول لهم] _ ` Z بعد قوله:] Y Z [\ ] ^ Z هود: ١١٢.

(١) ينظر: زاد المسير ٢/٤٠٤.

قوله تعالى:] g h i j k l m n o p q r s t u
v w Z هود: ١١٣

من أوجه التناسق والتناسب في الآية الكريمة ما يأتي:

١- أنه قال :] g h Z والركون هو الميل اليسير، أي لا تميلوا، إلى قول هؤلاء الذين كفروا بالله، فتقبلوا منهم وترضوا أعمالهم، فنهاهم عن أدنى ميل إلى الذين ظلموا[1]، وفي هذا دلالة على خطر الظلم وأهله ،إذ أمر أهل الإيمان بالبعد عن أدنى درجات العون لهم بالركون لهم أو الرضى عن صنيعهم ومداهنتهم فكيف بما هو أعظم من ذلك .

٢- أنه قال:] i j k Z أي قد وقع منهم الظلم ،و لم يقل (إلى الظالمين) وهذا تحذير ونهي دقيق من كل من ظلم ، أي لا تميلوا إلى من وقع منهم ظلم وإن لم يكن الظلم وصفاً ثابتاً فيه، فكيف بمن اتصف به على جهة الثبوت.

جاء في "روح المعاني": (([i j k Z بمن وجد منه ما يسمى ظلماً مطلقاً. قيل ولإرادة ذلك لم يقل: إلى الظالمين))[2].

٣- أنه قال:] l m Z فخاطبهم بالجمع وذلك من إجلال النبي ﷺ وإكرامه، فإنه أفراده بالخطاب حيث الأمر بالاستقامة وأفعال الخير ، وأتى بضمير الجمع في النهي عن أفعال الشر، والترهيب من مساس النار[3].

جاء في روح المعاني:((من البلاغة القرآنية أن الأوامر بأفعال الخير أفردت للنبي وإن كانت عامة المعنى، والمناهي جمعت للأمة وما أعظم شأن الرسولﷺعند ربه جل وعلا))[4].

---

(١) ينظر: تفسير الطبري ١٥/٥٠٠، الكشاف ٢/١١٨، روح المعاني ١٢/١٥٤.

(٢) روح المعاني ١٢/١٥٤.

(٣) ينظر: نظم الدرر ٣/٥٨٦.

(٤) روح المعاني ١٢/١٦٤.

٤- أن قوله:] l m Z مناسب لـــ (ولا تركنوا) فالركون ميل يسير والمساس اللمس اليسير دون الالتصاق.

وجاء في "خصائص التعبير القرآني": ((قد جاء " المس " في غير هذا الموضع مراداً به العذاب المؤلم ولا يكون إلا بالدخول في النار والمكث فيها، كقوله تعالى:] يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ Z القمر: ٤٨. فالمعوَّل - إذن - على القرائن كما يقول ابن أبي الإصبع نفسه: " وإذا احتملت اللفظة احتمالات صرف منها إلى ما تدل عليه القرائن ".

وحتى في هذه الآية] ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ Z قد يبلغ ائتلاف اللفظ مع المعنى ومع اللفظ منتهاه.

فإذا كان المس أول ملاقاة الجسم للنار، فإن الإذاقة هي أول ملاقاة الطعوم للسان - إذن - فههنا مقابلة آسرة. . ولعل السر البلاغي في هذا التعبير أن إذاقة مس سقر كاف في الإيلام فما بالك بدخولها؟))[١]

٥- أن قوله:] l m Z يدل على أن هذا العذاب دون عذاب الدخول فلم يقل(فتدخلوا النار)وما شابهه، وذلك أن فعل الركون دون فعل الظالم.

٦- أنه قال:] n o p q r s t Z وهذا تنبيه لمن ظن أن الظالمين سيكونون أولياء، أو ناصرين لمن داهنهم وركن إليهم، فقد قررت أنهم ليسوا كذلك وما للمؤمن من ولي من دون الله.

٧- قال ههنا:] s t Z ولم يقل (من ولي) ذلك أنه ذكر الذين ظلموا وهم جمع فناسب أن يذكر الأولياء.

٨- جاء هنا بـــ(من) الاستغراقية فقال:] s t Z ليدل على أنهم ليس لهم ولا أي ولي من دون الله ، فهم في غاية العجز.

---

(١) خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية٢/٤٤٦.

قوله تعالى:] y z { | } ~ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ © Z هود: ١١٤ ناسب الوصية بإقام الصلاة هنا بعد ما سبق من الأمر بالاستقامة والتوبة، والنهي عن الركون للظلمة، وذلك أن الصلاة من أعظم مكفرات الذنوب ومن أجلب الأعمال للاستقامة، ومن أدلها عليها، وذلك يدل على أنها بعد الإيمان افضل العبادات(١).

فعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : (الصَّلاَةُ الْخَمْسُ وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ مَا لَمْ تُغْشَ الْكَبَائِرُ) (٢).

وقد سبق بيان سبب نزول الآية الكريمة عند فصل أسباب الترول الواردة في السورة.

وإقامة الصلاة أداؤها على تمامها والمداومة عليها(٣).

وقوله:] } | Z ، يعني الغداةَ والعشيَّ.

واختلف أهل التأويل في التي عُنِيت بهذه الآية من صَلوات العشيّ فقيل العصر فقط، وقيل الظهر والعصر معاً، وقيل بل هي المغرب، بعد إجماع جميعهم على أن التي عُنيت من صَلاة الغداة، صلاة الفجرُ.

ورجح الإمام الطبري رحمه الله أنها صلاة المغرب، وعلل ذلك بأنه: إذا كانت صلاة أحد الطرفين وهي صلاة الفجر، تصلى قبل طلُوع الشمس، فيقابلها في الطرف الآخر الصلاة التي تصلى بعد غُروب الشمس وهي المغرب(٤).

وقيل في معنى الزلف صلاة المغرب والعشاء، وقيل بل هي صلاة العشاء وحدها، ذلك أن معنى الزلَف الساعات القريبة من آخر النهار من أزلفه إذا قربه(٥).

---

(١) ينظر: نظم الدرر ٥٨٦/٣.

(٢) أخرجه مسلم برقم:٥٧٢، بَابُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ وَالْجُمُعَةِ إِلَى الْجُمُعَةِ، وَرَمَضَانَ إِلَى رَمَضَانَ مُكفِّرَاتٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ مَا اجْتُنِبَتِ الْكَبَائِرُ، ١٤٤/١.

(٣) ينظر: البحر المحيط ٢٢٢/٦، روح المعاني ١٥٦/١٢.

(٤) ينظر: تفسير الطبري ٥٠٢/١٥-٥٠٥.

(٥) ينظر: تفسير الطبري ٥٠٣/١٥، الكشاف ١١٨/٢، روح المعاني ١٦٤/١٢.

وقيل أراد بـــ] { Z أي قُرَباً تتقرب بها، والمعنى ((وأقم زلفاً من الليل على معنى، وأقم صلاة تتقرب بها إلى الله عز وجل في بعض الليل))(١). وهي صلاة التهجد.

وقيل المراد بها صلاة العشاء وقيام الليل، وقد كان واجباً عليه ﷺ(٢).

وعند التأمل نجد أن هذا المعنى يناسب الأمر بصورة الإفراد إذ قال سبحانه:] y z Z و لم يقل(وأقيموا الصلاة) وذلك أن التهجد كان واجباً في حق رسول الله ﷺ، و لم يكن واجباً في حق غيره من المسلمين، فخاطبه بالأمر وحده والله أعلم.

ومن أوجه التناسق والتناسب في الآية الكريمة أيضاً:

١- أنه قال سبحانه:] إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ Z فعمم الحسنات و لم يخص شيء منها، وذلك من كرم الله، ولطفه، وسعة فضله، فإن أهل العلم قد اختلفوا على أمور عدة يمكن حمل لفظ (الحسنات) عليها، ولكل تعليله، فمنهم من قال هي الصلوات الخمس، وقيل هي بعض الأذكار ،وقيل غير ذلك، ولاشك أنها عامة في كل ما يعد في الحسنات(٣).

٢- أنه قال:] يُذْهِبْنَ Z (بالنون) و لم يقل (تذهب) والنون في نحو هذا تفيد القلة، والإفراد يفيد الكثرة كما هو معلوم.

وفي هذا دليل أن الحسنات وإن كانت قليلة فإنهن يذهبن السيئات.

ولو قال (تُذْهِبُ) لكان شرط إذهاب السيئات أن تكون الحسنات كثيرة.

٣- قوله:] ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ © Z ردت الإشارة (ذلك) إلى عدة أمور منها: قوله إن الحسنات يذهبن السيئات، أو القرآن، أو الوصية بالاستقامة وإقامة الصلاة، ومن أعم وأجمل ما ردت إليه الإشارة هنا أنها: الأوامر والنواهي في السورة(٤)، وهذا من التوسع الجميل في القرآن باحتمال اللفظ معان عدة كلها مناسبة.

---

(١) الكشاف ١١٨/٢.

(٢) انظر روح المعاني ١٦٤/١٢.

(٣) ينظر: البحر المحيط ٢٢٣/٦.

(٤) المصدر السابق، والراي الأخير للإمام الطبري.

٤- قوله:] © Z يجعل الأمر يشمل عموم من اتعظ وتذكر بما جاء في هذه الآيات وليس مخصوصاً بالرسول ﷺ ، وذلك أنسب لما جاء من وصايا لعموم المؤمنين في سياق الآيات.

قوله تعالى:] وَٱصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ Z هود: ١١٥.
للآية الكريمة متعلق بسابقتها من الآيات وهو أن كل من أراد الاستجابة لأمر الله والاستقامة ، و التقرب إليه بإقام الصلاة، وقيام زلفاً من الليل، احتاج إلى الصبر ومجاهدة النفس، لذا جاء الأمر به هنا مع البشارة والوعد بأن الله لا يضيع أجره.
جاء في "روح المعاني"] وَٱصۡبِرۡ Z ((أي على مشاق امتثال ما كلفت به))[١]
ومن أوجه التناسق والتناسب في الآية الكريمة أيضاً ما يلي:
١- أنه أطلق الأمر بالصبر و لم يقيده بشيء ليشمل كل ما يقتضي الصبر، فقال:] وَٱصۡبِرۡ Z فشمل الاستقامة على أمر الله وإقامة الصلاة وكل ما أمر به من الطاعات، وكل ما نهاه عنه.
٢- أنه قال:] } | { ~ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ Z بعد أن أمر بالصبر، وفي هذا إشارة إلى أن الصبر من أعظم ما يبلغ العبد درجة الإحسان، الذي هو أعلى مراتب الدين.
٣- أنه قال:] } | { ~ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ Z فذكر المحسنين عموماً و لم يقيد الأمر بفعل ما مما ذكر في السياق، أو غيره، ليشمل كل وجوه الإحسان ويشمل كل من اتصف بالإحسان.
جاء في "روح المعاني": ((وعدل عن الضمير ليكون كالبرهان على المقصود مع إفادة فائدة عامة لكل من يتصف بذلك، وهو تعليل للأمر بالصبر))[٢].

---

(١) روح المعاني١٢/١٦٤.
(٢) روح المعاني ١٢/١٦٤.

قوله تعالى:] ´ µ ¶ ¸ مِن قَبۡلِكُمۡ أُوْلُواْ بَقِيَّةٖ يَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡفَسَادِ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّنۡ أَنجَيۡنَا مِنۡهُمۡۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتۡرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجۡرِمِينَ Z هود: ١١٦

من أوجه التناسق والتناسب في الآية الكريمة ما يلي:

١- أن قوله:] ´ Z يعني: فهلا كان من الأمم التي قبلكم أو لو فضل وخير ينهون عن الفساد في الأرض.

و (هلا) تفيد التحضيض والتنديم والتأسف والتحسر، أي هلا فعلوا ذلك ليتحسر عليهم العباد وليتفجعوا عليهم لما أصابهم(١).

وهذا المعنى متناسب مع الحض السابق على الاستقامة والمحافظة على الصلوات والصبر، فإن تلك الأمورهي الزاد الذي يتزود به الدعاة إلى الله في دعوتهم، فحض هناك على الزاد وحض هنا على القيام بواجب الدعوة والإصلاح.

جاء في "تفسير الثعالبي": ((لولا هي التي للتحضيض لكن يقترن بها هنا معنى التفجع والتأسف الذي ينبغي أن يقع من البشر على هذه الأمم التي لم تهتد. وهذا نحو قوله سبحانه] يَٰحَسۡرَةً : ; Zوالقرون من قبلنا قوم نوح وعاد وثمود ومن تقدم ذكره))(٢).

٢- أن قوله :] أُوْلُواْ بَقِيَّةٖ Z معناه: أولو بقيّة من دين. وفيهم خير. وقيل بقية من عقل وتمييز، وسمى الفضل والجود بقية لأن الرجل يستبقي مما يخرجه أجوده وأفضله فصار مثلاً في الجودة والفضل (٣).

وفي قوله:] بَقِيَّةٖ يَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡفَسَادِ Z تحضيض لهذه الأمة لتقوم بذلك الواجب وذلك عندما يُعلم أن من يقوم به هم بقية أهل الدين والخير والتمييز، وتحذير لمن لم يفعل أن يصبهم مثل ما أصاب الأولين.

٣- قوله:] يَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡفَسَادِ فِي ٱلۡأَرۡضِ Z مناسب لما جاء بعده من بيان بأمان أهل

---

(١)ينظر: تفسير الطبري ٥٢٨/١٥، ملاك التأويل ١٧١/١.

(٢)تفسير الثعالبي ٣٠٧/٣.

(٣) ينظر: غريب القرآن لابن قتيبة٢١٠/١،الكشاف ١١٩/٢، البحر المحيط ٢٧١/٥.

القرى من العذاب إن كان فيهم مصلحون، وهم أولوا البقية، وذلك قوله:] وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ Z، فإن المصلح يصلح ما فسد، وهو من البقية الخيرة.

٤- أنه قال:] وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ Z و لم يقل (وتبع) وفي ذلك دلالة على المبالغة في الاتباع.

٥- أنه قال:] وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ Z وفيه دلالة على أنهم فعلوا ذلك إضافة إلى ظلمهم، فجمعوا سوءً آخر مع ما سبق من ظلم .

٦- أنه قال:] وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ Z فذكر إضافة إلى ما مضى من ظلمهم واتباعهم للترف أنهم كانوا مجرمين ((أي مرتكبي جرائم غير ذلك))[١].

قوله:] وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ Z هود: ١١٧.

من أوجه التناسق والتناسب في الآية الكريمة ما يلي:

١- أنه قال ههنا] وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ Z وقال في القصص:] وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ Z القصص: ٥٩

فنفى الظلم عن نفسه في سورة هود بأبلغ لفظ يستعمل في النفي، لأن هذه اللام لام الجحد، ولا يظهر بعدها إن، ولا يقع بعدها المصدر، ولا تستعمل إلا مع كان، ولم يكن، كما ورد في سورة الأنعام في قوله:] ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ Z الأنعام: ١٣١

ومعناه ما فعلت فيما مضى ولا أفعل في الحال ولا في الاستقبال.

فكان الغاية في النفي وليس كذلك ما في القصص، إذ ليس فيها صريح

(١) روح المعاني ١٢/١٦٦.

ظلم، فالنفي في القصص للإهلاك وحده، فاكتفى بذكر اسم الفاعل، أما هنا فإنه نفي للإهلاك ظلماً أي ما كان مهلكهم بظلم منه(١).

كما أن المعنى يحتمل أن يكون معنى] بِظُلۡمٍ Z أي بظلم أهلها بشركهم أو كفرهم(٢).

٢- أنه قال هنا في هود في ختام الآية:] وَأَهۡلُهَا مُصۡلِحُونَ Z هود: ١١٧.

بينما قال في الأنعام:] وَأَهۡلُهَا غَٰفِلُونَ Z الأنعام: ١٣١

وذلك أنه لما تقد في سورة الأنعام قوله تعالى:] © ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي ´ µ ¶ ¸ قَالُواْ شَهِدۡنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَاۖ وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ Z الأنعام: ١٣٠ فذكَّر سبحانه ببعثة الرسل للجن والإنس، وإنذارهم، وتذكيرهم بالآيات وتعريف الخلق بلقاء الله، وجزائه يوم القيامة، على مقتضى قوله تعالى:] وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا Z الإسراء: ١٥ وإقرار الخلق بذلك فلم يبق عذر لأحد، بجهل أو غفلة. بعد كل ما سبق ناسب أن يقول :] ذَٰلِكَ أَن لَّمۡ يَكُن رَّبُّكَ مُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ بِظُلۡمٖ وَأَهۡلُهَا غَٰفِلُونَ Z الأنعام: ١٣١

أما في هود فإنه تقدمها قوله تعالى:] ´ µ ¶ ¸ مِن قَبۡلِكُمۡ أُوْلُواْ بَقِيَّةٖ يَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡفَسَادِ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّنۡ أَنجَيۡنَا مِنۡهُمۡ Z هود: ١١٦ ولو كانوا ينهون عن الفساد في الأرض لكانوا مصلحين فلم يكونوا ليؤخذوا بالعقاب ،فناسب البيان بعدها بأن السلامة من العذاب إنما تكون بوجود المصلحين لذا قال:] وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ بِظُلۡمٖ وَأَهۡلُهَا مُصۡلِحُونَ Z هود: ١١٧.

وهكذا نجد مناسبة كلاً من الآيتين ما أعقبت به، مراعاة للسياق والبيان الذي ورد فيه(١).

(١) ينظر: غرائب التفسير وعجائب التأويل١/٥٢٢.

(٢) ينظر: تفسير القرطبي٩/١١٤.

قوله تعالى:] ! " # $ % & ' (* + , - . / رَبُّكَۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمۡۗ وَتَمَّتۡ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ : ; < = Z هود: ١١٨ – ١١٩

في هاتين الآيتين بيان من الله عز وجل لنبيه ﷺ بمشيئته وقدره، إذ لو شاء تعالى لجعل الناس كلها جماعة واحدة على ملة واحدة، ودين واحد، فهو على ذلك قادر.

لكن حكمته وإرادته جاءت على غير هذا، فقد حكم وقدر بأنهم لايزالون مختلفين على ملل مختلفة إلا من رحمهم وهم أهل الإيمان، وقدره نافذ[٢].

من أوجه التناسق والتناسب في الآية الكريمة ما يلي:

١- قد أشرت في فصل مناسبة السورة لما بعدها، إلى تعلق الآية الكريمة ومناسبة مجيئها هنا، بالسورة التي بعدها أي سورة يوسفالطَّيْلا ،فلا أنسب لبيان هذه المشيئة، ولا أعجب، ولا أدل من حال إخوة فضلاء لأب واحد من أنبياء الله وصالحي عباده جرى بينهم من التشتت ما جعله الله عبرة لأولى الألباب[٣].

٢- أنه قال ههنا:] ! " # $ % & ' Z

بينما قال في سورة النحل:] وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمۡ أُمَّةً وَٰحِدَةً Z النحل: ٩٣

فأسند المشيئة في آية النحل إلى (الله) فقال:] ^ _ ` Z وأسندها في آية هود إلى (الرب) مضافا إلى ضمير المخاطب فقال:] I J K Z

وقال في النحل:] لَجَعَلَكُمۡ Z

وقال في هود:] $ % Z

وذلك أن الخطاب في سورة هود موجه إلى نبينا ﷺ ومن شواهد ذلك قوله تعالى:] وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ بِظُلۡمٍ Z:١١٧] ! " # Z ١١٨ [- . / رَبُّكَ Z ١١٩ [l m n Z:١٢٣.

---

(١) ينظر: ملاك التأويل ١/١٧٠.

(٢) ينظر: تفسير الطبري١٥/٥٣١.

(٣) ينظر: البرهان في تناسب سور القرآن١/٢٣١.

فناسب أن يقول هنا:] ! " # $ % Z بإضافة الرب إلى ضمير المخاطب وهو سيدنا محمد ﷺ، وأن يقول:] $ % Z فهو يخبره بقدره في الناس.

وأما الخطاب في النحل فعامٌ، وليس للنبي ﷺ وحده والسياق يدل عليه فإنه قال سبحانه قبلها:] [ ] ^ _ ` a b c d e f g h i j k l m n o p q r s t u v w x y z { | } ~ بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ © يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا ´ µ ¶ Z النحل: ٩١ - ٩٢ وقال بعدها:] ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / ٱللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ Z النحل: ٩٤.

فناسب أن يقول:] وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ Z موافقة للسياق، ولأن الخطاب عام وليس موجهاً إلى الرسولﷺ.

٣- أنه جاء باللام في جواب (لو) فقال (لجعل) لغرض التوكيد لأن ذلك مما يستحيل جمعهم عليه، لاختلاف مشاربهم، لكن الله لو شاء لفعل، فهو على كل شيء قدير.

٤- أنه قال:] (* + Z فأسند الاختلاف إليهم، لا إليه سبحانه، فهو اختيارهم، كما قال تعالى:] ´ µ ¶ ¸ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟ Z يونس: ١٩ فالاختلاف قد صدر منهم وبإرادتهم، ولذا لم يقل (وجعلناهم مختلفين).

٥- أن قوله:] (* + Z لابد أن يحمل على الاختلاف في الدين فهو المناسب للسابق واللاحق. جاء في "تفسير الرازي": ((فَإِنْ قِيلَ: إِنَّكُمْ حَمَلْتُمْ قَوْلَهُ تَعَالَى:] (* + Z عَلَى الِاخْتِلَافِ فِي الْأَدْيَانِ، فَمَا الدَّلِيلُ عَلَيْهِ، وَلِمَ لَا يَجُوزُ أَنْ يُحْمَلَ عَلَى الِاخْتِلَافِ فِي الْأَلْوَانِ وَالْأَلْسِنَةِ وَالْأَرْزَاقِ وَالْأَعْمَالِ.

قُلْنَا: الدَّلِيلُ عَلَيْهِ أَنَّ مَا قَبْلَ هَذِهِ الْآيَةِ هُوَ قَوْلُهُ:] ! " # $ % &

' Z هود:١١٨. فَيَجِبُ حَمْلُ هَذَا الِاخْتِلَافِ عَلَى مَا يُخْرِجُهُمْ مِنْ أَنْ يَكُونُوا أُمَّةً وَاحِدَةً، وَمَا بَعْدَ هَذِهِ الْآيَةِ هُوَ قَوْلُهُ:] - . / رَبُّكَ Z هود: ١١٩فَيَجِبُ حَمْلُ هَذَا الِاخْتِلَافِ عَلَى مَعْنًى يَصِحُّ أَنْ يُسْتَثْنَى مِنْهُ قَوْلُهُ:] - . / رَبُّكَ Z وَذَلِكَ لَيْسَ إِلَّا مَا قُلْنَا))[١].

٦- قوله:] وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ Z قيل فيه: إنه خلقهم للاختلاف، وقيل: خلقهم لرحمته، وقيل: خلقهم للاختلاف والرحمة[٢].

وهو إشارة إلى ما عليه الفريقان من حالي الاختلاف والرحمة، فمعناه أنّه خلق أهل الاختلاف للاختلاف، وأهل الرحمة للرحمة وقد فسّره ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، فقال: خلقهم فريقين: فريقا رحمهم فلم يختلفوا، وفريقا لم يرحمهم فاختلفوا.

وقيل: هو إشارة إلى معنى الرحمة وهو الترحّم، وعلى هذا يكون الضمير في (خلقهم) للذين رحمهم فلم يختلفوا.

وقيل: هو إشارة إلى الاختلاف والضمير في (خلقهم) للمختلفين، واللام على الوجه الأول والثالث لام العاقبة والصيرورة، لا لام كي، وهي التي تسمى لام الغرض والمقصود، لأن الخلق للاختلاف في الدين لا يليق بالحكمة[٣].

وقد أفاض أهل العلم في تأويل هذه الجملة حتى قال الإمام الرازي رحمه الله:((وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا سَبِيلَ إِلَى اسْتِقْصَاءِ مَذَاهِبِ الْعَالَمِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ وَمَنْ أَرَادَ ذَلِكَ فَلْيُطَالِعْ كِتَابَنَا الَّذِي سميناه "بالرياض المونقة"))[٤]

٧- أن معنى قوله تعالى:] وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ Z ((أي نفذ قضاؤه وحق أمره)) [٥]،

(١) التفسير الكبير:١٨/٤١٠.

(٢) ينظر: تفسير القرطبي ٩/١١٤.

(٣) ينظر: معاني القرآن للزجاج٣/٨٤، تفسير الرازي١٨/٤١٢، الموسوعة القرآنية ٤/١٠١.

(٤) تفسير الرازي١٨/٤١٠.

(٥) البحر المحيط ٦/٢٢٨.

وهذه الجملة متضمنة معنى القسم، والدليل على ذلك قوله بعدها:] لَأَمۡلَأَنَّ Z فاللام في] لَأَمۡلَأَنَّ Z هي اللام التي يتلقى بها القسم[1].

٨- أن قوله:] لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ : ; > = Z مناسب لما ورد في السورة من ذكر الأمم المعذبة وقلة المؤمنين الناجين منهم، وتخويف الله لهم بعدها بما جاء في قوله:] k l m n o p q r s t u v w x y z { Z هود: ١٠٣.

وهو مناسب أيضاً لقوله:] ´ µ ¶ ¸ مِن قَبۡلِكُمۡ أُوْلُواْ بَقِيَّةٖ يَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡفَسَادِ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّنۡ أَنجَيۡنَا مِنۡهُمۡۗ Z هود: ١١٦إذ دل على قلة الذين ينجون، فناسب ذلك ذكر ملء جهنم بالكثرة التي لم تنج والله أعلم.

٩- أنه قدم الجنة على الناس هنا فقال: قوله:] لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ : ; > = Z لأسباب: أولها: أنهم أسبق في الإيجاد .

والثاني: أنهم هم الذين يوسوسون للناس، ابتداء من إبليس، فالناس تبع لهم في استحقاق النار.

والثالث: أن الجهنميين منهم أكثر فيما قيل فبدأ بالأكثر[2].

قوله تعالى:] ? @ A B C D E F G H I J K L M N O P Z هود: ١٢٠ هذه الآية الجليلة تلخص مقاصد السورة الكريمة ببيان منة التثبيت لقلب النبي ﷺ من ربه سبحانه وتعالى، وذلك بقص كل نبأ من أنباء إخوته الرسل مما فيه تثبيت لفؤاده، وطمأنينة لقلبه، وبيان للحق، وحصول الوعظ والذكرى لأهل

(١) ينظر: المصدر السابق.

(٢) ينظر: حَاشِيةُ الشِّهَابِ عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوِي٧/١٥٠، تفسير ابن باديس١/٣٨٥، فتحُ البيان في مقاصد القرآن١٣/٣٢٩.

الإيمان. وهكذا نجد أن القصص في هذه السورة الكريمة ومثيلاتها، يسير متناسقاً مع موضوع السورة وسياقها وتحقيق مقاصدها.

ومن أوجه التناسق والتناسب في الآية الكريمة ما يلي:

١- أنه قال ههنا:] ? @ A B C D E F G H Z هود: ١٢٠

بينما قال في سورة النساء:] < ? @ A B C D E F G Z النساء: ١٦٤ فكيف الجمع بينهما؟

والجواب: أن المراد بالكل هنا البعض وهو من أساليب اللغة كما في قوله تعالى:] ; < = > ? @ A Z البقرة: ٢٦٠ وقوله تعالى:] O P Q R S Z يونس: ٢٢ وقوله تعالى:] % & ' (Z النمل: ٢٣ هذا من جهة.

ومن جهة أخرى أن المعنى: ((وكل نبأ نقصه عليك من أنباء الرسل، هو ما نثبت به فؤادك، فـ (ما) في موضع رفع خبر لمبتدأ محذوف فلا يقتضى اللفظ قص أنباء جميع الأنبياء))[1].

٢- أن اسم الإشارة (هذه) في قوله:] J K L M N O P Z يحتمل أن يكون إلى القصص وما جاء فيها من الأنباء، ويحتمل أن يكون إلى السورة أو الإشارة إليها مع نظائرها، وهو من التوسع المراد في المعنى[2].

٣- أن في قوله:] J K L M Z مسألة وهي: ما فائدة تخصيص هذه السورة ببيان الحق مع أن الحق جاءه في كل سور القرآن؟

والجواب: أن فائدة تخصيص هذه السورة بذلك زيادة تشريفها وتفضيلها مع مشاركة غيرها إياها في ذلك، كما في قوله تعالى:] G H I J K L M N Z الجن: ١٨ وقوله:] s t Z البقرة: ٩٨ وهذا التخصيص متناسب مع مقام العناية بتسلية النبي ﷺ والربط على قلبه بما لا يخفى[3].

(١)أنموذج جليل في أسئلة وأجوبة عن غرائب آي التتريل ٢١٤/١،وانظر: الموسوعة القرآنية ١٠٢/٤.

(٢)ينظر: روح المعاني ١٧٠/١٢.

(٣)أنموذج جليل في أسئلة وأجوبة عن غرائب آي التتريل ٢١٦/١.

٤- أنه عرّف] M Z لأنه واحد معلوم والخطاب للنبي ﷺ.

بينما نكّر الموعظة والذكرى لأنهما قد يكونان في غير ما ذكر مما يتعظ به البشر.

جاء في "روح المعاني" ((إنما عرف الأول لأن المراد ما يختص بالنبي ﷺ، وأما الموعظة والتذكير فأمر عام لم ينظر فيه لخصوصية))(١).

قوله تعالى:] R S T U V W X Y Z [\ ] ^ Z هود: ١٢١ - ١٢٢ وهذه الآية متصلة أيضاً بسابقتها في تسلية النبيﷺ وتثبيته على الحق الذي جاءه من عند ربه، فهو هنا سبحانه يعلمه ما يقول للمعاندين المكابرين، وهو تحد وتهديد لهم بأن يعملوا بتؤدة، وبمهل، على حالتهم التي هم عليها ولينتظروا ما سيحصل لهم، ليروا عاقبة كل من الفريقين(٢).

ومن أوجه التناسق والتناسب في الآية الكريمة ما يلي:

١- أنه قال هنا:] Y Z Z ولم يقل (فإنا) بفاء السببية وفي ذلك دلالة على أن عمل النبي ﷺ ومن معه غير متعلق بعمل المخالفين له من الكفار.

جاء في "نظم الدرر":((أي ثابتٌ عملنا لا نحول عنه، لأن ما كان لله فهو دائم بدوامه سبحانه)) (٣).

٢- أنه قال هنا:] Y Z Z ، بينما قال في فصلت:] G H Z بالفصل بين (إن) و(نا) ويمكن أن يعلل ذلك بأنه فصَّل في ذكر إعراضهم وزاد فيه فقال:

] وَقَالُواْ قُلُوبُنَا : ; < = > ? @ A B C D E F G H Z فصلت: ٥

فلما ذكر ذلك زاد في التعبير والتوكيد فقال(إننا).

---

(١) روح المعاني ١٢/١٧٠.

(٢) ينظر: تفسير الطبري ١٥/٤٦٢.

(٣) نظم الدرر ٣/٥٩٢.

ثم إن الخطاب في هود صادر عن رب العالمين، وهو أصدق القائلين، وهو تعليم للنبي ﷺ بما يقوله للكفار، أما في فصلت فالخطاب قد جاء على ألسنة الكفار، وفي تأكيدهم دلالة على إصرارهم على ما هم عليه فناسب كل تعبير موضعه والله أعلم.

جاء في "نظم الدرر":((وحذف النون الثانية اكتفاء بمطلق التأكيد، لأنه كافٍ في الإعلام بالجزم في النية ، وفيه تأدب بالإشارة إلى أن المستقبل أمر لا اطلاع عليه لغير الله ،فينبغي أن لا يبلغ في التأكيد فيه غيره ، وهذا بخلاف ما في سورة فصلت مما هو جارٍ على ألسنة الكفرة))(١).

قوله تعالى:] ` a b c d e f g h i j l m n o p Z هود: ١٢٣

ومن أوجه التناسق والتناسب في الآية الكريمة ما يلي:

١- أنه الآية متعلقة بسابقتها فبعدما طلب منهم الانتظار قال:] ` a b c Z وذلك لأن عاقبة الانتظار من الغيب.

٢- أنه قدم الجار والمجرور (لله) للدلالة على الحصر فلا يعلم الغيب إلا الله.

٣- أنه قال:] d e f g Z فبعد عمل كل فريق على ناحيته، وانتظاره نهاية الأمر، يكون الأمر والحكم لله فلا يقطع أحد أمراً دونه.

٤- أنه قال:] d e f g Z فقدم الجار والمجرور (إليه) دلالة على أن ذلك إليه حصراً لا إلى غيره.

٥- أن قوله:] d e f g Z جاء على سبيل الاستغراق فلا يحكم، ولا يأمر أحد غيره في أي شيء .

٦- أن قوله:] h i j Z مناسب لما ذكر من صفات قبلها له سبحانه فالذي له غيب السماوات والأرض وإليه مرجع الأمور وحده هو القادر الذي يستحق العبادة وحده ولذا ناسب أن يأمر بعبادته وحده والتوكل

(١) المصدر السابق.

عليه.

وقدم العبادة على التوكل لأن التوكل لا ينفع من دونها فهي المطلب الأول.

٧- أنه ختم الآية الكريمة فقال:] l m n o p Z لئلا يظن ظان أن أنه تعالى يحكم في الأمر ويقضي بين الفريقين بعد أن يرفع إليه، بل علمه سابق لا يعتريه غفلة عن أي عَمَلٍ عُمِلَ في الجهر أو الخفاء.

٨- أنه جاء باسمه العلم في أول الآية فقال:] ` a b c Z، ثم خاطب النبي ﷺ بإضافته لنفسه فقال:] l m n o p Z وفي هذا تثبيت لقلب النبي ﷺ وربط عليه، بأن ربه الله الذي له غيب السماوات والأرض وإليه يرجع الأمر كله، ليس بغافل عنه بل هو معتن به، بمقتضى ربوبيته له. والحمد لله على فضله وإحسانه.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، وبفضله تزداد المكرمات ، وبمنته تضاعف العطايا والهبات ، والصلاة والسلام على نبينا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً، وبعد :

فقد من الله تعالى عليَّ بأن عشت في ظِلال هذه السورة الكريمة (سورة هود) وبذلت من الجهد ما يسر الله به وأعان لأظهر بعض أوجه التناسق الموضوعي فيها، وهو قليلٌ من كثيرٍ مما أُودِع في هذه السورة الجليلة

من فوائد ولطائف، وقد توصّلت بفضل الله مِن خلال عملي في هذا البحث إلى نتائج ذات علاقة بموضوع التناسق الموضوعي في سورة هود وغيرها، ومِن تلك النتائج:

١- يعد اليوم الاهتمام بالتناسق الموضوعي لسور القرآن الكريم من أهم طرق التفسير في العصر الحديث؛ وذلك لاستجلاء هدايات القرآن وإبراز مقاصد سور كتاب الله تعالى والإفادة منها.

٢- يظهر للباحث جلياً أن التناسق الموضوعي من خصائص السور القرآنية، فما من سورة إلا وتتجه جميع آياتها وموضوعاتها نحو مقاصد معيّنة؛ كجسد واحد يتعاضد ويشد بعضه بعضاً، فآيات كل سورة تتجه في مسار واحد لتحقيق مقاصدها.

٣- أنّ مدار وغاية سورة هود الذي تدور عليه جميع آياتها هو(تثبيت قلب النبي ﷺ وتسليته، وبيان سنن الله له) ليقوم بأعباء الدعوة خير قيام، وليصبر على ما يمر به في تلك الفترة العصيبة من عمر الرسالة، فإن المتأمّل للسورة الكريمة بتمامها يجدها عرضت هذا الموضوع بأساليب متنوّعة، واعتنت به من كل جانب.

٤- أنّ سورة هود من أعظم سور القرآن الكريم التي يتّضح فيها علم التناسق، سواءً بين موضوعاتها التي اشتملت عليها، أو بين آياتها بما تضمّنته من ألفاظ كريمة متآزرة للتأكيد على المحور العام للسورة.

٥- امتازت هذه السورة الكريمة في بلاغتها، ووعظها، ما جعلها مقصد كثير من الباحثين في البلاغة القرآنية، ومن لهم عناية بالمواعظ أيضاً، إذ بها من المواعظ التي

تقرع النفوس، وتوقظ القلوب ،وتقشعر لها الأبدان، ما لم يكن في غيرها.

٦- تجلي لنا سورة هود معالم وطبيعة الدعوة إلى الله ، وأساليبها، وسنن الله في الدعاة، وصفات الداعية التي يجب أن يتصف بها، وتبرز منهج الأنبياء في ذلك .

٧- مثلت السورة من خلال القصص الوارد فيها بتناسق دقيق، استعراضاً لحركة العقيدة الربانية على مدار التاريخ البشري، وما قوبلت به تلك العقيدة الواحدة من صنوف البشر.

أمّا التوصيات التي أوصي بها فألخصها فيما يأتي:

١- لَفْت أنظار الباحثين في الدراسات القرآنية إلى العناية بدراسة سور القرآن الكريم وفق تناسق تلك الموضوعات ومقاصد تلك السور، إذ أن هذا الأسلوب يبرز السورة ككيان له غاية يمكن بلوغه والوصول لهدايته من خلال وضوح هذا الكيان كجسد متكامل.

٢- التناسق في سور القرآن له ارتباط بعدة علوم قرآنية، لا تنفك عنه كالبلاغة القرآنية ، ومشكل القرآن، وعلم المناسبات، وأسباب النزول، وتاريخ نزول السورة وما يتعلق به من أحداث، فينبغي لكل من كان له عناية بهذا العلم أن لا يغفل هذه العلوم .

٣- توجيه الباحثين لدراسة النسق القرآني الذي يشمل جميع سور القرآن الكريم؛ فإذا كان مفهوم التناسق في السورة القرآنية قد بدأ تناوله والعناية به، فإنّ البحث في تناسق السور مجموعةً ما زال محتاجاً إلى مزيد من البحث.

٤- أوصي بدراسة قصص الأنبياء في القرآن الكريم من قبل الدعاة إلى الله تعالى ، وتقديم بحوث في هذا المجال، إذ تعد تلك الدراسة خير زاد لهم ، في خير طريق، فإن تلك القصص تبرز صفات خير الدعاة إلى الله، والأسلوب الأنجع والأنفع مع كل فئة من المدعوين.

هذه أهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها من خلال هذه الدراسة ، فما وجد فيه من صواب فمن الله وما وجد فيه من خطأ فمن النفس والشيطان، والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن يتجاوز عن خلله،

وأن يكسوه ثوب القبول، وأن ينفع به مَن كتبه، وقرأه، وصوّبه، وأن يجعله مصدر خير ونفع ,وأن يكون ذُخراً لي عنده.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الفهارس

- فهرس الآيات.
- فهرس الأحاديث.
- فهرس الآثار.
- فهرس الأعلام.
- فهرس الشواهد الشعرية.
- فهرس المصادر والمراجع.
- فهرس المحتويات.

فهرس الآيات

الآية	رقمها	الصفحة
سورة البقرة		
قَالَ تَعَالَى:] b c d e f g h i Z	٤٢	١٦٣
قَالَ تَعَالَى:] p q r s t u v Z	٩١	١٧٤
قَالَ تَعَالَى:] s t Z	٩٨	٤٣٧
قَالَ تَعَالَى:] @ A B C D E F G H Z	١٠٧	١٧٧
قَالَ تَعَالَى:] كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾ Z	١١٧	١٤٠
قَالَ تَعَالَى:] ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / Z	١٤٦	٧٩
قَالَ تَعَالَى:] ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / Z	١٤٦	١٦٦
قَالَ تَعَالَى:] > ? @ A B C D E F G H I J K L M N P Q R S Z	١٥٦-١٥٧	١٤٩
قَالَ تَعَالَى:] يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ Z	١٥٩	١٧٤
قَالَ تَعَالَى:] " # $ % & ' ( ) * + , - . / ٱلْآخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ : ; < = > ? @ A B C D E F G H Z	١٧٧	٢٧٨
قَالَ تَعَالَى:] وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ Z	١٨٦	٣٣٢

الآية	رقمها	الصفحة
قَالَ تَعَالَى:] Z u t s r q p	٢١٧	١٦٣
قَالَ تَعَالَى:] إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ Z	٢٢٢	٢٦٩
قَالَ تَعَالَى:] Z A @ ? > = < ;	٢٦٠	٤٣٧
قَالَ تَعَالَى:] إِن تُبۡدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَۖ Z I	٢٧١	١٣٣
قَالَ تَعَالَى:] Z [\ ] ^ _ ` a b c d Z i h g f e	٢٧٢	١٦٠
قَالَ تَعَالَى:] وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ Z	٢٨١	٢٣
قَالَ تَعَالَى:] Z A @ ? > = < ;	٢٨٢	٣٩٠
قَالَ تَعَالَى:] Z { z y x w v	٢٨٥	٣٠٥
سورة آل عمران		
قَالَ تَعَالَى:] إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ Z	٩	٢٦٤
قَالَ تَعَالَى:] Z Y X W V U T S Q P O N	٣٢	١٢٨
قَالَ تَعَالَى:] Z - , + *) ('	٣٨	٢٦٣
قَالَ تَعَالَى:] Z O N M L	١٥٢	٣٧٥
سورة النساء		
قَالَ تَعَالَى:] Z @ ? > = <	٢٩	١٦٣
قَالَ تَعَالَى:] Z ~ } | { z y x w v u t s r	٤٨	٢١٨
قَالَ تَعَالَى:] Z h g f e d c b	٥٦	١٤٣
قَالَ تَعَالَى:] Z y x w v u t s r	٦٤	٣٠٤

الآية	رقمها	الصفحة
قَالَ تَعَالَى: [O P Q R S T U V W X Z	٨٢	٢٣
قَالَ تَعَالَى: [> ? @ A B C D E F G Z	١٦٤	٤٣٦
قَالَ تَعَالَى: [يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ ´ µ ¶ ¸ Z	١٧٤	٤
سورة المائدة		
قَالَ تَعَالَى: [وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلۡإِيمَٰنِ فَقَدۡ حَبِطَ عَمَلُهُۥ Z	٥	١٦٣
قَالَ تَعَالَى: [O P Q R S T U V W X Y Z \ ] ^ _ ` b c d e f g h j k l m n p q r s t u v w x y z | } إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ Z	٤٨	١٢٩
قَالَ تَعَالَى: [g h i j Z	٥٣	١٦٣
قَالَ تَعَالَى: [مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٖ وَلَا سَآئِبَةٖ وَلَا وَصِيلَةٖ وَلَا حَامٖ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ وَأَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿١٠٣﴾ ! " # $ %& ' ( ) * + , - . / ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ Z	١٠٣-١٠٤	١٢٩
قَالَ تَعَالَى: [; < = > ? A B C D E F H I J K L M N O Z	١٠٥	١٣٠
قَالَ تَعَالَى: [! " # $ % & ' ( ) * + Z	١١٤	٢٦١

<table>
<tr><td colspan="3">سورة الأنعام</td></tr>
<tr><td>قَالَ تَعَالَى:] B C Z</td><td>٣</td><td>١٧٣</td></tr>
<tr><td>قَالَ تَعَالَى:] وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ Z</td><td>١٧</td><td>٢٤٨</td></tr>
<tr><td>قَالَ تَعَالَى:] وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ Z</td><td>٢٤</td><td>١٧٩</td></tr>
<tr><td>قَالَ تَعَالَى:] قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ © لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ Z</td><td>٣٣</td><td>٧٦</td></tr>
<tr><td>قَالَ تَعَالَى:] © لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ Z</td><td>٣٣</td><td>٣٠٢</td></tr>
<tr><td>قَالَ تَعَالَى:] © لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ Z</td><td>٣٣</td><td>١٥٢</td></tr>
<tr><td>قَالَ تَعَالَى:] , - . / ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ : ; = > ? @ A B C D E F G H I J K L M N O P Q R Z</td><td>٤٦-٤٧</td><td>٢٢٠</td></tr>
<tr><td>قَالَ تَعَالَى:] n o p q r s t u v w x y z { | Z</td><td>٥٠</td><td>٢٢٣</td></tr>
<tr><td>قَالَ تَعَالَى:] x y z { | Z</td><td>٥٠</td><td>٢١٩</td></tr>
<tr><td>قَالَ تَعَالَى:] وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ Z</td><td>٥٢</td><td>٢٢٣</td></tr>
<tr><td>قَالَ تَعَالَى:] أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ Z</td><td>٩٠</td><td>٣٨-١٠٢</td></tr>
</table>

قَالَ تَعَالَىٰ:] لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا Z	٩٠	٢١٥
قَالَ تَعَالَىٰ:] l m n o p q r s t u v w x y z { | } ~ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۗ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي © ٱلۡمَوۡتِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيۡدِيهِمۡ أَخۡرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُۖ ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ ´ µ ¶ ¸ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ Z	٩٣	١٧١
قَالَ تَعَالَىٰ:] S T U V W X Y Z Z	١٠٥	٥٨
قَالَ تَعَالَىٰ:] d e f g h i Z	١١٤	١١٩
قَالَ تَعَالَىٰ:] p q r s t u v w x Z	١٢٨	٤١٦
قَالَ تَعَالَىٰ:] © ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي ´ µ ¶ ¸ قَالُواْ شَهِدۡنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَاۖ وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ Z	١٣٠	٤٣٢
قَالَ تَعَالَىٰ:] ذَٰلِكَ أَن لَّمۡ يَكُن رَّبُّكَ مُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ بِظُلۡمٖ وَأَهۡلُهَا غَٰفِلُونَ Z	١٣١	٤٣١-٤٣٢
قَالَ تَعَالَىٰ:] µ ¶ ¸ مِّن رَّبِّكُمۡ Z	١٥٧	٢١١
قَالَ تَعَالَىٰ:] µ ¶ ¸ مِّن رَّبِّكُمۡ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ Z	١٥٧	٢١١
قَالَ تَعَالَىٰ:] ! " # $ % & ' ( ) * + , - . يَوۡمَ يَأۡتِي بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفۡسًا إِيمَٰنُهَا لَمۡ : ; < = > ? @ A B D E F G Z الأنعام: ١٥٨	١٥٨	٤١١
سورة الأعراف		
قَالَ تَعَالَىٰ:] A B C D E F G H I J Z	٤	٢٦١
قَالَ تَعَالَىٰ:] فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا Z	٢٢	١٤٣

قَالَ تَعَالَى:] وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا عَن تِلۡكُمَا ٱلشَّجَرَةِ Z	٢٢	٢٦٠
قَالَ تَعَالَى: [P Q R S T U V W X Y Z [\ ] ^ _ ` a b c d e f g h i j k l m Z	٣٣	١٧١
قَالَ تَعَالَى:] فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ يَنَالُهُمۡ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوۡنَهُمۡ قَالُوٓاْ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالُواْ à عَنَّا â عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ ç Z	٣٧	١٧١
قَالَ تَعَالَى:] فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ : ; < = > Z	٤٤	١٧٤
قَالَ تَعَالَى:] فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ : ; < = > ? @ A B C D E F G H I Z	٤٤-٤٥	١٧٥
قَالَ تَعَالَى: [G H I Z	٤٥	١٧٥
قَالَ تَعَالَى: [U V W X Y Z \ ] ^ _ Z	٤٦	٢٧٢
قَالَ تَعَالَى:] , - . / ۚ يَوۡمَ يَأۡتِي تَأۡوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبۡلُ قَدۡ : ; < = > ? @ A B C D E F G H I J L M N O P Q R S Z	٥٣	٤١١
قَالَ تَعَالَى: [; < = > ? @ A B C D E F G H Z	٥٩	١٨٧
قَالَ تَعَالَى:] لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ : ; < = > ? @ A B C D E F G H I J K L M N O P Q R S T U V W X Y Z	٥٩-٦٤	١٨٧

f e d c b a ` _ ^] \ [s r q p o n m l k j i hg ~ } | { z y x w v u t وَأَغۡرَقۡنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمًا عَمِينَ © Z		
قَالَ تعَالَى:] لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ : ; < = Z	٥٩	١٩٧
قَالَ تعَالَى:] لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ : ; < = > ? @ A B Z	٥٩	٢٠٥
قَالَ تعَالَى:] _ ` a b c d e f hg i Z	٦٢	٢٢٨
قَالَ تعَالَى:] y z { | } ~ وَأَغۡرَقۡنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمًا عَمِينَ Z	٦٤	١٩٩
قَالَ تعَالَى:] z { | } ~ وَأَغۡرَقۡنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ Z	٦٤	٣٠٠
قَالَ تعَالَى:] قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ´ µ ¶ ۥ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ Z	٦٥	٢٨٠
قَالَ تعَالَى:] أَفَلَا تَتَّقُونَ Z	٦٥	٢٩١
قَالَ تعَالَى:] قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي سَفَاهَةٖ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ Z	٦٦	٢٨٠
قَالَ تعَالَى:] إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي سَفَاهَةٖ Z	٦٦	٢٠٨-٢٠٩
قَالَ تعَالَى:] وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ Z	٦٦	٢٠٨
قَالَ تعَالَى:] قَالَ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي سَفَاهَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ Z	٦٧	٢٨٠
قَالَ تعَالَى:] وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ جَعَلَكُمۡ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعۡدِ : ; Z	٦٩	٢٩٨

٢٨٦	٦٩	قَالَ تَعَالَى:] < = > ? ¦ A B C D E Z
٦٥	٦٩	قَالَ تَعَالَى:] < = > ? ¦Z
٢٠٨- ٢٨٠	٧٠	قَالَ تَعَالَى:] G H I J K L M N O P ¦ R S T U V W X Y Z
٢٨١-٢٩١	٧٠	قَالَ تَعَالَى:] H I J K L M N O P ¦Z
٢٠٨- ٢٨٠	٧١	قَالَ تَعَالَى:] Z [\ ] ^ _ ` a ¦ c d e f g h i j k l m n ¦ p q r s t Z
٢٨٩	٧١	قَالَ تَعَالَى:] [\ ] ^ _ ` a ¦ c d e f g h i j k l m n Z
٢٨١	٧١	قَالَ تَعَالَى:] c d e f g h i j k l m n ¦Z
٢٨١-٢٨٢- ٢٨٧-٢٩٩	٧٢	قَالَ تَعَالَى:] v w x y z { | } ~ بِـَٔايَٰتِنَاۖ وَمَا كَانُواْ مُؤۡمِنِينَ Z
٣١٨	٧٣	قَالَ تَعَالَى:] وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ © قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ ´ ¦ ¶ ¸ بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡۖ Z
٢١١	٧٣	قَالَ تَعَالَى:] ¶ ¸ بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ Z
٣٢٣	٧٣	قَالَ تَعَالَى:] ¶ ¸ بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمۡ ءَايَةٗ Z
٣١٤	٧٣	قَالَ تَعَالَى:] فَذَرُوهَا تَأۡكُلۡ فِيٓ أَرۡضِ ٱللَّهِۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ Z

قَالَ تَعَالَى:] فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ Z	٧٣	٣٢٥
قَالَ تَعَالَى:] ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / ٱلۡجِبَالَ بُيُوتٗاۖ فَٱذۡكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ : Z	٧٤	٣٢١
قَالَ تَعَالَى:] / ٱلۡجِبَالَ بُيُوتٗا Z	٧٤	٣٢١
قَالَ تَعَالَى:] فَٱذۡكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ Z	٧٤	٣٢٢
قَالَ تَعَالَى:] < = > ? @ A B C D E F G H I J K L N O P Q R S T U V W X Y Z [\ Z	٧٦-٧٥	٣١٠
قَالَ تَعَالَى:] ^ _ ` a b c d e f g h i j k l Z	٧٧	٣٢٩
قَالَ تَعَالَى:] e f g h i j k l Z	٧٧	٣١١
قَالَ تَعَالَى:] n o p q r s Z	٧٨	٣٢٥
قَالَ تَعَالَى:] n o p q r s t u v w x y z { | } ~ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ Z	٧٩-٧٨	٣٣٠
قَالَ تَعَالَى:] وَلُوطًا إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ © ٱلۡفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ ´ µ ¶ ¸ مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ ﴿٨١﴾ ! " # $ % & '	٨٤-٨٠	٣٦٥

		( ) * , - . / فَأَنجَيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥٓ إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِم : ; < = > ? @ Z
٣٨٤	٨٥-٨٦	قَالَ تَعَالَىٰ: [W X Y Z [\ ] ^ _ ` a b c e f g h i j k l m n o p q r s t u v w x y Z
٣٨٣	٨٥-٩٣	قَالَ تَعَالَىٰ: [B C D E G H I J K L M N O Q R S T U W X Y Z [\ ] ^ _ ` a b c e f g h i j k l m n o p q r s t u v w x y { | } ~ فَكَثَّرَكُمۡۖ وَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٨٦﴾ وَإِن © طَآئِفَةٞ مِّنكُمۡ ءَامَنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٞ لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ ´ µ ¶ ¸ بَيۡنَنَاۚ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴿٨٧﴾ ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۚ قَالَ أَوَلَوۡ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾ قَدِ : ; < = > ? @ A B C D E F H I J K L M N O P Q R T U V W X Z [\ ^ _ ` a b c d e f g h i j k l m n o p q r s t u v w x y

z { | } ~ كَأَن لَّمۡ يَغۡنَوۡاْ فِيهَآۗ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيۡبٗا كَانُواْ © ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٩٢﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰقَوۡمِ لَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ ´ µ ¶ فَكَيۡفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوۡمٖ كَٰفِرِينَ Z		
قَالَ تَعَالَىٰ:] { | } ~ فَكَثَّرَكُمۡ Z	٨٦	٣٨٥
قَالَ تَعَالَىٰ:] وَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ Z	٨٦	٣٨٥
قَالَ تَعَالَىٰ:] وَإِن © طَآئِفَةٞ مِّنكُمۡ ءَامَنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٞ لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ ´ µ ¶ بَيۡنَنَاۚ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ Z	٨٧	٣٨٥
قَالَ تَعَالَىٰ:] ( ) * + , - . / لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا Z	٨٨	٣٨٦
قَالَ تَعَالَىٰ:] قَالَ أَوَلَوۡ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾ قَدِ : ; < = > ? @ A B C D E F H I J K L M N O P Q R T U V W X Z [\ ^ _ ` a b c d e f Z	٨٨-٨٩	٣٨٦
قَالَ تَعَالَىٰ:] h i j k l m n o p q r s Z	٩٠	٣٨٧
قَالَ تَعَالَىٰ:] u v w x y z { | } ~ كَأَن لَّمۡ يَغۡنَوۡاْ فِيهَآۗ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيۡبٗا كَانُواْ © ٱلۡخَٰسِرِينَ Z	٩١-٩٢	
قَالَ تَعَالَىٰ:] فَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰقَوۡمِ لَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ ´ µ ¶ فَكَيۡفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوۡمٖ كَٰفِرِينَ Z	٩٣	٣٨٧

قَالَ تَعَالَىٰ:] فَوَقَعَ ٱلۡحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ Z	١١٨	١٦٣
قَالَ تَعَالَىٰ:] © لِلۡمُتَّقِينَ Z	١٢٨	٢٧٧-٢٧٨
قَالَ تَعَالَىٰ:] x y z { | } إِنَّ ٱلۡأَرۡضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ © لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبۡلِ أَن تَأۡتِيَنَا وَمِنۢ ´ µ ¶ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُهۡلِكَ عَدُوَّكُمۡ وَيَسۡتَخۡلِفَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ Z	١٢٨-١٢٩	٢٧٨
قَالَ تَعَالَىٰ:] عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُهۡلِكَ عَدُوَّكُمۡ وَيَسۡتَخۡلِفَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ Z	١٢٩	٢٧٨
قَالَ تَعَالَىٰ:] إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ Z	١٣٨	٢١٦
قَالَ تَعَالَىٰ:] ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / لَنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ : ; < = > ? @ A B C D Z	١٣٨-١٣٩	٢١٧
قَالَ تَعَالَىٰ:] M N O P Q R S Z	١٥١	٢٦٨
قَالَ تَعَالَىٰ:] أَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ Z	١٥٥	٢٣٣
قَالَ تَعَالَىٰ:] " # $ % & ' ( ) Z	١٥٦	٣٠٥
قَالَ تَعَالَىٰ:] D E F G H I J K L M N O P Q R S T U V W X Y Z [\ ] ^ _ ` a b c d e f g h i j k l m n o p q Z	١٥٧	٧٩-١٦٦

قَالَ تَعَالَى:] ` a b c Z	١٧٣	٢٣٣
قَالَ تَعَالَى:] إِنْ أَنَاْ : ; < = > Z	١٨٨	١٢٤
سورة التوبة		
قَالَ تَعَالَى:] u v x y z Z	٢٥	٤٠٥
سورة يونس عليه السلام		
قَالَ تَعَالَى:] ! # $ % & Z	١	١١٨-٥٥
قَالَ تَعَالَى:] # $ % & Z	١	١١٩
قَالَ تَعَالَى:] ( ) * + , - . / أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ : ; = > ? @ A B Z	٢	١٣٠
قَالَ تَعَالَى:] D E F G H I J K L M N O P Q S T V W X Y Z [\ ^ _ ` a c d Z	٣	٥٩
قَالَ تَعَالَى:] D E F Z	٣	٥٩
قَالَ تَعَالَى:] f g h j k l n o p q r s t u v w x z { | } ~ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ Z	٤	١٣٠
قَالَ تَعَالَى:] هُوَ ٱلَّذِى © ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا Z	٥	٥٩
قَالَ تَعَالَى:] إِنَّ فِى ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ Z	٦	٥٩
قَالَ تَعَالَى:] ! " # % & ' ( ) * + , - . / ٱللَّهِ Z	٨	١٥٥

قَالَ تَعَالَى:] I J K L M N O Z	١٠	٢٦١
قَالَ تَعَالَى:] وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ µ ¶ وَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَـٰكُمْ خَلَـٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ Z	١٣-١٤	٢٠١
قَالَ تَعَالَى:] M N O P Q R S T U V X Y Z [\ ] _ ` Z	١٦	٥٦-٥٨
قَالَ تَعَالَى:] O P Q R S Z	٢٢	٤٣٧
قَالَ تَعَالَى:] µ ¶ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَـٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَـٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ Z	٢٤	٢٤٠
قَالَ تَعَالَى:] ! " # $ % & ' ( ) Z	٣٤	٥٩
قَالَ تَعَالَى:] قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن : ; < Z	٣٥	٥٩
قَالَ تَعَالَى:] j k l m n o p q r s t u v w x y z { | } ~ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ © وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ´ Z	٣٧-٣٨	٧٧-٨٧
قَالَ تَعَالَى:] أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ © وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ Z	٣٨	٥٩
قَالَ تَعَالَى:] µ ¶ لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ Z	٣٩	٥٩
قَالَ تَعَالَى:] â بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ ç è é Z	٤١	٢٣٠
قَالَ تَعَالَى:] R S T U V W X Z	٥٧	٥٩

قَالَ تَعَالَى: [a b c d e f g h i j Z	٥٨	١٤٧
قَالَ تَعَالَى: [ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلْعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ Z	٧٠	١٤٤
قَالَ تَعَالَى: [" # $ % Z	٧١	١٨٦
قَالَ تَعَالَى: [" # $ % & ' ( ) Z	٧١	١٩٨
قَالَ تَعَالَى: [" # $ % & ' ( ) * + , - . / بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا : ; < = > ? @ A B C D E F G H I K L M N O Q R S T U V W X Y Z [\ ] ^ _ ` a b Z	٧١-٧٣	١٨٨
قَالَ تَعَالَى: [W X Y Z [\ ] ^ _ ` a b d e f g h Z	٧٣	١٩٩
قَالَ تَعَالَى: [W X Y Z [\ ] ^ _ ` a b Z	٧٣	٢٣٤
قَالَ تَعَالَى: [ ] ^ Z	٧٣	٢٠١
قَالَ تَعَالَى: [{ ~ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ © قَبْلِكَ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ´ µ Z	٩٤	١٦٧-١٧٥
قَالَ تَعَالَى: [إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ Z	٩٦	٥٩
قَالَ تَعَالَى: [X Y Z [\ ] Z	١٠١	٥٩
قَالَ تَعَالَى: [! " # $ % & ' ( ) + , - . / لِفَضْلِهِۦ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَهُوَ : ; Z	١٠٧	٢٤٨

قَالَ تَعَالَى: [= > ? @ A B C D Z	١٠٨	٥٩
قَالَ تَعَالَى: [@ A B C D Z	١٠٨	٥٩
قَالَ تَعَالَى: [W X Y Z [\ ] ^ ` a b Z	١٠٩	٥٦-١١٨
سورة هود عليه السلام		
قَالَ تَعَالَى: [d f g h i j k l m n Z	١	٥٥-٥٦-٥٩-١٠٨-١١٩
قَالَ تَعَالَى: [f g h i j k l m n Z	١	٢٥-٢٦-٥٩-١١٥-١١٨-١٢٥
قَالَ تَعَالَى: [p q r s u v w x y Z	٢	٨٦-٨٧-١١٠-١١٢-١١٩-١٢٢-١٢٤-١٢٥
قَالَ تَعَالَى: [p q r s Z	٢	١٣٨
قَالَ تَعَالَى: [u v w x y Z	٢	١١٢
قَالَ تَعَالَى: [d f g h i j k l m n o p q r s u v w x y z { | } ~ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُمَتِّعۡكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى وَيُؤۡتِ © ذِي فَضۡلٖ فَضۡلَهُۥۖ وَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ ´ µ ¶ Z	١-٣	٦٤-١٠٢-١٠٧
قَالَ تَعَالَى: [d f g h i j k l m n o p q r s u v w x y z { | } ~ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُمَتِّعۡكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى وَيُؤۡتِ © ذِي فَضۡلٖ فَضۡلَهُۥۖ وَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ ´ µ ¶ ¸ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ Z	١-٤	١٣٠

قَالَ تَعَالَى:] } | { ~ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُمَتِّعۡكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى وَيُؤۡتِ © ذِي فَضۡلٖ فَضۡلَهُۥۖ وَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ ´ µ ¶ Z	٣	١٢٥-١٥٤
قَالَ تَعَالَى:] وَيُؤۡتِ © ذِي فَضۡلٖ فَضۡلَهُۥ Z	٣	١٥٤
قَالَ تَعَالَى:] وَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ ´ µ ¶ Z	٣	٨٧
قَالَ تَعَالَى:] } | { ~ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُمَتِّعۡكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى وَيُؤۡتِ © ذِي فَضۡلٖ فَضۡلَهُۥۖ Z	٣	٨٦
قَالَ تَعَالَى:] يُمَتِّعۡكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا Z	٣	٦٥-١٠٣
قَالَ تَعَالَى:] أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ ´ µ ¶ Z	٣	١٢٨
قَالَ تَعَالَى:] إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ Z	٤	١٢٩
قَالَ تَعَالَى:] وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ Z	٤	١٣٦
قَالَ تَعَالَى:] أَلَآ إِنَّهُمۡ يَثۡنُونَ صُدُورَهُمۡ لِيَسۡتَخۡفُواْ مِنۡهُۚ أَلَا حِينَ يَسۡتَغۡشُونَ ثِيَابَهُمۡ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ Z	٥	٨١-١٠٨-١٠٩-١٣٠
قَالَ تَعَالَى:] أَلَآ إِنَّهُمۡ يَثۡنُونَ صُدُورَهُمۡ لِيَسۡتَخۡفُواْ مِنۡهُۚ Z	٥	١١٠
قَالَ تَعَالَى:] أَلَآ إِنَّهُمۡ يَثۡنُونَ صُدُورَهُمۡ Z	٥	٨٢
قَالَ تَعَالَى:] " # $ % & ' ( ) * + , - . / فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ Z	٦	١٠٣-١٣٥
قَالَ تَعَالَى:] وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ Z	٧	١٣٦
قَالَ تَعَالَى:] وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي : ; < = > ? Z	٧	١١٠
قَالَ تَعَالَى:] < = > ? Z	٧	١٣٨

قَالَ تَعَالَى: [@ A B C Z	٧	١٤٨
قَالَ تَعَالَى: [E F G H I J K L M N O P Q R S Z	٧	٨٢-١٠٨-١٠٩-١٣٩-١٤١
قَالَ تَعَالَى: [U V W X Y Z [Z	٨	١١١-١٤٠
قَالَ تَعَالَى: [U V W X Y Z [\ ] ^ Z	٨	٤١١
قَالَ تَعَالَى: [U V W X Y Z [\ ] ^ _ ` a b c d e f g h i j k Z	٨	١٤١-٢٤٠
قَالَ تَعَالَى: [` a b Z	٨	١٤٨
قَالَ تَعَالَى: [m n o p q r s t u v w Z	٩	١٤٣-٢١٢
قَالَ تَعَالَى: [n o p q Z	٩	١٤٥
قَالَ تَعَالَى: [m n o p q r s t u v w x y z { | } ~ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّيٓۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٞ فَخُورٌ Z	٩-١٠	١٥٥
قَالَ تَعَالَى: [y z { | } ~ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّيٓۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٞ فَخُورٌ ﴿١٠﴾ © ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ Z	١٠-١١	١٤٥
قَالَ تَعَالَى: [© ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ Z	١١	٣٥

قَالَ تَعَالَى:] µ ¶ ¸ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ وَضَآئِقُۢ بِهِۦ صَدۡرُكَ أَن يَقُولُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ كَنزٌ أَوۡ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٞۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٌ Z	١٢	٧٢-٨٨-٩٧-١٠٨-١٠٩-١٥٠
قَالَ تَعَالَى:] µ ¶ ¸ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ وَضَآئِقُۢ بِهِۦ صَدۡرُكَ أَن يَقُولُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ كَنزٌ أَوۡ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌۚ Z	١٢	٤٣-١٠٥-١١٣-١١٤
قَالَ تَعَالَى:] µ ¶ Z	١٢	٤٣
قَالَ تَعَالَى:] وَضَآئِقُۢ بِهِۦ صَدۡرُكَ Z	١٢	١٠٩-١٦٩
قَالَ تَعَالَى:] لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ كَنزٌ أَوۡ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌۚ Z	١٢	١٠٩-٣٥٢
قَالَ تَعَالَى:] لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ كَنزٌ Z	١٢	١٥٥
قَالَ تَعَالَى:] ! " # Z	١٣	١٠٨-١٠٩-١٧١
قَالَ تَعَالَى:] & ' ( ) * + , - . / ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ Z	١٣	٨٧
قَالَ تَعَالَى:] + , - . / ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ Z	١٣	١٥٤
قَالَ تَعَالَى:] ! " # % & ' ( ) * + , - . / ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ : ; < = > ? @ A C D E Z	١٣-١٤	١٢١-١٥١-١٥٣-٢٧٤
قَالَ تَعَالَى:] فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ : ; < Z	١٤	١٥١
قَالَ تَعَالَى:] G H I J K L M N O P Q R S T U Z	١٥	١٥٨

قَالَ تَعَالَى:] M N O P QRS T Z	١٥	٣٩٢
قَالَ تَعَالَى:] GH I J K L M N O P QRS T U V W X YZ [\ ] ׀ _ ` a b c d e f Z	١٥-١٦	١٥٤- ١٥٧
قَالَ تَعَالَى:] V W X YZ [\ ] ׀ _ ` a b c d e f Z	١٦	١٥٦
قَالَ تَعَالَى:] c d e f Z	١٦	١٦٣
قَالَ تَعَالَى:] h i j k l m n o p q r s t u v ׀ x y z ׀ | } ~ مِنَ ٱلۡأَحۡزَابِ فَٱلنَّارُ مَوۡعِدُهُۥۚ فَلَا تَكُ فِي مِرۡيَةٖ © إِنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا ´ Z	١٧	٧٨- ٩٧- ١٦٥
قَالَ تَعَالَى:] فَلَا تَكُ فِي مِرۡيَةٖ © إِنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا ´ Z	١٧	١٢١- ١٦٨
قَالَ تَعَالَى:] h i j k l m Z	١٧	٤٣-٧٨- ١٦٥
قَالَ تَعَالَى:] فَلَا تَكُ فِي مِرۡيَةٖ © Z	١٧	١٦٧
قَالَ تَعَالَى:] ¶ ۦ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُعۡرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمۡ وَيَقُولُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ١٨ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجٗا وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ Z	١٨-١٩	١٧٠- ١٧٥

قَالَ تَعَالَى:] ¶ ۚ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُعۡرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمۡ وَيَقُولُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ﴿١٩﴾ ! " # $ % & ' ( ) * + , - . يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلۡعَذَابُۚ مَا كَانُواْ يَسۡتَطِيعُونَ ٱلسَّمۡعَ وَمَا كَانُواْ : ; < = > ? @ A B C D E F G H I J K L Z	١٨-٢٢	١٨٣
قَالَ تَعَالَى:] ¶ ۚ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُعۡرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمۡ وَيَقُولُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ﴿١٩﴾ ! " # $ % & ' ( ) * + , - . يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلۡعَذَابُۚ مَا كَانُواْ يَسۡتَطِيعُونَ ٱلسَّمۡعَ وَمَا كَانُواْ : ; < = > ? @ A B C D E F G H I J K L M N O P Q R S T U V W X Z [\ ] _ ` a b c d f g h j k Z	١٨-٢٤	١١٢
قَالَ تَعَالَى:] ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجًا Z	١٩	١٧٤
قَالَ تَعَالَى:] وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ Z	١٩	١٨١
قَالَ تَعَالَى:] ! " # $ % & ' ( ) *	٢٠	٩٠

+ , - . يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلۡعَذَابُۚ مَا كَانُواْ يَسۡتَطِيعُونَ ٱلسَّمۡعَ وَمَا كَانُواْ : Z		
قَالَ تَعَالَىٰ: [' ( ) * + , - . Z	٢٠	١٧٧
قَالَ تَعَالَىٰ: [مَا كَانُواْ يَسۡتَطِيعُونَ ٱلسَّمۡعَ Z	٢٠	١٧٩
قَالَ تَعَالَىٰ: [! " # $ % & ' ( ) * + , - . يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلۡعَذَابُۚ مَا كَانُواْ يَسۡتَطِيعُونَ ٱلسَّمۡعَ وَمَا كَانُواْ : ; < = > ? @ A B C D Z	٢٠-٢١	١٧٥
قَالَ تَعَالَىٰ: [F G H I J K L Z	٢٢	١٨٠
قَالَ تَعَالَىٰ: [N O P Q R S T U V W X Z [\ Z	٢٣	١٨٢
قَالَ تَعَالَىٰ: [N O P Q R S T U V W X Z [\ ] _ ` a b c d f g h i j k Z	٢٣-٢٤	٩٧
قَالَ تَعَالَىٰ: [_ ` a b c d f g h i j k Z	٢٤	٩٧-١٨٣
قَالَ تَعَالَىٰ: [m n o p q r s t u v w x y z {	} ~ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ أَلِيمٖ Z	٢٥-٢٦	١٨٥-٢٠٤
[m n o p q r s t u Z	٢٥	١٢٤

قَالَ تَعَالَى:] w x y z { | } ~ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ أَلِيمٖ Z	٢٦	٢١٦-٦٧
قَالَ تَعَالَى:] فَقَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ © قَوۡمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرٗا مِّثۡلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ ´ µ ¶ ¸ بَادِيَ ٱلرَّأۡيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلِۭ بَلۡ نَظُنُّكُمۡ كَٰذِبِينَ Z	٢٧	٢٠٦-٢١٢
قَالَ تَعَالَى:] وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ ´ µ ¶ ¸ بَادِيَ ٱلرَّأۡيِ Z	٢٧	١٩٧-٢١٤-٢١٧
قَالَ تَعَالَى:] وَمَا نَرَىٰ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلِۭ Z	٢٧	٢١٩
قَالَ تَعَالَى:] قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتۡ عَلَيۡكُمۡ أَنُلۡزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمۡ لَهَا كَٰرِهُونَ Z	٢٨	٢٠٩
قَالَ تَعَالَى:] وَءَاتَىٰنِي رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِهِۦ Z	٢٨	٣٣٥
قَالَ تَعَالَى:] فَعُمِّيَتۡ عَلَيۡكُمۡ Z	٢٨	٢١٢
قَالَ تَعَالَى:] ! " # $ % ' ( ) * + Z	٢٩	٣٩٣-٢٩٢
قَالَ تَعَالَى:] ! " # $ % ' ( ) * + , - . / ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ : ; < = > ? @ A C D Z	٣٠-٢٩	٢١٣
قَالَ تَعَالَى:] - . / ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ Z	٢٩	٢٢٣
قَالَ تَعَالَى:] ; < = > ? @ A C D Z	٣٠	٢١٧
قَالَ تَعَالَى:] F G H I J K L M N O P Q R S T U V W X Y Z [ ] ^ _ ` a c d e f Z	٣١	٢١٨
قَالَ تَعَالَى:] S T U V W X Y Z [Z	٣١	٢٢٢

قَالَ تَعَالَى:] h i j k l m n o p q r s t Z	٣٢	٢٢٣
قَالَ تَعَالَى:] j k l m n o p q r s t Z	٣٢	٢١٦-٤١١
قَالَ تَعَالَى:] k l m Z	٣٢	٢٢٧
قَالَ تَعَالَى:] q r s t Z	٣٢	٢٢٤
قَالَ تَعَالَى:] v w x y z { | } ~ بِمُعْجِزِينَ Z	٣٣	٢٢٥
قَالَ تَعَالَى:] وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ © إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْۚ هُوَ رَبُّكُمْ ´ µ Z	٣٤	٢٢٧
قَالَ تَعَالَى:] ﴿ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَىَّ إِجْرَامِى وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ Z	٣٥	٩٨-١٢١-٢٢٩
قَالَ تَعَالَى:] وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ Z	٣٦	٢٣١
قَالَ تَعَالَى:] وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ à ۚ â مُّغْرَقُونَ Z	٣٧	٢٣٤-٣٩٨
قَالَ تَعَالَى:] وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ à ۚ â مُّغْرَقُونَ Z	٣٧	٢٥٦
قَالَ تَعَالَى:] â مُّغْرَقُونَ Z	٣٧	٢٥٥
قَالَ تَعَالَى:] ! " # $ % & ' ( ) * , - . / فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن	٣٨-٣٩	٢٣٥

يأَيْتِيهِ : ; > = < ? Z		
قَالَ تَعَالَى:] فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ : ; > = < ? Z	٣٩	٣٩٧
قَالَ تَعَالَى:] A B C D E F G H I J K L M N O P Q R S T U W X Y Z [Z	٤٠	٢٤٠
قَالَ تَعَالَى:] A B C D Z	٤٠	٣٦٣
قَالَ تَعَالَى:] W X Y Z [Z	٤٠	٢٤٢
قَالَ تَعَالَى:] ^ _ ` a b c d f g h i Z	٤١	٢٤٢
قَالَ تَعَالَى:] q r s t u v w x y Z	٤٢	٢٥٩
قَالَ تَعَالَى:] w x y Z	٤٢	٢٤١
قَالَ تَعَالَى:] w x y z { | } Z	٤٢	٢٤٧
قَالَ تَعَالَى:] k l m n o p Z	٤٢	٢٤٢
قَالَ تَعَالَى:] k l m n o p q r s t u v w x y z { | } ~ قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ © عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ´ µ ¶ ¸ مِنَ الْمُغْرَقِينَ Z	٤٢-٤٣	٢٤٦
قَالَ تَعَالَى:] قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ © عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ´ µ ¶ ¸ مِنَ الْمُغْرَقِينَ Z	٤٣	٢٤٧-٢٤٩
قَالَ تَعَالَى:] وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ	٤٤	٣٨

ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ Z		
قَالَ تَعَالَى:] وَنَادَىٰ نُوحٞ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ : Z	٤٥-٤٦	٢٥٩
قَالَ تَعَالَى:] رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي Z	٤٥	٢٤٢
قَالَ تَعَالَى:] ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ : Z	٤٦	٢٦٤
قَالَ تَعَالَى:] < = > ? @ A B C D E F G I J K L M N O Z	٤٧	٢٦٦
قَالَ تَعَالَى:] Q R S T U V W X Y Z [ ] ^ _ ` a b c Z	٤٨	٢٦٩
قَالَ تَعَالَى:] V W X Y Z [Z	٤٨	٢٧٢
قَالَ تَعَالَى:]] ^ _ ` a b c Z	٤٨	٢٧٢
قَالَ تَعَالَى:] e f g h i j l m n o p q r s t v x y z Z	٤٩	٥٦-٩٨-١٢١-٢٧٤-٣٠٢
قَالَ تَعَالَى:] | { ~ هُودٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ © غَيۡرُهُۥٓۚ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا مُفۡتَرُونَ ﴿٥٠﴾ Z	٥٠	٦٦-٢٨١-٢٩٠
قَالَ تَعَالَى:] إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا مُفۡتَرُونَ Z	٥٠	١٠٥
قَالَ تَعَالَى:] يَٰقَوۡمِ لَآ ´ µ ¶ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِي فَطَرَنِيٓۚ	٥١	٦٨-١٠٣-

أفلا تعقلون Z		-١٠٥ ٢٩١-٣٩٣
قال تعالى:] يقوم لا ´ µ ¶ Z	٥١	٢١٤
قال تعالى:] إن أجري إلا على الذي فطرني Z	٥١	٢٩٢
قال تعالى:] أفلا تعقلون Z	٥١	١٠٥-٢٩٢
قال تعالى:] ويقوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة إلى قوتكم ولا تتولوا مجرمين Z	٥٢	٦٥-٦٨- ١٠٣- ٢٨٦-٢٩١
قال تعالى:] يرسل السماء عليكم مدرارا Z	٥٢	٣٠٥-٤٠٢
قال تعالى:] ولا تتولوا مجرمين Z	٥٢	١٠٥-١٢٥
قال تعالى:] قالوا يهود ما جئتنا ببينة وما نحن بتاركي ءالهتنا عن قولك à نحن â بمؤمنين ﴿٥٣﴾ Z	٥٣	٢٩٢
قال تعالى:] قالوا يهود ما جئتنا ببينة وما نحن بتاركي ءالهتنا عن قولك à نحن â بمؤمنين Z	٥٣-٥٤	١٢٨- ٢٨٢
قال تعالى:] ! " # $ % & ' Z	٥٤	٦٦-٦٨- ٢٩١
قال تعالى:] $ % & ' Z	٥٤	٢٩٨
قال تعالى:] * + , - . / مما تشركون ﴿٥٤﴾ من دونه فكيدوني جميعا ثم لا : Z	٥٤-٥٥	٦٥-٦٦- ٦٨-١٠٣- ١٠٥-٢٨٢- ٢٩٥
قال تعالى:] من دونه فكيدوني جميعا ثم لا : ; < = > ? @ A C D E F G H I K L M N O Z	٥٥-٥٦	٢٩٨

قَالَ تَعَالَى: [< = > ? @ A CD E F G H I K L M N O Z	٥٦	٦٥-٩١-١٠٣
قَالَ تَعَالَى: [C D E F G H I Z	٥٦	٦٦-١٠٤
قَالَ تَعَالَى: [Q R S T U V W X Z [\ ] ^ _ ` b c d e f g Z	٥٧	٦٩-١٠٤-١٠٥-٢٩٧
قَالَ تَعَالَى: [Q R S T U V W X Z	٥٧	١٢٨
قَالَ تَعَالَى: [b c d e f g Z	٥٧	٢٩٨
قَالَ تَعَالَى: [i j k l m n o p q r s t u v Z	٥٨	٢٨٢-٣٠٥-٤٠٢
قَالَ تَعَالَى: [i j k l m n o p Z	٥٨	٢٤٠
قَالَ تَعَالَى: [i j k l m n o p q r s t u v w x y { | } ~ رُسُلَهُۥ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٖ ﴿٥٩﴾ وَأُتْبِعُواْ فِي © ٱلدُّنْيَا لَعْنَةٗ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ أَلَآ إِنَّ عَادٗا كَفَرُواْ ´ ¶ ۡ لِّعَادٖ قَوْمِ هُودٖ Z	٥٨-٦٠	٢٨٨
قَالَ تَعَالَى: [x y { | } ~ رُسُلَهُۥ Z	٥٩	٣٠٦
قَالَ تَعَالَى: [| } Z	٥٩	٣٠٤
قَالَ تَعَالَى: [{ | } ~ رُسُلَهُۥ Z	٥٩	٣٠٢
قَالَ تَعَالَى: [~ رُسُلَهُۥ Z	٥٩	٣٠٢-٣٠٤
قَالَ تَعَالَى: [جَبَّارٍ عَنِيدٖ Z	٥٩	٣٠٣

قَالَ تَعَـالَىٰ:] وَٱتَّبَعُوٓاْ أَمۡرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٖ Z	٥٩	٣٠٢
قَالَ تَعَـالَىٰ:] x y { | } ~ رُسُلَهُۥ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَمۡرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٖ ﴿٥٩﴾ وَأُتۡبِعُواْ فِي © ٱلدُّنۡيَا لَعۡنَةٗ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَآ إِنَّ عَادٗا كَفَرُواْ ´ ¶ ، لِّعَادٖ قَوۡمِ هُودٖ Z	٥٩-٦٠	٨٧-١٠٥-٣٠٢
قَالَ تَعَـالَىٰ:] وَأُتۡبِعُواْ فِي © ٱلدُّنۡيَا لَعۡنَةٗ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَآ إِنَّ عَادٗا كَفَرُواْ ´ ¶ ، لِّعَادٖ قَوۡمِ هُودٖ Z	٦٠	٣٠٤
قَالَ تَعَـالَىٰ:] وَأُتۡبِعُواْ فِي © ٱلدُّنۡيَا لَعۡنَةٗ Z	٦٠	٣٠١-٣٠٤
قَالَ تَعَـالَىٰ:] وَأُتۡبِعُواْ فِي © ٱلدُّنۡيَا لَعۡنَةٗ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ Z	٦٠	٢٩٠-٣٠٥-٤٠٢
قَالَ تَعَـالَىٰ:] أَلَآ إِنَّ عَادٗا كَفَرُواْ ´ Z	٦٠	٣٠٦
قَالَ تَعَـالَىٰ:] ¶ ، لِّعَادٖ قَوۡمِ هُودٖ Z	٦٠	٣٢-٦٥
قَالَ تَعَـالَىٰ:] وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱسۡتَعۡمَرَكُمۡ فِيهَا فَٱسۡتَغۡفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٞ مُّجِيبٞ Z	٦١	٦٧-٣١٨
قَالَ تَعَـالَىٰ:] قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱسۡتَعۡمَرَكُمۡ فِيهَا فَٱسۡتَغۡفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٞ مُّجِيبٞ Z	٦١	٣٢١

<table>
<tr><td>قَالَ تَعَالَى:] وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ
غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى
قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾ قَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ قَدْ à فِينَا â قَبْلَ هَٰذَآ ۖ أَتَنْهَىٰنَآ ç è é
ê ë وَإِنَّنَا لَفِى î ï تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾ ! " # $
% & ' ( ) * + , - . / ٱللَّهِ إِنْ
عَصَيْتُهُۥ ۖ فَمَا تَزِيدُونَنِى غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴿٦٣﴾ وَيَٰقَوْمِ : ; < = >
? @ A B C D E F G H I J
K L M N O P Q S T U V
W X Y Z [\ ] ^ _ ` a b
c d f g h i j k l m n o
p q r s t u v w x z { | }
~ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ Z</td><td>٦١-٦٨</td><td>٣٣١</td></tr>
<tr><td>قَالَ تَعَالَى:] قَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ قَدْ à فِينَا â قَبْلَ هَٰذَآ ۖ أَتَنْهَىٰنَآ ç è é
ê ë وَإِنَّنَا لَفِى î ï تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ Z</td><td>٦٢</td><td>٩١-٣١١-
٣٣٢</td></tr>
<tr><td>قَالَ تَعَالَى:] قَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ قَدْ à فِينَا â قَبْلَ هَٰذَآ ۖ Z</td><td>٦٢</td><td>٣٩٢</td></tr>
<tr><td>قَالَ تَعَالَى:] فِينَا â قَبْلَ هَٰذَآ ۖ أَتَنْهَىٰنَآ ç è é ê ë Z</td><td>٦٢</td><td>٣٣٣</td></tr>
<tr><td>قَالَ تَعَالَى:] وَإِنَّنَا لَفِى î ï تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ Z</td><td>٦٢</td><td>٣٣٣-٣٤٠</td></tr>
<tr><td>قَالَ تَعَالَى:] ! " # $ % & ' ( ) * +
, - . / ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥ ۖ فَمَا تَزِيدُونَنِى غَيْرَ تَخْسِيرٍ Z</td><td>٦٣</td><td>٢٣٤</td></tr>
<tr><td>قَالَ تَعَالَى:] # $ % & ' ( ) * + , Z</td><td>٦٣</td><td>٣٣٥</td></tr>
<tr><td>قَالَ تَعَالَى:] * + , - . / ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥ Z</td><td>٦٣</td><td>٢١١</td></tr>
</table>

قَالَ تَعَالَى: [وَيَـٰقَوْمِ : ; < = > ? @ A B C D E F G H I Z	٦٤	٣٣٦
قَالَ تَعَالَى: [? @ A B C Z	٦٤	٣٣٧
قَالَ تَعَالَى: [G H I Z	٦٤	٣٢٥-٣٣٩
قَالَ تَعَالَى: [وَيَـٰقَوْمِ : ; < = > ? @ A B C D E F G H I J K L M N O P Q S T U V Z	٦٤-٦٥	٤١٢
قَالَ تَعَالَى: [K L M N O P Q S T U V Z	٦٥	٣٣٨
قَالَ تَعَالَى: [M N O P Q S T U V Z	٦٥	٣٩٨
قَالَ تَعَالَى: [M N O P Q Z	٦٥	٣٢٥- ٣٤٠-٣٨٠
قَالَ تَعَالَى: [X Y Z [\ ] ^ _ Z	٦٦	٢٤٠
قَالَ تَعَالَى: [X Y Z [\ ] ^ _ ` a b c d f g h i j Z	٦٦	٣٣٠- ٣٤٠
قَالَ تَعَالَى: [f g h i j Z	٦٦	٣٤٢
قَالَ تَعَالَى: [X Y Z [\ ] ^ ... l m n o Z	٦٦-٦٧	٢٣٤
قَالَ تَعَالَى: [l m n o p q r s Z	٦٧	٣٢٧
قَالَ تَعَالَى: [l m n o p q r s t u v w x z { | } ~ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ Z	٦٧-٦٨	٣٢٦- ٣٤٣

<table>
<tr><td>قَالَ تَعَالَى:] z { | } ~ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ Z</td><td>٦٨</td><td>٣٤٤</td></tr>
<tr><td>قَالَ تَعَالَى:] وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ © قَالُواْ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ فَمَا لَبِثَ أَن ´ µ ¶ ¸ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُواْ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ : ; < = > ? @ A B C D E F G H I J K L M N O P Q R S T U W X Y Z [ ] ^ _ ` a Z</td><td>٦٩-٧٦</td><td>٣٤٨-
٣٤٩-
٣٥١</td></tr>
<tr><td>قَالَ تَعَالَى:] وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ © Z</td><td>٦٩</td><td>٣٤٥</td></tr>
<tr><td>قَالَ تَعَالَى:] قَالُواْ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ Z</td><td>٦٩</td><td>٣٤٦</td></tr>
<tr><td>قَالَ تَعَالَى:] فَمَا لَبِثَ أَن ´ µ ¶ Z</td><td>٦٩</td><td>٣٤٦</td></tr>
<tr><td>قَالَ تَعَالَى:] فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُواْ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ Z</td><td>٧٠</td><td>٣٥٤-
٣٥٥</td></tr>
<tr><td>قَالَ تَعَالَى:] فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً Z</td><td>٧٠</td><td>٣٤٧</td></tr>
<tr><td>] قَالُواْ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ Z</td><td>٧٠</td><td>٣٤٨</td></tr>
<tr><td>] وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ Z</td><td>٧١</td><td>٣٤٧</td></tr>
<tr><td>] وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ Z</td><td>٧١</td><td>٣٥٦</td></tr>
<tr><td>] فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ Z</td><td>٧١</td><td>٦٢</td></tr>
<tr><td>قَالَ تَعَالَى:] ! " # $ % & ' ( ) * +</td><td>٧٢</td><td>٣٤٧-
٣٥٧</td></tr>
</table>

Z - ,		
قَالَ تَعَالَى:] / أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ Z > = < ; :	٧٣	٣٤٨- ٣٥٨
قَالَ تَعَالَى:] رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ : ; < = > Z	٧٣	٦٢
قَالَ تَعَالَى:] رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ : ;Z	٧٣	٦٢
قَالَ تَعَالَى:] @ A B C D E F G H I J K L M N O P QZ	٧٤-٧٥	٦٧-٣٦٠
قَالَ تَعَالَى:] @ A B C D E F Z	٧٤	٣٥٢-٣٦٠
قَالَ تَعَالَى:] L M N O P Z	٧٥	٣٦١-٣٦٢
قَالَ تَعَالَى:] R S T U W X Y Z] [^ _ ` a Z	٧٦	٣٦٢
قَالَ تَعَالَى:] c d e f g h i j k l m n o Z	٧٧	٣٧١
قَالَ تَعَالَى:] c d e f g h i j k l m n o p q r s t u v w x y {	} ~ هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخۡزُونِ فِي © ۖ أَلَيۡسَ مِنكُمۡ رَجُلٞ رَّشِيدٞ ﴿٧٨﴾ Z	٧٧-٧٨	٦٧
قَالَ تَعَالَى:] c d e f g h i j k l m n o p q r s t u v w x y {	} ~ هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخۡزُونِ فِي © ۖ أَلَيۡسَ مِنكُمۡ رَجُلٞ رَّشِيدٞ ﴿٧٨﴾ قَالُواْ لَقَدۡ عَلِمۡتَ ´ µ ¶ ¸ مِنۡ حَقّٖ	٧٧-٨٠	٩١-٩٢

وَإِنَّكَ لَتَعۡلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾ قَالَ لَوۡ أَنَّ لِي بِكُمۡ قُوَّةً أَوۡ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكۡنٖ شَدِيدٖ Z		
قَالَ تَعَالَىٰ: [c d e f g h i j k l m n o p q r s t u v w x y ¦ { | } ~ هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخۡزُونِ فِي © ـ أَلَيۡسَ مِنكُمۡ رَجُلٞ رَّشِيدٞ ﴿٧٨﴾ قَالُواْ لَقَدۡ عَلِمۡتَ ´ µ ¶ ¸ مِنۡ حَقّٖ وَإِنَّكَ لَتَعۡلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾ قَالَ لَوۡ أَنَّ لِي بِكُمۡ قُوَّةً أَوۡ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكۡنٖ شَدِيدٖ ﴿٨٠﴾ قَالُواْ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيۡكَۖ فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ بِقِطۡعٖ مِّنَ ٱلَّيۡلِ وَلَا يَلۡتَفِتۡ مِنكُمۡ أَحَدٌ إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَۖ إِنَّهُۥ â مَآ أَصَابَهُمۡۚ إِنَّ ç è ¦ ê ë بِقَرِيبٖ ﴿٨١﴾ ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / رَبِّكَۖ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٖ Z	٨٣-٧٧	٣٦٥
قَالَ تَعَالَىٰ: [q r s t u v w x y ¦ { | } ~ هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخۡزُونِ فِي © ـ أَلَيۡسَ مِنكُمۡ رَجُلٞ رَّشِيدٞ Z	٧٨	٣٧٣
قَالَ تَعَالَىٰ: [| } ~ هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخۡزُونِ فِي © ـ أَلَيۡسَ مِنكُمۡ رَجُلٞ رَّشِيدٞ Z	٧٨	٣٧٤
قَالَ تَعَالَىٰ: [قَالُواْ لَقَدۡ عَلِمۡتَ ´ µ ¶ ¸ مِنۡ حَقّٖ وَإِنَّكَ لَتَعۡلَمُ مَا نُرِيدُ Z	٧٩	٣٧٥
قَالَ تَعَالَىٰ: [قَالَ لَوۡ أَنَّ لِي بِكُمۡ قُوَّةً أَوۡ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكۡنٖ شَدِيدٖ Z	٨٠	٣٧٦
قَالَ تَعَالَىٰ: [قَالُواْ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيۡكَۖ فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ Z	٨١	٩٢
قَالَ تَعَالَىٰ: [إِنَّ ç è ¦ ê ë بِقَرِيبٖ Z	٨١	٤١٢

قَالَ تَعَالَى:] يَـٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيۡكَ‌ۖ فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ بِقِطۡعٖ مِّنَ ٱلَّيۡلِ وَلَا يَلۡتَفِتۡ مِنكُمۡ أَحَدٌ إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَ‌ۖ إِنَّهُۥ â مَآ أَصَابَهُمۡ‌ۚ إِنَّ ç è ê ë بِقَرِيبٖ Z	٨١	٣٧٢-٣٧٧
قَالَ تَعَالَى:] وَلَا يَلۡتَفِتۡ مِنكُمۡ أَحَدٌ Z	٨١	٣٧٨
قَالَ تَعَالَى:] ê ë بِقَرِيبٖ Z	٨١	٣٨٠-٣٤٠
قَالَ تَعَالَى:] ! " # $ % & ' ( ) * + , Z	٨٢	٣٧٩
قَالَ تَعَالَى:] ! " # $ % & Z	٨٢	٢٤٠
قَالَ تَعَالَى:] ! " # $ % & ' ( ) * + , Z	٨٣-٨٢	٩٨
قَالَ تَعَالَى:] . / رَبِّكَ‌ۖ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ بِبَعِيدٖ Z	٨٣	٣٨١
قَالَ تَعَالَى:] وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ بِبَعِيدٖ Z	٨٣	٤١٢
قَالَ تَعَالَى:] وَإِلَىٰ : ; < > ? @ A B C D E F H I J K M N O P Q R S T U V W X Y Z [ ] ^ _ ` a b c d e f g h i j k l m o p q r Z	٨٦-٨٣	٣٨٦
قَالَ تَعَالَى:] وَإِلَىٰ : ; < > ? @ A B C D E F H I J K M N O P	٨٤	٦٧

<table>
<tr><td></td><td></td><td>Z U T S R Q</td></tr>
<tr><td>٣٨٥</td><td>٨٤-٨٥</td><td>قَالَ تَعَالَى: [H I J K M N O P
Y X W V U T S R Q
Z [Z</td></tr>
<tr><td>٣٨٨</td><td>٨٤-٩٥</td><td>قَالَ تَعَالَى:] وَإِلَىٰ : ; < : > ? @ A B C
P O N M K J I H F E D
Y X W V U T S R Q
c b a ` _ ^] [Z
p o m l k j i h g f e d
z y x w v u t s r q
} | { ~ تَفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَـٰٓؤُاْۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ
© ﴿٨٧﴾ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن ´ µ ¶
حَسَنٗاۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا
ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ ! "
$ % & ' ( ) * + , - . / قَوۡمَ
صَٰلِحٖۚ وَمَا قَوۡمُ لُوطٖ مِّنكُم بِبَعِيدٖ ﴿٨٩﴾ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ : ; <
K J I H G F E D C B A @ ? =
Y X W V U T R Q P N M L
e d b a ` _ ^] \ [Z
q o n m l k j i h g f
| { y x w v u t s r
} ~ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا شُعَيۡبٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ</td></tr>
</table>

© مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَـٰرِهِمْ جَـٰثِمِينَ ´ ‏µ ¶ ¸ فِيهَآ أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ Z		
قَالَ تَعَالَىٰ:] g h i j k l m o p q r Z	٨٦	٣٨٥
قَالَ تَعَالَىٰ:] t u v w x y z { | { ~ نَّفْعَلَ فِيٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَـٰٓؤُاْ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ © Z	٨٧	٩٢-٣٩٣
قَالَ تَعَالَىٰ:] v w x y z { | { ~ نَّفْعَلَ فِيٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَـٰٓؤُاْ Z	٨٧	٣٩٢
قَالَ تَعَالَىٰ:] قَالَ يَـٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن ´ µ ¶ ¸ حَسَنًا وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَـٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ Z	٨٨	٩٢-٣٩٣
قَالَ تَعَالَىٰ:] ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / قَوْمَ صَـٰلِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ Z	٨٩	٣٨٥-٣٩٤
قَالَ تَعَالَىٰ:] وَٱسْتَغْفِرُواْ : ; < = ? @ A B Z	٩٠	٣٩٥
قَالَ تَعَالَىٰ:] D E F G H I J K L M N P Q R T U V W Z	٩١	٣٩٥
قَالَ تَعَالَىٰ:] P Q R T U V W Z	٩١	٣٨٦
قَالَ تَعَالَىٰ:] T U V W Z	٩١	٣٩٥
قَالَ تَعَالَىٰ:] Y Z [\ ] ^ _ ` a b d e f g h Z	٩٢	٣٩٦

قَالَ تَعَالَى:] Y Z [\ ] ^ _ ` a b d e f g h i j k l m n o q r s t u v w x y {	} ~ Z	٩٢-٩٣	٣٨٦
قَالَ تَعَالَى:] j k l m n o q r s t u v w x y {	} ~ Z	٩٣	٣٩٣
قَالَ تَعَالَى:] وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا شُعَيۡبٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ © مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ Z	٩٤	٣٩٨
قَالَ تَعَالَى:] وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ Z	٩٤	٣٤٣
قَالَ تَعَالَى:] وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱتَّبَعُوٓاْ أَمۡرَ فِرۡعَوۡنَۖ وَمَآ أَمۡرُ فِرۡعَوۡنَ بِرَشِيدٖ ﴿٩٧﴾ ! " # $ % & ( ) * + , - . / وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ بِئۡسَ ٱلرِّفۡدُ ٱلۡمَرۡفُودُ Z	٩٦-٩٩	٤٠٠
قَالَ تَعَالَى:] ! " # $ % & ( ) * Z	٩٨	٣٠٥-٤٠٢
قَالَ تَعَالَى:] , - . / وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ بِئۡسَ ٱلرِّفۡدُ ٱلۡمَرۡفُودُ Z	٩٩	٤٠٠
قَالَ تَعَالَى:] وَأُتۡبِعُواْ فِي © لَعۡنَةٗ Z	٩٩	٣٠٥
قَالَ تَعَالَى:] ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ : ; < > ? @ Z	١٠٠	٨٨-١٢٢-٤٠٣
قَالَ تَعَالَى:] ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ : ; < > ? @ A B C D E F H I J K L M N O P Q R S T U V X Y Z [\	١٠٠-١٠٢	٩٩

Z i h g f d c b a ` _ ^]		
L K J I H F E D C B [\ [Z Y X V U T S R Q P O N M Z i h g f d c b a ` _ ^]	١٠١- ١٠٢	٨٨
L K J I H F E D C B [Z [Z Y X V U T S R Q P O N M	١٠١	٤٠٤
Z i h g f d c b a ` _ ^] [	١٠٢	٤٠٧
y x w v u t r q p o n m l k [Z { z	١٠٣	٤٠٨- ٤٣٥
[يَوۡمَ يَأۡتِ لَا تَكَلَّمُ نَفۡسٌ © بِإِذۡنِهِۦۚ فَمِنۡهُمۡ شَقِيّٞ وَسَعِيدٞ Z	١٠٥	٤١٠- ٤١١
[يَوۡمَ يَأۡتِ لَا تَكَلَّمُ نَفۡسٌ © بِإِذۡنِهِۦ Z	١٠٥	٤١٢
[فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ ´ µ ¶ ۦ زَفِيرٞ وَشَهِيقٌ Z	١٠٦-١٠٨	١١٣
[فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ ´ µ ¶ ۦ زَفِيرٞ وَشَهِيقٌ Z	١٠٦	٤١٣
[خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۚ Z	١٠٧	٤١٥
[وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي ٱلۡجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ Z	١٠٨	٤١٧
Z ' & % $ # " ! [	١٠٩	٩٣-٩٩- ٤١٧
Z ' & % $ # " ! [	١٠٩-١١٥	٨٠
[وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا : ; < = Z	١١٠-١١٥	٧٩
Z K J I H G [	١١٠	٤٢١
Z W V U T R Q P O N M [	١١١	٤٢١

[Y Z [\ ] ^ _ ` b c d e Z	١١٢	-٨٩-١١٣ ٤٢٢
[Y Z [\ ] ^ Z	١١٢	٣٥-٤٢٣
[Y Z [Z	١١٢	٣٦
[g h i j k l m n o p q r s t u v w Z	١١٣	-٨٩-١٠٤ ٤٢٣-٤٢٤
[y z { | } ~ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ © Z	١١٤	-٣٥-٤٢ -٤٣-٨٣ ٨٩-٤٢٦
[إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ © Z	١١٤	٦٠
[إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ Z	١١٤	٤٣
[y z { | Z	١١٤	٤٣
[وَٱصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١١٥﴾ ´ µ ¶ ¸ مِن قَبۡلِكُمۡ أُوْلُواْ بَقِيَّةٖ يَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡفَسَادِ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّنۡ أَنجَيۡنَا مِنۡهُمۡۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتۡرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجۡرِمِينَ ﴿١١٦﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ بِظُلۡمٖ وَأَهۡلُهَا مُصۡلِحُونَ Z	-١١٥ ١١٧	-٩٩ ١٠٠
[وَٱصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ Z	١١٥	-٦١-١٠٥ -١٠٨ ١١٣-٤٢٨
[´ µ ¶ ¸ مِن قَبۡلِكُمۡ أُوْلُواْ بَقِيَّةٖ يَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡفَسَادِ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّنۡ أَنجَيۡنَا مِنۡهُمۡ Z	١١٦	-١١٤ -٤٢٩ ٤٣٢-٤٣٦
[وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ بِظُلۡمٖ وَأَهۡلُهَا مُصۡلِحُونَ Z	١١٧	-٨٩-١٠٨ ٤٣١-٤٣٢
[! " # $ % & ') * + Z	١١٨	٦٢

٤٣٤	١١٨	Z ' & % $ # " ! [
-١٠٠-٩٣ ٤٣٢-١١١	-١١٨ ١١٩	. - , + *) ' & % $ # " ! [; : جَهَنَّمَ لَأَمۡلَأَنَّ رَبِّكَ كَلِمَةُ وَتَمَّتۡ خَلَقَهُمۡۗ وَلِذَٰلِكَ رَبُّكَۚ / Z = <
١١٢	١١٩	Z = < ; : جَهَنَّمَ لَأَمۡلَأَنَّ رَبِّكَ كَلِمَةُ وَتَمَّتۡ]
١١١	١١٩	Z خَلَقَهُمۡۗ وَلِذَٰلِكَ]
-٨٨-٣٣ -١٠٤-١٠٠ -١٠٩-١٠٨ ٤٣٦-١٢٢	١٢٠	L K J H G F E D C B A @ ? [Z Q P O N M
٦١-٦٠	١٢٠	Z H G F E D C B A @ ? [
٤٠٣	١٢٠	Z A @ ? [
٦٢	١٢١	Z Z Y X W V U T S R [
-١٠٠ ١١٠-١٠٤	-١٢١ ١٢٢	] \ [Z Y X W V U T S R [Z ^
٤٣٨-١١٢	١٢٢-١٢١	Z ^] \ [Z Y X W V [
٩٤	-١٢١ ١٢٣	] \ [Z Y X W V U T S R [h g f e d c b a ` _ ^ Z p o n m l j i
-١٠١-٦٤ ٤٣٩-١٠٧	١٢٣	i h g f e d c b a ` [Z p o n m l j
-١١٠ ١١٩-١١١	١٢٣	Z p o n m l j i h [
١١٥	١٢٣	Z p o n m l [

سورة يوسف		
Z w v u t r [	١	٥٥
[نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ © ٱلۡقُرۡءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ Z	٣	٥٧
Z { z y x w [	٢٠	٣٩٢
[ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ Z	٥١	٦١
Z . - , + *) (' & $ # " [	٥٣	٢٤٥
[قَالَ إِنِّيٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبۡتَئِسۡ بِمَا كَانُواْ à Z	٦٩	٢٣٣
[فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفۡسِهِۦ وَلَمۡ يُبۡدِهَا لَهُمۡ Z	٧٧	١٣٢
Z E D C B A @ ? > = [	٨٨	٦٠
Z } | { z y x w v u [	٩١	٦٠
[لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ © أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ Z	٩٢	٦١
Z) (' & % $ # " ! [	٩٦	٣٧١
[يَٰٓأَبَانَا ٱسۡتَغۡفِرۡ : ; < = > Z	٩٧	٢٤٥
Z J I H G F D C B A [	٩٨	٢٤٥
[رَبِّ قَدۡ ءَاتَيۡتَنِي مِنَ ´ Z	١٠١	٢٦٢
[وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ أَجۡمَعُوٓاْ أَمۡرَهُمۡ وَهُمۡ يَمۡكُرُونَ ﴿١٠٢﴾ Z	١٠٢	٥٧
[وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ Z	١٠٣	١٦٨
[حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ © وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا Z	١١٠	٦١
[لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ Z	١١١	٦٠
سورة الرعد		
Z u t s q p o n [	٢٤	٢٧١

<table dir="rtl">
<tr><th colspan="3">سورة إبراهيم</th></tr>
<tr><td>[t u v w x y z { | } ~ مُرِيبٍ Z</td><td>٩</td><td>٣٣٢</td></tr>
<tr><td>] وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ Z</td><td>١٧</td><td>٣٠٠</td></tr>
<tr><td>[n o p q r s t Z</td><td>٣٨</td><td>١٣٤</td></tr>
<tr><td>[v w x y z { | } ~ فِي ٱلسَّمَآءِ Z</td><td>٣٨</td><td>١٣٤</td></tr>
<tr><td>] رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡحِسَابُ Z</td><td>٤١</td><td>٢٦٨</td></tr>
<tr><td>] وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعۡمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَۚ Z</td><td>٤٢</td><td>١٤١-١٧٦</td></tr>
<tr><td>[H I J K L Z</td><td>٤٥</td><td>٢٣٣</td></tr>
<tr><td>[q r s t u v Z</td><td>٤٨</td><td>٤١٦</td></tr>
<tr><th colspan="3">سورة الحجر</th></tr>
<tr><td>[g h i j k l m Z</td><td>٩</td><td>٤-٢٥</td></tr>
<tr><td>] يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ Z</td><td>١١</td><td>٢٣٨</td></tr>
<tr><td>[j k l m n o p q r s t Z</td><td>٤٢</td><td>٢٧١</td></tr>
<tr><td>] إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ © ﴿٤٥﴾ ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ Z</td><td>٤٥-٤٧</td><td>٢٧١</td></tr>
<tr><td>] ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ Z</td><td>٤٦</td><td>٢٧١</td></tr>
<tr><td>] وَنَبِّئۡهُمۡ عَن ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ Z</td><td>٥١</td><td>٣٤٦</td></tr>
<tr><td>] وَنَبِّئۡهُمۡ عَن ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ Z</td><td>٥١-٥٨</td><td>٣٤٩</td></tr>
<tr><td>[! " # $ % & ' ( ) Z</td><td>٥٢</td><td>٣٤٦</td></tr>
<tr><td>] + , - . / بِغُلَٰمٍ Z</td><td>٥٣-٥٥</td><td>٣٤٨</td></tr>
<tr><td>] + , - . / بِغُلَٰمٍ عَلِيمٖ Z</td><td>٥٣</td><td>٣٥٧</td></tr>
<tr><td>[# $ % & Z</td><td>٥٧</td><td>٣٤٨</td></tr>
<tr><td>[M N O P Q _ Z</td><td>٥٧-٦٠</td><td>٣٦٦</td></tr>
</table>

Z m l k j i [	٧٧-٦١	
] وَجَآءَ أَهۡلُ ٱلۡمَدِينَةِ يَسۡتَبۡشِرُونَ Z	٦٧	٣٧٤
Z [Z Y X W [	٨٤-٨٠	٣١٩-٣١٢
Z ^] [	٨١	٣٢٣
Z h g f e d c [	٨٢	٣٢١
Z l k j [	٨٣	٣٢٧-٣١١
Z I H G F E D C [	٩٧	٢٦٢
سورة النحل		
} | { z y x w v u t s r q p [~ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا © (٦١) Z	٦١	١٧٦
] أَفَبِٱلۡبَٰطِلِ يُؤۡمِنُونَ وَبِنِعۡمَتِ ٱللَّهِ ç è Z	٧٢	١٦٣
Z F E D C B [	٨١	١٣٤
Z d c b a ` _ ^] [	٩٢-٩١	٤٣٤
+ *) (' & % $ # " ! [, - . / ٱللَّهِ وَلَكُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٌ Z	٩٤	٤٣٤
Z - , + *) (' & % $ # " [	١١١	٤١١-١٥٩
} | { [~ أَلۡسِنَتُكُمُ ٱلۡكَذِبَ Z	١١٦	١٧٣
سورة الإسراء		
] فَحَقَّ عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ Z	١٦	٢٤٢
Z + *) (' & % $ # " ! [	١٨	١٥٥
] رَّبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَا ´ µ Z	٢٥	٢٢٢
Z *) (' & % $ # " ! [	٥٩	٩١

[i j k l m o p q r Z	٨١	١٦٣
[{ ~ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا Z	٨٢	٣٣٦
سورة الكهف		
[فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن : ; < = > Z	٦	٧٦
[قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعۡتَنِي فَلَا تَسۡـَٔلۡنِي © شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ أُحۡدِثَ لَكَ مِنۡهُ ذِكۡرٗا Z	٧٠	٢٦٥
[A B C D E Z	١٠٠-١٠١	١٧٩
[G H I J K L M N 0 P QZ	١٠١	١٧٨
[N 0 P QZ	١٠١	١٧٩
[j k Z	١٠٤	١٨٠
[وَيَوۡمَ نُسَيِّرُ ٱلۡجِبَالَ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ بَارِزَةٗ Z	٤٧-٤٨	١٦٠
سورة مريم		
[ ) * + , - Z	٣	٢٥٩
سورة طه		
[n o p q Z	٧	١٣٣
[~ فِرۡعَوۡنُ فَجَمَعَ كَيۡدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ Z	٦٠	٣٦٣
[فَتَنَٰزَعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجۡوَىٰ Z	٦٢	١٣٢
[! " # Z	٩٩	٤٠٣
[رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا Z	١١٤	٢٦٠
[وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلتَّقۡوَىٰ Z	١٣٢	٢٧٧
سورة الأنبياء		
[! " # $ % & ' ( ) Z	٢٥	٣٨٢
[وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ وَإِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ Z	٣٥	١٤٩

Z u t s r q p o n m [	٥٢-٥١	٣٤٦
Z u t s r q p o n m [	٧٣-٥١	٣٤٩
] ¶ ¸ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ Z	٧١	٣٤٦
] وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ Z	٧٣-٧٢	٣٤٦
] وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا Z	٧٥-٧٤	٣٦٧
Z P O N M L [	٧٦	١٩٨
Z P O N M L [	٧٦	١٨٦
] وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ Z	٨٩	٢٥٩
Z ` _ ^ [	١٠٠-٩٧	٤١٤
] إِنَّ ´ µ ¶ ¸ ٱلْحُسْنَىٰٓ Z	١٠١	٢٤٢
سورة الحج		
] كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَا Z	٢٢	١٤٣
Z R Q P O [	٤٠	٣٤٢
سورة المؤمنون		
] وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ Z	٦-٥	١٩٩
Z N L K J I H [	٢٢-٢١	١٨٩
Z f e d c b a ` _ ^ [	٢٣	١٩٨
Z n m k j i h g f e d [	٢٣	١٨٩
Z ` _ ^ [	٢٩-٢٣	١٨٩
] وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً Z	٢٤	٢٠٧-٢٠٦
] رَبِّ ٱنصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾ Z	٢٦	-١٩٥ ٢٣٢-٢٠٣
] فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ Z	٢٧	٢٣٢

<table>
<tr><td>Z ' & % $ # " ! [</td><td>٢٩</td><td>١٩٨</td></tr>
<tr><td>] وَقُل رَّبِّ أَنزِلۡنِي مُنزَلٗا مُّبَارَكٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡمُنزِلِينَ Z</td><td>٢٩</td><td>٢٠١</td></tr>
<tr><td>Z T S R Q P O N M L K J I [</td><td>٣٢</td><td>٢٠٥</td></tr>
<tr><td>Z G F E D C B A @ [</td><td>٤٥</td><td>١٩٩</td></tr>
<tr><td>Z o n m l k j i h g f e [</td><td>٥٠</td><td>١٩٩</td></tr>
<tr><td>] أَيَحۡسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٖ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ Z</td><td>٥٥</td><td>١٩٩</td></tr>
<tr><td>Z ٱلۡأَوَّلِينَ ~ } | { z y x w v u t [</td><td>٨٣</td><td>١٩٩</td></tr>
<tr><td colspan="3">سورة النور</td></tr>
<tr><td>] ~ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلۡحَقَّ Z</td><td>٢٥</td><td>١٥٩</td></tr>
<tr><td>] وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ Z</td><td>٣١</td><td>٢٦٩</td></tr>
<tr><td>Z| % $ # " ! [</td><td>٥٤</td><td>١٢٨</td></tr>
<tr><td>Z B A @ ? > = < [</td><td>٥٥</td><td>٢٧٨</td></tr>
<tr><td colspan="3">سورة الفرقان</td></tr>
<tr><td>Z L K J [</td><td>٥</td><td>٥٨</td></tr>
<tr><td>] وَمَن يَظۡلِم مِّنكُمۡ نُذِقۡهُ عَذَابٗا كَبِيرٗا Z</td><td>١٩</td><td>١٤٤</td></tr>
<tr><td>Z i h g [</td><td>٢٨-٢٧</td><td>٢٦٢</td></tr>
<tr><td>Z x w v u t s [</td><td>٢٩-٢٨</td><td>٢٤٧</td></tr>
<tr><td>] وَقَالَ © يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا Z</td><td>٣٠</td><td>٢٦٢</td></tr>
<tr><td>Z | { z y x w v u t s [</td><td>٧٤</td><td>٢٦٠</td></tr>
<tr><td colspan="3">سورة الشعراء</td></tr>
<tr><td>Z s r q p o n m l [</td><td>١٠</td><td>٢٦٠</td></tr>
</table>

] رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ Z	٨٣	٢٦٠
Z F E D C B A [	٨٩	٣٦٤
] كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ Z	١٢٢-١٠٥	١٩١
] كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ (١٠٥) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ Z	١٠٦-١٠٥	١٩٨
] إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ Z	١٠٦	١٩٤
] أَلَا تَتَّقُونَ (١٠٦) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ Z	١٠٩-١٠٦	٢٠٢
] وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ Z	١٠٩	٢١٤
] ë لَكَ وَاتَّبَعَكَ î Z	١١١	-١٩٠ ١٩٧-١٩٥
] وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ Z	١١٤	٢١٥
Z C B A @ ? > = [	١١٦	١٩٥
Z I H G F E [	١١٨-١١٧	٢١٦
Z S R Q P O N M L K [	١١٨	١٩٦
Z S R Q P O [	١١٨	١٩٧
Z s r q [	١٢٣	٢٨٣
Z s r q [	١٢٧-١٢٣	٢٨٣
] µ ¶ ۦ ءَايَةً تَعْبَثُونَ Z	١٣٠-١٢٨	٢٨٦-٢٨٣
] وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ Z	١٣٠	٦٥
] إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ Z	١٣٥	٢٨٨
] قَالُوا سَوَاءٌ à أَوَعَظْتَ â لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ Z	١٣٨-١٣٦	٢٨٤
Z) (' [	١٣٨	٢٨٨
] + , . / ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ Z	١٤٠-١٣٩	٢٨٤

[> ? @ Z	١٤١	٣١٢
[> ? @ A B C D E F G H Z	١٤١-١٤٢	٣١٣
[> ? @ Z	١٤١-١٤٤	٣١٣
[فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ Z	١٤٤	٣١٩
[> ? @ Z	١٤١-١٥٨	٣١٤
[` a b c d Z	١٤٦-١٤٩	٣١٤-٣٢٢
[( ) * + Z	١٥٣	٢٠٩
[قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ © ٱلْمُسَحَّرِينَ Z	١٥٣-١٥٤	٣١٩
[مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ ´ µ ¶ ¸ Z	١٥٤	٣٢٤
[قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ Z	١٥٥	٣٢٤- ٣٢٥-٣٣٨
[وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ Z	١٥٦	٣٢٤-٣٢٥
[عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ Z	١٥٦	٣٣٨
[فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُواْ نَٰدِمِينَ Z	١٥٧	٣١٤
[فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ Z	١٥٨	٣٢٧
[' ( ) * + Z	١٨٥-١٨٦	٢٠٨
[وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ Z	١٨٦	٢٠٨
[فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا : ; < = > ? Z	١٨٧	٢٠٨
[A B C D E Z	١٨٨	٢٠٨
[! " # $ % & ' ( ) * + , - . / رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ : ; < = >	١٦٠- ١٦٤	٣٦٨

Z B A @ ?		
[! " # $ Z	١٧٥-١٦٠	٣٦٨
[كَذَّبَ أَصۡحَٰبُ ´ µ ¶ ¸ قَالَ لَهُمۡ شُعَيۡبٌ أَلَا تَتَّقُونَ Z	-١٧٦ ١٧٧	٣٨٩
[أَفَرَءَيۡتَ إِن مَّتَّعۡنَٰهُمۡ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ ! " # $ % & ' Z	٢٠٧-٢٠٥	١٢٦
سورة النمل		
[إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا : ; < = > ? @ Z	٥-٤	١٨٠
[G H I J K Z	٥	١٨٠
[! " # $ % & Z	١٤	٣٠٢
[% & ' (Z	٢٣	٤٣٧
[H I J K L Z	٢٥	١٣٣-١٣٢
[! " # $ % & ' ( ) Z	٤٥	٣١٥_٣١٩
[يَٰقَوۡمِ لِمَ تَسۡتَعۡجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبۡلَ ٱلۡحَسَنَةِ Z	٤٦	٣١٩
[= > ? @ A C D E F H I J K Z	٤٧	٣١٩
[M N O P Q Z	٤٩-٤٨	٣٢٠
[o p q r s Z	٥١	٣٢٧
[وَأَنجَيۡنَا ٱلَّذِينَ © وَكَانُواْ يَتَّقُونَ Z	٥٣	-٣٣٠ ٣٤١
[وَلُوطًا إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ أَتَأۡتُونَ ٱلۡفَٰحِشَةَ ´ µ Z	٥٨-٥٤	٣٦٨
[بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ Z	٥٥	٢١٦
سورة القصص		

[p q Z	٤٠	٣٠٦
] وَأُتۡبِعُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا لَعۡنَةٗ Z	٤٢	٣٠٦
] وَأُتۡبِعُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا لَعۡنَةٗ Z	٤٢	٤٠٣
[! " # $ % & Z	٤٥-٥٣	٣١٥
] وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبۡعَثَ Z	٥٩	٤٣١
[P Q R Z	٦٣	٢٤٢
] مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمۡ وَمَا يُعۡلِنُونَ Z	٦٩	١٣٤
] تِلۡكَ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ نَجۡعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فَسَادٗاۚ Z	٨٣	٢٧٨
سورة العنكبوت		
[! " # $ % & Z	١٥	٢٠٢
[x y z { | } ~ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ Z	٢٨-٣٥	٣٦٩
[! " # $ % Z	٣١	٣٤٥
[! " # $ % & ' ( ) * + , - . / ظَٰلِمِينَ Z	٣١	٣٤٨
[E F G H I Z	٣٣	٣٧١
[P Q R S U V W X Y Z	٣٣	٣٧١
[^ _ ` a b c d e f Z	٣٤	٣٨٢
[x y z { | } ~ تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ Z	٣٦	٣٨٨
[s t u v w x y z { | } ~ تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ Z	٣٦-٣٧	٣٨٨

] فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ © دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ Z	٣٧	٣٨٨
] وَكَانُواْ مُسْتَبْصِرِينَ Z	٣٨	١٥٢
Z t s r q p o [	٦٠	١٣٥
Z w v u [	٦٠	١٣٥
سورة لقمان		
Z مِّنْ خَرْدَلٍ ~ }	{ z y [	١٦	١٣٧
] إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ Z	١٨	١٤٧
Z نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ~ {	[	٢٤	٣٠٠
سورة السجدة		
Z ' & % $ # " ! [	٢١	١٤٣
سورة سبأ		
Z k j i h [	١٩	٢٦٠
Z إِبْلِيسُ ~ }	[	٢٠-٢١	٢٩٩
] وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ Z	٢١	٢٩٨
] وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ Z	٣٩	١٦٠
سورة فاطر		
] وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ : ; Z	٣٩	٣٣٦
Z إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ¸ ¶ µ ´ [	٤٣	١٤٣
سورة يس		
] وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ Z	٤٣-٤٤	٢١٢
] سَلَٰمٌ قَوْلًا : ; < Z	٥٨	٢٧١
سورة الصافات		

] وَلَقَدۡ نَادَىٰنَا نُوحٞ Z	٧٥	١٨٦
] وَلَقَدۡ نَادَىٰنَا نُوحٞ فَلَنِعۡمَ ٱلۡمُجِيبُونَ Z	٧٦-٧٥	١٩٨
] وَنَجَّيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلۡكَرۡبِ ٱلۡعَظِيمِ ٧٦ ! " # $ Z	٧٧-٧٦	٢٠٢
[> ? @ A Z	١٣٨-١٣٣	٣٧٠
[Q R S T U V X Y Z Z	١٣٨-١٣٧	٢٨٩
] ~ سَبَقَتۡ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلۡمُرۡسَلِينَ Z	١٧١	٢٤٢
] فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلۡمُنذَرِينَ Z	١٧٧	٣٤٤
سورة ص		
[E F G H J K L M Z	٥	٣٥٨
[B C D E F G H I J Z	٢٩	٤
[! " # $ % & ' ( ) * Z	٤٣	٢١٢
سورة الزمر		
] إِنَّمَا يُوَفَّى ç è é ê Z	١٠	١٤٨
] ´ µ ¶ ۥ عِوَجٖ لَّعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ Z	٢٨	٢١
[! " # $ % Z	٤٨	١٤٦
[E F G H I Z	٥١-٥٠	١٤٦
[J K L M N O Z	٥٠	١٤٦
[Q R S T Z	٥١	١٤٦
[V W X Y Z [\ ] Z	٥١	١٤٦
[µ ¶ ۥ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ Z	٧٣	٢٧١

سورة غافر		
] وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا وَسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ Z	٢٣-٢٤	٤٠١
Z f e d c b [	٤٥-٤٦	٣٩٩
Z a ` _ ^] \ [[	٥٥	٢٦٨
سورة فصلت		
Z & % $ # " ! [	١-٤	١٢٣
Z . - , + *) ([	٣	١١٩
] وَقَالُواْ قُلُوبُنَا : ; Z	٥	٤٣٨
] وَقَالُواْ قُلُوبُنَا : ; < = > Z	٥	١٣٤
] فَإِنْ أَعْرَضُواْ فَقُلْ : ; < = > ? @ Z	١٣	-٢٨٤ ٣١٦-٣٤٢
Z e d c b a ` _ ^] \ [Z [	١٥	٦٥-٢٨٧
Z e d c b [	١٥	٢٨٤
Z ` _ ^] \ [Z [	١٥-١٦	٢٨٤
Z | { z y x w v [	١٦	٢٨٨
] وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَـٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ Z	١٧	٣٢٨
] وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَـٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ´ Z	١٧	٣٢٠
] وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَـٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ´ µ ¶ ﮅ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ Z	١٧-١٨	٣١٦
] وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ Z	١٨	٣٣٠-٣٤١
Z ' & % $ # " ! [	٣٠-٣٢	١٢٣
Z Y X W V U T S R Q P O [	٤٩	١٤٥
Z b a ` _ ^] \ [[	٥٠	١٤٥

Z { z y x w v u t s [	٥٠	٣٠٠
سورة الشورى		
Z Y X W V U T S R [	٦	٢٩٩
] وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن © وَلَا نَصِيرٍ Z	٨	١٧٦
Z Q P O N M L K J [	١٣	٤٢٣
Z h g f e d c [	١٣	٤٢٣
Z T S R Q P O N M L K J [	١٣-١٤	٤٢٠
Z } | { z y x w v u t [	١٤	٤٢٣
] وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى لَّقُضِيَ © Z	١٤	٤٢٠
] فَٱدۡعُۖ وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡۖ Z	١٥	٤٢٤
] فَٱدۡعُۖ وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ Z	١٥	٤٢٣
] وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٖ Z	٢٩	١٣٦
Z C B A @ ? [	٤٦	١٧٧
سورة الزخرف		
] وَنَادَوۡاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقۡضِ عَلَيۡنَا : ; > = < Z	٧٧	٢٦٣
] وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَهُمۡ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ Z	٨٧	٢٩٢
] وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمٞ لَّا يُؤۡمِنُونَ Z	٨٨	٢٦٢
] يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمٞ لَّا يُؤۡمِنُونَ Z	٨٨	٢٦٣
] فَٱصۡفَحۡ عَنۡهُمۡ وَقُلۡ سَلَٰمٞۚ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ Z	٨٩	٢٦٣
سورة الدخان		
Z h g f e d c [	١٠	٤١١
] وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا لَٰعِبِينَ ٣٨ مَا خَلَقۡنَٰهُمَآ إِلَّا	٣٨-٣٩	١٣٩

بِٱلۡحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا Z à		
سورة الجاثية		
: ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةٗ فَمَن يَهۡدِيهِ مِنۢ بَعۡدِ ٱللَّهِۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ : Z	٢٣	١٥٢
[! " # $ % Z	٣٣	١٤٦
سورة الأحقاف		
[وَلِكُلّٖ دَرَجَٰتٞ مِّمَّا عَمِلُواْۖ وَلِيُوَفِّيَهُمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ Z	١٩	١٥٩
[وَيَوۡمَ يُعۡرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَذۡهَبۡتُمۡ طَيِّبَٰتِكُمۡ Z	٢٠	١٥٦
[" # $ % & ' (Z	٢١	٢٨٥
[أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ : Z	٢١	٢٨٥-٢١٦
[إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ : Z	٢١	٢٨٩
[< = > ? @ A B C D E F G Z	٢٢	٢٨٥
[A B C D E F G Z	٢٢	٢٨٩-٢٨٥
[ ] ^ _ Z	٢٤	٢٨٥
[W X Y Z [Z	٢٥-٢٤	٢٨٨
[l m n o p Z	٢٥	٢٨٥
[فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسۡتَعۡجِل لَّهُمۡ Z	٣٥	٦١
سورة محمد صلى الله عليه وسلم		
[وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ يَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمۡثَٰلَكُم Z	٣٨	١٢٨
سورة الفتح		
[وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ كَمَا تَوَلَّيۡتُم : ; < = > Z	١٦	١٢٧
سورة الحجرات		

الآية	رقمها	الصفحة
] يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ Z	١١	٢٣٨
سورة ق		
] . / عَجِيبٌ Z	٢	٣٥٨
] è é ë يَوۡمُ ٱلۡخُلُودِ Z	٣٤	٢٧١
Z S R Q P 0N M [	٣٩	١٤٠
سورة الذاريات		
] © أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ Z	٢٤	٣٤٦
] © أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ Z	٢٤-٣٢	٣٥٠
] © أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ Z	٢٤-٣٧	٣٧٠
] إِذۡ دَخَلُواْ عَلَيۡهِ ´ µ ، سَلَٰمٞ قَوۡمٞ مُّنكَرُونَ Z	٢٥	٣٤٦
] فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجۡلٖ سَمِينٖ Z	٢٦	٣٤٦-٣٥٣
] فَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةٗۖ قَالُواْ لَا تَخَفۡۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٖ Z	٢٨	٣٥٧
] فَأَقۡبَلَتِ ٱمۡرَأَتُهُۥ فِي صَرَّةٖ فَصَكَّتۡ وَجۡهَهَا وَقَالَتۡ عَجُوزٌ عَقِيمٞ Z	٢٩	٣٤٧
Z & % $ #[	٣١	٣٤٨
] / عَلَيۡهِمۡ حِجَارَةٗ مِّن طِينٖ Z	٣٣	٣٨٠
Z o n m l k j i [	٤١-٤٢	٢٨٩
] تَمَتَّعُواْ حَتَّىٰ حِينٖ Z	٤٣-٤٤	٣٢٠
] } | { ~ لَهُمۡ تَمَتَّعُواْ حَتَّىٰ حِينٖ Z	٤٣-٤٥	٣١٧
] فَعَتَوۡاْ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِمۡ Z	٤٤	٣٢٩
] فَعَتَوۡاْ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِمۡ © ٱلصَّٰعِقَةُ وَهُمۡ يَنظُرُونَ Z	٤٤-٤٥	٣٢٨
] فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ Z	٥٠	١٢٤

] وَلَا à مَعَ â إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي ç è é ê Z	٥١	١٢٤
] ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / بِهِۦۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ Z	٥٢-٥٣	٩٢
] C D E F G H Z	٥٦	١١١
سورة الطور		
] ~ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ Z	٢٤	١٣٤
سورة القمر		
] كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُواْ : ; < = Z	٩-١٦	١٩٢
] { ~ عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ Z	١٩-٢١	٢٨٩
] كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ Z	٢٣	٣١٧
] كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ Z	٢٣-٣١	٣١٧
] سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ Z	٢٦	٣١٧
] إِنَّا مُرْسِلُواْ ٱلنَّاقَةِ à لَّهُمْ â وَٱصْطَبِرْ Z	٢٧	٣٢٤
] ! " # $ % ' ( ) Z	٢٨	٣٢٤
] + , - . Z	٢٩	٣٣٩
] إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَٰحِدَةً : ; < Z	٣١	٣٢٨
] F G H I Z	٣٣-٤٠	٣٧١
] O P Q S T Z	٣٤	٣٧٨
] o p q r s t u v w Z	٣٨-٣٩	١٤٤
] u v w Z	٣٩	١٤٤
] يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ Z	٤٨	٤٢٥
سورة الواقعة		

Z (' & % $ # " ! [	٧٧-٧٨	١٣٤
سورة الحديد		
] وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ Z	٢٣	١٤٧
Z > = < ; [	٢٥	٣٤٢
سورة الممتحنة		
Z E D C [	١	١٣٢
Z K J I H G F E D C [	١	١٣٣
سورة التغابن		
] يَوۡمَ يَجۡمَعُكُمۡ لِيَوۡمِ ٱلۡجَمۡعِۖ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلتَّغَابُنِۗ Z	٩	٤٠٩
سورة الطلاق		
Z) (' & % $ # " ! [	١	٢٧٣
سورة التحريم		
Z F E D C B A @ [	٣	١٣٢
سورة الحاقة		
] µ ¶ ۥ بِرِيحٖ صَرۡصَرٍ عَاتِيَةٖ Z	٦-٨	٢٨٩
] فَهَلۡ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٖ Z	٨	٢٨٩
سورة نوح عليه السلام		
Z] \ [Z Y X W V U T S R Q P [	١	١٩٢
Z j i h g f e d c b a ` _ [	٢-٣	٢٠٥
] قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوۡتُ قَوۡمِي لَيۡلٗا وَنَهَارٗا Z	٥-٧	٢٢٤
Z o n m l k j i h [	٢١	٣٣٦
] مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمۡ أُغۡرِقُواْ فَأُدۡخِلُواْ نَارٗا Z	٢٥	٢٣٩

] رَّبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيۡتِيَ مُؤۡمِنٗا وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ Z	٢٨	١٩٤
] رَّبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ Z	٢٨	٢٦٨
سورة الجن		
ZNML K J I H G [	١٨	٤٣٧
سورة المدثر		
Z > = < ; : [	٢٤	١٤١
سورة النازعات		
] هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿١٥﴾ ! " # $ % & Z	١٥-١٦	٢٦٠
] | } ~ ٱلۡكُبۡرَىٰ Z	٣٤	٣٦٣
سورة المطففين		
] وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمۡ يَتَغَامَزُونَ Z	٣٠	٢٣٦
] فَٱلۡيَوۡمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ç è Z	٣٤	٢٣٨
سورة الغاشية		
] إِنَّ إِلَيۡنَآ إِيَابَهُمۡ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾ Z	٢٦	٢٢٩
سورة الفجر		
] أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ Z	٦	٢٣٣
Z D C B A @ ? > = < ; [	٧-٨	٦٩-٢٩٠
Z J I H G F [	٩	٣٢٢
Z] \ [Z Y [	١٣	٣١٧
سورة الشمس		
Z X W V [	١٣	٣١٨
Z [Z [	١٤	٣٣٩

Z ` _ ^] \ [Z [	١٤	٣٢٨
Z ` _ ^] \ [	١٤	٣١٨
سورة الفيل		
Z c b a ` _ ^] [	١	٢٣٣
سورة النصر		
Z W V U T R Q P O [	٣	٢٦٨

الآثار النبوية

م	طرف الحديث	الصفحة
١	أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ رَاكِبٌ فَوَضَعْتُ يَدِي عَلَى قَدَمِهِ	٢٩
٢	أعطيتُ مكانَ التوراةِ السبعَ الطِّوالَ	٣٤
٣	اقْرَءُوا سُورَةَ هُودٍ يَوْمَ الْجُمُعَةِ	٣٨
٤	إن الكافر إذا عمل حسنة أطعم بها طعمة في الدنيا	١٥٩
٥	أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ نَزَلَ إِلَى الْعِبَادِ	١٥٧
٦	إن الله لا يظلم مؤمناً حسنة يعطي بها في الدنيا ويجزى بها في الآخرة	١٥٨
٧	إن اللَّهَ واضعٌ يَدَه لِمسيءِ الليلِ لِيَتوبَ بالنهار	١٨
٨	إنّ الملائكة تَضَع أجْنِحَتَها لطالِب العلم	١٨
٩	إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَأَنَّهُ قَاعِدٌ تَحْتَ جَبَلٍ	١٤٦
١٠	أن رجلاً أصاب من امرأة قُبلة	٣٥
١١	إِنَّ كَذِبًا عَلَيَّ لَيْسَ كَكَذِبٍ عَلَى أَحَدٍ	١٧٢
١٢	إنما الأعمال بالنيات	١٥٨
١٣	أنه كان يستغفر في المجلس الواحد مائة مرة	٢٦٩
١٤	بَعْلُهَا مُغَيَّبٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ	٨٤
١٥	توَضَّأْ وضوءً حَسَنًا ثُمَّ قُمْ فَصَلِّ	٨٤
١٦	جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي عَالَجْتُ امْرَأَةً	٤٣
١٧	خُنْتَ رَجُلًا غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ	٨٣
١٨	رأيت رسول الله ﷺ في منامي، فقرأت عليه سورة هود عليه السلام	٣٧
١٩	رَحِمَ اللَّهُ مُوسَى قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ	٨٠
٢٠	شَرُّ الناس في الفتْنة الراكِبُ المُوضِع	١٨
٢١	شيبتني هود ،والواقعة، والمرسلات	٢٩-٣٣

م	طرف الحديث	الصفحة
٢٢	شيبتني هود و أخواتها قبل المشيب	٢٩-٣٣
٢٣	صَعِدَ النَّبِيُّ ﷺ الصَّفَا ذَاتَ يَوْمٍ فَقَالَ يَا صَبَاحَاهْ	١٢٤
٢٤	ضعوها في مكان كذا من سورة كذا	٢٤
٢٥	عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ	١٤٤
٢٦	قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قُلْ لِي فِي الإِسْلَامِ قَوْلاً لاَ أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا بَعْدَكَ.	٣٦
٢٧	كلا الفريقين سيرجعون إلى ربهم	٢٢٩
٢٨	لا تبكي يا بنية، فإن الله مانع أباك	٧٥
٢٩	لَا، بَلْ لِلنَّاسِ كَافَّةً	٨٣
٣٠	لقيت من قومك ما لقيت	٧٦
٣١	لِمَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ أُمَّتِي	٨٣
٣٢	لو أنكم توكلتم على الله حق توكله	١٣٧
٣٣	مَا نَقَّصَ مَالَ عَبْدٍ صَدَقَةٌ	١٦٠
٣٤	من أنْظَرَ مُعْسِراً أو وَضَع له	١٩
٣٥	مَن رَفَع السلاحَ ثم وَضَعَه فدَمُه هَدَرٌ	١٨
٣٦	مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُ رَأْيُ عَيْنٍ	٢٩
٣٧	هل كنت تدعو بشيء أو تسأله إياه	٢٦٧
٣٨	وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّد بِيَدِه، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ	١٦٨
٣٩	أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِابْنِ مَرْيَمَ	٣١٣
٤٠	قَدْ عَلِمْنَا السَّلَامَ عَلَيْكَ، فَكَيْفَ الصَّلَاةُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟	٣٥٩
٤١	الصَّلَاةُ الْخَمْسُ وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ	٤٢٦

فهرس الآثار

م	طرف الأثر	الصفحة
٤٢	أتقتلون رجلا أن يقول: ربي الله	٧٤
٤٣	إن رسول الله ﷺ كان مما يأتي عليه من الزمان	٤٩
٤٤	أن معاوية رضي الله عنه قال لرجل من أهل اليمن: ما أجهل قومك	٢٦٠
٤٥	جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي قَدْ أَصَبْتُ مِنِ امْرَأَةٍ	٨٥
٤٦	فاتحة التوراة فاتحة سورة الانعام ، وخاتمة التوراة خاتمة سورة هود	٣٠-٣٥
٤٧	فإذا نزلت: بسم الله الرحمن الرحيم، علم أن السورة قد انقضت	٥٠
٤٨	فقبض رسول الله ﷺ و لم يبين لنا أنها منها	٤٩
٤٩	فمن ثم قرنت بينهما و لم أكتب بينهما سطر: بسم الله الرحمن الرحيم	٤٩
٥٠	قَدْ فُعِلَ بِهَؤُلَاءِ هَذَا فَكَيْفَ بِمَنْ بَقِيَ مِنَ النَّاسِ ؟	١٥٧
٥١	قلت لعثمان بن عفان: ما حملكم على أن عمدتم إلى الأنفال وهي من المثاني	٤٦
٥٢	كان النبي ﷺ لا يعلم ختم السورة حتى يترل: بسم الله الرحمن الرحيم	٥٠
٥٣	لما نثر ذلك السفيه على رأس رسول الله ﷺ ذلك التراب	٧٤
٥٤	ما عميت قلوبهم عن معرفة الله تعالى	٢٠٠
٥٥	مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُ رَأْيُ عَيْنٍ فَلْيَقْرَأْ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ وَإِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ وَحَسِبْتُ أَنَّهُ قَالَ وَسُورَةَ هُودٍ	٣٣

فهرس الأعلام

م	العلم	الصفحة
٥٦	إبراهيم بن عمر بن حسن بن الرُّبَاط	١٢١
٥٧	ابن الزبير أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي العاصمي الغرناطي	٥١
٥٨	أَبُو إِسْحَاقَ، إِبْرَاهِيْمُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ السَّرِيِّ الزَّجَّاجُ، البَغْدَادِيُّ	٢٠٠
٥٩	أبو الحَسَنِ مُقَاتِلُ بنُ سُلَيْمَانَ البَلْخِيُّ	٤٣
٦٠	أبو الْيُسْرْ: كعب بْن عَمْرو بْن عباد بْن عَمْرو بْن سواد بْن غنم الْأَنْصَارِيّ	٤٣
٦١	أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزالي	٣٧
٦٢	أَبُو عَبْدِ اللهِ إِبْرَاهِيْمُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ عَرَفَة الوَاسِطِيُّ، المَشْهُوْرُ بِنفْطَوَيْه	٢٠٠
٦٣	أحمد ابن الحُسَيْنِ بنِ عَلِيِّ بنِ مُوْسَى الخُسْرَوْ جِرديُّ الخُرَاسَانِيُّ.	٣٤
٦٤	أَحْمد بن مُحَمَّد بن مَنْصُور الجذامي الإسْكَنْدراني	٢٤٩
٦٥	الْأَخْنَسِ بْنِ شُرَيْقٍ	٨١
٦٦	الإمام محمد الطاهر بن عاشور	٤٤
٦٧	أنس بن مالك الأنصاري الخزرجي	١٥٨
٦٨	جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الأنصاري	٤٢
٦٩	الحسن بن أبي الحسن البصري	٤٢
٧٠	الحسين بن محمد بن المفضل، أبو القاسم الأصفهاني	١٣٣
٧١	الدوسي الأزدي	١٧٨
٧٢	ربيعة بن أبي عبدالرحمن فروخ	٤٧
٧٣	زيد بن ثابت بن الضحاك	٥١
٧٤	السري: أَبُو الحَسَنِ البَغْدَادِيُّ	٣٥
٧٥	سعيد بن جبير الأسدي	٢٤٦
٧٦	سفيان بْن عَبْد اللَّهِ بْن أَبِي ربيعة الثقفي الطائفي رضي الله عنه،	٣٦

م	العلم	الصفحة
٧٧	الضحاك بن مزاحم الهلالي	١٤٢
٧٨	الطبري أبو جعفر محمّد بن جرير بن يزيد الطبريّ	١١٧
٧٩	عبد العظيم بن الواحد بن ظافر ابن أبي الإصبع العدواني، البغدادي	٣٩
٨٠	عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ الْمَخْزُومِيُّ	٨٢
٨١	عبد الله بن العباس القرشي الهاشمي	١٥٥
٨٢	عَبْدُ اللهِ بنُ المُقَفَّعِ	٢٥٠
٨٣	عبد الله بن سلام ابن الحارث	١٧٠
٨٤	عبدالله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي ﷺ،	٣٥
٨٥	عُرْوَة بْن الزُّبَيْر بْن العوام أَبُو عَبْد اللَّه الْقُرَشِيّ	٧٤
٨٦	عطاء بن أبي رباح	٤٢
٨٧	عقبة بن عامر الجهني	٢٩
٨٨	عكرمة أبو عبد الله مولى ابن عباس	٤٢
٨٩	عَليّ بن مُحَمَّد بن عَليّ ،الإِمَام شمس الْإِسْلَام أَبُو الْحسن إِلْكيَا الهراسي	١٥٨
٩٠	قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز السدوسي	٤٢
٩١	الكرماني	٤٧
٩٢	كَعْبُ بنُ مَاتِعٍ الحِمْيَرِيُّ، اليَمَانِيُّ	٣٠
٩٣	لُقْمَانُ بْنُ عَنْقَاءَ بْنِ سَدُونَ	١٣٦
٩٤	مجاهد بن جبر المكي	٤٢
٩٥	مجاهد بن جبر بن السائب المخزومي	١٣٤
٩٦	محمد الأمين بن محمد المختار، بن عبد القادر الجكني الشنقيطي،	١٥٨
٩٧	مُحَمَّد بْن أَحْمَد بن أبي بكر بن فَرْح، أبو عَبْد اللَّه الأَنْصَارِيّ، الخَزْرَجيّ، القُرْطُبيّ	٣٣
٩٨	مُحَمَّدُ بنُ إِسْحَاقَ بنِ يَسَارِ بن خيار المَدَنِيُّ،	٧٣
٩٩	محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربيّ المعافريّ الأندلسيّ الإشبيلي	٦

م	العلم	الصفحة
١٠٠	محمد بن عبد الله بن بهادر أبو عبد الله المصري الزركشيّ	٢٠
١٠١	محمد بن علي بن إسماعيل القفال الكبير الشاشي	١٤١
١٠٢	محمد عبد لله دراز	٥٧
١٠٣	محمود بن عمر بن محمد بن عمر العلامة أبو القاسم الزمخشري	١٣٢
١٠٤	النحّاس: أبو جعفر، أحمد بن محمّد بن إسماعيل المصري، النحوي.	٣٠
١٠٥	يزيد بن أبان الرقاشي	٣٧

فهرس الشواهد الشعرية

م	البيت	الصفحة
١	ألا أيها الليل الطويل ألا انجل *** بصبح وما الإصباح منك بأمثل	٢٥٣
٢	أو كان بين طباق السبع مسلكها *** لسهل الله في المرقى مراقيها	١٣٦
٣	.بموت من نصره قد كان ديدنه *** بالحال والمال والانعام بالنعم	٧٥
٤	حتى أتى العاشر من عمر دعوته *** جاء القضاء .بموت العم بالسقم	٧٥
	حتى تنال الذي في اللوح خط لها *** إن لم تنله وإلا سوف يأتيها	١٣٦
	رزق لنفسٍ براها الله لانفلقت *** حتى تؤدي إليها كل ما فيها	١٣٦
٦	فصار عامه عام الحزن والأسف *** من هدم ركنين من أركان ذي الكرم	٧٦
٧	فوجّه الوجه للطائف كان بها *** أرحامه بغية الايمان والسلم	٧٦
٨	لكنهم لم يجيبوا بل أبو و عصوا *** وخالفوه بأصناف من النقم	٧٦
٩	لو كان في صخرة في البحر راسيةً *** صماً ململمة ملساً نواحيها	١٣٦
١٠	وبعد موته أياماً مخمسة *** ماتت خديجة ذات العقل والحكم	٧٥
١١	وَالنَّاسُ فِي قَسْمِ الْمَنِيَّةِ بَيْنَهُمْ *** كَالزَّرْعِ مِنْهُ قَائِمٌ وَحَصِيدُ	٤١٢

المصادر والمراجع

١- الإتقان في علوم القرآن: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ): تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م.

٢- الأثر في شعب الإيمان

٣- الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ): ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (المتوفى: ٧٣٩ هـ): حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط. الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

٤- إحياء علوم الدين: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ). دار المعرفة – بيروت.

٥- الأدب المفرد: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: ٢٥٦هـ):

٦- آراء المستشرقين حول القرآن وتفسيره.

٧- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ). دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٨- أسباب نزول القرآن: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ): تحقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان. دار الإصلاح – الدمام،الطبعة: الثانية، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.

٩- الاستيعاب في معرفة الأصحاب: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ): تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل،

بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.
١٠- أسد الغابة: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (المتوفى: ٦٣٠هـ). دار الفكر – بيروت، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
١١- أسرار البيان في التعبير القرآني: فاضل بن صالح بن مهدي بن خليل البدري السامرائي.
١٢- أسرار التكرار في القرآن المسمى البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان: محمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم برهان الدين الكرماني، ويعرف بتاج القراء (المتوفى: نحو ٥٠٥هـ): تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، مراجعة وتعليق: أحمد عبد التواب عوض. دار الفضيلة.
١٣- أسرار ترتيب القرآن: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ). دار الفضيلة للنشر والتوزيع.
١٤- أسماء وصفات الله تعالى المركبة في القرآن لأبي إسلام محمد بن علي
١٥- الإصابة في تمييز الصحابة: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ): تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض. دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٥ هـ.
١٦- الأصول في النحو، لابن السراج
١٧- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: مصطفى صادق الرافعي. دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الثامنة - ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥ م.
١٨- إعراب القرآن وبيانه: محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (المتوفى : ١٤٠٣هـ). دار الإرشاد للشئون الجامعية - حمص - سورية ، (دار اليمامة - دمشق - بيروت) ، (دار ابن كثير - دمشق - بيروت)، الطبعة : الرابعة ، ١٤١٥ هـ.
١٩- الأعلام: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ). دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر - أيار / مايو ٢٠٠٢ م.
٢٠- الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب: سعد الملك، أبو نصر علي بن هبة الله بن جعفر بن ماكولا (المتوفى: ٤٧٥هـ). دار الكتب

العلمية -بيروت-لبنان، الطبعة: الطبعة الأولى ١٤١١هـ-١٩٩٠م.

٢١- إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب:

٢٢- الإنصاف للباقلاني

٢٣- أنموذج جليل في أسئلة وأجوبة عن غرائب آي التنزيل: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ): تحقيق: د. عبد الرحمن بن إبراهيم المطرودى. الناشر: دار عالم الكتب المملكة العربية السعودية – الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٣ هـ، ١٩٩١ م.

٢٤- أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ): تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي. دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ.

٢٥- إيجاز البيان عن معاني القرآن: محمود بن أبى الحسن بن الحسين النيسابوري أبو القاسم، نجم الدين (المتوفى: نحو ٥٥٠هـ): المحقق: الدكتور حنيف بن حسن القاسمي. دار الغرب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٥ هـ.

٢٦- أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير: جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري. مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

٢٧- الإيضاح في القراءات

٢٨- البحر المحيط في التفسير: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ): تحقيق: صدقي محمد جميل. دار الفكر – بيروت، الطبعة: ١٤٢٠ هـ.

٢٩- البداية والنهاية: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ).، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م.

٣٠- بديع القرآن: ابن أبي الإصبع المصري: تحقيق: حنفي محمد شرف، نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٥٧م

٣١- البرهان في ترتيب سور القرآن

٣٢- البرهان في علوم القرآن: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ):تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧م

٣٣- البرهان في علوم القرآن: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ): المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم. دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧م.

٣٤- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ): المحقق: محمد علي النجار. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، عام النشر: جـ ١، ٢، ٣: ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م، جـ ٤، ٥: ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م، جـ ٦: ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م.

٣٥- بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة: عبد المتعال الصعيدي (المتوفى: ١٣٩١هـ). مكتبة الآداب، الطبعة: السابعة عشر: ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

٣٦- بلاغة الكلمة في التعبير القرآني.

٣٧- تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ): تحقيق: الدكتور بشار عوّاد معروف. دار الغرب الإسلامي، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٣ م.

٣٨- تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ): (صلة تاريخ الطبري لعريب بن سعد القرطبي، المتوفى: ٣٦٩هـ). الناشر: دار التراث – بيروت، الطبعة: الثانية - ١٣٨٧ هـ.

٣٩- التاريخ الكبير: الحافظ النقاد شيخ الإسلام جبل الحفظ وإمام الدنيا أبي عبد الله اسماعيل بن إبراهيم الجعفي البخاري المتوفي سنة ٢٥٦ هجرية - ٨٦٩ ميلادية. طبع تحت مراقبة الدكتور محمد عبد المعيد خان.

٤٠- تاريخ بغداد: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي

(المتوفى: ٤٦٣هـ): دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا. دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ.

٤١- تأويل مشكل القرآن: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ): المحقق: إبراهيم شمس الدين. الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

٤٢- التبيان في تفسير غريب القرآن: أحمد بن محمد بن عماد الدين بن علي، أبو العباس، شهاب الدين، ابن الهائم (المتوفى: ٨١٥هـ): المحقق: د ضاحي عبد الباقي محمد. دار الغرب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٣ هـ.

٤٣- التجريد للخطيب البغدادي.

٤٤- التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ). الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ ه.

٤٥- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي: أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفورى (المتوفى: ١٣٥٣هـ): تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. دار الكتب العلمية – بيروت. دار البشائر الإسلامية، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٩ – ١٩٨٩.

٤٦- تذكرة الحفاظ: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ). دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

٤٧- التسهيل لعلوم التزيل: أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي (المتوفى: ٧٤١هـ): المحقق: الدكتور عبد الله الخالدي. شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٦ هـ.

٤٨- التصوير الفني في القرآن

٤٩- التعليق المغني على الدار قطني

٥٠- تفسير ابن باديس ((في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير)): عبد الحميد محمد بن باديس الصنهاجي (المتوفى: ١٣٥٩هـ): المحقق: علق عليه وخرج آياته وأحاديثه أحمد شمس الدين. دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

٥١- تفسير ابن فورك من أول سورة الأحزاب - آخر سورة غافر: الإمام العلَّامة / أبو بكر محمد بن الحسن ابن فورك (المتوفى ٤٠٦): دراسة وتحقيق: عاطف بن كامل بن صالح بخاري (ماجستير). جامعة أم القرى - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى: ١٤٣٠ - ٢٠٠٩ م.

٥٢- تفسير ابن فورك من أول سورة المؤمنون - آخر سورة السجدة: محمد بن الحسن بن فورك الأنصاري الأصبهاني، أبو بكر (المتوفى: ٤٠٦هـ): دراسة وتحقيق: علال عبد القادر بندويش (ماجستير). جامعة أم القرى - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى: ١٤٣٠ - ٢٠٠٩ م.

٥٣- تفسير الإمام ابن عرفة: محمد بن محمد ابن عرفة الورغمي التونسي المالكي، أبو عبد الله (المتوفى: ٨٠٣هـ): المحقق: د. حسن المناعي. مركز البحوث بالكلية الزيتونية – تونس، الطبعة: الأولى، ١٩٨٦ م.

٥٤- تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن: محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الحسني الحسيني الإِيجي الشافعيّ (المتوفى: ٩٠٥هـ). دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م.

٥٥- التفسير البياني للقرآن الكريم: عائشة محمد علي عبد الرحمن المعروفة ببنت الشاطئ (المتوفى: ١٤١٩هـ). دار المعارف – القاهرة، الطبعة: السابعة.

٥٦- تفسير الجلالين: جلال الدين محمد بن أحمد المحلي (المتوفى: ٨٦٤هـ) وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ). دار الحديث – القاهرة. الطبعة: الأولى.

٥٧- تفسير السمرقندي بحر العلوم: أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (المتوفى: ٣٧٣هـ)

٥٨- تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار): محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: ١٣٥٤هـ). الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠ م.

٥٩- تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم: أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر

التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧هـ): تحقيق: أسعد محمد الطيب. مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثالثة - ١٤١٩ هـ.

٦٠- تفسير القرآن العظيم: المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ): تحقيق: سامي بن محمد سلامة. دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م.

٦١- تفسير القرآن: أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: ٤٨٩هـ): تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم. الناشر: دار الوطن، الرياض – السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

٦٢- التفسير القرآني للقرآن

٦٣- تفسير المراغي: أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: ١٣٧١هـ). شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الأولى، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م.

٦٤- تفسير عبد الرزاق: أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (المتوفى: ٢١١هـ): دراسة وتحقيق: د. محمود محمد عبده. دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، سنة ١٤١٩هـ.

٦٥- تفسير مجاهد: أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي (المتوفى: ١٠٤هـ): المحقق: الدكتور محمد عبد السلام أبو النيل. دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م.

٦٦- تفسير مقاتل بن سليمان: أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى (المتوفى: ١٥٠هـ): المحقق: عبد الله محمود شحاته. دار إحياء التراث – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٣ ه.

٦٧- تقريب التهذيب: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ): تحقيق: محمد عوامة. دار الرشيد – سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ – ١٩٨٦.

٦٨- تلخيص البيان فى مجازات القرآن للشريف الرضى

٦٩- تنقيح التحقيق في أحاديث التعليق: شمس الدين محمد بن أحمد بن عبد الهادي الحنبلي (المتوفى : ٧٤٤هـ): تحقيق : سامي بن محمد بن جاد الله وعبد العزيز بن ناصر الخباني. أضواء السلف – الرياض، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧ م.

٧٠- تهذيب التهذيب: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ). مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، الطبعة الأولى، ١٣٢٦هـ.

٧١- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ): المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق. مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م.

٧٢- التيسير في أحاديث التفسير: محمد المكي الناصري (المتوفى: ١٤١٤هـ). دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.

٧٣- جامع البيان في تأويل القرآن: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ): المحقق: أحمد محمد شاكر. الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

٧٤- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي: المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر. دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

٧٥- جامع بيان العلم وفضله: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ): تحقيق: أبي الأشبال الزهيري. دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م.

٧٦- الجامع لأحكام القرآن

٧٧- الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ): تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش. الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م.

٧٨- جمهرة أشعار العرب: أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي (المتوفى: ١٧٠هـ): حققه وضبطه وزاد في شرحه: علي محمد البجادي. نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.

٧٩- جمهرة اللغة: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (المتوفى: ٣٢١هـ): تحقيق: رمزي منير بعلبكي. دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٨٧م.

٨٠- حاشية ابن المنير على الكشاف

٨١- حَاشِيةُ الشِّهَابِ عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوِي، الْمُسَمَّاة: عِنَايةُ القَاضِى وكِفَايةُ الرَّاضِى عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوي: شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي (المتوفى: ١٠٦٩هـ): دار النشر: دار صادر – بيروت.

٨٢- حاشية الصبان على شرح الأشمونى لألفية ابن مالك: أبو العرفان محمد بن علي الصبان الشافعي (المتوفى: ١٢٠٦هـ). دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، الطبعة: الأولى ١٤١٧ هـ -١٩٩٧م.

٨٣- الحجة للقراء السبعة: الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسيّ الأصل، أبو علي (المتوفى: ٣٧٧هـ): المحقق: بدر الدين قهوجي - بشير جويجابي. راجعه ودققه: عبد العزيز رباح - أحمد يوسف الدقاق. الناشر: دار المأمون للتراث - دمشق / بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣م.

٨٤- حجج القرآن: أحمد بن محمد بن أحمد المظفر ابن المختار، أبو العباس بدر الدين الرازيّ الحنفي (المتوفى: بعد ٦٣٠هـ): المحقق: أحمد عمر المحمصاني الأزهري. دار الرائد العربي – لبنان، الطبعة: الثانية، ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م.

٨٥- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ). السعادة - بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م. دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر، الطبعة: الأولى.

٨٦- خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، (رسالة دكتوراه): عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني (المتوفى: ١٤٢٩هـ). مكتبة وهبة، الطبعة: الأولى، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م

٨٧- الدر المنثور: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ). دار الفكر – بيروت.

٨٨- دراسة ترجيحات الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تفسيره

٨٩- دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى : ١٣٩٣هـ). مكتبة ابن تيمية - القاهرة ، توزيع : مكتبة الخراز – جدة، الطبعة : الأولى ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م.

٩٠- دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ): حققه: الدكتور محمد رواس قلعه جي، عبد البر عباس. الناشر: دار النفائس، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.

٩١- دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ). دار الكتب العلمية – بيروت،

٩٢- دليل السالك إلى ألفية بن مالك

٩٣- الرحيق المختوم: صفي الرحمن المباركفوري (المتوفى: ١٤٢٧هـ). دار الهلال – بيروت،

٩٤- رموز الكنوز للرسعني

٩٥- روح البيان: إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي ، المولى أبو الفداء (المتوفى: ١١٢٧هـ). الناشر: دار الفكر – بيروت.

٩٦- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ): تحقيق: علي عبد الباري عطية. دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.

٩٧- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ): المحقق: علي عبد الباري عطية. دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.

٩٨- روضة العقلاء ونزهة الفضلاء: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ): المحقق: محمد محي الدين عبد الحميد. الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.

٩٩- زاد المسير في علم التفسير: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي

(المتوفى: ٥٩٧هـ): المحقق: عبد الرزاق المهدي. دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ.

١٠٠- الزاهر في معاني كلمات الناس: محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، أبو بكر الأنباري (المتوفى: ٣٢٨هـ): المحقق: د. حاتم صالح الضامن. مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ -١٩٩٢.

١٠١- زهرة التفاسير: محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفى: ١٣٩٤هـ). دار الفكر العربي.

١٠٢- السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير: شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (المتوفى: ٩٧٧هـ). مطبعة بولاق (الأميرية) – القاهرة،

١٠٣- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ). مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، عام النشر: جـ ١ - ٤: ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م، جـ ٦: ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م، جـ ٧: ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م.

١٠٤- سنن ابن ماجة: ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (المتوفى: ٢٧٣هـ): تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي.

١٠٥- سنن أبي داود: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ): المحقق: شعَيب الأرنؤوط - محَمَّد كامِل قره بللي، دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.

١٠٦- سنن الترمذي: المؤلف: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ): تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢) ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣) وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ ٤، ٥). شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ -

١٩٧٥ م.

١٠٧- سنن الدارقطني: أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار البغدادي الدارقطني (المتوفى: ٣٨٥هـ): حققه وضبط نصه وعلق عليه: شعيب الارنؤوط، حسن عبد المنعم شلبي، عبد اللطيف حرز الله، أحمد برهوم. مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م.

١٠٨- السنن الكبرى: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ): حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي. أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط. قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي. الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.

١٠٩- سير أعلام النبلاء: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ). دار الحديث- القاهرة، الطبعة: ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

١١٠- سيرة ابن إسحاق (كتاب السير والمغازي): محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي بالولاء، المدني (المتوفى: ١٥١هـ): تحقيق: سهيل زكار. دار الفكر – بيروت، الطبعة: الأولى ١٣٩٨هـ /١٩٧٨م،

١١١- السيرة النبوية

١١٢- شذرات الذهب في أخبار من ذهب: عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي، أبو الفلاح (المتوفى: ١٠٨٩هـ): حققه: محمود الأرناؤوط. خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط. الناشر: دار ابن كثير، دمشق – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.

١١٣- شرح أسماء الله الحسنى تفسير أسماء الله الحسنى: المؤلف: إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: ٣١١هـ): المحقق: أحمد يوسف الدقاق. الناشر: دار الثقافة العربية

١١٤- شرح الرضي على الكافية

١١٥- شرف المصطفى: عبد الملك بن محمد بن إبراهيم النيسابوري الخركوشي، أبو سعد (المتوفى: ٤٠٧هـ). دار البشائر الإسلامية – مكة، الطبعة: الأولى - ١٤٢٤ هـ.

١١٦- شعب الإيمان: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ): حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد. أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي – الهند. الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م

١١٧- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية:: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ): تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار. دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

١١٨- صحيح ابن خزيمة: أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي النيسابوري (المتوفى: ٣١١هـ): المحقق: د. محمد مصطفى الأعظمي. المكتب الإسلامي – بيروت.

١١٩- صحيح الجامع الصغير وزياداته: المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ). الناشر: المكتب الإسلامي.

١٢٠- صفة الصفوة: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ): المحقق: أحمد بن علي. الناشر: دار الحديث، القاهرة، مصر، الطبعة: ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

١٢١- طبقات الحفاظ: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ). دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣.

١٢٢- طبقات الشافعية الكبرى: تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (المتوفى: ٧٧١هـ): المحقق: د. محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح محمد الحلو. هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، ١٤١٣هـ.

١٢٣- طبقات الشافعية: أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر الأسدي الشهبي الدمشقي، تقي الدين ابن قاضي شهبة (المتوفى: ٨٥١هـ): المحقق: د. الحافظ عبد العليم خان. عالم الكتب – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧ هـ.

١٢٤- طبقات الفقهاء: أبو اسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي (المتوفى: ٤٧٦هـ): هذبهُ: محمد بن مكرم ابن منظور (المتوفى: ٧١١هـ): المحقق: إحسان عباس. الناشر: دار الرائد العربي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٩٧٠.

١٢٥- الطبقات الكبرى: أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (المتوفى: ٢٣٠هـ): تحقيق: محمد عبد القادر عطا. الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م.

١٢٦- طبقات المفسرين العشرين: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ): المحقق: علي محمد عمر. مكتبة وهبة – القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٣٩٦.

١٢٧- طبقات المفسرين للداوودي: محمد بن علي بن أحمد، شمس الدين الداوودي المالكي (المتوفى: ٩٤٥هـ). دار الكتب العلمية – بيروت.

١٢٨- طبقات المفسرين: أحمد بن محمد الأدنه وي من علماء القرن الحادي عشر (المتوفى: ق ١١هـ): المحقق: سليمان بن صالح الخزي. مكتبة العلوم والحكم – السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م.

١٢٩- العقد الثمين في شرح أحاديث أصول الدين: المؤلف: حسين بن غنّام (أو ابن أبي بكر بن غنام) النجدي الأحسائي المالكي (المتوفى: ١٢٢٥هـ): المحقق: محمد بن عبد الله الهبدان. الناشر: فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية، الطبعة: الأولى ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.

١٣٠- علماء ومفكرون عرفتهم، لمحمد المجذوب

١٣١- عمدة القاري شرح صحيح البخاري: المؤلف: أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى (المتوفى: ٨٥٥هـ). الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

١٣٢- العين: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ): المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي. الناشر: دار ومكتبة الهلال.

١٣٣- غاية النهاية في طبقات القراء: شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى: ٨٣٣هـ). مكتبة ابن تيمية، الطبعة: عني بنشره لأول مرة عام

١٣٥١هـ ج. برجستراسر.

١٣٤- غرائب التفسير وعجائب التأويل: محمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم برهان الدين الكرماني، ويعرف بتاج القراء (المتوفى: نحو ٥٠٥هـ). دار القبلة للثقافة الإسلامية - جدة، مؤسسة علوم القرآن – بيروت.

١٣٥- غرائب التفسير وعجائب التأويل: محمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم برهان الدين الكرماني، ويعرف بتاج القراء (المتوفى: نحو ٥٠٥هـ). دار القبلة للثقافة الإسلامية - جدة، مؤسسة علوم القرآن – بيروت.

١٣٦- غرائب القرآن ورغائب الفرقان: نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (المتوفى: ٨٥٠هـ): المحقق: الشيخ زكريا عميرات. الناشر: دار الكتب العلميه – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٦ هـ.

١٣٧- غريب القرآن: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ): المحقق: سعيد اللحام.

١٣٨- فتح الباري شرح صحيح البخاري: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي. الناشر: دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩. رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي. قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب. عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

١٣٩- فتحُ البيان في مقاصد القرآن: أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (المتوفى: ١٣٠٧هـ): عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري. المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا – بَيروت، عام النشر: ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.

١٤٠- الفتح الرباني من فتاوى الإمام الشوكاني: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ): حققه ورتبه: أبو مصعب «محمد صبحي» بن حسن حلاق. الناشر: مكتبة الجيل الجديد، صنعاء – اليمن.

١٤١- فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن: زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى السنيكي (المتوفى: ٩٢٦هـ): المحقق: محمد علي الصابوني. دار

القرآن الكريم، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.

١٤٢- فتح القدير: المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ). دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٤

١٤٣- فتح القدير: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ). دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٤ هـ.

١٤٤- فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة: محّمد سَعيد رَمضان البوطي. دار الفكر – دمشق، الطبعة: الخامسة والعشرون - ١٤٢٦ هـ.

١٤٥- في ظلال القرآن: سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (المتوفى: ١٣٨٥هـ). دار الشروق - بيروت- القاهرة، الطبعة: السابعة عشر - ١٤١٢ ٥.ـ

١٤٦- القاموس الفقهي القاموس الفقهي لغة واصطلاحا: الدكتور سعدي أبو حبيب. دار الفكر. دمشق – سورية، الطبعة: الثانية ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م تصوير: ١٩٩٣ م.

١٤٧- القصيدة الوردية في سيرة خير البرية: عبد الكريم بن محمد بن فاتح بن سليمان بن مصطفى بن محمد المدرس المشهور بالشيخ عبد الكريم بيارة (المتوفى: ١٤٢٦هـ). دار الحرية – بغداد، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م

١٤٨- الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ): المحقق: محمد عوامة أحمد-محمد نمر الخطيب. دار القبلة للثقافة الإسلامية - مؤسسة علوم القرآن، جدة، الطبعة: الأولى، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م.

١٤٩- كتاب السبعة في القراءات: أحمد بن موسى بن العباس التميمي، أبو بكر بن مجاهد البغدادي (المتوفى: ٣٢٤هـ): المحقق: شوقي ضيف. دار المعارف – مصر، الطبعة: الثانية، ١٤٠٠هـ.

١٥٠- تفسير ابن فورك - من أول سورة نوح - إلى آخر سورة الناس: الإمام العلَّامة / أبو بكر محمد بن الحسن ابن فورك (المتوفى ٤٠٦): دراسة وتحقيق: سهيمة بنت محمد سعيد محمد أحمد بخاري.

١٥١- الكشاف عن حقائق غوامض التتزيل: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ). دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧ هـ.

١٥٢- كشف الأستار عن زوائد البزار: نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (المتوفى: ٨٠٧هـ): تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي. مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.

١٥٣- الكشف والبيان عن تفسير القرآن: أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (المتوفى: ٤٢٧هـ): تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور. مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي. دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٢٢، هـ - ٢٠٠٢ م.

١٥٤- كتر العمال في سنن الأقوال والأفعال: علاء الدين علي بن حسام الدين ابن قاضي خان القادري الشاذلي الهندي البرهانفوري ثم المدني فالمكي الشهير بالمتقي الهندي (المتوفى: ٩٧٥هـ): المحقق: بكري حياني - صفوة السقا. مؤسسة الرسالة، الطبعة الخامسة، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

١٥٥- لباب التأويل في معاني التتزيل: علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (المتوفى: ٧٤١هـ): تحقيق: تصحيح محمد علي شاهين. دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٥ هـ.

١٥٦- اللباب في علوم الكتاب: أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى: ٧٧٥هـ): المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض. دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ -١٩٩٨م.

١٥٧- لسان العرب: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ). دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ.

١٥٨- لسان الميزان: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى:

٨٥٢هـ): المحقق: عبد الفتاح أبو غدة. دار البشائر الإسلامية، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٢ م.

١٥٩- لمحات الأنوار ونفحات الأزهار وري الظمآن

١٦٠- لمسات بيانية في نصوص من التتريل: فاضل بن صالح بن مهدي بن خليل البدري السامرائي. دار عمار للنشر والتوزيع، عمان – الأردن، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م.

١٦١- المصنف: أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (المتوفى: ٢١١هـ): المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي. المجلس العلمي- الهند، يطلب من: المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣.

١٦٢- مباحث في علوم القرآن للقطان: مناع بن خليل القطان (المتوفى: ١٤٢٠هـ). مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

١٦٣- مباحث في علوم القرآن: صبحي الصالح. دار العلم للملايين، الطبعة الرابعة والعشرون كانون الثاني/ يناير ٢٠٠٠.

١٦٤- المجتبى من السنن = السنن الصغرى للنسائي: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ): تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة. مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦ – ١٩٨٦.

١٦٥- المجتبى من مشكل إعراب القرآن: أ. د. أحمد بن محمد الخراط، أبو بلال. مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، ١٤٢٦ هـ.

١٦٦- المجتمع المثالي كما تنظمه سورة النساء: محمد محمد المدني، المجلس الأعلى للشئون الاسلامية.

١٦٧- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (المتوفى: ٨٠٧هـ): المحقق: حسام الدين القدسي. مكتبة القدسي، القاهرة، عام النشر: ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤ م.

١٦٨- مجمل اللغة لابن فارس: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ): دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان. مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة

الثانية - ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦.

١٦٩- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ): المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد. الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ.

١٧٠- المحكم والمحيط الأعظم: المؤلف: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي [ت: ٤٥٨هـ]: المحقق: عبد الحميد هنداوي. دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.

١٧١- المدخل لدراسة القرآن الكريم: محمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة (المتوفى: ١٤٠٣هـ)

١٧٢- المستدرك على الصحيحين: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ): تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا. دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١ – ١٩٩٠.

١٧٣- مستعذب الإخبار بأطيب الأخبار: المؤلف: أبو مدين بن أحمد بن محمد بن عبد القادر بن علي الفاسي (المتوفى: بعد ١١٣٢هـ). دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤ م.

١٧٤- مسند أبي داود الطيالسي: أبو داود سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي البصرى (المتوفى: ٢٠٤هـ): المحقق: الدكتور محمد بن عبد المحسن التركي. دار هجر – مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م.

١٧٥- مسند الإمام أحمد بن حنبل: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ): المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون. إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي. الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.

١٧٦- مسند الدارمي المعروف بـ (سنن الدارمي): أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرام بن عبد الصمد الدارمي، التميمي السمرقندي (المتوفى: ٢٥٥هـ): تحقيق: حسين سليم أسد الداراني. دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية،

الطبعة الأولى، ١٤١٢ هـ - ٢٠٠٠ م.

١٧٧- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ): المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي. الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

١٧٨- معالم التنزيل في تفسير القرآن: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى: ٥١٠هـ): تحقيق: محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش. دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.

١٧٩- معالم التنزيل: مختصر تفسير البغوي: عبد الله بن أحمد بن علي الزيد. دار السلام للنشر والتوزيع – الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ.

١٨٠- معانى القرآن: أبو الحسن المجاشعي بالولاء، البلخي ثم البصري، المعروف بالأخفش الأوسط (المتوفى: ٢١٥هـ): تحقيق: الدكتورة هدى محمود قراعة. مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م.

١٨١- معاني القرآن: أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (المتوفى: ٢٠٧هـ): المحقق: أحمد يوسف النجاتي / محمد علي النجار / عبد الفتاح إسماعيل الشلبي.

١٨٢- معاني النحو

١٨٣- معترك الأقران في إعجاز القرآن، ويُسمَّى (إعجاز القرآن ومعترك الأقران): عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ). دار الكتب العلمية - بيروت – لبنان،

١٨٤- معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى: ٦٢٦هـ): المحقق: إحسان عباس. دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م.

١٨٥- المعجم الأوسط: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ):تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد ، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني. دار الحرمين – القاهرة.

١٨٦- المعجم الكبير: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ): المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي. دار النشر: مكتبة ابن تيمية – القاهرة، الطبعة: الثانية.

١٨٧- المعجم الكبير: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ): المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي. مكتبة ابن تيمية – القاهرة، الطبعة الثانية.

١٨٨- معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ): المحقق: عبد السلام محمد هارون. الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

١٨٩- معرفة الصحابة: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ): تحقيق: عادل بن يوسف العزازي. دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة: الأولى ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.

١٩٠- المعرفة والتاريخ: يعقوب بن سفيان بن جوان الفارسي الفسوي، أبو يوسف (المتوفى: ٢٧٧هـ): المحقق: أكرم ضياء العمري. النشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠١ هـ- ١٩٨١ م.

١٩١- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام (المتوفى: ٧٦١هـ): المحقق: د. مازن المبارك / محمد علي حمد الله. الناشر: دار الفكر – دمشق، الطبعة: السادسة، ١٩٨٥.

١٩٢- مفاتيح الغيب = التفسير الكبير: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ). دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠ هـ.

١٩٣- مفتاح العلوم: يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب (المتوفى: ٦٢٦هـ): ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور. الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الثانية، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

١٩٤- المفردات في غريب القرآن: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى

(المتوفى: ٥٠٢هـ): المحقق: صفوان عدنان الداودي. دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٢ هـ.

١٩٥- المفصل في صنعة الإعراب: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ): المحقق: د. علي بو ملحم. الناشر: مكتبة الهلال – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٩٣.

١٩٦- مقدمة البرهان

١٩٧- مقدمة التحرير والتنوير

١٩٨- ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل: أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، أبو جعفر (المتوفى: ٧٠٨هـ): وضع حواشيه: عبد الغني محمد علي الفاسي. دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

١٩٩- المناسبات بين الآيات والسور، سامي عطا

٢٠٠- مناهل العرفان في علوم القرآن: محمد عبد العظيم الزُّرْقاني (المتوفى: ١٣٦٧هـ). مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة الثالثة.

٢٠١- المنهج البلاغي لتفسير القرآن الكريم

٢٠٢- الموافقات: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: ٧٩٠هـ): المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان. دار ابن عفان، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

٢٠٣- المواهب اللدنية بالمنح المحمدية: أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين (المتوفى: ٩٢٣هـ). المكتبة التوفيقية، القاهرة- مصر.

٢٠٤- الموسوعة القرآنية، خصائص السور: جعفر شرف الدين: المحقق: عبد العزيز بن عثمان التويجزي. الناشر: دار التقريب بين المذاهب الإسلامية – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٠ هـ.

٢٠٥- ميزان الاعتدال ذيل ميزان الاعتدال: أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم العراقي (المتوفى: ٨٠٦هـ): المحقق: علي محمد

معوض / عادل أحمد عبدالموجود. الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥م.

٢٠٦- الناشر: مكتبه السنة – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م.

٢٠٧- النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم: محمد بن عبد الله دراز (المتوفى: ١٣٧٧هـ): اعتنى به : أحمد مصطفى فضلية. قدم له : أ. د. عبد العظيم إبراهيم المطعني، دار القلم للنشر والتوزيع، الطبعة : طبعة مزيدة ومحققة ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.

٢٠٨- نتائج الفكر في النَّحو للسُّهَيلي: أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي (المتوفى: ٥٨١هـ). دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى: ١٤١٢ - ١٩٩٢ م.

٢٠٩- النحو المصفى: محمد عيد. مكتبة الشباب.

٢١٠- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ). دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

٢١١- نظم المتناثر من الحديث المتواتر: أبو عبد الله محمد بن أبي الفيض جعفر بن إدريس الحسني الإدريسي الشهير بـ الكتاني (المتوفى: ١٣٤٥هـ): المحقق: شرف حجازي. دار الكتب السلفية – مصر، الطبعة الثانية المصححة ذات الفهارس العلمية.

٢١٢- النهاية في غريب الحديث والأثر: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ): تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي. المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٢١٣- نور اليقين في سيرة سيد المرسلين: محمد بن عفيفي الباجوري، المعروف بالشيخ الخضري (المتوفى: ١٣٤٥هـ). دار الفيحاء – دمشق، الطبعة: الثانية - ١٤٢٥ هـ.

٢١٤- الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه: أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (المتوفى: ٤٣٧هـ): المحقق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي - جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي. مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.

٢١٥- الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ): تحقيق: صفوان عدنان داوودي. دار القلم ، الدار الشامية - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.

٢١٦- الوسيط في تفسير القرآن المجيد: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ): تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس. قدمه وقرظه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م.

٢١٧- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (المتوفى: ٦٨١هـ): المحقق: إحسان عباس. دار صادر – بيروت، الطبعة: الجزء: ١ - الطبعة: ٠، ١٩٠٠، الجزء: ٢ - الطبعة: ٠، ١٩٠٠، الجزء: ٣ - الطبعة: ٠، ١٩٠٠، الجزء: ٤ - الطبعة: ١، ١٩٧١، الجزء: ٥ - الطبعة: ١، ١٩٩٤، الجزء: ٦ - الطبعة: ٠، ١٩٠٠، الجزء: ٧ - الطبعة: ١، ١٩٩٤.

٢١٨- اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر، لعبد الوهاب الشعراني.

فهرس الموضوعات

المقدمة ٤

أهمية الموضوع ٧

أسباب اختياري للموضوع.. ٨

الدراسات السابقة.. ٩

خطة البحث.. ١١

عملي في البحث ١٤

(الباب الأول) قسم الدراسة النظرية ١٦

تمهيد: التعريف التناسق الموضوعي..................................١٧

الفصل الأول: بين يدي السورة الكريمة............................ ٢٢

المبحث الأول: اسم السورة الكريمة............................... ٢٣

المبحث الثاني: فضائل السورة الكريمة أو بعض آياتها...............٣٣

عدد آيات سورة هود ٤٠

الفصل الثاني: مكي السورة ومدنيها، ومناسبتها لما قبلها وما بعدها ووجه اختصاصها...٤٢

المبحث الأول: في إثبات مكية هود وما استثني منها ٤٣

المبحث الثاني : مناسبة السورة لما قبلها وما بعده ٤٦

المبحث الثالث: وجه اختصاص السورة بما اختصت به................. ٥٤

الفصل الثالث: تاريخ نزول السورة، وأسباب نزولها، ومقاصدها........ ٥٩

المبحث الأول : تاريخ نزول السورة والجو العام الذي نزلت فيه ٦٠

المبحث الثاني: أسباب النزول الواردة في السورة.................. ٧٠

المبحث الثالث: مقاصد السورة الكريمة وأهدافها....................٧٦

الباب الثاني: قسم الدراسة التطبيقية................................٨٤

الفصل الأول : محور السورة الكريمة ومناسباتها.....................٨٥

المبحث الأول : محور السورة وموضوعها الكلي.......................٨٥

المبحث الثاني: مناسبة اسم السورة لموضوعاتها............................ ٩٢
المبحث الثالث: مناسبة فاتحة السورة لخاتمتها..............................٩٧
الفصل الثاني: موضوعات السورة الكريمة وتناسقها..........................١٠٦
الفصل الثالث:تفسير السورة الكريمة في ضوء تناسقها الموضوعي............ ١٢٠
المبحث الأول: مفتتح السورة ويشمل الآيات (١-٢٤)........................١٢١
أوجه التناسب بين ما سبق وبين ما سيأتي من القصص........................١٩٠
المبحث الثاني : قصة نوح عليه السلام مع قومه.................................١٩١
مسألة: دعاء نوح عليه السلام في القرآن: ٢٠١
التناسق في مسألة الناجين في قصة نوح عليه السلام: ٢٠٤
التناسق القرآني في عرض خاتمة قصة نوح عليه السلام: ٢٠٦
المبحث الثالث : قصة هود عليه السلام مع قومه ٢٨٨
التناسق القرآني في تذكير القوم بالنعم في المواضع المختلفة ٢٩٥
التناسب والتناسق في بيان العاقبة والهلاك للقوم في المواطن المختلفة............٢٩٧
المبحث الرابع: قصة صالح عليه السلام مع قومه ٣١٨
التناسق القرآني في دعوة صالح عليه السلام لقومه................................ ٣٢٧
التناسق القرآني في تذكير القوم بالنعم في السور المختلفة......................٣٢٩
التناسق في ذكر البينة على صدقه عليه السلام في المواطن المختلفة.................. ٣٣٣
التناسق في وعيد القوم في المواطن المختلفة......................................٣٣٤
التناسق في بيان خاتمة القوم في المواطن المختلفة..............................٣٣٤
أوجه التناسق في وصف نجاة صالح عليه السلام ومن معه في المواطن المختلفة..................٣٣٩
أوجه التناسق والتناسب في قصة صالح عليه السلام مع قومه في سورة هود............ ٣٤٠
المبحث الخامس: قصة إبراهيم عليه السلام مع قومه.............................. ٣٥٤
أوجه التناسق والتناسب في قصة إبراهيم عليه السلام مع قومه في سورة هود ٣٦٠
المبحث السادس: قصة لوط عليه السلام مع قومه....................................٣٧٤
أوجه التناسق والتناسب في قصة لوط عليه السلام مع قومه في سورة هود..... ....٣٨١

المبحث السابع: قصة شعيب عليه السلام مع قومه... ٣٩٣
أوجه التناسق والتناسب في قصة شعيب عليه السلام مع قومه في سورة هود ٤٠٠
المبحث الثامن: قصة موسى عليه السلام مع قومه..٤١٢
المبحث التاسع: خاتمة السورة، وارتباطها بالسياق ٤١٧
خاتمة البحث:...٤٥٥
الفهارس العامة...٤٥٨
فهرس الآيات...٤٥٩
فهرس الأحاديث..٥٢٠
فهرس الآثار...٥٢٢
فهرس الأعلام..٥٢٣
فهرس الأبيات الشعرية..٥٢٦
فهرس المصادر والمراجع ٥٢٧
فهرس الموضوعات...٥٥١